نهج النهج

المختار من نهج البلاغة

إعداد وتقديم

الدكتور سعيد السامرائي

مؤسسة الفجر

نهج النهج

إعداد وتعليق

الدكتور سعيد السامرائي

المختار من

نهج البلاغة

كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

شرح

ابن أبي الحديد المعتزلي

مؤسسة الفجر

بيروت - لندن

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الفجر

لبنان - بيروت

ص.ب ٨٠٢٠٨/٢٥

نهج النهج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

لم أعجب بقلم كإعجابي بقلم السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي رحمه الله . وعلى الرغم من ان كتبه كانت من أوائل الكتب التي قرأت في طريق التعرف على مذهب أهل البيت عليهم السلام ، لم تترك بعدها أية بحوث أخرى فيّ ذلك التأثير الذي تركته بحوث السيد شرف الدين . ولئن كان قلمه الساحر يمثل جزءاً كبيراً من ذلك التأثير فإن التأثير الأكبر كان لمنهجه في البحث الذي يأخذ بالألباب ويشدّها اكثر فأكثر كلما تدرجت في القراءة التي لا بد وأن تكون متصلة بلا توقف مهما كانت المشاغل !!

وقد عرف عن السيد شرف الدين جهاده المتواصل من أجل التقريب بين اتباع الدين الواحد والمذاهب المتعددة ، وكان منهجه في ذلك إثارة المشكلة وطرحها للبحث العلمي للوصول إلى الجواب الذي لا مفر منه ولا اشكال فيه ، مما يزيل الأدران من القلوب ويحطم ما يشاع هنا وهناك من مفتريات الغاية منها توسيع الفجوة بين المسلمين . وهذا المنهج ، برأيي ، خير ألف مرة من ذاك المنهج الذي يدعو إلى تناسي المشكلة وكأنها غير موجودة ، ثم تعود الحال كما كانت عليه مع أول إشاعة يطلقها أحد المغرضين ، والسبب في ذلك هو أن الأموز المختلف عليها لم تدرس لحلّها والحقائق لم تتوضح ، في حين أنه لو كان زيد من الناس قد فهم وجهة نظر عمرو ، أو قل عرفها على حقيقتها ، فإنه لا يمكن أن يكون صيداً سهلاً للإشاعات لأنه سيعرف ما إذا كانت صحيحة أو باطلة مقصودة لغرض خبيث . هذه الفكرة التي ليس من ورائها ـ شهد الله ـ إلا القصد النبيل هي التي دفعت إلى اختيار هذه النصوص من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

ولقد قمت باختيار كل النصوص التي لها علاقة بموضوعين ، أو بالأحرى طرفي موضوع واحد ، أحدهما علّة للآخر . فالأول هو تفضيل الإمام على معاصريه أجمعين والنّص عليه والوصيّة إليه من قبل النبي (ص) ، وهذا سبّب أن يكون هو خليفة النبي (ص) بعده مباشرةً وهو الموضوع الثاني . لذ فإنك قد تجد في المختار خطبة للإمام في حرب صفّين وتجد بعدها أو قبلها كلام له عليه السلام مع شخص سأله وهما جالسان في هدوء ، وذلك لأن قاسمهما المشترك قد يكون ذكره الوصيّة في المقامين ، أعني أنه وصيّ رسول الله (ص) ، وهكذا في غيرها من النصوص المختارة . كما تضمّن المختار ما هو أشمل من ذلك ، وهو ذكر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين لا يمثل الامام عليّ (ع) إلاّ أولهم وإن كان عظيمهم . وهذه النصوص توجب على المكلف ، وعلى كل من يعتقد بأن علي بن أبي طالب لا ينطق إلاّ بالحق لأنه كما قال عنه النبي (ص) (عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه حيث دار) ، توجب عليه أن يتمسك بولاء أئمة أهل البيت ، أو على الأقل ينزلهم منازل فقهاء المذاهب الأخرىٰ الذين لا يقل أئمة أهل البيت عنهم في شيء . وذاك أفضل من اقصائهم كلّياً عن تفسير القرآن وقد نزل في بيوتهم ، وعن حديث الرسول (ص) وهم أهله وأهل البيت ادرىٰ بالذي فيه ، وعن الاجتهاد وهم في قمته العليا ، وعن فروع المعارف الأخرى وهم من وضع أصولها للناس .

هذا ، وإن هناك عزيزي القارىء الكريم طريقان لمعرفة الحق ، أولهما يوصل إليه والآخر قد يوهم بذلك . أما الأول فهو معرفته بعد إعمال الفكر وتدقيق النظر ، وأما الثاني فهو بتقليد من تعتقد بعدالتهم . وهذا الثاني قد يوصلك إلى الحق إن كان من تتبع آراءهم وأحوالهم وأفعالهم على الحق ، وقد يضلّك أن كانوا غير ذلك ، إنك ستظل على اعتقادك بأنك على الحق وهو التوهم ، ويكون وصفك إذ ذاك على ما جاء به التنزيل **﴿ يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، إلاّ أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾** . أما الأول فهو الذي وصفه عليّ أمير المؤمنين عندما أجاب السائل عن الطائفة المحقّة يوم الجمل ، فلم يقل الإمام (أنا على الحق) ولو قالها لكان صادقاً ، بل قال (اعرف الحق تعرف أهله) . فإن كنت أخي القارىء من النوع الأول فإنّ هذا الكتاب سيكون ذا فائدة إن شاء الله تعالى ، وإما إن كنت من النوع الثاني وكنت قبلُ من غير المؤمنين بما جاء به ، فستجد نفسك مكتئبة وصدرك ضيقاً حرجاً مما تقرأ لأنه عبارة عن حقائق لا تُدْفَع ونصوص جلية واضحة تلوي الأعناق ، فإمّا أن تفزع إلى تكذيبها وهذا دَيْدَن الضعيف الذي يبهت أمام الحق فلا يدري جواباً فيلوذ بالأوهام ، وإما أن

يأخذ الله بيديك فتمر بحالة الطفرة فتغير منهجك وتتغلب على نفسك.وقد تقرأ الكتاب مرة أخرى ، وأخرى ، لتستوعب هذا الجديد وليس في ذلك من غضاضة ، بل قيل أن الشك يقود إلى أقوى الايمان .

واعلم أخي القارىء ، وليتسع لي صدرك ، بأن التعصب للرأي لا يخلو من الشرك إلاّ ما رحم ربي ، لأنه ليس إلاّ عدم الرغبة في تغيير المعتقد حتى لو كان خطأ ، وهو أحد الأمور العسيرة حقاً ، فيكون الهوى إذ ذاك أكثر أهمية من الحق وهذا هو الشرك ، أعاذنا الله تعالى منه .

ورب سائل يسأل ، وما يدريك إنك على الحق ؟ فأقول له ، هذا المنهاج قد التزمت به ، وفي الوقت الذي يتبين لي فيه أن معتقدي باطل فسوف القي به جانباً لأتمسك بالحق الذي وجدته ، وسأكون شاكراً لمن يبين لي ذلك ، لأن الغاية رضا الله والجنّة وهي لا تنال بالأماني ، فقد قال أمير المؤمنين في نهجه : (وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده ، لا يدخل الجنة إلاّ من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه)(*) .

هذا ، وإني اطلب شاكراً من القارىء الذي هو مؤمن اصلاً بنتيجة هذا الكتاب أن يهديه أو يعيره إلى صديقه أو معارفه ممن لم يؤمنوا بما جاء به عسىٰ أن يجد عندهم القبول ، ذلك لأن هدفي من وراء هذا المختار هو أن يقرأه اخواني غير المؤمنين بوجهة النظر هذه لتعمّ الفائدة الجميع ، ومن ثم نصل إلى الهدف الأبعد الذي ذكرناه آنفاً وهو توضيح الأشكال لكي يُسَدُّ الباب بوجه المغرضين ومثيري الفتن وما أكثرهم . وما عدا ذلك ، فأمّا أن تؤمن بما جاء به الكتاب فقولنا وإياك واحد ، وإما أن ترفضه وتنكر ما جاء فيه ، وهو أمر طبيعي . يقول أمير المؤمنين في نهجه : (فلا تقولوا بما لا تعرفون ، فإنَ اكثر الحق فيما تنكرون)(**) فلا تقول عند ذاك بما لا تعرف إذ أن الذي انكرت قد يكون حقاً .

هذا ما يخص النصوص نفسها ، أما الشرح فقد تم الاعتماد عليه لعدة أسباب ، أولها أنه الشرح المعتمد لدىٰ الجميع إذ عدّوه أفضل من غيره لما فيه من المعارف والبحوث في شتىٰ الفنون وذلك لتمتع صاحبه ـ ابن أبي الحديد ـ بسعة الاطلاع والمعرفة ، وثانيها ولعله متعلق بالأول ، هو أن الشرح نفسه مطلوب لذاته لما فيه من نصوص خطب أخرىٰ لم ترد في النهج أو

* الجزء الثاني ـ الخطبة ١٥٢ .

** الجزء الأول ـ الخطبة ٨٦.

وردت بزيادة أو نقصان أو تحوير ، كذلك لما فيه من توسع مفيد في جملة من المواضيع . وثالثها أن .الشارح ليس من الشيعة ولا يقول بقولهم اللهم إلاّ فيما يختص بتفضيل عليّ بن أبي طالب على غيره ، بل إنه لينافح ويدافع في كل مناسبة عن الكثير من الوقائع التي لا تصححها الشيعة ولا تتعبد بنتائجها . وقد ناقشنا بعض ما ذهب إليه بأشد الاختصار وذلك في هوامشنا ، ولو شئنا أن نطيل لوسعنا ذلك ، على أن ما ذكرناه يعدّ كافياً كهامش . والرجاء أن يكون هذا السبب كافياً لتناول هذا الكتاب من قبل أولئك الذين لا يرون صفة اقبح من التشيع لأهل البيت ، فإذا رُمِيَ به أحد ، كان خارج دائرة الثقة ، بل ان هذا هو السبب الذي جعلهم يتركون كتاب نهج البلاغة وراء ظهورهم وكأنه من كلام اليهود والنصارىٰ ، في حين أنهم يتمسكون بالشاردة والواردة من الكلمات . فهم لا يعيرون أية أهمية لكتب أمير المؤمنين إلى معاوية وغيره من أعدائه ولا إلى الأشتر وغيره من أوليائه ، وهي لعمري المعين الذي لا ينضب ، في حين أنهم يتمسكون بكتاب الرشيد إلى ملك الروم وما ذلك إلاّ (من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، الجواب ما ترىٰ لا لما تسمع) ونحو ذلك من الكتب التي لا تجوز مقارنتها بكتب أمير المؤمنين . وعلى أية حال فإن هؤلاء قد خسروا المدخل إلى علم رسول الله (ص) إذ قال في الحديث المتواتر الذي لا يشك فيه مسلم (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها) .

وبعد ، فيجدر ملاحظة ما يلي :

١ ـ ارقام الخطب والكتب والمواعظ كانت حسب ترقيم ابن أبي الحديد حيث أن الشرح شرحه نقلناه بنصّه .

٢ ـ لما كانت النصوص المختارة تمثل في أغلب الأحيان اجزاءً من الخطب أو الكتب ، وكذلك لأن المختارات كانت من بعض الخطب لا جميعها ، ارتأينا وضع أرقام لها متسلسلة ليسهل الرجوع إليها في هذا الكتاب ، وكأنه غير مشتق من كتاب آخر وهو الأصل الذي يحوي الأرقام المتسلسلة للخطب والكتب والمواعظ كلها .

٣ ـ تم اختيار عناوين المختار من الخطب والكتب والمواعظ على أساس الطابع العام للمحتوىٰ ، إذ احتوىٰ بعضها على أمور أخرى لم تذكر في العنوان . كما أنه قد يلاحظ أن هذا العنوان لا يشير إلاّ إلى أمر مستخرج من المختار لا المختار نفسه ، مثال ذلك ، المختار رقم ٢٩ من الخطبة ١٨٣ حيث جعلنا العنوان هو إثبات الوصية في حين أن المختار كان : (أيها الناس ، إني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء أممهم ، وادّيت

اليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بَعْدَهُم . . .) فلم نختر عنواناً يبين نصحه عليه السلام للأمة إذ بثَّ فيهم المواعظ وأدَّى إليهم ما ادَّت الأوصياء ، وذلك لأن الغاية من الاختيار كان إثبات أنه عليه السلام وصي النبي (ص) .

٤ ـ الهوامش كانت كما يلي :
أ ـ الرقم ما بين القوسين المنحنيين (   ) هو هامش المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم نقلناه كما هو .
ب ـ الرقم ما بين القوسين المربعين [   ] هو هامش الشيخ محمد عبده في شرحه .
ح ـ النجمة * هو الهامش الذي وضع من قبلنا .

٥ ـ حذفنا كل هوامش المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم المتعلقة بتحقيقه ، أي تلك التي تشير إلى تغيير في الكلمات في المصادر المختلفة للنهج ، وذلك لأنها لا تهمنا في هذا المختار .

٦ ـ رغبةً منّا في عدم تشويش ذهن القارىء بكثرة وطول الهوامش ، ارتأينا وضع المواضيع التي لها علاقة بالكتاب ولكنها لم ترد في شروح الخطب المختارة وإنما في شروح خطب أخرىٰ ، ارتأينا وضعها في نهاية الكتاب كملحق يقع في سبعة فصول ، فإنه لمن المناسب قراءة الفهرست قبل الشروع في قراءة الكتاب لكي يتم الرجوع إلى الملحق عند قراءة أيّ نصّ مختار له ما يتعلق به في أحد فصول الملحق .

٧ ـ سيجد القارىء أن هناك بعض التكرار في بعض الأحاديث الواردة في الفضائل أو الوقائع التاريخية ، وذلك غير عائد إلينا وإنما لأنها كانت كذلك في شرح ابن أبي الحديد الذي التزمنا بإيراد ما جاء به كما هو .

٨ ـ لم نتدخل في الشروح إلاّ في مكانين ، الأول هو الهوامش (ذات النجمة *) وهي عبارة عن تعليقات لنا على الشروح أو على محتواها ، والثاني هو حذف بعض الفقرات أو اختصارها إذا كان لا يتوجب إيرادها كما هي ، وقد أشرنا إلى ذلك في الحالتين .

وبعد ، فهذا الجامع من النصوص المختارة لموضوع معين ، من الممكن أن يكون افتتاحاً لتصنيف شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الذي يُعدّ أفضل الشروح وأغناها (حتىٰ الآن) تصنيفاً على أساس وحدة الموضوع ، فكتاب لتنزيه الله وتقديسه وبحث سمائه وصفاته سبحانه وتعالىٰ ، وآخر لذكر رسول الله (ص) ، وثالث لذكر الدنيا والآخرة وهكذا ، وذلك

لتسهيل تناول هذا الشرح للقرّاء . إذ لا يرغب الكل في اقتناء المجموعة كلها ، إضافـةً إلى تسهيل النقل عنه .

وأني لأرجو أن أنال شفاعة هذا الرجل الذي اخترنا كلامه لثبوت الشفاعة له اشتقاقاً من صاحب الشفاعة العظمىٰ رسول الله (ص) ، وإن كان هذا الجهد لا يعدّ شيئاً بـالقياس إلى فضل هذا الرجل عليّ وعلى الأمة ، هذا الذي قتل أئمة الكفر في بـدر وأحد وحنين ، هذا الذي خرج لعمرو بن عبد ود في ذلك الموقف الرهيب (وتظنون بالله الظنونا . هنالـك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) يوم نادىٰ للبراز فما خرج له غيره ، أقول هذا الذي خـاض هذه الغمرات وغيرها وسط الغبار والحرّ والقرّ لكي نجلس اليوم بهدوء ونسمع المؤذن ينادي للصلاة أينما كنا فنقوم بين يدي الله بأمان ، فكيف نستطيع أن نجـازيه ؟ هـذا محال . وإنمـا الجزاء من عند الوهاب يوم يعطيه لواء الحمد بيده ويسقي العطاش يوم الـظمأ من حـوض رسول الله (ص) ، بل يكفيه أنه قسيم الجنة والنار إذ جعل الله حبه يؤدي إلى الجنة وبغضه إلى النار .

اسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً مخلصاً لوجهـه الكريم ، وأن يصـلي على سيـدنا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين ، أنه سميع مجيب .

١٣ شعبان ١٤٠٤ هـ
١٩٨٤/١٠/٩

الباب الأول

وفيه :

- ماذا يجد من يقرأ نهج البلاغة ، أو مقدمة الشيخ محمد عبده .
- مم يتألف نهج البلاغة ، أو مقدمة السيد الشريف الرضي .
- ترجمة الشارح ابن أبي الحديد المعتزلي .
- ترجمة السيد الشريف الرضي .
- من هو علي بن أبي طالب .
- رأي لابن أبي الحديد في صحة نسبة نهج البلاغة كلا وجزءا إلى أمير المؤمنين .

ماذا يجد من يقرأ نهج البلاغة

مقدمة الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله سياج[١] النعم . والصلاة على النبي وفاءُ الذمم . واستمطار الرحمة على آله الأولياء ، وأصحابه الأصفياء ، عرفان الجميل وتذكار الدليل[٢] : وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل . أصبته على تغير حال وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال . فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً من عباراته . من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يخيل إلي في كل مقام أن حروباً شبت وغارات شنت وإن للبلاغة دولة ، وللفصاحة صولة . وأن للأوهام عرامة[٣] وللريب دعارة . وإن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج[٤] والقويم الأملج . وتمتلج المهج برواضح الحجج . فتفل من دعارة الوساوس[٥] وتصيب مقاتل الخوانس . والباطل منكسر ومرج الشك في خمود[٦] وهرج الريب في ركود . وإن مدبّر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو

---

[١] السياج : ما أحيط به على شيء .

[٢] معرفة طريق الحق والهداية إليه .

[٣] العرامة الشرسة. والدعارة سوء الخلق . والجحافل الجيوش . والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والأوهام .

[٤] تنافح تضارب أشد المضاربة . والصفيح السيف والأبلج اللامع البياض . والقويم الرمح والأملج الأسمر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القويمة المبدعة للوهم وان خفي مدركها وتمتلج أي تمتص . والمهج دماء القلوب لا تبقي للأوهام شيئاً من مادة البقاء .

[٥] فل الشيء ثلمه ألقوم هزمهم . والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء.

[٦] المرج الاضطراب . والهرج هيجان الفتنة .

حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد . وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية . في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية : توحي إليها رشادها . وتقوم منها مرادها . وتنفر بها عن مداحض المزال . إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة[١] ، وأنياب كاشرة . وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور . قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها، وأخذت الخواطر دون رماها . واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الإلٓهي ، واتصل بالروح الانساني . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى . ونما به إلى مشهد النور الأجلىٰ وسكن به إلى عمار جانب التقديس . بعد استخلاصه من شوائب التلبيس[٢] . وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرِّفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقاق السياسة . ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ويُصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقة وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما سترى في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة ، تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على إحسانه ، لما احتجنا إلى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة . وما خُصَّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلاَّ أصابه ولم يدع للفكر ممراً إلاَّ جابه[٣]

---

[١] باسرة : عابسة .

[٢] التلبيس : التخليط التدليس .

[٣] جابه يجوبه : خرقه ومضى به .

إلَّا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا ، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول إلى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل . وليس ذلك ضعفاً في اللفظ أو وهناً في المعنى وإنما هو قصور في ذهن المتناول .

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة والمشارفة بالمكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً وبعض جمله تفسيراً وشيء من اشتاته تعييناً ، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت . موجزاً في البيان ما استطعت . معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الأخبار . ولم أتعرض لتعديل ما روي عن الإمام في مسألة الإمامة أو تجريحه ، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى أصول المذاهب المعلومة فيها ، والأخبار المأثورة الشاهدة عليها ، غير أني لم أتحاش تفسير العبارة ، وتوضيح الإشارة لا أريد في وجهي هذا إلَّا حفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ . تصوُّناً من النسيان وتحرزاً من الحَيَدان[١] . ولم أطلب من وجه الكتاب إلَّا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي .

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار ، وكل يقصد تأييد مذهب وتعضيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحهم إلَّا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب ، فإن وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق ، وإن كنت خالفتهم فإلى صواب ـ فيما أظن ـ على أني لا أعد تعليقي هذا شرحاً في عداد الشروح ، ولا أذكره كتاباً بين الكتب ، وإنما هو طراز لنهج البلاغة وعَلَمٌ توشى به أطرافه[٢] .

وأرجو أن يكون فيما وضعت من وجيز البيان فائدة للشبان من أهل هذا الزمان فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافعون لنيل الأرب من لسان العرب . يبتغون لأنفسهم سلائق عربية وملكات لغوية ، وكل يطلب لساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً ، لكنهم يتوخَّون وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما كتبه المولدون . أو قلدهم فيه المتأخرون .

[١] الحيدان ، كفيضان : الميل والجور .

[٢] العلم ما ينصب في الطريق ليهتدى به .

ولم يراعوا في تحريره إلّا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات وانسجام السجعات . وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية والتي وسموها بالفنون البديعة . وإن كانت العبارات خلواً من المُغاني الجليلة ، أو فائدة الأساليب الرفيعة .

على أن هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي وليس كل ما فيه ، بل هذا النوع إذا تفرد يعد من أدنى طبقات القول ، وليس في حلاه المنوطة بأواخر الفاظه ما يرفعه إلى درجة الوسط . فلو أنهم عدلوا إلى مدارسة ما جاء عن أهل اللسان ، خصوصاً أهل الطبقة العليا منهم لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت إليه أعناقهم ، واستعدت لقبوله أعرافهم . وليس في أهل هذه اللغة إلّا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه (ص) - وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً واجمعه لجلائل المعاني .

فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقيها أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم ، وأفضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها . ليصيبوا بذلك أفضل غاية وينتهوا إلى خير نهاية ، واسأل الله نجاح عملي واعمالهم . وتحقيق أملي وآمالهم .

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب ، وطرفاً من خبره . فهو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذَّ أهل زمانه في العلم والأدب .

قال صاحب اليتيمة هو اليوم أبدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحامد وافر ، تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد أبيه في حياته سنة ثمانة وثمانين وثلاثمائة ، ضمت إليه مع النقابة سائر الأعمال التي كان يليها أبوه ، وهي النظر في المظالم ، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب إلى الخليفة القادر بالله العباسي أحمد بن المقتدر من قصيدة طويلة : يفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة :

عـطفـاً أمـير المؤمـنـين فـإنـنـا في دوحـة الـعليـاء لا نـتفـرق
مـا بيننـا يـوم الفخـار تفـاوتٌ ابـداً ، كـلانـا في المعـالي معـرق
إلَّا الخـلافـة ميـزتـك فـانني أنـا عـاطـل منهـا وانت مـطوَّق

ويروى أن القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم انفك الشريف ومن غـرر شعره فيما يقرب من هذا قوله :

رمت المعـالي فـامتنعن ولم يـزل أبـداً ينـازع عـاشقـاً معشـوق
وصبـرت حتى نـلتهـن ولم أقـل ضجراً : دواء الفارك[١] التطليق

وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل . قال صاحب اليتيمة ، وهو أشعر الطالبيين : من مضى منهم ومن غبر ـ على كثرة شعرائهم المفلقين ـ ولو قلت أنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق . وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شـاعراً مفلقـاً فصيح النـظم ضخم الألفـاظ قادراً عـلى القريض متصـرفاً في فنـونه ، أن قصـد الـرقـة في النسيب أتى بـالعجب العجاب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار ، وإن قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الأنفاس . وكان مع هذا مترسلاً كـاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني . وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة ، وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الحيري ، وهو ديـوان كبير يـدخل في أربـع مجلدات كما ذكـره صاحب اليتيمـة . وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم قالوا يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة وأصول الدين . وله كتاب في مجازات القرآن . وكان عليَّ الهمة تسمو به عزيمته إلى أمور عظام لم يجد من الأيام عليها معيناً فوقفت به دونها حتى قضى . وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها إلى النهاية لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلات أبيه ! وقد اجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل . وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجـانب واعزاز الأتبـاع والأصحاب . حكى أبو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي . قال : كنت يوماً عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولـة فدخـل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) أبو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (أخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الإكرام وتشاغل عنه

[١] الفارك المرأة الكارهة لزوجها .

برقاع يقرأها فجلس قليلاً ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف . قال أبو حامد فقلت : أصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الأمثل والأفضل منهما وإنما أبو الحسن شاعر . قال فقال لي إذا انصرف الناس وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة . قال وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الأمر ما لم يكن في الحساب فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد أن انصرف عنه اكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخادم له هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك بوضعهما في السفط الفلاني ، فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي اتصل بي أنه قد ولد له ولد فأنفذت إليه الف دينار وقلت هذا للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء وذوو مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب إليَّ هذا الكتاب فاقرأه ، فقرأته فإذا هو اعتذار عن الرد وفي جملته : أننا أهل بيت لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا ولسن ممن يأخذن أجرة ولا يقبلن صلة . قال فهذا هذا . وأما المرتضى فإنا كنا وزعنا وقسطنا على الأملاك ببعض النواحي تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد ، وقد كتب منذ أيام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه وهو أكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهزء والطلب والسؤال في إسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر إلاّ بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ . فقلت وفق الله سيدنا الوزير والله ما وضع الأمر إلاّ في موضعه ولا أحله إلاّ في محله .

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربعمائة ودفن في داره ، بمسجد الانباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك أبو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود إلى داره . ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التي من جملتها :

يا للرجال لفجعة جذمت يدي	ووددت لو ذهبت علي براسي
ما زلت احذر وردها حتى أتت	فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت	لم يثنها مطلى وطول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة	فالدمع غير مساعد ومواسي

لله عمـــرك من قصـــير طـــاهـــر ولـــرب عُمْرٍ طـــال بـــالأدنـــاس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقـد بكيت عـلى ربـوعهم وطـلولهـا بيـد البـلى نَهْبُ
فـبكـيت حـتى شـج من لَـغـبٍ نِضـوى ، ولج بعـذلي الركب
وتلفتت عيـني فمـذ خـفيـت عني الـطلول تلفت القـلب

فمر به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال لا . فقال هذه الدار لصاحب الأبيات الشريف الرضي ، فعجب كلاهما من حسن الاتفاق . وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي مالوا تقصيناه لطال الكلام ، وإنما غرضنا أن يلم القارىء بسيرته بعض الإلمام . والله أعلم .

مم يتألف نهج البلاغة

مقدمة السيد الشريف الرضي

(الهوامش من شرح النهج للشيخ محمد عبده)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه . ومتعاذاً من بلائه . وسبيلاً إلى جنانه[١] وسبباً لزيادة إحسانه . والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وإمام الأئمة ، وسراج الأمة . المنتخب من طينة الكرم[٢] وسلالة المجد الأقدم . ومغرس الفخار المعرق[٣] وفرع

[١] في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة وهي ما يتقرب به . ورواية سبيلا أحسن .

[٢] طينة الكرم أصله وسلالة المجد فرعه .

[٣] الفخار قال بعضهم بالكسر ويغلط من يقرأ بالفتح لأنه مصدر فاخر ، والمصدر من فاعل الفعال بكسر أوله ، غير أنه لا يبعد أن يكون مصدر فخر . والثلاثي إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً .

العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم ، وعصم الأمم[١] ومنار الدين الواضحة ، ومثاقيل الفضل الراجحة . صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم[٢] ومكافأةً لعملهم . وكفاءً لطيب فرعهم وأصلهم . ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع[٦] فإني كنت في عنفوان السن[٤] ، وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم : حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام . وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام . وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان[٥] ومماطلات الأيام . وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابواباً . وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة . فاستحسن جماعة من الأصدقاء والأخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه[٦] وسألوني عند ذلك أن ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علماً أن ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام[٧] ولا مجموع الأطراف في كتاب . إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرَع الفصاحة وموردها[٨] ومنشأ البلاغة ومولدها . ومنه عليه السلام ظهر مكنونها . وعنه أخذت قوانينها . وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب[٩]وبكلامه استعان كل واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصروا . وتقدم وتأخروا . لأن

---

[١] العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به : والمنار الاعلام واحدها منارة . والمثاقل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء ، تقول مثقال حبة ومثقال دينار ، فمثاقيل الفضل زناته أي أن الفضل يعرف بهم مقداره .

[٢] ازاء لفضلهم أي مقابلة له .

[٣] خوى النجم سقط وخوت النجوم امحلت فلم تمطر كأخوت وخوت بالتشديد .

[٤] عنفوان السن أولها .

[٥] محاجزات الزمان ممانعاته ومماطلات الأيام مدافعاتها .

[٦] النواصع الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه .

[٧] الثواقب المضيئة ومنه الشهاب الثاقب ، ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول إلى ما دلت عليه فيهتدي بها إليه .

[٨] المشرع تذكير المشرعة مورد الشاربة كالشريعة .

[٩] حذا كل قائل اقتفى واتبع .

كـلامه عليـه السلام الكـلام الذي عليـه مسحة من العلم الإلهي[١] وفيـه عبقة من الكـلام النبوي . فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيـه من عظيم النفـع ومنشور الـذكر ومـذخور الأجر . واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة[٢] . وأنـه عليه السـلام انفرد ببلوغ غـاياتهـا عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد[٣] . وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يساجل[٤] ، والجم الذي لا يحافل[٥] وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق :

أولئــك آبــائي فجئني بمثلهم إذا جمعـتنا يا جـرير المجـامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : أولها الخـطب والأوامر . وثـانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ . فـأجمعت بتوفيق الله تعـالى على الابتـداء باختيـار محاسن الخطب[٦] ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ومفصلاً فيه أوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ويقع إليَّ آجلاً . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار[٧] أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدها مـلاءمة لغـرضه[٨] وربمـا جاء فيـها اختاره من ذلـك فصول غـير متسقة ، ومحـاسن كلم غير منتظمة ، لأني أورد النكت واللمع ولا أقصد التتالي والنسق ومن عجائبـه عليه السـلام التي افرد بها وأمن المشاركة فيها إن كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقـاب ملكه لم يعتـرضه الشـك في من كلام من لاحفظ لـه في الزهـادة ولا شغل لـه بغير

[١] عليه مسحة من جمال ، أي علامة أو أثر ، وكأنه يريد بهاء منه وضياء . والعبقة الرائحة .

[٢] اعتمدت قصدت ، والدائرة بفتح فسكون الكثيرة .

[٣] يؤثر أي ينقل عنهم ويحكى .

[٤] لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء .

[٥] لا يغالب في الكثرة من قولهم ضرع حافل أي ممتلىء كثير اللبن .

[٦] أجمع عليه عزم ، والمحاسن جمع حسن على غير قياس .

[٧] بالفتح وبالكسر المحاورة .

[٨] الملاءمة الأبصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة لأن من ينظر إلى شيء ويبصره كأنه يميل إليه ويلائمه .

العبادة ، وقد قبع في كسر بيت[١] أو انقطع في سفح جبل . لا يسمع إلاَّ حسه ولا يرى إلاَّ نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من يتغمس في الحرب مصلتاً سيفه[٢] فيقطع الرقاب ويجدّل الأبطال[٣] ويعود به ينطف دماً ويقطر مُهَجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال[٤] . وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد ، وألف بين الأشتات[٥] . وكثيراً ما أذكر الأخوان بها واستخرج عجبهم منها . وهي موضوع للعبرة بها والفكرة فيها . وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً . فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهة ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول ، أما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضي الحال أن يعاد استظهاراً للإختيار ، وغيرة على عقائل الكلام[٦] . وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتماداً . ولا أدعي مع ذلك أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام[٧] حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يندناد ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلى ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي[٨] وما على الا بذل الجهد وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل[٩] ورشاد الدليل إن شاء الله .

---

[١] قبع القنفذ كمنع ادخل رأسه في جلده ، والرجل ادخل رأسه في قميصه ، أراد منه انزوى وكسر البيت جانب الخباء ، وسفح الجبل أسفله .

[٢] أصلت سيفه جرده من غمده ، ويقط الرقاب يقطعها عرضاً ، فإن كان القطع طولاً قيل يقد ، قال ابن عائشة : كانت ضربات على ابكاراً ان اعتلى قد وان اعترض قط ، ومنه قط القلم .

[٣] يجدل الأبطال يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الأرض وينطف من نطف كنصر وضرب نطفاً وتناطفاً سال ، والمهج جمع مهجة وهي دم القلب والروح .

[٤] الابدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم ، إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر .

[٥] موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متمردين جبارين . والغالب على أهل الزهد واعداء الدنيا وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع . وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما في أمير المؤمنين كرّم الله وجهه مما يوجب العجب ، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ، وكان أكرم الناس اخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

[٦] عقائل الكلام كرائمه ، وعقيلة الحي كريمته .

[٧] أقطار الكلام جوانبه . والناد النافر .

[٨] الربقة عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة .

[٩] نهج السبيل ابانته وإيضاحه .

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها . ويقرب عليه طلابها . فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ، ويمضي في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة[١] وجلاء كل شبهة . ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة . وأتنجز التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم . وهو حسبي ونعم الوكيل .

ترجمة ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة
(بتصرف من شرح النهج ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)

هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن ابي الحديد المدائني ، أحد جهابذة العلماءواثبات المؤرخين ممن نجم في العصر العباسي الثاني .

كان فقيهاً أصولياً ومتكلماً جدليّاً اصطنع مذهب الاعتزال وعلى أساسه جادل وناقش ، وفي شرح النهج وفي كتبه آراء منثورة مما ذهب إليه .

وكان أديباً ناقداً خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه ، كما كان متضلعاً في فنون الأدب ، متقناً لعلوم اللسان ، عارفاً بأخبار العرب واشعارها وخطبها وأمثالها . وكان بعد ذلك شاعراً مجيداً وكاتباً ناصع البيان .

ولد بالمدائن سنة ست وثمانين وخمسمائة ونشأ فيها ودرس المذاهب الكلامية ثم مال إلى مذهب الاعتزال . وكان التشيع يغلب على أهل المدائن ، فتشيع ونظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع ، التي يقول في أحداها :

عِلْمُ الغُيوبِ إليْهِ غَيْرَ مُدَافَعٍ والصُّبْحُ أَبْيَضُ مُسْفِرٌ لَا يُدْفَعُ
يَا مَنْ لَهُ في أَرْضِ قَلْبِي مَنْزِلٌ نعم المَرَادُ الرَّحْبُ والمسْتَرْبَعُ
وتكادُ نَفْسِي أنْ تَذُوبَ صَبَابَةً خلقاً وَطَبْعاً لَا كَمَنْ يَتَطَبَّعُ
ورَأَيْتُ دينَ الإعتزال وإنَّني أهوى لأجلكَ كُلَّ مَنْ يَتَشَيَّعُ

---

[١] الغلة العطش وبلالها ما تبل به وتروى .

وحينما انقضت أيام صباه ارتحل إلى بغداد حاضرة الخلافة وكعبة القصاد ، فاستزاد من العلم واوغل في البحث ومحّص الحقائق واختلط بالعلماء من أصحاب المذاهب ، ثم جنح إلى الاعتزال .

ونال في بغداد الحظوة عند بني العباس فنال الجوائز والمراتب والمناصب ، فكان كاتباً في دار التشريفات وغيرها حتى فوّض إليه أمر خزائن الكتب في بغداد .

* * *

وكان شاعراً مجيداً ، نظم الشعر في مختلف الأغراض إلّا أن الغالب المشتهر من شعره هو في المناجاة والمخاطبة الإلّهية فمن ذلك قوله :

وحقك إن ادخلتَني النار قُلت لـ ... ـلذين بها قد كُنت ممن يحبه

وأفنيتُ عُمْــري في علومٍ دقيقةٍ ... ومــا بغيتيَ إلَّا رِضَــاهُ وقُــرْبُــهُ

هبـوني مسيئاً أوْتَـغَ الجهـلُ قَلْبَـهُ ... وأوبْقَــه بـين البــرِيَّــة ذَنْبُــهُ(١)

أَمَـا يَقْتَضِي شَـرْعُ التَّكـرُّم عِتْقَـهُ ... أيَحْسُن أن يُنْسَى هَــواهُ وحُبُّــهُ !

أمَـا كَانَ يَنْـوِي الحَقَّ فِيمَا يَقُـولُـه ... أَلَمْ تَنصُرِ التَّوحِيدَ والعَدْلَ كُتْبُهُ(*)

ومنها :

فإن تصفحوا نَغْنَم وإن تَتَجرَّمـوا ... فتعـذيبُكُمْ حُلْوُ المـذاقَـةِ عَـذْبُـهُ

وآية صدق الصّبّ أن يُعْذِبَ الأذَى ... إذا كـان مَنْ يهـوى عليـه يصبُّـهُ

* * *

أما وفاته ، فقيل إنها في سنة ٦٥٥ وقيل أنه توفي قبل دخول التتـار بغداد بنحـو سبعة عشر يوماً . كما ذكروا بأنه أدرك سقوط بغداد وخلص من القتل حيث كان في دار الوزير مؤيد الدين العلقمي .

---

(١) أوتغ : أهلك .

* التوحيد والعدل والنبوة والمعاد هن أصول الدين عند المعتزلة ، فإذا اضفت إليهن الإمامة جمعت أصول الدين عند الشيعة ، وإذا انقصت منهن العدل (أي العدل الإلّهي) جمعت أصول الدين عند الأشاعرة .

من هو جامع نهج البلاغة

القول في نسب الرضي أبي الحسن رحمه الله
وذكر طرف من خصائصه ومناقبه
(ملخصاً عن ترجمته في شرح ابن أبي الحديد)

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام . مولده سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

وكان أبوه النقيب أبو أحمد جليلَ القدر ، عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بُوَيْه ، ولُقّب بالطاهر ذي المناقب ، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه بالطّاهر الأوحد ، وولِيَ نقابة الطالبيّين خمس دفعات ، ومات وهو متقلّدها .

وأمّ الرضي أبي الحسن فاطمة بنت الحسين [بن أحمد] بن الحسن الناصر الأصمّ ، صاحب الدَّيْلم ، وهو أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام . شيخ الطالبيّين وعالمهم وزاهدهم ، وأديبهم وشاعرهم : ملَك بلاد الديْلم والجَبَل ، ويلقّب بالناصر للحقّ .

وهي أمّ أخيه أبي القاسم عليّ المرتضى أيضاً .

وحفظ الرضيّ رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة في مدّة يسيرة ، وعَرَف من الفقه والفرائض طَرَفاً قويّاً . وكان رحمه الله عالماً أديباً ، وشاعراً مُفْلِقاً ، فصيحَ النظم ، ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرّفاً في فنونه ؛ إنْ قَصَد الرِّقةَ في النسيب أتى بالعجَب العُجاب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشَقّ فيه غباره ، وإن قصَّدَ في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطِعٌ أنفاسها على أثره . وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابة قوية . وكان عفيفاً شريف النفس ، عاليَ الهمّة ، ملتزماً بالدّين وقوانينه ، ولم يقبل من أحدٍ صِلة ولا جائزة ، حتى إنّه ردّ صِلات أبيه ؛ وناهيك بذلك شرفَ نفسٍ ، وشدّةَ ظَلَف[1] . فأمّا بنو بُوَيه فإنّهم اجتهدوا على قبوله صِلاتهم فلم يَقْبَل .

وهو القائل للقادر[2] في قصيدته التي مدحه بها ، منها :

---

(١) الظلف : من ظلف نفسه عن الشيء يظلفها ظلفاً : منعها مما إليه تميل .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، المعروف بالقادر ؛ بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه ؛ وتوفي سنة ٤٢٢ . الفخري ٢٥٤ .

عَــطْفاً أميــرَ المؤمنين فَــإنَّنَــا   فِي دَوْحَــةِ العَلْيَــاءِ لَا نتَفَــرَّق
مــا بيننـا يــوم الفَخـارِ تفــاوتٌ   أبـداً كِلانـا في المعـالِي مُعْـرِقُ
إلَّا الخـلافةَ شَـرَّفتكَ فـإنَّني[1]   أنـا عـاطِـلٌ منهـا وأنْتَ مــطوَّقُ

فيقال : إنَّ القادر قال له : على رغم أنفِ الشريف !

وكان الرضي لعلو همّته تنازعُه نفسُه إلى أمورٍ عظيمة يجيش بها خـاطره ، وينـظِمُها في شعره ، ولا يجد من الدهر عليها مساعدة ، فيذوب كمداً ، ويفنى وجداً ، حتى توفِّيَ ولم يبلغ غَرَضاً .

فمن ذلك قوله :

مَــا أنـا لِلْعَلْيَــاء إنْ لَم يَكُنْ   مِنْ وَلَدِي ما كـان من وَالِدِي
وَلَا مَشَتْ بي الخيلُ إنْ لم أطأ   سريرَ هذا الأصْيَدِ المـاجِدِ[2]

ومنه قوله :

مَتَى تراني مُشِيحاً في أوائِلِهِمْ   يَطْفُو بيَ النَّقْعُ أحْياناً ويُخْفيني[3]
[لَتَنْظُرَنِّي مُشِيحاً في أوائلهـا   يغيب بِي النقع أحياناً ويُبْدِيني][4]
لا تعرفونيَ إلَّا بـالطِّعـان وقَدْ   أضحى لِثَامِي مَعْصُوباً بِعِرْنيني[5]

ومنه قوله يعني نفسه :

فــواعَجَبـا ممــا يَـظُن محمــدٌ   وللظَنُّ في بعض المواطن غَدّار[6]

---

(١) الديوان : « ميزتك وإنني » .

(٢) ديوانه : « الأغلب الماجد » .

(٣) ديوانه ص ٥٢٢ - (مطبعة نخبة الأخيار) ، من قصيدة يذكر فيها القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليباً ، وأنه حين أحس بالأمر بادر ونزل دجلة ، وتلوم من تلوم من القضاة والأشراف والشهود ، فامتهنوا وأخذت ثيابهم . ومطلعها :

لَــوَاعِــجُ الشَّــوقِ تُخْـطيهم وتُصبيني   واللَّوم في الحُبّ يَنْهـاهُمْ وَيُـغْـرِيني
وَلَــوْ لَقُــوا بعضَ مــا ألقى نَعِمْتُ بِهِمْ   لـكِـنَّـهُـمْ سَـلِمُـوا مِمَّـا يُـعَـنِّـيني

(٤) هذا البيت لم يذكر في الأصول ؛ وهو في المطبوعة المصرية والديوان .

(٥) الديوان : « إذا » .

(٦) ديوانه ، لوحة ٢١٠٤ ؛ وروايته : « غرار » ، وفي أ : « بعض المواضع » .

يؤمَـل أنّ الملكَ طوعُ يمينـه[1] ... ومِنْ دون ما يرجو المقدَّرُ أقدار
لئن هـو أعفى للخلافــة لِمّـة ... لهـا طُررٌ فـوق الجبين وإطـرارُ
ورام العلا بالشِّعرِ والشِّعر دائباً ... ففي الناس شُعْرٌ خاملون وشُعَّارُ[1]
وإني أرى زنـداً تواتـر قَـدْحُـه ... ويُوشك يوماً أن تكونَ له نـارُ

ومنه قوله :

لا هَمَّ قَلْبي بِـرُكـوبِ العُـلاَ ... يَوْماً ولا بُلَّتْ يَدِي بالسَّماحْ[2]
إنْ لم أنلهـا بـاشتـراطٍ كـما ... شئتُ على بيض الظُّبىٰ وَاقْتِراح[3]
أفُـوزُ مِنْهـا بـاللُّبَابِ الَّـذِي ... يُعْيِي الأمـاني نَيْلُه والصُّـرَاحْ
فَـمَا الَّـذِي يُقْعِـدُني عَنْ مَـدىً ... مـا هو بـالبَسْـل ولا بـالّلقـاحْ
يَـطْمحُ من لاَ مَجْدَ يَسْمُـو بِـهِ ... إنِّي إذاً أَعْـذِرُ عنـد الـطِّمَـاحْ
أمَـا فتىً نـال الْمُنى فـاشتفى ... أو بطلٌ ذاق الرّدى فاستراحْ !

وفي هذه القصيدة ما هو أخْشَنُ مسًّا ، وأعظم نِكاية ؛ ولكنّـا عدلنـا عنه وتخـطّيناه ، كراهية لذكره . وفي شعره الكثير الواسع من هذا النَّمط .

* * *

وتوفي الرضي رحمه الله في المحرّم من سنة أربع وأربعمائة ، وحضر الوزير فخرُ الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازتَه والصلاة عليه ، ودفن في داره بمسجد الأنباريـين بالكَرْخ ، ومضى أخوه المرتَضى من جَزَعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام ؛ لأنه لم يستطع أن ينظرَ إلى تابوته ودفنه ، وصلّى عليه فخر الملك أبو غـالب ، ومضى بنفسه آخـر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمي ، فألزمه بالعوْد إلى داره .

* * *

وحـدثني فخار بن معـدّ العلويّ الموسـويّ رحمه الله ، قـال : رأى المفيد أبـو عبد الله محمد بن النعمان الفقيهُ الإمام في منامه كأنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخلت عليـه وهو في

(١) الديوان : « يقدر أن الملك » .
(٢) الديوان : « ولا بل يدي » .
(٣) الظبى : جمع ظبة ؛ وهو حد السيف .

مسجده بالكَرْخ ، ومعها ولداها : الحسن والحسين عليهما السلام ، صغيرين ، فسلّمتهما إليه ، وقالت له : علِّمهما الفقه. فانتبه متعجّباً من ذلك ، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، وحولها جواريها ، وبين يديها ابناها : محمد الرضيّ وعليّ المرتضى صغيرين ، فقام إليها وسلّم عليها ، فقالت له : أيّها الشيخ ، هذان ولدَاي قد أحضرتُهما لتعلِّمهما الفقه ، فبكى أبو عبد الله وقصَّ عليها المنام ، وتولّى تعليمهما الفقه ، وأنعم الله عليهما ، وفتحَ لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا ؛ وهو باقٍ ما بقَى الدهر[1] .

من هو علي ابن أبي طالب ؟

القول في نسب أمير المؤمنين علي عليه السلام
وذكر لمع يسيرة من فضائله
كما جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد
والهوامش في تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب ـ واسمه عبد مناف ـ بن عبد المطلب ـ واسمه شيبة ـ ابن هاشم ـ واسمه عمرو ـ بن عبد مناف بن قصيّ . الغالبُ عليه من الكنية عليه السلام أبو الحسن . وكان ابنه الحسن عليه السلام يدعوه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا الحسين ، ويدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن ، ويدعوان رسول الله ﷺ وآله أباهما ، فلما تُوفِّيَ النبيّ صلى الله عليه وآله دعوَاه بأبيهما .

وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا تراب ، وَجَده نائماً في تراب ، قد سقط عنه رداؤه ، وأصاب التراب جَسَده ، فجاء حتى جلس عند رأسه ، وأيقظه ، وجعل يمسح

(١) وانظر ترجمة الشريف الرضي أيضاً في أخبار المحمدين من الشعراء ٨٨ ـ ٨٩، وإنباه الرواة ٣ : ١١٤ ـ ١١٥، وتاريخ ابن الأثير ٧ : ٢٨٠، وتاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧، وتاريخ أبي الفداء ٢ : ١٤٥، وتاريخ ابن كثير ١٢ : ٣ ـ ٤، وابن خلكان ٢ : ٢ ـ ٤، ودمية القصر ٧٣ ـ ٧٥، وروضات الجنات ٥٧٣ ـ ٥٧٩ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٨٢ ـ ١٨٤، وعيون التواريخ (وفيات ٤٠٦)، ولسان الميزان ٥ : ١٤١، ومرآة الجنان ٣ : ١٨ ـ ٢٠، والمنتظم لابن الجوزي (وفيات ٤٠٦)، والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٠، والوافي بالوفيات ٢ : ٣٧٤ ـ ٣٧٩، ويتيمة الدهر ٣ : ١١٦ ـ ١٣٥ . وله أيضاً ترجمة في مقدمة كتابه المجازات النبوية (طبع بغداد) منقولة عن كتاب « تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام » ، بتحقيق السيد حسن صدر الدين .

التراب عن ظهره ويقول له : اجلس ؛ إنّما أنت أبو تـراب[1] . فكانت من أحبّ كناه إليه صلوات الله عليه ، وكان يفرح إذا دُعِيَ بها ، وكانت تُرَغِّب بنو أمية خطباءها أن يسبُّوه بها على المنابر ، وجعلوها نقيصةً له ووصْمة عليه ؛ فكأنّما كسوه بها الحَلْيَ والحُلل ؛ كما قال الحسن البصريّ رحمه الله .

وكان اسمه الأول الذي سمّته به أمه حَيْدَرة ، باسم أبيها أسد بن هاشم ـ والحيدرَة : الأسد ـ فغيّر أبوه اسمه ، وسمّاه عليًا .

وقيل : إن حيدرةَ اسمٌ كانت قريش تسمِّيه به . والقول الأول أصحّ ؛ يدلّ عليه خبرُه[2] يوم بَرز إليه مَرْحب ، وارتجز عليه فقال :

* أنا الذي سمّتْني أُمِّي مَرْحَباً[3] *

فأجابه عليه السلام رجزاً :

* أنا الذي سمّتنيَ أمي حَيْدَرَهْ[4] *

ورجزَهُما معاً مشهور منقول لا حاجة لنا الآن إلى ذكره .

وتزعم الشيعة أنه خوطب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بـ « أمير المؤمنين » ، خاطَبه بذلك جِلّة المهاجرين والأنصار ، ولم يثبتْ ذلك في أخبار المحدّثين ؛ إلاّ أنهم قد رووْا

---

(1) رواية الخبر كما في صحيح البخاري ، في كتاب فضائل الصحابة ٢ : ٣٠٠ ؛ بسنده عن عبد الله ابن مسلمة : « أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد ، فقال: هذا فلان ـ لأمير المدينة ـ يدعو علياً عند المنبر ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يقول له : أبو تراب . فضحك ، قال : والله ما سماه إلاّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان له اسم أحب إليه . فاستطعمت الحديث سهلاً ، وقلت : يا أبا عباس ، كيف ؟ قال : دخل علي على فاطمة ، ثم خرج فاضطجع في المسجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين ابن عمك ؟ قالت : في المسجد ، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره ، وخلص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول : اجلس يا أبا تراب ، مرتين » . ولهذا الخبر رواية أخرى ذكرها صاحب الرياض النضرة في ٢ : ١٥٤ .

(2) الخبر رواه مسلم مفصلاً بسنده عن إياس بن سلمة عن أبيه ، في كتاب الجهاد والسير ص ١٤٣٣ ـ ١٤٤١ ، في غزوة خيبر .

(3) رواية مسلم :

قَـدْ عَلِمَتْ خَيْبَـرُ أنِّي مَـرْحَـبُ ... شَـاكِـي السِّـلاحِ بَـطَلٌ مُجَـرَّبُ

* إذَا الحُرُوبُ أقْبَلَتْ تَلَهَّبُ *

(4) بقيته ، كما رواه مسلم :

كَـلَيْـثِ غَـابَاتٍ كَـرِيـهِ المَـنْـظَرَهْ ... أوفِيهِمُ بـالصَّـاعِ كَيْـلَ السَّـنْـدَرَهْ

والسندرة : مكيال واسع .

ما يُعطِي هذا المعنى ، وإن لم يكن اللفظَ بعينه ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله له : « أنت يَعْسُوب الدّين والمال يعسوب الظَّلَمة »، وفي رواية أخرى : « هذا يعسوب المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجّلين »[1] . واليعسوب : ذَكَر النَّحل وأميرها . روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانيّ في « المسند » في كتابه « فضائل الصحابة » ورواهما أبو نُعَيم الحافظ في « حلية الأولياء » .[2] .

ودُعِي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بوصيّ رسول الله ، لوصايته إليه بما أراد وأصحابنا لا ينكرون ذلك ، ولكن يقولون : إنها لم تكن وصيةً بالخلافة ، بل بكثير من المتجددات بعده ، أفضى بها إليه عليه السلام . وسنذكر طرفاً من هذا المعنى فيما بعد.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، أوَّل هاشمية ولدت لهاشمي . كان عليّ عليه السلام أصغرَ بنيها ، وجعفر أسنّ منه بعشر سنين ، وعَقِيل أسنّ منه بعشر سنين ، وطالب أسنّ من عَقِيل بعشر سنين ؛ وفاطمة بنت أسد أمّهم جميعاً .

وأمّ فاطمة بنت أسد فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حُجْر بن عبد بن مَعِيص وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر . وأمها عاتكة بنت أبي هَمْهَمَة ـ واسمه عمرو بن عبد العزّى ـ بن عامر بن عُمَيرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر ، وأمها حبيبة ؛ وهي أمة الله بنت عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قسيّ ؛ وهو ثقيف . وأمّها فلانة بنت مخزوم بن أسامة بن ضبع بن واثلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قَيْن بن فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان بن مضر . وأمها رَيْطة بنت يسار بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن ثقيف . وأمها كلّة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن . وأمها حُبّى بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن . ذكر هذا النسب أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهاني في كتاب « مقاتل الطالبيين » .

أسلمت فاطمة بنت أسد بعد عشرة من المسلمين ؛ وكانت الحادية عشرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظّمها ويدعوها : « أمي » ، وأوصتْ إليه حين حضرتْها الوفاة ، فقبل وصيتَها ، وصلّى عليها ، ونزَلَ في لحدها ، واضطجع معها فيه بعد

---

(١) ورواه أيضاً الطبراني في الكبير ، ونقله صاحب الرياض النضرة ٢ : ١٥٥ ؛ مع اختلاف في اللفظ.

(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٣ ، بسنده عن أنس ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنس ، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين ».

أن ألبسها قميصَه ، فقال له أصحابه : إنَّا ما رأيناك صنعتَ يا رسول الله بأحد ما صنعت بها ، فقال : « إنَّه لم يكن أحدٌ بعد أبي طالب أبرَّ بي منها ، إنَّما ألبستُها قميصي لتُكسَى من حُلَل الجنة ، واضطجعتُ معها ليهونَ عليها ضغطةُ القبر » .

وفاطمة أوّل امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النّساء .

وأمّ أبي طالب بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وهي أم عبد الله ، والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمّ الزبير بن عبد المطلب ؛ وسائرُ ولد عبد المطلب بَعْدُ لأمهات شتى .

واختلف في مولد عليٍّ عليه السلام أين كان ؟ فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة ، والمحدّثون لا يعترفون بذلك ، ويزعمون أنّ المولود في الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ .

واختلف في سنّه حين أظهر النبيّ صلى الله عليه وآله الدعوة ، إذْ تكامل له صلوات الله عليه أربعون سنة ، فالأشهرُ من الروايات أنه كان ابنَ عشر . وكثير من أصحابنا المتكلّمين يقولون : إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ؛ ذكر ذلك شيخنا أبو القاسم البلخيّ وغيره من شيوخنا .

والأوّلون يقولون : إنَّه قتل وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وهؤلاء يقولون : ابن ست وستين ، والروايات في ذلك مختلفة . ومن الناس من يزعم أن سنّه كانت دون العشر والأكثر الأظهر خلاف ذلك .

وذكر أحمد بن يحيى البلاذريّ وعليّ بن الحسين الأصفهانيّ أنّ قريشاً أصابتها أزمة وقَحْط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّيه ؛ حمزة والعباس : « ألا نحمِل ثَقَلَ أبي طالب في هذا المَحْل ! » ، فجاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولَده ليَكْفوه أمرهم ، فقال دَعُوا لي عَقِيلاً وخذوا مَنْ شئتم ـ وكان شديد الحبّ لعقيل ـ فأخذ العباس طالباً ، وأخذ حمزة جعفراً ، وأخذ محمد صلى الله عليه وآله عليًّا ، وقال لهم : « قد اخترت ـ من اختاره الله لي عليكم ـ عليّاً» ، قالوا : فكان عليّ عليه السلام في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وآله ، منذ كان عمره ستّ سنين .

وكان ما يُسْدِي إليه صلواتُ الله عليه من إحسانه وشفقته وبرّه وحسن تربيته كالمكافأة والمعاوضة لصنيع أبي طالب به ؛ حيث مات عبد المطلب وجعَلَه في حِجْره وهذا يطابق قوله

عليه السلام : لقد عبدتُ اللّهَ قبل أنْ يعبدَه أحد من هذه الأمة سبع سنين ، وقوله : كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً ؛ ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذٍ صامت ما أُذِنَ له في الإنذار والتبليغ ؛ وذلك لأنه إذا كان عمرُه يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة ، وتسليمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبيه وهو ابن ستّ ؛ فقد صحّ أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين ؛ وابن ستّ تصحّ منه العبادة إذا كان ذا تمييز ، على أنّ عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب ، واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة ، ومثلُ هذا موجود في الصبيان .

وقُتِل عليه السلام ليلة الجمعة لثلاث عشرة بَقِين من شهر رمضان ، سنة أربعين في رواية أبي عبد الرحمن السُّلمِيّ ـ وهي الرواية المشهورة ـ وفي رواية أبي مخنف أنّها كانت لإحدى عشرة ليلةً بَقِين من شهر رمضان ، وعليه الشيعةُ في زماننا .

والقول الأول أثبتُ عند المحدّثين ح والليلة السابعة عشرة من شهر رمضان هي ليلة بدر ، وقد كانت الروايات وردت أنه يقتل في ليلة بدر ، عليه السلام . وقبره بالغَرِيّ .

وما يدّعيه أصحاب الحديث ـ من الاختلاف في قبره ، وأنّه حُمِل إلى المدينة ، أو أنّه دفِن في رحبة الجامع ، أو عند باب قصر الإمارة ، أو نَدّ البعير الذي حُمِل عليه فأخذتْه الأعراب ـ باطل كلّه ، لا حقيقة له ، وأولاده أعرفُ بقبره ؛ وأولاد كلّ الناس أعرفُ بقبور آبائهم من الأجانب ، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قَدِموا العراق ، منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيرُه من أكابرهم وأعيانهم .

وروى أبو الفرج في « مقاتل الطالبيين » بإسناد ذكره هناك أنّ الحسين عليه السلام لما سئل : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به ليلاً من منزله بالكوفة ، حتى مررنا به على مسجد الأشعث ، حتى انتهينا به إلى الظَّهْر بجنب الغَرِيّ .

وسنذكر خبر مقتله عليه السلام فيما بعد .

فأما فضائله عليه السلام ؛ فإنها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمُجُ معه التعرّض لذكرها ، والتصدّي لتفصيلها ؛ فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد : رأيتُني فيما أتعاطى من وصف فضلك ، كالمخبرِ عن ضَوْء النهار الباهر ، والقمرِ الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ؛ فأيقنت أنّي حيث انتهى بيَ القولُ منسوب إلى العَجْز ، مقصّر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكلت الإخبارَ عنك إلى علم الناس بك .

وما أقولُ في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ، ولا كتمانُ فضائله ، فقد علمتَ أنه استولى بنو أميةَ علـى سلطان الإسلام في شـرق الأرضِ وغربهـا ، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره ، والتحريضِ عليه ، ووضع المعايب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعّدوا مادِحِيه ، بل حبسوهم وقتلوهم ، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة ، أو يرفع له ذكرا ، حتى حظَروا أنْ يسمَّى أحد باسمه ؛ فما زاده ذلك إلاَّ رفعةً وسُمُوًّا ؛ وكان كالمسك كلّما سُتِر انتشر عَرْفه ، وكلّما كُتِم تَضوَّع نَشْرُه ؛ وكالشمس لا تُسْـتَر بالراح ، وكضوْء النهار إن حُجِبت عنه عين واحدة ، أدركته عيون كثيرة .

وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُّ فضيلة ، وتنتهي إليه كل فِرْقة ، وتتجاذبه كلُّ طائفة ، فهو رئيس الفضائل ويَنبوعها ، وأبو عُذْرِها ، وسابق مضمارها ، ومجلِّي حَلْبتها ، كلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى .

وقد عرفتَ أنَّ أشرف العلوم هو العلم الإلٰهـي ، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشـرفَ العلوم . ومن كلامـه عليه السـلام اقتبس ، وعنه نقل ، وإليـه انتهى ؛ ومنه ابتـدأ ، فإنَّ المعتزلة ـ الذين هم أهـلُ التوحيـد والعدْل ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلَّم الناس هذا الفن ـ تلامذتُه وأصحابـه ؛ لأنَّ كبيرَهم واصـل بن عطاء تلميذُ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيَّة ، وأبو هاشم تلميـذ أبيه ، وأبـوه تلميذه عليه السلام . وأما الأشعريّة فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعـريّ ، وهو تلميذ أبي عليّ الجُبّائيّ ، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة ؛ فالأشعريّة ينتهون بأَخَرَةٍ إلى أستـاذ المعتزلة ومعلّمهم ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

* * *

ومن العلوم علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه ؛ أما أصحابُ أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة ، وأما الشافعيّ فقرأ على محمد بن الحسن ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعيّ ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ؛ وأبو حنيفة قرأ على جعفـر بن محمد عليـه السلام ، وقـرأ جعفر عـلى أبيه عليـه السلام ، وينتهي الأمـر إلى عليّ عليه السلام . وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعـة على عِكْـرمة ، وقـرأ

عِكْرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله بن عباس على عليّ بن أبي طالب ؛ وإن شئت فرددت إليه فقهَ الشافعيّ بقراءته على مالك كان لك ذلك ؛ فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر . وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ؛ وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام . أما ابنُ عباس فظاهر ، وأمّا عمر فقد عَرَف كلّ أحدٍ رجوعَه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقولَه غير مرّة : « لولا عليٌّ لهلك عمر » ، وقوله : « لا بقيتُ لمعضلة ليس لها أبو الحسن » ، وقولَه : « لا يفتِيَنَّ أحدٌ في المسجد وعليّ حاضر » ؛ فقد عُرِف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه .

وقد روت العامة والخاصّة قوله صلى الله عليه وآله : «أقضاكم عليٌّ»[1] ، والقضاء هو الفقه ؛ فهو إذاً أفقهُهم . وروى الكلّ أيضاً أنّه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً : « اللهمّ اهدِ قلبه وثبِّت لسانه » ، قال : فما شككتُ بعدها في قضاء بين اثنين[2] ، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر ، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية[3] ؛ وهو الذي قال في المِنْبريّة[4] : صار ثُمُنها تُسْعا. وهذه المسألة لو فكّر الفَرَضِيّ فيها

(١) نقله السيوطي في الجامع الصغير ١ :٥٨ عن مسند أبي يعلى بلفظ : « أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي . . . » وضعفه .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأقضية ٣ : ٤٠٩ بسنده عن علي ، ولفظه : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً فقلت : يا رسول الله ، ترسلني وأنا حديث السن ، ولا علم لي بالقضاء ! فقال : « إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء » ، قال : فما زلت قاضياً ـ أو ما شككت في قضاء بعد .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره ١٦ : ١٩٣ ؛ عند الكلام على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ أن عثمان قد أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر ، فأراد أن يقضي عليها بالحد ، فقال له علي رضي الله عنه : ليس ذلك عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ .

(٤) سميت المنبرية ؛ لأنه سئل عنها وهو على المنبر ؛ فأفتى من غير روية ؛ وبيانها أنه سئل في ابنتين وأبوين وامرأة ؛ فقال : صار ثمنها تسعاً ، قال أبو عبيد : أراد أن السهام عالت حتى صار للمرأة التسع ، ولها في الأصل الثمن ؛ وذلك أن الفريضة لو لم تعل كانت من أربعة وعشرين ، فلما عالت صارت من سبعة وعشرين ، فللابنتين الثلثان : ستة عشر سهماً ، وللأبوين السدسان : ثمانية أسهم ، وللمرأة ثلاثة من سبعة وعشرين ؛ وهو التسع ، وكان لها قبل العول ثلاثة من أربعة وعشرين ؛ وهو الثمن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٩ ، واللسان ١٣ : ٥١٢ ، وحاشية البقرى على متن الرحبية ٣٤ .

فكراً طويلاً لاستُحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب ، فما ظنّك بمن قاله بديهة ، واقتضبه ارتجالاً ! .

ومن العلوم علم تفسير القرآن ، وعنه أُخِذَ ، ومنه فُرّع . وإذا رجعتَ إلى كتب التفسير علمتَ صحة ذلك ؛ لأنّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حالَ ابن عباس في ملازمته له ، وانقطاعه إليه ، وأنّه تلميذُه وخرّيجه . وقيل له : أين علمك من علم ابن عمّك ؟ فقال : كنِسْبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط .

ومن العلوم علمُ الطريقة والحقيقة وأحوال التصوّف ؛ وقد عرفتَ أن أربابَ هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون ، وعنده يقفون ؛ وقد صرّح بذلك الشِّبْليّ ، والجُنَيْد ، وسَرِيّ ، وأبو يزيد البِسْطاميّ ، وأبو محفوظ معروف الكرخيّ ؛ وغيرهم . ويكفيك دَلالة على ذلك الخِرْقة التي هي شعارهم إلى اليوم ، وكونهم يُسنِدونها بإسناد متّصل إليه عليه السلام .

ومن العلوم علم النّحو والعربية ؛ وقد علم الناس كافة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأمْلَى على أبي الأسود الدؤليّ جوامعَه وأصوله ، من جملتها : الكلام كلّه ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم ، وهذا يكاد يُلحق بالمعجزات ؛ لأن القوة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط .

وإن رجعت إلى الخصائص الخُلقيّة والفضائل النفسانية والدينية وجدتَه ابن جَلاها وطَلاعَ ثناياها[(١)] .

* * *

وأما الشجاعة فإنه أنسى الناسَ فيها ذكر مَنْ كان قبله ، ومحا اسمَ من يأتي بعده ، ومقاماتُه في الحرب مشهورة يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ؛ وهو الشجاع الذي ما فرّ قطّ ، ولا ارتاع من كَتيبة ، ولا بارز أحداً إلّا قتله ؛ ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت الأولى إلى ثانية ؛ وفي الحديث : « كَانَتْ ضَرَباته وتراً » . ولما دعا معاويةَ إلى المبارزة ليستريح الناس

---

(١) اقتباس من قول سحيم بين وثيل الرياحي :

أنَــا ابْــنُ جَــلاَ وَطَــلاَّعُ الثَّـنَـايَـا ... مَـتَى أَضَـعِ العِـمَـامَـةَ تعـرِفُـوني

وابن جلا ، أي الواضح الأمر ؛ وطلاع الثنايا : كناية عن السمو إلى معالي الأمور ، الثَّـنَـايا في الأصل : جمع ثنية ، وهي الطريق في الجبل .

من الحرب بقتل أحدهما ، قال له عمرو : لقد أنصفك ، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم ، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرِق ! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي ! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخارُ رهطِهم بأنّه عليه السلام قتَلهم أظهرُ وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبد وَدّ ترثيه :

لـو كان قـاتـلُ عمـروٍ غير قـاتِلِهِ بكيتُـه أَبَداً مـا دُمْتُ في الأبـدِ[1]
لـكنَّ قـاتِـلَهُ مَـنْ لا نـظير لـه وكـان يُدْعَى أبـوه بَيْضة البَلَدِ[2]

وانتبه يوماً معاوية ، فرأى عبد الله بن الزُّبير جالساً تحت رجليه على سريره فقعد ، فقال له عبد الله يداعبه : يا أميرَ المؤمنين ، لو شئت أن أفْتِكَ بك لفعلت ، فقال : لقد شَجُعت بعدنا يا أبا بكر ! قال : وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفتُ في الصف إزاء عليّ بن أبي طالب ! قال : لا جَرَم ، إنَّه قتلك وأباك بيسرى يديه ، وبقيتِ اليمنىٰ فارغةً ، يطلب مَنْ يقتله بها .

وجملة الأمر أن كلَّ شجاع في الدنيا إليه ينتهي ، وباسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

وأما القوّة والأيْد فبه يُضرب المثل فيهما ؛ قال ابن قتيبة في « المعارف » : مَا صَارَع أحداً قطّ إلاَّ صرَعه . وهو الذي قلَع باب خَيْبَر ، واجتمع عليه عُصبة من الناس ليقلِبوه فلم يقلبوه : وهو الذي اقتلعَ هُبَلَ من أعلى الكعبة ، وكان عظيماً جداً ، وألقاه إلى الأرض . وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده بعد عَجْز الجيش كله عنها ، وأنبط الماء من تحتها .

* * *

وأما السخاء والجود فحاله فيه ظاهرة ؛ وكان يصوم ويَطْوي ويُؤثر بزاده ؛ وفيه أنزل :

---

(١) من أبيات ذكرها صاحب اللسان ٨ : ٣٩٥ ، وروايته :

لَـوْ كَـانَ قـاتـلُ عَمْـروٍ غَـيْرَ قَـاتِلِه بكيتُـهُ مـا أقَـامَ الـرُّوحُ في جَسَـدِي
لكِـنّ قَـاتِـلَهُ مَـنْ لاَ يُـعَـابُ بِـهِ وَكَـانَ يُـدْعَى قـديمـاً بيضـة البَلَدِ

(٢) بيضة البلد ، يريد علي بن أبي طالب*، أي أنه فرد ليس مثله في الشرف كالبيضة التي هي تريكة وحدها ، ليس معها غيرها ، كذا فسره في اللسان .

* الصحيح هو أبو طالب ، وذلك من قولها (أبوه) علاوةً على اشتهار هذا الاسم (بيضة البلد) على أبي طالب

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورا ﴾[1] . وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم ؛ فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً وبدرهم علانية ؛ فأنزل فيه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾[2] .

وروى عنه أنه كان يَسقِي بيده لنخلِ قوم من يهود المدينة ، حتى مَجَلت[3] يده ، ويتصدق بالأُجْرة ، ويشدُّ على بطنه حجَراً .

وقال الشعبي وقد ذكره عليه السلام : كان أسخَى الناس ؛ كان على الخُلُق الذي يحبّه الله : السخاء والجود ، ما قال : « لا » لسائل قطّ .

وقال عدوّه ومُبْغِضه الذي يجتهد في وَصْمِه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لِمحْفَن بن أبي مَحْفَن الضبيّ لما قال له : جئتك مِنْ عند أبخل الناس ، فقال : ويحك ! كيف تقول إنّه أبخل الناس ، لو ملَك بيتاً من تِبر وبيتاً من تِبْن لأنفذ تِبْره قبل تِبْنِه .

وهو الذي كان يكنسُ بيوت الأموال ويصلّي فيها . وهو الذي قال : يا صفراء ، ويا بيضاء ، غرّي غيري ، وهو الذي لم يخلّفْ ميراثاً ، وكانت الدنيا كلّها بيده إلّا ما كان من الشام .

* * *

وأما الحلم والصفح فكان أحلمَ الناس عن ذَنْب ، وأصفحَهم عن مسيء ؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يومَ الجمل ؛ حيث ظفِر بمرْوان بن الحكم ـ وكان أعدَى الناس له ، وأشدَّهم بغضاً ـ فصفح عنه .

وكان عبد الله بن الزّبير يشتِمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوَغْد اللئيم عليّ بن أبي طالب .وكان عليّ عليه السلام يقول : ما زال الزبير رجلاً منّا

---

(١) سورة الانسان ٩، ١٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٤ .

(٣) مجلت يده ، أي ثخن جلده وتعجر وظهر فيه ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة ، ومنه حديث فاطمة : أنها شكت إلى علي مجل يديها من الطحن . النهاية لابن الأثير ٤ : ٨٠ .

أهلَ البيت حتى شبّ عبد الله ، فظفر به يوم الجمل ، فأخذ أسيراً ، فصفح عنه ، وقـال : اذهب فلا أرَيَنّك ؛ لم يزده على ذلك .

وظفِر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة ـ وكان له عدوًّا ـ فأعرض عنه ولم يقلْ له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلما ظفِر بها أكرمها ، وبعث معها إلى المدينـة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمَّمَهنّ بالعمائم وقلّدهن بالسيوف ، فلما كـانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأفّفت وقالت : هَتَك ستري برجالـه وجنده الـذين وكلَهم بي . فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ ، وقلن لها : إنما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربُوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وشتمـوه ولعنوه ، فلما ظفِر بهم رفع السيف عنهم ، ونادَى مناديه في أقطار العسكر : ألاَ لا يُتبَع مُـولٍّ ، ولا يُجَهزُ على جَريح ، ولا يُقتَل مستأسر ، ومَنْ ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن . ولم يأخذ أثقالَهم ، ولا سبىَ ذراريَّهم ، ولا غَنِم شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل ، ولكنه أبى إلاَّ الصفح والعفو ؛ وتقيَّل سنةَ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة ، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تُنْسَ .

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفـرات ، وقالت رؤسـاء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً ، سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعـوا لهم شِرْبَ الماء ، فقالوا : لا والله ، ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان ؛ فلما رأى عليه السلام أنه الموتُ لا محالةَ تقدّم بأصحابه ، وحمل على عساكر معاوية حَمَلاتٍ كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذَريع ؛ سقطت منه الرؤوس والأيدي ، وملكوا عليهم المـاء ، وصـار أصـحـاب مـعـاويـة في الـفَـلاة ، لا مـاءَ لهـم ، فـقـال لـه أصحـابـه وشيعتُه : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعـوك ، ولا تَسقِهم منه قـطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب ، فقال : لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم ، أفْسِحوا لهم عن بعض الشَّريعة ، ففي حدّ السيف مـا يغنى عن ذلك . فهـذه إن نَسَبْتَها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً ، وإن نسبتها إلى الـدين والورع فـأخلِقْ بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام !

* * *

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوّه أنه سيد المجاهدين ؛ وهل الجهاد لأحد من الناس إلَّا له ! وقد عرفتَ أنّ أعظمَ غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى ؛ قُتِل فيها سبعون من المشركين ، قَتَل عليّ نصفَهم ، وقَتَل المسلمون والملائكة النصف الآخر . وإذا رجعتَ إلى مغازي محمد بن عمر الواقديّ وتاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذُريّ وغيرهما علمت صحة ذلك ؛ دع مَن قتله في غيرها كأُحُد والخندق وغيرهما ؛ وهذا الفصل لا معنًى للإطناب فيه ؛ لأنه من المعلومات الضرورية ، كالعِلم بوجود مكّة ومصر ونحوهما .

* * *

وأمّا الفصاحةُ فهو عليه السلام إمام الفصحاء ، وسيد البلغاء ؛ وفي كلامه قيل : دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين . ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة ، قال عبد الحميد بن يحيى : حفظتُ سبعين خطبة من خطب الأصلع ، ففاضت ثم فاضت . وقال ابن نُباتة : حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلَّا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب .

ولما قال مِحْفن بن أبي مِحْفن لمعاوية : جئتك من عند أعْيَا الناس ، قال له : ويحك ! كيف يكون أعيا الناس ! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره . ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجارى في الفصاحة ، ولا يبارَى في البلاغة . وحسبك أنه لم يدوَّن لأحدٍ من فصحاء الصحابة العُشْر ولانصف العُشْر مما دُوِّن له ، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب « البيان والتبيين » وفي غيره من كتبه .

* * *

وأما سجاحة الأخلاق ، وبِشْر الوجه ، وطلاقة المحيَّا والتبسم ، فهو المضروبُ به المثل فيه ؛ حتى عابه بذلك أعداؤه ، قال عمرو بن العاص لأهل الشام : إنه ذو دُعابة شديدة . وقال عليّ عليه السلام في ذاك : عجباً لابن النابغة ! يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة ، وأنّي امرؤ تِلْعابة ، أعافِس وأمارس[1] . وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله

(١) التلعابة ، بفتح التاء وكسرها : الكثير اللعب والمرح . والمعافسة : الملاعبة أيضاً . والممارسة : ملاعبة النساء . والخبر أورده ابن الأثير في النهاية ١ :١١٧ ، و٣ :٥٩ ، ١١٠ ، و٤ :٥٩ ، ٨٩ .

له لما عزم على استخلافه : لله أبوك لولا دُعابة فيك ! إلاّأنّ عمر اقتصر عليها ، وعمرو زاد فيها وسمّجها .

قال صعصعة بن صُوحان وغيره من شيعته وأصحابه : كان فينا كأحدنا ، لِين جانب ، وشدّة تواضع ، وسهولة قِيادة ، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه .

وقال معاوية لقيس بن سعد : رحِم الله أبا حسن ؛ فلقد كان هشّاً بشّاً ، ذا فُكاهة . قال قيس : نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزَحُ ويبتسم إلى أصحابه ، وأراك تُسرّ حَسْواً في ارتِغاء[1] ، وتعيبه بذلك ! أمَا والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيَبَ من ذي لِبْدتين قد مسّه الطَّوى ؛ تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طَغامُ أهل الشام .

وقد بقيَ هذا الخُلُق متوارَثاً متناقَلاً في محبّيه وأوليائه إلى الآن ، كما بقيَ الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومَنْ له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك .

* * *

وأمّا الزهد في الدنيا فهو سيّد الزهاد ، وبدَل الأبدال ، وإليه تشدُّ الرحال ، وعنده تُنْفَضُ الأحلاس ؛ ما شبِعَ من طعام قطّ . وكان أخشنَ الناس مأكلاً وملبساً ؛ قال عبد الله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد ، فقدّم جِراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبزَ شعير يابساً مرضوضاً ، فقُدّم فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكيف تختِمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلُتّاه بسمن أو زيت .

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أخرى ، ونعلاه من ليف . وكان يلبَس الكِرْباسَ[2] الغليظ ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ، ولم يخِطْه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سَدىً لا لُحْمَة له . وكان يأتدم إذا ائتدم بخَلّ أو بملح ، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل . ولا يأكل اللحم إلاّ قليلاً ، ويقول : لا تجعلوا بطونَكم مقابر الحيوان . وكان مع ذلك أشدَّ الناس قوّةً وأعظمهم أيْداً ، لا يُنقِض الجوع قُوّته ، ولا يُخَوِّن[3] الإقلالُ مُنّته . وهو الذي طلّق الدنيا ، وكانت الأموال تُجبى

---

(١) في المثل : « هو يسر حسوا في ارتغاء » ، يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره .

(٢) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب .

(٣) يخون : ينقص .

إليه من جميع بلاد الإسلام إلّا من الشام ، فكان يفرّقها ويمزقها ، ثم يقول :

هـــذا جَـنَـــايَ وخِـيـــارُه فـيـــهْ إذْ كُـــلّ جـانٍ يــدهُ إلى فيــهْ[1]

وأمّا العبادة فكان أعبدَ الناس وأكثرَهم صلاة وصوماً ؛ ومنه تعلّم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد وقيام النافلة ؛ وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على وِرده أن يُبْسَطُ له نِطَعٌ بين الصفّين ليلة الهرير ، فيصلي عليه وِرْدَه ، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صِماخيهِ يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتى يفرُغ من وظيفته ! وما ظنك برجل كانت جبهته كثَفِنة البعير لطول سجوده !

وأنت إذا تأمّلت دعواتِه ومناجاتِه ، ووَقفتَ على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته ، والخشوع لعزّته والاستخذاء له ، عرفتَ ما ينطوِي عليه من الإخلاص ، وفهمت من أيّ قلبٍ خرجتْ ، وعلى أيّ لسان جرت !

وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغايةَ في العبادة : أين عبادتك من عبادة جَدّك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله .

* * *

وأمّا قراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب ؛ اتّفق الكلّ على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أوّلُ مَنْ جَمَعه ؛ نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي بكر ، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة ؛ بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن ؛ فهذا يدلّ على أنه أوّلُ من جمع القرآن ؛ لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما احتاجَ إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله . وإذا رجعتَ إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه ؛ كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النَّجود وغيرهما ؛ لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ القارىء ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه ، وعنه أخذ القرآن ؛ فقد صار هذا الفنّ من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً ، مثل كثير مما سبق .

---

(1) البيت انشده عمرو بن عدي حينها كان غلاماً ، وكان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمة الابرش) الكمأة ، فكانوا إذا وجدوا كمأة خياراً أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك ، وكان عمرو لا يأكل منه ، ويأتي به كما هو ، وينشد البيت . وانظر القاموس ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، وحديث علي ورد مفصلاً في حلية الأولياء ١ : ٨١.

وأمّا الرأيُ والتدبير فكان من أسَدِّ الناس رأياً ، وأصحِّهم تدبيراً ؛ وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجّه بنفسه إلى حرب الروم والفرْس بما أشار . وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ، ولو قبلها لم يحدُث عليه ما حدث . وإنَّما قال أعداؤه : لا رأيَ له ؛ لأنه كان متقيِّداً بالشريعة لا يرى خلافَها ، ولا يعمل بما يقتضي الدِّينُ تحريمه . وقد قال عليه السلام : لولا الدينُ والتّقى لكنتُ أدهى العرب . وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلِحُه ويستوفقه ؛ سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن ؛ ولا ريب أنّ مَنْ يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده ، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه ، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب ، ومَن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب .

* * *

وأما السياسةُ فإنه كان شديدَ السياسة ، خشِناً في ذات الله ، لم يراقب ابنَ عمه في عمل كان ولّاه إيَّاه ، ولا راقب أخاه عَقِيلاً في كلام جَبَهه به . وأحرق قوماً بالنار ، ونقض دار مَصْقَلة بن هُبَيرة ودار جرير بن عبد الله البَجَليّ ، وقطع جماعةً وصلب آخرين .

ومن جملة سياسته في حروبه أيام خلافته بالجمل وصِفّين والنهروان ، وفي أقلّ القليل منها مقْنَع ، فإنّ كلَّ سائس في الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مِمَّا فعل عليه السلام في هذه الحروب بيدِه وأعوانه .

فهذه هي خصائص البَشَر ومزاياهم قد أوضحنا أنه فيها الإمام المتبع فعلُه ، والرئيس المقتفَى أثره .

* * *

وما أقول في رجلٍ تحبّه أهلُ الذّمة على تكذيبهم بالنبوّة ، وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل المِلّة ، وتصوِّرُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعها وبيوت عباداتها ، حاملاً سيفَه ، مشمّراً لحربه ، وتصوِّر ملوكُ الترك والدّيْلم صورته على أسيافها ! كان على سيفِ عَضُد الدولة بن بُوَيْه وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه ، وكان على سيف إلب أرسلان وابنه مَلكشاه صورته ، كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر .

وما أقولُ في رجل أحبّ كلُّ واحدٍ أن يتكثّر به ، ووِدّ كلُّ أحدٍ أن يتجمّل ويتحسّن

بالانتساب إليه ؛ حتى الفتوّة التي أحسن ما قيل في حدّها ألّا تستحسنَ من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، فإنَّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنّفوا في ذلك كتباً ، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه ، وقصَروه عليه ، وسَمَّوه سيّدَ الفتيان ، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المرويّ ، أنه سُمِع من السماء يوم أُحُد :

لا سيفَ إلَّا ذو الفَقَا ... رِ ولا فَتَى إلَّا علي

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء ، وشيخ قريش ، ورئيس مكة ، قالوا : قلّ أنْ يسودَّ فقير وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له ، وكانت قريش تسمّيه الشيخ .

وفي حديث عفيف الكنديّ ، لما رأى[1] النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي في مبدأ الدعوة ، ومعه غلام وامرأة ، قال : فقلت للعباس : أيّ شيء هذا ؟ قال : هذا ابن أخي ، يزعم أنّه رسولٌ من الله إلى الناس ، ولم يتبعه على قوله إلّا هذا الغلام ـ وهو ابن أخي أيضاً ـ وهذه الامرأة ، وهي زوجته ـ قال : فقلتُ : ما الذي تقولونه أنتم ؟ قال : ننتظر ما يفعل الشيخ ـ يعني أبا طالب . وأبو طالب هو الذي كَفَل رسولَ الله صلى الله عليه وآله صغيراً ، وحماه وحاطه كبيراً ، ومنعه من مشركي قريش ، ولقِيَ لأجله عَنَتاً عظيماً ، وقاسى بلاءً شديداً ، وصبرَ على نصره والقيام بأمره . وجاء في الخَبر أنّه لما توفّيَ أبو طالب أوحِي إليه عليه السلام وقيل له : اخرج منها ، فقد مات ناصرك .

وله مع شرف هذه الأبوّة أنّ ابن عمه محمد سيدُ الأولين والآخرين وأخاه جعفر ذو الجناحين ، الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « أشبَهْتَ خَلْقي وخُلُقي » ، فمرّ يحجل فرحاً ؛ وزوجته سيدة نساء العالمين ، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة ؛ فآباؤه آباء رسول الله ، وأمهاته أمهات رسول الله ، وهو مسوط بلحمه ودمه ، لم يفارقه منذ خلق الله آدم ، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب ؛ وأمّهما واحدة ، فكان منهما سيّدَا الناس ؛ هذا الأول وهذا التالي ، وهذا المنذر وهذا الهادي !

وما أقول في رجل سَبَق الناس إلى الهدى ، وآمن بالله وعبدَه وكلّ من في الأرض يعبد الحجر ، ويجحد الخالق ؛ لم يسبِقْه أحد إلى التوحيد إلّا السابق إلى كلّ خير محمد رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) الخبر في أسد الغابة ٣ : ٤١٤ مع اختلاف في الرواية .

ذهب أكثر أهلِ الحديث إلى أنه عليه السلام أوّل الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إيماناً به ، ولم يخالف في ذلك إلّا الأقلّون . وقد قال هو عليه السلام : أنا الصدّيق الأكبر ؛ وأنا الفاروق الأول ، أسلمت قبل إسلام الناس ، وصلّيت قبل صلاتهم . ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك وعلمه واضحاً . وإليه ذهب الواقديّ وابن جرير الطبريّ ، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب « الاستيعاب » .

ولأنّا إنما نذكر في مقدمة هذا الكتاب جملةً من فضائله عَنّت بالعَرض لا بالقصد ، وجب أن يختصر ونقتصر ، فلو أردنا شرحَ مناقبه وخصائصه لاحتجْنا إلى كتاب مفرد يماثل حَجْم هذا بل يزيد عليه ، وبالله التوفيق[1] .

رأي لابن أبي الحديد في نهج البلاغة وصحة نسبته كلًّا وجزءاً إلى أمير المؤمنين

إن كثيراً من أرباب الهوى يقولون : إنَّ كثيراً من « نهج البلاغة » كلام محدَث ، صنعه قومٌ من فُصحاء الشيعة ، وربما عَزَوْا بعضه إلى الرضيّ أبي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم أعمت العصبيّة أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح وركبوا بُنيّات[2] الطريق ، ضلالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام ، وأنا أوضّح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول :

لا يخلوا إمّا أن يكون كلّ « نهج البلاغة » مصنوعاً منحولاً ، أو بعضه . والأوّل باطل بالضّرورة لأنّا نعلم بالتواتر صحّة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدّثون كلُّهم أو جلّهم ، والمؤرّخون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لينسُبوا إلى غرض في

---

(١) وانظر ترجمته وأخباره أيضاً في أسد الغابة ٤ : ١٦ ـ ٤٠ ، والاستيعاب ٣ : ١٠٨٩ ـ ١١٣٣ والإصابة ٤ : ٢٦٩ ـ ٢٧١ ، وإنباه الرواة ١ : ١٠ ـ ١٢ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ١٩١ ـ ٢٠٧ ، وتاريخ بغداد ١ : ١٣٣ ـ ١٣٨ ، وتاريخ أبي الفدا ١ : ١٨١ ـ ١٨٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٨٨ ـ ٩١ ، وتاريخ ابن كثير ٧ : ٣٣٢ ـ ٣٦١ ، و٨ : ١ ـ ١٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١٠ ـ ١٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٤٤ ـ ٣٤٩ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ٣٣٤ ـ ٣٣٩ ، وحلية الأولياء ١ : ٦١ ـ ٨٧ ، والرياض النضرة ٢ : ١٥٣ ـ ٢٤٩ ، وشذرات الذهب ١ : ٤٩ ـ ٥١ ، وصفوة الصفوة ٣ : ١١٩ ـ ١٤٤ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٣٣٧/ ٣ : ١٩/ ٦ : ١٢ ، وطبقات القراء لابن الجوزي ١ : ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٥ ـ ٥٠ ، والمعارف ٢٠٣ ـ ٢١٨ ، ومعجم الأدباء ١٤ : ٤١ ـ ٥٠ ، ومعجم الشعراء ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، ومقاتل الطالبيين ٢٤ ـ ٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٢) يقال : ركب بنيات الطريق ، أي ضل ؛ وأصل البنيات : الطرق الصغار ، ثم أطلقت على الترهات .

ذلك . والثاني يدلّ على ما قلناه ؛ لأن مَنْ قَد أَنِسَ بالكلام والخَطابة ، وشَدَا طَرفاً من علم البيان ، وصار له ذوقٌ في هذا الباب لا بدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصيل والمولّد ، وإذا وقَف على كرّاس واحد يتضمّن كلاماً لجماعة من الخطباء ، أو لاثنين منهم فقط ؛ فلا بدّ أن يفرّق بين الكلامين ، ويميّز بين الطريقتين . ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده ، لو تصفّحنا ديوان أبي تمام ؛ فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره ، لعرفْنا بالذَوْق مبايَنتها لشعر أبي تمام وَنَفسه ، وطريقتِه ومذهبه في القريض ، ألا ترى أنّ العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه ؛ لمباينتها لمذهبه في الشعر ، وكذلك حَذَفُوا من شِعْر أبي نُوَاس شيئاً كثيراً ؛ لِمَا ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ، ولا من شعره ، وكذلك غيرُهما من الشعراء ، ولم يعتمدوا في ذلك إلاّ عَلَى الذَّوْق خاصة .

وأنت إذا تأملت « نهج البلاغة » وجدته كلّه ماءً واحداً ، ونَفَساً واحداً ، وأسلوباً واحداً ، كالجسم البَسيط الذي ليس بعضٌ من أبعاضه مخالِفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة ، وكالقرآن العزيز ، أوّله كأوسطه ، وأوسطه كآخره ، وكلّ سورة منه ، وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفنّ والطريق والنظم لباقِي الآيات والسُّور ؛ ولو كان بعض « نهج البلاغة » منحولاً وبعضه صحيحاً ، لم يكن ذلك كذلك ؛ فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلالُ مَنْ زعم أنّ هذا الكتاب أو بعضَه منحولٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

واعلم أنّ قائل هذا القول يطرُق على نفسه مالا قِبَلَ له به ، لأنّا متى فَتَحْنا هذا الباب ، وسلّطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النَّحو ، لم نَثِقْ بصحّة كلامٍ منقول عن رسول الله صلى الله عليه واله أبداً ، وساغ لطاعنٍ أن يطعن ويقول : هذا الخبر منحول ؛ وهذا الكلام مصنوع ، وكذلك ما نقِل عن أبي بكرٍ وعمر من الكَلام والخُطب والمواعظ والأدب وغير ذلك ، وكلّ أمر جعله هذا الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله ، والأئمة الراشدين ، والصحابة والتابعين ، والشعراء والمترسّلين ، والخطباء ؛ فلناصِري أميرِ المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من « نهج البلاغة » وغيره ، وهذا واضح .

الباب الثاني

المختار

من خطب

أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

١ ـ الخطبة ٢

وصف آل النبي (ص)
وتفضيلهم على غيرهم

قال عليه السلام :

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ ، وَآسْتِسْلاَماً لِعِزَّتِهِ . . .

ومنها ـ ويعني آل النبي صلى الله عليه :

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، ولَجأُ أَمْرِهِ ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ ، وكُهُوفُ كُتُبِه ، وَجبَالُ دِينِهِ . بِهِم أَقَامَ انْحِنَاء ظَهْرِهِ ، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه .

الشرح :

اللجأ : ما تلتجىء إليه ، كالوزَر ما تعتصم به . والموئل : ما ترجع إليه ؛ يقول : إنَّ أمر النبي صلى الله عليه وآله ـ أي شأنه ـ ملتجىء إليهم ، وعلمه مودَع عندهم ؛ كالثوب يودَع العيبة .

وحُكْمه ـ أي شرعه ـ يرجع ويؤول إليهم . وكتبه ـ يعني القرآن والسنّة ـ عندهم ، فهم كالكهوف له ، لاحتوائهم عليه . وهم جبال دينه لا يتحلحلون عن الدين ؛ أو أنّ الدين ثابت بوجودهم ؛ كما أن الأرض ثابتة بالجبال ، ولولا الجبال لمادتْ بأهلها .

والهاء في « ظهره » ترجع إلى الدين ، وكذلك الهاء في « فرائصه » والفرائص : جمع فَرِيصة ، وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال تُرْعَد من الدابة .

* * *

ومنها :

زَرَعُوا الفُجُورَ ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ ، وحَصَدُوا الثُّبُورَ ، لاَ يُقَاسُ بآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ ، وَلاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ ، وَعِمَادُ اليَقِينِ ، إليهم يَفِيءُ الغَالِي ، وبِهِمْ يُلْحَقُ التَالِي ، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الوِلاَيَةِ ، وَفيهِمْ الوَصِيَّةُ والوِرَاثَةُ . الآنَ إذْ رَجَعَ الحقُّ إلَى أَهْلِهِ ، وَنُقِلَ إلَى مُنْتَقَلِهِ.

* * *

الشرح :

جعل ما فعلوه من القَبيح بمنزلة زَرْع زرعوه ، ثم سقوْه ، فالذي زرعوه الفجور ، ثم سقوْه بالغرور ؛ والاستعارة واقعة موقعَها ، لأن تماديَهم وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال ، هو الذي أوجب استمرارهم على القبائح التي واقعوها ، فكان ذلك كما يُسقى الزرع ، ويربّى بالماء ويستحفظ .

ثم قال : « وحصدوا الثبور » ، أي كانت نتيجة ذلك الزرع والسقى حصادَ ما هو الهلاك والعطب .

وإشارته هذه ليست إلى المنافقين كما ذكر الرضيّ رحمه الله ، وإنما هي إشارة إلى مَنْ تغلّب عليه ، وجَحد حقه كمعاوية وغيره . ولعل الرضيّ رحمه الله تعالى عرَف ذلك وكنّى عنه .

ثم عاد إلى الثناء على آل محمد صلى الله عليه وآله ، فقال : « هم أصول الدين ، إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحَق التالي » ؛ جعلهم كمِقْنب يسير في فلاة ، فالغالي منه أي الفارط المتقدم ، الذي قد غلا في سَيره يرجع إلى ذلك المِقْنب إذا خاف عدوّاً ، ومن قد تخلف عن ذلك المِقْنب فصار تالياً له يلتحق به إذا أشفَق من أن يُتخطّف .

ثم ذكر خصائص حق الولاية ، والولاية : الإمْرة ؛ فأما الإماميّة فيقولون : أراد نصّ النبي صلى الله عليه وآله عليه وعلى أولاده . ونحن نقول : لهم خصائص حق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق .

ثم قال عليه السلام : « وفيهم الوصية والوراثة » ، أما الوصيَّة فلا ريبَ عندنا أنّ علياً عليه السلام كان وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنْ خالف في ذلك مَنْ هو منسوب

عندنا إلى العناد ، ولسنا نعني بالوصية النصَّ والخلافة ، ولكن أموراً أخرى لعلّها ـ إذا لُمِحت ـ أشرفُ وأجلّ*.

وأما الوراثة فالإمامية يحمِلونها على ميراث المال والخلافة ، ونحن نحملها على وراثة العلم .

ثم ذكر عليه السلام أنّ الحق رجع الآن إلى أهله ؛ وهذا يقتضي أن يكونَ فيما قبل في غير أهله ، ونحن نتأوّل ذلك على غير ما تذكره الإماميّة ، ونقول : إنَّه عليه السلام كان أَوْلى بالأمر وأحقّ ، لا على وجه النصّ ، بل على وجه الأفضليّة ، فإنه أفضلُ البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأحقُّ بالخلافة من جميع المسلمين ؛ لكنه ترك حقَّه لما علمه من المصلحة ، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام ، وانتشار الكلمة ، لحسد العرب له ، وضغنهم عليه . وجائز لمن كان أَوْلى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول : « قد رجع الأمر إلى أهله »** .

وأما قوله : « وانتقل إلى منتَقَله » ، ففيه مضاف محذوف ، تقديره : « إلى موضع منتقله » ، والمنتقَل بفتح القاف : مصدر بمعنى الانتقال ، كقولك : لي في هذا الأمر مضطرَب ، أي اضطراب ، قال :

قَدْ كَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ ... في الأَرْضِ ذاتِ الطُّول والعَرْضِ (١)

وتقول : ما معتقدك ؟ أي ما اعتقادك . قد رجع الأمر إلى نصابه ، وإلى الموضع الذي هو على الحقيقة الموضعُ الذي يجب أن يكون انتقالُه إليه .

فإن قيل : ما معنى قوله عليه السلام : « لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ، ولا يسوّي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً » ؟

قيل : لا شبهةَ أن المنعِم أعلى وأشرفُ من المنعَم عليه ، ولا ريب أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وأهله الأَدْنَيْن من بني هاشم ـ لا سيما عليّاً عليه السلام ـ أنعموا على الخلق كافة

* ولا أدري أي أمر أشرف وأجلّ من القيام مقام النبي (ص) !!

** ستعرف خطل هذا الرأي عندما تقرأ خطب أمير المؤمنين فيما يأتي، و إذا كنت على عجل فاقرأ الكلمة رقم ٤١٤ التي أوردناها بتسلسل ٤٩ لتعلم أنه لم يسلّم لهم بالخلافة إلاّ مكرهاً .

(١) ديوان الحماسة ١ :٢٨٧ ـ بشرح المرزوقي ، من أبيات نسبها إلى خطاب بن المعلى ، واسمه في التبريزي : « حطان بن المعلى » .

بنعمة لا يقـدّر قدرها ، وهي الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه ، فمحمد صلى الله عليه وآله وإن كان هَدَى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده ؛ ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأييده ، وهو السيّد المتبوع ، والمصطفى المنتجَب الواجب الطاعة ، إلاَّ أنَّ لعليّ عليه السلام من الهداية أيضاً ـ وإن كان ثانياً لأوّل ، ومصلّياً على إثـر سابق ـ مـا لا يُجحد ، ولـو لم يكن إلاَّ جهادُه بالسيف أولاً وثانياً ، وما كان بين الجهادَيْن من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى مالم تكن له فاهمة ولا متصوّرة ، لكفى في وجوب حَقّه ، وسبوغ نعمته عليه السلام .

فإن قيل : لا ريب في أنّ كلامه هذا تعريض بمن تقـدم عليه ، فـأيّ نعمة لـه عليهم قيل : نعمتان : الأولى منهما الجهاد عنهم وهم قاعدون ، فإنّ من أنصفَ علم أنّه لولا سيف عليّ عليه السلام لاصطلم المشركون ؛ من أشار إليه وغيرهم من المسلمين ، وقد علمتَ آثاره في بدر ، وأُحد ، والخندق ، وخَيْبر ، وحُنَين ؛ وأنّ الشرك فيها فَغَرفاه ، فلولا أن سدّه بسيفه لَالْتَهم المسلمين كافة ـ والثانية علومه التي لولاها لحُكِمَ بغير الصواب في كثير من الأحكام ، وقد اعترف عمر له بذلك ، والخبر مشهور : « لولا عَليٌّ لهلك عمر » .

ويمكن أن يخرّج كلامه على وجه آخر ؛ وذلك أنّ العرب تفضِّل القبيلة التي منها الرئيس الأعظم على سائر القبائل ، وتفضّل الأدنى منه نسباً ، فالأدنى على سائـر آحاد تلك القبيلة ؛ فإنَّ بني دارم يفتخرون بحاجب وإخوته ، وبزُرارة أبيهم على سائر بني تميم ويسوغ للواحد من أبنـاء بني دارم أن يقول : لا يقـاسُ ببني دارم أحد من بني تميم ولا يستـوي بهم مَنْ جـرت رياستهم عليه أبداً ؛ ويعني بذلك أنّ واحداً من بني دارم قد رأس على بني تميم ؛ فكذلك لما كـان رسول الله صـلى الله عليه وآلـه رئيسَ الكلّ والمنعِمَ عـلى الكلّ ، جـاز لواحـد من بني هاشم ؛ لا سيما مثل عليّ عليه السلام أن يقول هذه الكلمات*.

* * *

واعلم أنّ علياً عليه السـلام كان يـدّعي التقدّمَ عـلى الكلّ ، والشـرف على الكـلّ ، والنعمةَ على الكلّ ، بابن عمه صلى الله عليه وآله ، وبنفسه ، وبأبيه أبي طالب ، فإنّ من قرأ علوم السِّيَر عرف أنّ الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً .

---

* وهو بعيد ، ذلك لأن مثل أمير المؤمنين الذي هو صنيعة الله كما قال هو (أنا صنائع ربنا) وربيب رسول الله (ص) لا يمكن أن يفخر بالأنساب التي هي عماد الفكر الجاهلي ، لذا فـإن قولـه (لا يقاس بـآل محمد . . . الـخ) يعني بتفضيل الله لهم على الناس ، وهو التفضيل الذي يعترف به أمير المؤمنين . ولو تأول المتأولون .

وليس لقائل أن يقول : كيف يقال هذا في دِينٍ تكفّل الله تعالى بإظهاره ، سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدوماً ! لأنّا نقول : فينبغي على هذا ألاّ يُمدح رسول الله صلى الله عليه وآله . ولا يقال : إنه هدى الناس من الضلالة ، وأنقذهم من الجهالة ، وإنّ له حقاً على المسلمين . وإنّه لولاه لَمَا عُبِد الله تعالى في الأرض ، وألا يمدح أبو بكر ، ولا يقال : إنّ له أثراً في الإسلام ، وإن عبد الرحمن وسعداً وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين في الدين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وآله لاتّباعه له ، وإنّ له يداً غير مجحودة في الإنفاق واشتراء المعذّبين وإعتاقهم ، وإنّه لولاه لاستمرت الرِّدة بعد الوفاة ، وظهرت دعوة مُسيلمة وطُليحة ؛ وإنَّه لولا عمر لما كانت الفتوح ، ولا جُهّزت الجيّوش ، ولا قَوِي أمر الدين بعد ضعفه ، ولا انتشرت الدعوةُ بعد خمولها .

فإن قلتم في كل ذلك : إنّ هؤلاء يُحمدون ويُثنَّى عليهم ؛ لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم ، ووفّقهم لها ، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى ؛ وهؤلاء آلة مستعملة ، ووسائط تجري الأفعال على أيديها ، فحمدُهم والثناء عليهم ، والاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك .

قيل : لكم في شأن أبي طالب مثله*.

واعلم أنّ هذه الكلمات ؛ وهي قوله عليه السلام : « الآن إذ رجع الحق إلى أهله . . . » ، إلى آخرها يبعدُ عندي أن تكون مقولة عقِيب انصرافه عليه السلام من صِفِّين ، لأنه انصرف عنها وقتئذٍ مضطربَ الأمر ، منتشرَ الحبل ؛ بواقعة التحكيم ، ومكيدة ابن العاص وما تمَّ لمعاوية عليه من الاستظهار ، وما شاهد في عسكره من الخذلان . وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال ، وأخْلق بها أن تكونَ قيلت في ابتداء بَيْعته ، قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة ، وأنّ الرضيّ رحمه الله تعالى نقل ما وجد ، وحكى ما سمع ، والغلط من غيره والوهم سابق له . وما ذكرناه واضح .

---

* بل كان أبو طالب سباقاً إلى الايمان والإسلام وما الآخرون إلاّ تبع ، بل كانوا يتخفون من بطش قريش وظلمها في الوقت الذي كانت قريش تخشىٰ مواجهة محمد (ص) لوجود أبي طالب القائل :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم   حتى أوسَّد في التراب دفينا

أما أيمانه فيكفيه قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً   رسولاً كموسى خُطَّ في أول الكتب

ولكن السبب هو أنه أبو علي ، فإن كان ذلك ذنباً فانعم به من ذنب . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

ما ورد في الوصاية من الشعر *

وممـا رويناه من الشعـر المقول في صـدر الإسلام المتضمّن كـونـه عليـه السـلام وصيّ رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

ومَنّـا عليّ ذاك صاحبُ خَيْبَـرٍ وَصَاحِبُ بَدْرٍ يوم سالتْ كتائبُهْ
وَصيُّ النبيّ المصطفَى وابنُ عَمِّه فمَنْ ذا يدانِيهِ وَمَنْ ذَا يُقارِبُهْ !

وقال أبو الهيثم بن التَّيِّهان ـ وكان بدريّاً :

قـل للزبير وقـلْ لطلحـة إنّنـا نحنُ الـذين شعارنـا الأنصارُ
نَحْنُ الذين رأتْ قريشٌ فِعْلَنا يـوم القَلِيب أولئـكَ الكفـارُ
كنّـا شعـارَ نـبيِّنـا ودثـارَه يَفْـديه منّـا الـرُّوح والأبصـارُ
إنّ الـوصيّ إمـامُنـا ووليُّنـا بَرِحَ الخفاءُ وباحتِ الأسرار[١]

وقال رجل من الأزد يوم الجمل :

هـذا عـليّ وهـو الـوصيُّ آخـاه يـومَ النَّجْـوَةِ الـنَّبيُّ
وقـال هـذا بعـدِيَ الـوليُّ وعَـاهُ واعٍ ونـسِي الـشـقـيُّ

وخرج يوم الجمل غُلام من بني ضَبّة شاب مُعْلِم[٢] من عسكر عائشة ، وهو يقول :

نَحْنُ بَنِي ضَبّـة أعـداء عَلِي ذَاكَ الَّذِي يُعْرَفُ قِدْماً بالوصِي
وفَارِس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل عليٍّ بالعَمِي
لكنني أنعَى ابنَ عفَّـانَ التَّقِي إنّ الـوليَّ طـالبُ ثـأرَ الـوَلِي

وقال حُجْر بن عديّ الكنْدي في ذلك اليوم أيضاً :

يَـا رَبَّنَـا سَلِّمْ لَنَـا عَـلِيّـا سَلِّم لَنَـا المُبَـارَكَ المُضِيَّـا
المؤمنَ المـوحِّـد التقيّـا لا خَـطِلَ الـرأيِ وَلاَ غَـوِيّـا

---

* تم اختيار بعض ما أورده الشارح لا كله خوف الاطالة .

(١) برح الخفاء ، أي ظهر ما كان خافياً وانكشف ، مأخوذ من براح ؛ وهو البارز الظاهر .

(٢) المعلم ، بكسر اللام : الذي علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها .

بَـلْ هَـادِيـاً مـوفَّقـاً مَهْـدِيّـا   واحْفَـظْهُ رَبِّي واحفظِ النَّبيَّـا
فِيــهِ فَقَـدْ كَـانَ لَـهُ وَلـيّـا   ثـم ارتضـاه بـعـدَهُ وَصِيّـا

وقال خُزيمة بن ثابت الأنصاري ، ذو الشهادتين ـ وكان بدْرياً ـ في يوم الجمل أيضاً :

ليس بين الأنصار في جَحْمَةِ الحر   ب وبين العُـداة إلا الـطعـانُ
وقـراع الكُماةِ بـالقُضُبِ البيـ   ـض إذا مـا تَحَـطَّمَ المُـرّانُ
فادعها تستجِبْ فليس من الخز   رجِ والأوس يـا عليّ جَبَـانُ
يا وصيّ النبيّ قد أجلت الحر   بُ الأعادِي وسارَتِ الأظْعانُ

وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل :

أعائشَ خَلِّي عَنْ عليٍّ وعَيْبِهِ   بمـا ليس فيه إنّمـا أنتِ والِدَه
وصيّ رسول الله مِنْ دُون أهله   وأنتِ عَلَى ما كَانَ مِنْ ذَاكَ شَاهِدَهْ
وَحَسْبُكِ مِنْه بعضُ ما تعلمينَهُ   ويَكْفِيكِ لو لم تعلمي غيرُ واحدهْ

وقال عمرو بن أُحَيْحَة يوم الجمل في خطبة الحسن بن عليّ عليه السلام بعد خطبة عبد الله بن الزُّبير :

حَسَنَ الخيـر يـا شَبيـهَ أبيـهِ   قُمْتَ فينا مقامَ خَيْـر خَـطِيبِ
قُمْتَ بالخطبة الَّتِي صَدَعَ اللّـ   ـه بِهَا عَنْ أبيكَ أهلَ العيوب
وكشفت القناع فاتَّضـح الأمْـ   ـر وأصْلَحْتَ فاسداتِ القُلُوبِ
لَسْتَ كابنِ الزُّبَيْرِ لجْلَجَ في القَوْ   لِ وَطَاطا عِنَانَ فَسْلٍ مُـريبِ
وأبى الله أن يقـوم بمـا قـا   مَ به ابنُ الوصِيِّ وابنُ النَّجِيبِ
إنّ شَخْصاً بَيْنَ النَّبِيِّ ـ لك الخيـ   ـرُ ـ وبين الوصيِّ غَيْرُ مَشُوب

وقال زَحْر بن قيس الجعفيّ يوم الجمل أيضاً :

أَضْـرِبُكُمْ حَتّى تُقِـرُّوا لعلِي   خَيْـرِ قُرَيْشٍ كلِّهـا بَعْدَ النَّبِي
مَنْ زَانَـهُ الله وَسَمَّـاه الـوَصِي   إن الـوَلِيّ حافظُ ظَهْـرَ الـولِي

* كما الغويّ تابعُ أمْرَ الغَوِي *

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مِخْنف لوط بن يحيى[1] في كتاب وقعة الجمل . وأبو مِخْنف من المحدّثين ، وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار ، وليس من الشيعة ولا معدوداً من رجالها .

* * *

ومما رويناه من أشعار صِفِّين التي تتضمن تسميتَه عليه السلام بالوصيّ ما ذكره نصر بن مزاحم[2] بن يسار المِنقريّ في كتاب صِفّين ، وهو من رجال الحديث . قال نصر بن مُزَاحم :

قال نصر : ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس[3] :

أتَـانَا الـرَّسُولُ رَسُـولُ الإمـام ... فَسُـرَّ بمقـدَمِـهِ المُسْلِمُـونَـا
رَسُـــولُ الـوصيِّ وصيّ النبيِّ ... له السّبْقُ والفضل في المؤمِنِينا

ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضاً :

أتانا الرَّسُـولُ رسول الـوصيِّ ... عليّ المهـذَّبُ من هَاشِمِ[4]
وزيــرُ الـنبـيِّ وذو صِـهْــرِه ... وَخَـيْــرُ البــريَّــةِ والـعــالَمِ

قال نَصْر بن مُزاحم : من شعر أمير المؤمنين عليه السلام في صِفّين :

يـا عَجَبا لَقَـدْ سَمِعْتُ مُنْكَـرَا ... كِذْباً عَلَى الله يُشِيبُ الشَعَرَا[5]
ما كانَ يَرْضَى أحْمَدٌ لو أُخبرا ... أن يَقْــرِنُـوا وصيَّــة والأبْتَــرَا
شاني الرسول واللعينَ الأخْزَرَا ... إني إذا المـوتُ دَنـا وحضـرا
شَمَّرْتُ ثَوْبي ودَعـوْتُ قَنْبَرا : ... قَـدِّمْ لِـوائي لا تؤخِّــرْ حَـذَرَا
لاَ يَـدْفَعُ الْحِـذَارُ ما قـدْ قُدِّرَا ... لو أن عندِي يا بن حَرْبٍ جَعْفَرا
أو حمزة القَرْمَ الهُمام الأزْهَرا ... رأت قـريش نَجْمَ ليلٍ ظهـرا

---

(١) هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي ؛ كان راوية أخبار وصاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام ، توفي سنة ١٥٧ . معجم الأدباء ١٧ : ٤١ ، الفهرست ٩٣ .

(٢) ذكره ابن حجر في لسان الميزان ٦ : ١٥٧ ؛ وقال : إنه توفي سنة ٢١٢ .

(٣) كتاب صفين ٢٧ .

(٤) كتاب صفين ٢٨ .

(٥) كتاب صفين ٤٨ .

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري(١) :

كيفَ التفرُّقُ والوصيُّ إمامُنَا   لا كيفَ إلَّا حَيْرَةَ وتخاذُلا
لا تغبِنُنَّ عقولَكُم ، لا خَيْرَ في   مَنْ لم يكن عند البلابل عاقِلا
وذُروا معاويةَ الغويَّ وتابعوا   دينَ الوصيّ لتحمَدوه آجِلا

وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب(٢) :

وصيّ رسول الله من دُونِ أهْلِهِ   وَفَارِسُهُ إن قيل هَلْ مِنْ مُنَازِلِ !
فَدُونَكَهُ إنْ كُنْتَ تَبْغِي مهاجِراً   أشمّ كَنَصْل السّيْفِ عَيْرَ حَلاحِلِ (٣)

والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ، ولكنا ذكرنا منها ها هنا بعض ما قيلَ في هذين الحِزْبين ، فأما ما عداهما فإنه يجلّ عن الحصر ، ويعظُم عن الإحصاء والعَدّ ، ولولا خوفُ الملالة والإضجار ، لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة*.

٢ ـ الخطبة ٣

وصف طبيعة الخلافة والحال
منذ وفاة النبي (ص) حتى عودة الأمر إليه
وهي أهم الخطب

ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية[٤]:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ٱبْنُ أبي قُحَافَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ ٱلرَّحَا ؛ يَنْحَدِرُ عَنِّي ٱلسَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ ٱلطَّيْرُ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا

---

(١) صفين ص ٤١٥ .
(٢) صفين : ٤٧٤ ، ونسبها إلى الفضل بن عباس
(٣) عير القوم : سيدهم ؛ والحلاحل بالفتح : جمع حلاحل ، بالضم ، وهو الشجاع .
* وقال أبو الطيب المتنبي رداً على من عاتبه إذ ترك مدح آل البيت عليهم السلام :

وتركت مدحي للوصي تعمداً   إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

(٤) لقوله فيها أنها شقشقة هدرت ثم قرت .

كَشْحاً*، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فيها الكَبِيرُ ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتى يَلْقَى رَبَّه ؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى ، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَىً ، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً ، أَرَى تُراثي نَهْباً .

* * *

الشرح :

سدلت دونها ثوباً ، أي أرخيتُ ، يقول : ضربتُ بيني وبينها حجاباً ؛ فِعْلَ الزاهد فيها ، الراغب عنها . وطويتُ عنها كشحاً ، أي قطعتها وصرمتها ؛ وهو مثل ، قالوا : لأن مَنْ كان إلى جانبك الأيمن ماثلاً فطويت كشحكَ الأيسر فقد مِلْتَ عنه ، والكشح : ما بين الخاصرة والجنب . وعندي أنهم أرادوا غير ذلك ، وهو أنّ من أجاع نفسَه فقد طوى كشحه ، كما أنّ مَنْ أكل وشبع فقد ملأ كشحَه ، فكأنه أراد أني أجعتُ نفسي عنها ، ولم ألقمها . واليد الجذاء بالدال المهملة ، وبالذال المعجمة ، والحاء المهملة مع الذال المعجمة ، كلّه بمعنى المقطوعة . والطَّخْية : قطعة من الغيم والسحاب . وقوله : « عمياء » ، تأكيد لظلام الحال واسودادها ؛ يقولون : مفازة عمياء ، أي يعمى فيها الدليل . ويكدح : يسعى ويكدّ مع مشقة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً** ﴾[١] .

وهاتا ، بمعنى هذه ، « ها » للتنبيه ، و « تا » للإشارة ، ومعنى « تا » ذي ، وهذا أحجى من كذا أي أليق بالحجا ، وهو العقل .

* * *

وفي هذا الفصل من باب البديع في علم البيان عشرة ألفاظ :

أولها : قوله : « لقد تقمّصها » ، أي جعلها كالقميص مشتملة عليه ، والضمير للخلافة ، ولم يذكرْها للعلم بها ، كقوله سبحانه : ﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجَابِ** ﴾[٢] ، إ

---

* وهذا يرد ما برروا به صرف الأمر عن أمير المؤمنين من أن أبا بكر وأهل السقيفة خافوا من المرتدين ومن الفتنة فعجلوا بالبيعة ، وذلك لأنه كان باستطاعة أبي بكر أن يردّها إلى صاحبها بعد استتباب الأمر .

(١) سورة الانشقاق ٦ .

(٢) سورة ص ٣٢ .

وكقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1] ، وكقول حاتم :

أَمَاوِيَّ ما يُغْنِي الثّـراءُ عَنِ الْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يوماً وَضَاقَ بها الصَّدْرُ[2]

وهذه اللفظة مأخوذة من كتاب الله تعالى في قولـه سبحانـه : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْـوَى ﴾[3] وقول النابغة[4] :

تَسَرْبَلَ سِرْبَالاً مِنَ النَّصْرِ وارْتَدى ... عَلَيْهِ بِعَضْبٍ في الْكَرِيهةِ قاصِلِ

الثانية : قوله : « ينحدر عني السيل »[5] ، يعني رفعة منزلته عليه السـلام ، كأنـه في ذروة جبل أو يَفَاع مشرف ، ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان ، قال الهذليّ :

وعَيطاء يَكْثُـر فيهـا الـزليـلُ ... وينحدِرُ السَّيْلُ عنها انحدَارا[6]

الثالثة : قوله عليه السلام : « ولا يَرْقَى إليّ الطير » ، هذه أعظمُ في الـرفعة والعلو من التي قبلها ، لأنّ السيل ينحدر عن الرابية والهضْبة ، وأمـا تعذّرُ رقيّ الـطير فربمـا يكون للقِلال الشاهقة جدّاً ، بل ما هو أعلى من قِلال الجبال ، كأنه يقول : إني لعلوّ منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يَرْقى الطير إليها ، قال أبو الطيب :

فـوْقَ السَّمـاءِ وفَـوْقَ مـا طَلَبُـوا ... فَـإذَا أرادوا غَـايَـةً نَـزلُـوا[7]

وقال حبيب :

مَكَـارِمُ لَجَّتْ في عُلُوٍّ كـأنمـا ... تحاوِلُ ثأراً عِنْدَ بعضِ الْكَوَاكِبِ[8]

الرابعة : قوله : « سدلت دونها ثوبا » ، قد ذكرناه .

الخامسة : قوله : « وطويت عنها كشحا » قد ذكرناه أيضاً .

---

(١) سورة الرحمن ٢٦ .

(٢) ديوانه ١١٨ .

(٣) سورة الأعراف ٢٦ .

(٤) كذا في الأصول ، والصواب أنه لأبي تمام .

(٥) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتـدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله .

(٦) عيطاء : مرتفعة . والزليل : الزلل ، كما في ديوانه ٣ : ٨٢ .

(٧) ديوانه ٣ : ٣١٠ .

(٨) ديوانه ١ : ٢١٧ .

السادسة : قوله : « أُصُولُ بيدٍ جَذّاء » ، قد ذكرناه .

السابعة : قوله : « أصْبِر على طَخْية عمياء » قد ذكرناه أيضاً .

الثامنة : قوله : « وفي العين قذى » ، أي صبرت على مضض كما يصبر الأرمد .

التاسعة : قوله : « وفي الْحَلق شَجاً » وهو ما يعترض في الحلق . أي كما يصبر من غَصَّ بأمرٍ فهو يكابد الخَنْق .

العاشرة : قوله : « أرى تُراثي نَهْباً »* ، كنى عن الخلافة بالتراث ، وهو الموروث من المال .

فأما قوله عليه السلام : « إن محلّي منها محلّ القُطْب من الرحا » ، فليس من هذا النَّمَط الذي نحن فيه ، ولكنه تشبيه محض ، خارج من باب الاستعارة والتوسع ؛ يقول : كما أنّ الرحا لا تدور إلاَّ على القُطْب ، ودورانُها بغير قُطْب لا ثمرة له ولا فائدة فيه ، كذلك نِسْبتي إلى الخلافة ، فإنها لا تقوم إلاَّ بي ، ولا يدور أمرُها إلاَّ عليّ .

هكذا فسروه . وعندي أنه أراد أمراً آخر ، وهو أنّي من الخلافة في الصميم ، وفي وَسَطها وبحُحْبُوحَتِها ، كما أن القطب وسط دائرة الرحا ، قال الراجز :

على قِلَاصٍ مثل خِيطان السَّلَمْ[1] إذا قَطَعْن علماً بَدَا عَلَمْ
حتى أنخناها إلى باب الحَكَمْ خليفةِ الحجّاج غير المتّهمْ
* في سُرّة المجد وبُحْبُوحِ الْكَرَمْ *

وقال أمية بن أبي الصّلت لعبد الله بن جُدْعان :

فحللتَ منها بالبطا ح ِ وحَلَّ غَيْرُكَ بالظَّوَاهِرْ

وأما قوله : « يَهْرم فيها الكبير ، ويَشيب فيها الصغير » فيمكن أنْ يكونَ من باب الحقائق ، ويمكن أن يكون من باب المجازات والاستعارات ؛ أما الأول فإنه يعني به طولَ مدة ولاية المتقدّمين عليه ، فإنها مدة يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير .

---

* وهذه الجملة تنسف كلَّ ما قيل من تأويلات بعيدة كالتي يقال فيها بأن الصحابة الذين صرفوها عنه عليه السلام فعلوا ذلك لأنهم رأوا بان ذلك امنع للدين بسبب ارتداد بعض القبائل عن الاسلام وبسبب النزاع مع الأنصار ووو. . وذلك لأن النّهْب لا يمكن أن يكون إلاَّ عن سابق قصد وبلا وجود أي احتمال لحسن هذا القصد .

(١) القلاص : جمع قلوص ؛ وهي الناقة الفتية . والخيطان : جمع خوط ؛ وهو الغصن الناعم . والسلم : شجر ، واحدته سلمة .

وأما الثاني فإنه يعني بذلك صعوبةَ تلك الأيام ؛ حتى إنّ الكبير من الناس يكاد يَهْـرَم لصعوبتها ، والصغير يشيب من أهوالها ، كقولهم : هذا أمر يَشيب له الوليد ؛ وإن لم يَشِب على الحقيقة .

واعلم أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : ولا يرقى إليّ الطير ، فطفقت أرتئي بين كذا وكذا ، فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحا ، ثم « فصبرت وفي العين قذى » ؛ إلى آخر القصة ، لأنه لا يجوز أن يسدل دونها ثوباً ويطوي عنها كشحا ، ثم يطفِق يرتئي بين أن ينابذهم أو يصبر ؛ ألا ترى أنه إذا سَدَل دونها ثوباً ، وطوى عنها كشحاً فقد تركها وصرمها ، ومَن يترك ويَصرمْ لا يرتئي في المنابذة ! والتقديم والتأخير طريق لا حب ، وسبيل مَهْيع في لغة العرب ، قال سبحانه : ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً. قَيِّماً﴾[1] ، أي أنزل على عبده الكتاب قَيِّماً ، ولم يجعل له عوجاً ، وهذا كثير .

وقوله عليه السلام : « حتى يَلْقى ربّهْ » بالوقف والإسكان ، كما جاءت به الروايةُ في قوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[2] بالوقف أيضاً .

* * *

مرض رسول الله وإمرة أسامة بن زيد على الجيش *

لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وآله مرضَ الموت ، دعا أسامةَ بن زيد بن حارثة ، فقال : سرْ إلى مقتَل أبيك[3] ، فأوطئْهم الخيل ، فقد ولّيتُك على هذا الجيش ، وإن أظفرَك الله بالعدوّ ، فأقلل اللّبْث ، وبثّ العيون ، وقَدّم الطلائع . فلم يبقَ أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ كان في ذلك الجيش ؛ منهم أبو بكر وعُمر ، فتكلّم قوم وقالوا : يستعمل هـذا الغلامَ على جِلّة المهاجرين والأنصار ! فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وآله لما سمع ذلك ،

---

(١) سورة الكهف ١و٢ .

(٢) سورة البينة ٨ .

* شرح النهج الجزء ١ ص ١٥٩ وما بعدها .

(٣) قتل زيد بن حارثة بمؤتة ؛ إحدى قرى البلقاء ، وتفصيل الخبر في الطبري (حوادث السنة الثامنة) .

وخرجَ عاصباً رأسه ، فصعِد المنبر وعليه قَطيفة[1] فقال : « أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة ! لئن طعنتم في تأميري أسامة ، فقد طعنتم في تأميري أباه مِنْ قبله ، وأيمُ الله إن كان لخليقاً بالإمارة ، وابنهُ من بعده لخليق بها ، وإنهما لمن أحبِّ الناس إليّ ؛ فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم » . ثم نزل ودخل بيته ، وجاء المسلمون يودّعون رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويمضون إلى عسكر أسامة بالجُرْف[2] .

وثَقِل[3] رسول الله صلى الله عليه وآله ، واشتدّ ما يجده ، فأرسل بعضَ نسائه إلى أسامة وبعض مَنْ كان معه ، يُعلمونهم ذلك ، فدخل أسامة من معسكره ـ والنبيّ صلى الله عليه وآله مغمور ، وهو اليوم الذي لَدّوهُ[4] فيه ـ فتطأطأ أسامة عليه فقَبَّله ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد أسكت فهو لا يتكلّم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة ؛ كالداعي له ، ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره ، والتوجّه لما بعثه فيه ، فرجع أسامة إلى عسكره . ثم أرسل نساء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أسامة يأمُرنه بالدخول ، ويقُلْن إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أصبح بارئاً ، فدخل أسامة من معسكره يوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول فوجدَ رسول الله صلى الله عليه وآله مُفيقاً ، فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ ، وقال : اغْدُ على بركة الله ، وجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » ، ويكرّر ذلك ، فودّع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج ومعه أبو بكر وعمر ، فلما ركب جاءه رسول أمّ أيمن ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت ، فأقبل ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حين زالت الشمس من هذا اليوم ، وهو يوم الاثنين ، وقد مات واللواء مع بُرَيْدة بن الحُصَيب ، فدخل باللّواء فركَزه عند باب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مُغْلق ، وعليّ عليه السلام وبعض بني هاشم مشتغلون بإعداد جهازه وغَسْله ، فقال العباس لعليّ ـ وهما في الدار : امْدُدْ يدَك أبايعْك فيقول الناس : عمّ رسول الله بايع ابنَ عمّ رسول الله ؛ فلا يختلف عليك إثنان، فقال له : أوَ يطمعُ يا عمّ فيها طامع غيري ! قال : ستعلم ؛ فلم يلبثا أنْ جاءتهما الأخبار بأنّ الأنصار أعدت سعداً لتُبايعَه ، وأنّ

(١) القطيفة : كساء له أهداب .

(٢) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

(٣) ثقل ، بالكسر : اشتد مرضه .

(٤) يقال : لد المريض ، بالبناء للمجهول أي دووي باللدود ؛ بالفتح ؛ وهو من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم ؛ وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٥٥، واللسان ٤ : ٣٩٣.

عمر جاء بأبي بكر فبايَعه ، وسبق الأنصار بالبَيْعة ، فندم عليٌّ عليه السلام على تفريطه في أمر البيعة وتقاعده عنها ، وأنشده العباس قول دُرَيد :

أمرْتُهُمُ أمرِي بمنعرَجِ اللِّوَىٰ فلم يستبينُوا النُّصْحَ إلا ضُحَى الغدِ[1]

* * *

وتزعمُ الشيعةُ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلَمُ موته ، وأنه سيَّر أبا بكر وعمر في بعث إسامة لتخلُوَ دارُ الهجرة منهما ، فيصفُوَ الأمرُ لعليّ عليه السلام ، ويبايعَه من تَخَلَّف من المسلمين بالمدينة على سكونٍ وطمأنينة ، فإذا جاءهما الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وبيعة الناس لعليّ عليه السلام بعده كانا عن المنازعة والخلاف أبعدَ ، لأنّ العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيْعة ، ويُحتاجُ في نقضها إلى حروب شديدة ، فلم يتمّ له ما قَدّر ، وتثاقل أسامة بالجيش أياماً ، مع شدّة حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله على نفوذه وخروجه بالجيش ، حتى مات صلى الله عليه وآله وهما بالمدينة ، فسبقا عليّاً إلى البيعة وجَرى ما جرى .

وهذا عندي غير منقدح ، لأنه إن كان صلى الله عليه وآله يعلم موتَه ، فهو أيضاً يعلم أنَّ أبا بكر سيلي الخلافة* ، وما يعلمه لا يحترِس منه ؛ وإنما يتمّ هذا ويصحّ إذا فرضنا أنه عليه السلام كان يظنّ موتَه ولا يعلمه حقيقة ، ويظنّ أن أبا بكر وعمر يتمالآن على ابن عمه ، ويخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة ، فيجوز إن كانت الحال هكذا أن يقدح هذا التوهّم ، ويتطرق هذا الظنّ ، كالواحد منا له ولدان ؛ يخاف من أحدهما أن يتغلّب بعد موته على جميعِ ماله ، ولا يوصِل أخاه إلى شيء من حقه ؛ فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوّف أن يموتَ فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمها إليه ، يجعل ذلك طريقاً إلى دفع تغلّبه على الولد الآخر .

* * *

ثم قال عليه السلام :

---

(١) ديوان الحماسة ـ بشرح المرزوقي ٢ : ٨١٤، وروايته : « فلم يستبينوا الرشد » .

* لا ندري ما علاقة هذه بتلك ، ولماذا يجب أن يعلم النبي (ص) بولاية أبي بكر إذا كان يعلم موته . . . وهل يعلم النبي (ص) إلاّ ما يوحىٰ إليه ؟ على أن الواجب عليه صلى الله عليه وآله أن يعمل كل ما في وسعه لارساء قواعد الخلافة بحسب ما يراه صحيحاً (هذا إذا لم نقل بالنص) وبالتالي فسواءٌ علم أنهم سيمنعونها علياً أم لا فسيكون تخطيطه (ص) لأجل ولاية علي والأمر النافذ سيكون لله . . . افتراه (ص) يخلّ بالواجب ، حاشاه .

حَتَّىٰ مَضَىٰ ٱلأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا أَلَىٰ ٱبْنِ الخَطَّابِ بَعْدَهُ :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَبا ! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها فِي حَيَاتِهِ ، إِذْ عَقَدَها لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ! لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا ! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُها ، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا ، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا ، وَالْاعتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُها كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ ، إنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ ، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ .

* * *

الشرح :

مضى لسبيله : مات ، والسّبيل الطريق ، وتقديره : مضى على سبيله ، وتجيء اللاّم بمعنى « على » كقوله :

* فَخَرَّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ *

وقوله : « فأدْلَى بها » من قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ** ﴾[1] أي تدفعوها إليهم رِشْوَة ، وأصله من أدليت الدّلو في البئر ، أرسلتَها .

فإن قلت : فإنّ أبا بكر إنما دفعها إلى عمر حين مات ، ولا معنى للرِّشوة عند الموت !

قلت : لما كان عليه السلام يَرَى أنّ العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق شبّه ذلك بإدلاء الإنسان بمالِه إلى الحاكم ، فإنه إخراج للمال إلى غير وجهه ، فكان ذلك من باب الاستعارة .

* * *

عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب

وابن الخطاب هو أبو حفص عُمَر الفاروق ، وأبوه الخطّاب بن نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عديّ بن كعب بن لُؤي بن غالب . وأم عمر حَنْتَمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

---

(١) سورة البقرة ١٨٨ .

لما احتُضر أبو بكر ، قال للكاتب اكتب : هذا ما عهد عبـد الله بن عثمان[١] ، آخِـرَ عهده بالدنيا وأوّلَ عهده بالآخرة ، في الساعة التي يَبرّ فيها الفاجر ، ويُسْلِم فيها الكافر . ثم أغمي عليه فكتب الكاتب : عمر بن الخطاب ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقـرأ ما كتبت ، فقرأ وذكر اسم عمر ، فقال : أنَّى لك هذا ! قال : ما كنت لتعـدُوَه ، فقال : أصبت ، ثم قال : أتمَّ كتابك ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب : وذلك حيث أجال رأيه وأعمل فكره ، فـرأى أنّ هذا الأمـر لا يصلح آخرهُ إلّا بمـا يصلح به أولـه ، ولا يحتمله إلّا أفضـلُ العـرب مقدرة ، وأملَكُهم لنفسه ، وأشـدّهم في حال الشـدة ، وأسلسهُم في حال اللين ، وأعلمهم بـرأي ذوي الرأي ، لا يتشـاغل بمـا لا يعنيه ، ولا يحـزَن لما لم ينـزل بـه ، ولا يستحي من التعلّم ، ولا يتحيّر عند البديهة . قـويّ على الأمـور ، لا يجوز بشيء منهـا حدّه عـدواناً ولا تقصيراً ، يرصدُ لما هو آت عَتاده من الحذر .

فلما فرغ من الكتاب ، دخل عليه قوم من الصحابة ؛ منهم طلحة ، فقال له : ما أنت قائل لربّك غداً ، وقد ولّيْتَ علينا فظّاً غليظاً ، تفرّق منه النفوس ؛ وتنفضّ عنه القلوب !

فقال أبو بكر : أسندوني ـ وكان مستلقياً ـ فأسندوه ، فقال لطلحة : أبالله تخوّفني ! إذا قال لي ذلك غداً قلت له : ولّيتُ عليهم خيرَ أهلك .

ويقال : أصدقُ الناس فِراسة ثلاثة : العزيم في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لِٱمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَـداً** ﴾[٢] ، وابنة شعيب حيث قالت لأبيها في موسى : ﴿ **يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ** ﴾[٣]، وأبو بكر في عمر .

* * *

وروى كثير من الناس أنّ أبا بكر لما نَزَل به الموت دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرْني عن عمر ، فقال : إنه أفضلُ من رأيك فيه إلّا أنّ فيه غلظة ، فقال أبو بكر : ذاك لأنّه يراني رقيقاً ، ولو قد أفضَى الأمرُ إليه لترك كثيراً مما هو عليه ، وقد رمقتُه إذا أنا غضبتُ على

---

(١) عثمان اسم أبي قحافة .

(٢) سورة يوسف ٢١ .

(٣) سورة القصص ٢٦ .

رجل أراني الرِّضا عنه ، وإذا لنتُ له أراني الشدة عليه . ثم دعا عثمان بن عَفّان ، فقال : أخبِرْني عن عمر ، فقال : سريرتُه خير من علانيته ، وليس فينا مثله . فقال لهما : لا تذكرا مما قلتُ لكما شيئاً ، ولو تركتُ عمر لما عدوتُك يا عثمان ، والخيرة لك ألّا تليَ من أمورهم شيئاً ، ولوددت أني كنت من أموركم خِلْواً ، وكنت فيمن مضى من سَلَفِكم . ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال : إنه بلغني أنَّك يا خليفةَ رسول الله استخلفتَ على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقىٰ الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ، وأنت غداً لاقٍ ربك ، فيسألك عن رعيتك ! فقال أبو بكر : أجلسوني ، ثم قال : أبالله تخوّفني ! إذا لقيتُ ربي فسألني ، قلتُ : استخلفتُ عليهم خَيْرَ أهلك . فقال طلحة : أعمر خيرُ الناس يا خليفةَ رسول الله ! فاشتدّ غضبه ، وقال : إي والله ، هو خيرهم وأنت شرّهم . أما والله لو ولّيتُك لجعلتَ أنفك في قَفاك ، ولرفعتَ نفسك فوق قدرها ، حتى يكون الله هو الذي يضعها ! أتيتَني وقد دَلَكت عينك ، تريد أن تفتنني عن ديني ، وتُزيلَني عن رأيي ! قُمْ لا أقام الله رِجْلَيك ! أما والله لئن عِشتُ فُواق ناقة ، وبلغني أنّك غمصتَه فيها ، أو ذكرته بسوء ، لألحقنّك بِمَحْمضات قُنّة[1] ، حيث كنتم تُسْقَون ولا تَرْوَوْن ، وتَرْعَون ولا تشبعون ، وأنتم بذلك بَجِحُون[2] راضون ! فقام طلحة فخرج .

* * *

أحضر أبو بكر عثمان ـ وهو يجود بنفسه ـ فأمره أن يكتب عهداً ، وقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله بن عثمان[3] إلى المسلمين . أمّا بعد ، ثم أغمى عليه ؛ وكتب عثمان : قد استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب . وأفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ فقرأه ، فكبَّر أبو بكر ، وسر ، وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . ثم أتمَّ العهد ، وأمر أن يُقرأ على الناس فقرىء عليهم . ثم أوصى عمر ، فقال له : إنَّ لله حقّاً بالليل لا يقبَلُه في النهار ، وحقّاً في النهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبلُ نافلة ما لم تؤدَّ الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه ، وإنما خفّت موازين من اتَّبع الباطل لخفّته عليه ، إنما أنزِلت آية الرخاء

(١) الموضع الذي ترعى فيه الإبل الحمض . وقنة : موضع بعينه .
(٢) البجح : الفرح والسرور .
(٣) الطبري ٣ : ٤٢٩ : « أبو بكر من أبي قحافة » .

مع آية الشدّة ، لئلا يرغب المؤمن رغبة يتمنّى فيها على الله ما ليس له ، ولئلاّ يرهب رهبة يلقى فيها بيده ، فإن حفظتَ وصيتي ، فلا يكن غائبٌ أحبّ إليك من الموت ولستَ معجزَه .

ثم توفي أبو بكر .

* * *

دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه ، فقال : إني لأرجو أن أموت في يومي هذا فلا تُمْسِينَّ حتى تندب الناس مع المثنّى بن حارثة، وإن تأخَّرْتُ إلى الليل فلا تصبِحَنَّ حتى تندب الناس معه ، ولا تشغلنّكم مصيبة عن دينكم ، وقد رأيتَني متوفّى رسول الله صلى الله عليه وآله كيف صنعت .

وتوفِّيَ أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشرة .

* * *

وأما البيت الذي تمثل به عليه السلام ، فإنه للأعشى الكبير ، أعشى قيس . وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جَنْدل ، من القصيدة التي قالها في منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل ، وأولها :

عَلقَمُ ما أنْتَ إلى عامرِ　　　الناقضِ الأوتَارَ والْوَاترِ(١)

يقول فيها :

وَقَدْ أُسَلِّي الهمَّ إذْ يَعْتَري　　　بِجَسرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ(٢)

زَيّافَةٍ بالرَّحْلِ خَطّارَةٍ　　　تُلْوِي بِشَرْخَيْ مَيْسَةٍ قاتِرِ(٣)

شرخا الرَّحل : مقدّمه ومؤخره ، والمَيْس : شجر يتخذ منه الرِّحال ، ورحل قاتر : جيّد الوقوع على ظهر البعير :

شَتَّانَ ما يَوْمي عَلَى كُورِها　　　وَيومُ حَيَّانَ أخي جَابِرِ

أرْمي بها الْبَيْدَاء إذ هَجَّرتْ　　　وأنت بين الْقَرْو والعاصِر

في مجْدِلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُه　　　يَزِلُّ عنهُ ظُفُرُ الطّائِر

---

(١) ديوانه ١٠٤ ـ ١٠٨ .

(٢) الجسرة : الناقة السريعة ، والدوسرة : الضخمة . والعاقر : التي لم تحمل ، وفي الديوان : « حين اعترى » .

(٣) الزيافة : المختالة في سيرها . والخطارة : التي تخطر بذنبها نشاطاً .

تقول : شَتّان ما هما ، وشَتّان هما ، ولا يجوز : شتّان ما بينهما ، إلاّ على قول ضعيف . وشَتّـان : أصله شتت ، كوشْكَـان ذا خروجـاً ، من وَشُك . وحيّـان وجـابـر ابنـا السّمـين الحنفيَّان ، وكان حيَّان صاحبَ شراب ومعاقرة خمر ، وكان نديم الأعشى ، وكان أخوه جابر أصغر سنّاً منه ، فيقال : إن حيّان قال للأعشى : نسبتني إلى أخي ؛ وهو أصغرُ سِنّاً منيِّ ! فقال : إنَّ الرويّ اضطرني إلى ذلك ، فقال : والله لا نازعتُك كأساً أبداً ما عشت . يقول : شتان يومي وأنا في الهاجرة والرمضاء ، أسيرُ على كور هذه الناقة ويوم حَيَّـان وهو في سَكْـرة الشراب ، ناعم البال ، مرفّه من الأكدار والمشاقّ . والقَرْو : شبه حوض ، يتّخذ من جِذْع أو من شجر يُنْبذ فيه ، والعاصِر : الذي يعتصر العنب . والمِجْدَل : الحِصْن المنيع .

* * *

وشبيه بهذا المعنى قول الفضل بن الربيع في أيام فتنة الأمـين يذكـر حالـه وحال أخيـه المأمون : إنَّمـا نحن[1] شَعب من أصل ، إن قَـويَ قوينـا ، وإن ضَعُف ضعفنا ؛ وإنَّ هـذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء ، يشاور النساء ، ويُقْدِم على الرؤيا ، قد أمكن أهلَ الخسارة واللهو من سمعه ، فهم يمنّونه الظفر ، ويَعدونه عُقَب الأيام ؛ والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ، ينام نوم الظَّربان ، وينتبه انتباه الذئب ، هَمّه بطنُه وفرْجه ، لا يفكِّر في زوال نعمة ، ولا يُروِّي في إمضاء رأي ولا مكيدة ، قد شمّر له عبد الله عن ساقه ، وفوّق إليه أسدَّ سِهامه ، يرميه على بعد الدار بالحتف النافذ ، والموت القاصد ، قد عَبَّأ له المنايا على متون الخيل ، وناط له البلايا بأسنّة الرماح وشِفار السيوف ، فهو كما قال الشاعر :

لشتّـان مـا بيني وبـين ابن خـالـدٍ ... أميّـة في الـرزق الـذي الله يقسِم[2]
يقـارع أتـراك ابن خـاقـان لَـيلَهُ ... إلى أن يَـرَى الإصبـاحَ لا يتـلعثـمُ
وآخـذهـا حمـراء كـالمسـك ريحُهـا ... لهـا أرجٌ مِـنْ دَنِّها يُـتـنـسّـمُ
فَيُصْبح من طُـولِ الـطِّراد وَجِسْمُـهُ ... نحيـلٌ وأُضحِي في الـنَّعيم أصـمِّمُ

وأمية المذكور في هذا الشعر ، هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبد شمس ، كان والي خراسان ، وحارب الترك . والشعر للبَعيث .

* * *

---

(١) الخبر بالتفصيل في تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٩٦).

(٢) الشعر والخبر في تاريخ الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١٩٦) مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات وترتيبها .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : شتّان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر ومُنِيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة ، وبين يوم عمر حيثُ وليها على قاعدة ممهّدة ، وأركان ثابتة ، وسكون شامل ، فانتظم أمرُه ، واطَّرد حاله ، وسكنت أيامه .

قوله عليه السلام : « فياعجباً » أصله « فياعجبي » ، كقولك : يا غلامي ، ثم قلبوا الياء ألفاً ، فقالوا : يا عجباً ، كقولهم : يا غلاماً ، فإن وقفت وقفت على هاء السكت ، فقلت : يا عجباه ! ويا غلاماه ! قال : العجب منه وهو يستقيل المسلمين من الخلافة أيام حياته ، فيقول : أقيلوني ثم يعقدها عند وفاته لآخر ، وهذا يناقض الزهد فيها والاستقالة منها . وقال شاعر من شعراء الشِّيعة :

حَمَلُوها يومَ السَّقيفَةِ أوزا رأً تَخفُّ الجبال وَهيَ ثِقَالُ
ثم جاءوا من بَعْدِها يستقِيلُو نَ ، وهيهاتَ عثرة لا تقال !

وقد اختلف الرواة في هذه اللفظة ، فكثير من الناس رواها : « أقيلوني فلست بخيركم » ، ومن الناس من أنكر هذه اللفظة ولم يروها ، وإنما روى قوله : « وليتكم ولست بخيركم » . واحتجّ بذلك من لم يشترط الأفضليّة في الإمامة . ومن رواها اعتذر لأبي بكر فقال : إنما قال : أقيلوني ، ليثوِّر(1) ما في نفوس الناس من بيعته ، ويَخْبُر ما عندهم من ولايته ، فيعلم مريدهم وكارههم ، ومحبّهم ومبغضهم ؛ فلما رأى النفوس إليه ساكنة ، والقلوب لبيعته مذعنة ، استمرّ على إمارته ، وحكَم حكم الخلفاء في رعيته ، ولم يكن مُنْكَراً منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته .

قالوا : وقد جرى مثلُ ذلك لعليّ عليه السلام ، فإنه قال للناس بعد قتل عثمان : دعوني والتمسوا غيري ، فأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً . وقال لهم : اتركوني ، فأنا كأحدكم ، بل أنا أسْمعُكم وأطْوَعُكُم لِمنْ وليتموه أمركم . فأبوا عليه وبايعوه ، فكرهها أولاً ، ثم عهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته .

قالت الإماميّة : هذا غير لازم ، والفرق بين الموضعين ظاهر ، لأنّ علياً عليه السلام لم يقل : إنّي لا أصلح ، ولكنه كره الفتنة ، وأبو بكر قال كلاماً معناه : إني لا أصلح لها ، لقوله : « لست بخيركم » ، ومَنْ نفى عن نفسه صلاحيتَه للإمامة ، لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره .

---

(1) يثور : يبحث .

واعلم أنَّ الكلام في هذا الموضع مبنيّ على أنّ الأفضليّة هل هي شرط في الإمامة أم لا ؟ وقد تكلّمنا في شـرح « الغرر » لشيخنـا أبي الحسين[1] رحمـه الله تعالى في هـذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب .

وقوله عليه السلام : « لشدّ ما تشطّرا ضرعيها » ، شدّ ، أصله « شدد » ، كقولـك : حبّ في « حبَّـذا » أصله حَبَب ، ومعنى « شدّ » صـار شديـداً جـدًّاً ، ومعنى « حبّ » صـار حبيباً ، قال البحتريّ :

شَدّ ما أغـرِيَتْ ظَلُومُ بهَجْرِي   بَعْدَ وَجْدِي بها وَغُلَّةِ صَدْرِي[2]

وللناقة أربعـة أخلاف : خِلفـان قادمـان وخِلْفان آخـران ، وكلّ اثنـين منهما شـطر . وتَشَطَّرا ضَرْعيها اقتسما فائدتها ونفعها . والضمير للخلافة ، وسَمّى القادمينْ معاً ضَـرْعا ، وسَمَّى الآخرين مَعاً ضَرْعا لَمَّا كانا ـ لتجاورهما ، ولكونهما لا يُحْلَبان إلَّا معا ـ كشيء واحد .

وقوله عليه السلام : « فجعلها في حَوْزَة خشناء » ، أي في جهة صعبة المرام ، شديدة الشَّكيمة . والكَلْم : الجرح .

وقـوله : « يغلُظ » من النـاس مَنْ قـال : كيف قـال : « يغلظ كَلْمهـا » ، والكَلْم لا يوصف بالغِلَظ ! وهذا قلّة فَهْمٍ بالفصاحة ، ألا ترى كيف قد وصف الله سبحانه العـذاب بـالغِلظ ، فقـال : ﴿ وَنَجَّيْنَـاهُمْ مِنْ عَـذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[3] أي متضـاعف ، لأن الغليظ من الأجسام هو ما كَثُف وجسم ، فكان أجزاؤه وجواهره متضاعفة ، فلما كان العذاب ـ أعاذنـا الله منه ـ متضاعفاً ، سُمِّيَ غليظاً ؛ وكـذلك الجُـرح إذا أمعن وعَمُق ، فكأنّـه قد تضـاعف وصار جُروحاً ، فسمي غليظاً .

إن قيل : قد قال عليه السلام « في حَوْزَةٍ خَشْنَاء » فوصفها بالخشونة ، فكيف أعاد ذكر الخشونة ثانية فقال : « يَخْشُنُ مَسُّها » !

قيل : الاعتبار مختلف ؛ لأن مراده بقوله : « في حوزة خشناء » أي لا يُنال ما عندها ولا يرام ، يقال : إنّ فلاناً لخشِن الجانب ووعر الجانب ، ومراده بقوله : « يَخشنُ مَسُّها » ، أي

---

(1) هو أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب المتكلم المعتـزلي ؛ توفي سنـة ٤٣٦ ، وكتابـه « غرر الأدلـة » . ذكره ابن خلكان ١ : ٤٨٢ .

(2) ديوانه ٢ : ٩٧٠ (طبعة المعارف) .

(3) سورة هود ٥٨ .

تؤذي وتضرّ وتنكىء مَنْ يمسّها ؛ يصف جفاء أخلاق الوالي المذكور ونفور طبعه وشدة بادرته .

قوله عليه السلام : « ويكثر العِثار فيها ، والاعتذار منها » ، يقول : ليست هذه الجهة جَدَداً مَهْيَعاً ، بل هي كطريق كثير الحجارة ، لا يزال الماشي فيه عاثراً .

وأما « منها » في قوله عليه السلام : « والاعتذار منها » ، فيمكن أن تكون « مِنْ » على أصلها ، يعني أنّ عمر كان كثيراً ما يحكمُ بالأمر ثم ينقضُه ، ويفتي بالفُتْيا ثم يرجع عنها . ويعتذر مما أفتى به أولاً . ويمكن أن تكون « من » هاهنا للتعليل والسَّببية ، أي ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجلها ، قال :

أمِنْ رَسْم دارٍ مَـرْبَـعٌ وَمصيـفُ لِعَيْنَيْك مِنْ مَاءِ الشُّؤونِ وَكِيفُ[١]!

أي لأجل أن رسم المربع والمصيف هذه الدار وكَف دمعُ عينيك !

والصَّعْبة من النوق : ما لم تُرْكَبُ ولم تُرَضْ ، إنْ أشنَق لها راكبها بالزمام خرم أنفها ، وإن أسلس زمامها تقحّم في المهالك فألقته في مَهْواة أو ماء أو نـار ، أو نَدّت فلم تقف حتى تُردِيَه عنها فَهلك .

وأشنَقَ الرَّجُل ناقَته ، إذا كفّها بالزمام ، وهو راكبها ، واللغة المشهورة شَنَق ، ثلاثية . وفي الحديث : إنّ طلحةَ أُنشِد قصيدةً فما زال شانقاً راحلته ، حتى كتبت له[٢] . وأشْنَق البعيرُ نفسه ، إذا رفع رأسه ؛ يتعدّى ولا يتعـدى ، وأصله من الشِّناق ، وهـو خيطٌ يُشَدُّ بـه فَمُ القِرْبة .

وقال الرضيُّ أبو الحسن رحمه الله تعالى : إنما قال عليه السلام : أشنَقَ لها ، ولم يقل : « أشنقها » ، لأنه جعل ذلك في مقابلة قوله : « أسلس لها » وهذا حسن ، فإنّهم إذا قصدوا الإزدواج في الخطابة فعلوا مثل هذا ، قـالوا : الغـدايا والعشـايا ، والأصـل الغَدَوات جمع غُـدوة . وقـال صـلى الله عليـه وآلـه : « ارجِعْن مـأزورات غـير مـأجـورات » ، وأصله « موزورات » بالواو ، لأنه من الوِزْر .

وقال الرضيّ رحمه الله تعالى : ومما يشهد على أنّ أشْنَقَ بمعنى « شَنَق » قولُ عـديّ بن زيد العِبادي :

---

(١) وكيف الدمع : سيلانه

(٢) الخبر في الفائق ١ :٦٧٧ ، وقال في شرحه : « هو أن يجذب رأسها بزمامها ، حتى يداني قفاها دمة الرحل ؛ وقد شنقها وأشنقها » .

سَاءَهَا مالها تَبَيَّنَ في الأَيْدِي وإشْنَاقُها إلى الأعنَاقِ

قلت : « تبيّنَ » في هذا البيت فعل ماض ، تَبيَّنَ يتبيّن تبيّناً ، واللام في « لها » تتعلق بـ « تَبيّنَ » . يقول : ظهر لها ما في أيدينا فساءها .

وهذا البيت من قصيدة أولها :

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَنُونِ بِبَاقِ غير وَجْهِ المسبَّح الخَلاقِ(١)

وقد كان زارته بنيّة له صغيرة اسمها هند ، وهو في الحبس ـ حبس النعمان ـ ويداه مغلولتان إلى عنقه ، فأنكرت ذلك ، وقالت : ما هذا الذي في يدك وعنقك يا أبت ! وبكت ، فقال هذا الشعر . وقبل هذا البيت :

وَلَقَدْ غَمَّنِي زِيارَةُ ذِي قُرْ بَى صَغِيرٍ لِقُرْبِنَا مُشْتَاقِ
سَاءَهَا مَا لَهَا تَبَيّن في الأَيْدِي وإشْنَاقُها إلى الأعْنَاقِ

أي ساءها ما ظهر لها من ذلك . ويروى : « ساءها ما بنا تبيّن » أي ما بان وظهر ، ويروى « ما بنا تبيّنُ » بالرفع على أنّه مضارع .

ويروى « إشناقُها » بالرفع عطفاً على « ما » ، التي هي بمعنى الذي ، وهي فاعلة . ويروى بالجرّ عطفاً على « الأيدي » .

وقال الرضيّ رحمه الله تعالى أيضاً : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس وهو على ناقة قد شَنَق لها وهي تَقْصَعُ بجِرّتها .

قلت : الجِرّة : ما يعلو من الجوفِ وتجترّه الإبل ، والدِّرة : ما يسفل . وتَقْصَعُ بها : تدفع ، وقد كان للرضيّ رحمه الله تعالى إذا كانت الرواية قد وردت هكذا أن يحتجّ بها على جواز « أشنق لها » ، فإن الفعل في الخبر قد عُدّيَ باللام لا بنفسه .

قوله عليه السلام : » فمِنِيَ الناس » أي بليَ الناس ، قال :

* مُنِيتُ بِزَمَّرْدَةٍ كالعَصَا(٢) *

والخَبْط : السَّيْر على غير جَادّة ، والشِّماس : النِّفار . والتلوّن : التبدُّل . والاعتراض : السَّيرُ لا على خط مستقيم ، كأنّه يسير عَرْضاً في غضون سيره طولاً ، وإنما

---

(١) الأغاني ٢ : ١١٦ ، اللسان (شنق) .

(٢) لأبي الغطمش الحنفي ؛ ذكره أبو تمام في الحماسة ١٨٨١ ـ بشرح المرزوقي ، ورواه : « بِزِنْمِرْدَةٍ » ، وقال : هو حجز يملأ الكف » ، وبعده :

* الصَّ وأخبثَ مِنْ كِنْدِشِ *

يفعل ذلك البعير الجامح الخابط . وبعيرٌ عُرْضِيّ : يعترض في مسيره ؛ لأنه لم يتمّ رياضته ، وفي فلان عُرْضِيّة ، أي عَجْرفة وصُعوبة .

* * *

ثم قال عليه السلام :

حَتَّى إذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ ، جَعَلَهَا فِي ستَّةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَـدُهُمْ ؛ فَيَالله وَلِلشُّـورَى ! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْـرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّـظَائِرِ ! لكنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا ، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا ، فَصَغا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ، وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهنٍ .

* * *

الشرح :

اللام في « يالله » مفتوحة ، واللام في « ولِلشورى » مكسورة ؛ لأن الأولى للمدعّـو ، والثانية للمدعو إليه ، قال :

يـالَلرِّجال لِيـومِ الأربِعاء أمـا ينفكّ يُحدِث لي بَعْد النُّهى طَرَبا[1]!

اللام في « للرجال » مفتوحة ، وفي « ليوم » مكسورة . وأسفّ الـرجل ، إذا دخل في الأمر الدنيء ، أصله من « أسفّ الطائر » إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضغن : الحقد .

وقوله « مع هنٍ وهنٍ » ، أي مع أمور يكنى عنها ولا يصرّح بذكرها ، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشرّ ، قال[2] :

* عَلَى هَنَواتٍ شَرُّها مُتتابعُ *

يقول عليه السلام : إنّ عمر لما طُعن جعل الخلافة في ستّة ، هو عليه السلام أحدهم ، ثم تعجب من ذلك ، فقال : متى اعترض الشك فيّ مع أبي بكر ، حتى أقـرن بسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأمثالهما ! لكنّي طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهمْ كما طلبته أولاً وهو موسوم بأكابرهم ؛ أي هو حق فلا أستنكف من طلبه ، إن كان المنازع فيه جليـل القدر أو صغير المنزلة .

---

(١) لعبد الله بن مسلم بن جندب في الكامل ٣ : ٢٧٠ من غير نسبة ، وهو أيضاً من أبيات رواها ثعلب في المجالس ٤٧٤ ، وهي في معجم البلدان ١ : ١٣٦ .

(٢) البيت في اللسان (٢٠ : ٢٤٣) من غير نسبة ، وأوله :

* أرَى ابنَ نزارٍ قَدْ جَفاني ومَلَّني *

وصغا الرجل بمعنى مال ، الصَّغْو : الميل ، بالفتح والكسر .

قصة الشورى

وصورة هذه الواقعة أنّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤة ، وعَلم أنّه ميت ، استشار فيمن يولِّيه الأمر بعده ، فأُشير عليه بابنه عبد الله ، فقال : لاها الله إذاً ، لا يليها رجلان من وَلَد الخطاب ! حسب عمر ما حُمِّل ! حَسْبُ عمر ما احتقب ، لاها الله ! لا أتحملها حياً وميتاً ! ثم قال : إن رسول الله مات وهو راض عن هذه الستة من قريش : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ وقد رأيتُ أن أجعلَها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم . ثم قال : إن اسْتَخْلِف فقد استخلف مَنْ هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترُكْ فقد تَرَكَ من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - ثم قال : ادعُوهم لي ، فدعوْهم ، فدخلوا عليه وهو مُلقىً على فراشه يجود بنفسه .

فنظر إليهم ، فقال : أكلّكُم يطمعُ في الخلافة بعدي ! فوَجَموا ، فقال لهم ثانية ، فأجابه الزُّبير وقال : وما الذي يُبعدنا منها ! وليتَها أنتَ فقمتَ بها ، ولسْنا دونكَ في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة .

قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ : والله لولا عِلْمه أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك لم يُقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة ، ولا إن يَنْبِس منه بلفظة

فقال عمر : أفلا أخبرُكم عن أنفُسِكم ! قال : قل ، فإنا لو استعفيناك لم تُعفنا ، فقال: أما أنت يا زبير فَوَعِق لَقِس[1] ، مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، يوماً إنسان ، ويوماً شيطان ، ولعلها لو أفضتْ إليك ظَلْتَ يومَك تُلاطم بالبطْحاء على مُدٍّ من شعير ! أفرأيتَ إن أفضت إليك ! فليت شِعْري ، مَنْ يكون للناس يومَ تكون شيطاناً ، ومنْ يكون يومَ تغضب ! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة ، وأنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة - وكان له مبغِضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر - فقال له : أقول أم أسكت ؟ قال : قل ، فإنك لا تقول من الخير شيئاً ، قال : أما إني أعرفك منذ أصيبتْ إصبعك يوم أُحُد والبَأْو[2] الذي حدث لك ، ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أُنْزِلت آية الحجاب .

---

(١) الوعق : الضجر المتبرم ، واللقس : من لا يستقيم على وجه .

(٢) البأو : الكبر والفخر . ونقل صاحب اللسان عن الفقهاء : « في طلحة بأواء » .

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى : الكلمة المذكورة أنّ طلحة لما أنزلَتْ آية الحجاب قال بمحضر ممَنْ نقل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم ! وسيموت غَدا فننكِحُهُنّ . قال أبو عثمان أيضاً : لو قال لعمر قائل : أنت قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم مات وهو راض عن الستة ، فكيف تَقول الآن لطلحة إنه مات عليه السلام ساخطاً عليك للكلمة التي قلتَها ! لكان قد رماه بمشاقصه[١] ، ولكن مَن الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا ، فكيف هذا !

قال : ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال : إنما أنت صاحبُ مِقْنَب[٢] من هذه المقانب ، تقاتل به ، وصاحب قَنَص وقَوْس وأسهم ، وما زُهْرة[٣] والخلافة وأمور الناس !

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف ، فقال : وأما أنت يا عبد الرحمن ، فلو وُزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانُك به ، ولكن ليس يَصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك ، وما زهرة وهذا الأمر !

ثم أقبل على عليّ عليه السلام ، فقال : لله أنت لولا دُعابة فيك ! أما والله لئن وليتهم لتحملنّهم على الحق الواضح ، والمحجّة البيضاء*.

ثم أقبل على عثمان ، فقال : هيها إليك ! كأني بك قد قلدتكْ قريش هذا الأمر لحبّها إياك ، فحملتَ بني أمية وبني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، وآثرتهم بالفيء ، فسارت إليك عصابة من ذُؤبان العرب ، فذبحوك على فراشك ذبحاً . والله لئن فعلوا لتفعلنّ ، ولئن فعلت ليفعلُنّ . ثم أخذ بناصيته ، فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ؛ فإنه كائن .

ذكر هذا الخبر كلّه شيخنا أبو عثمان في كتاب « السُّفيانية »[٤] ، وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر . وذكر أبو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال : وَرَوى معمر بن سليمان التيميّ عن أبيه عن سعيد بن المسيّب عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورى : إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها

---

(١) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو نصل السهم إذا كان طويلاً .

(٢) المقنب : جماعة الخيل .

(٣) زهرة : قبيلة سعد بن أبي وقاص .

(٤) في المسعودي ٣ : ٢٥٣ أن الجاحظ ألف كتاباً في نصرة معاوية بن أبي سفيان .

* ولا أدري والله لِمَ لمْ تولّه يا أبا حفص إذا كان سيحملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء !

وأولادكم وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم ، غَلَبكم على هذا الأمر معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية حينئذٍ أمير الشام*.

ثم رجع بنا الكلام إلى تمام قصة الشورى . ثم قال : ادعوا إليّ أبا طلحة الأنصاري فدعّوه له فقال : أنظر يا أبا طلحة ، إذا عدتم من حُفْرتي ، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم ، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت ، وقفْ بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم ، فإن اتّفق خمسة وأبَى واحد فاضرب عنقه وإن اتفق أربعة وأبَى اثنان فاضرب أعناقهما ، وإن اتّفق ثلاثة وخالف ثلاثة ، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ، فارجع إلى ما قد اتفقتْ عليه ، فإن أصرّت الثلاثة الأخرى على خِلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمرٍ ، فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفُسِهم**.

فلما دُفِن عمر ، جَمَعهم أبو طلحة ، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار ، حاملي سيوفهم ، ثم تكلّم القوم وتنازعوا ، فأوّلُ ما عمل طلحة أنّه أشهد على نفسه أنّه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، وذلك لعلمه أنّ الناسَ لا يعدِلون به علي وعثمان ، وأن الخلافة لا تخلُصُ له وهذان موجودان ، فأراد تقوية أمر عثمان واضعاً جانب عليّ عليه السلام ، بهبَة أمر لا انتفاعَ له به ، ولا تمكُّن له منه .

فقال الزبيرُ في معارضته: وأنا أشهدكم على نفسي أنّي قد وهبتُ حقّي من الشورى لعليّ ؛ وإنما فعل ذلك لأنه لما رأى عليّاً قد ضَعُف وانخزل بهبَةِ طلحة حقَّه لعثمان ، دخلته حميَّة النسَب ، لأنه ابنُ عمة أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي صفيّة بنت عبد المطلب وأبو طالب خالُه . وإنّما مال طلحةُ إلى عثمان لانحرافه عن عليّ عليه السلام ، باعتبار أنه تَيْميّ ، وابنُ عمّ أبي بكر الصديق ، وقد كان حصلَ في نفوس بني هاشم من بني تَيْم حَنَق شديد لأجل الخلافة ، وكذلك صار في صدور تَيْم على بني هاشم ؛ وهذا أمرٌ مركوز في طبيعة البَشر ، وخصوصاً طينة العرب وطباعها ، والتجربة إلى الآن تحقق ذلك ؛ فبقيَ من الستة أربعة .

فقال سعد بن أبي وقاص : وأنا قد وهبتُ حقِّي من الشورى لابن عَمّي عبد الرحمن ـ

---

* وهو أول ترشيح لمعاوية ليكون الخليفة .

** ولا ندري من أين استقىٰ الفاروق هذا الحكم ، أمن كتاب الله أم سنة رسول الله (ص)؟ ثم لماذا إذا ما كانوا ثلاثة وثلاثة فإن الخليفة في الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف ؟ إن هذا حكم غريب من الخليفة العادل .

وذلـك لأنهما من بني زُهْرة ، ولعلم سعـد أنَّ الأمرَ لا يتمّ لـه ـ فلما لم يبقَ إلاَّ الثلاثـة . قال عبد الرحمن لعليّ وعثمان : أيّكما يُخرج نفسَه من الخلافـة ، ويكون إليـه الاختيار في الاثنـين الباقيين ؟ فلم يتكلّم منهما أحد ، فقال عبد الـرحمن : أشهدُكم أنّني قـد أخرجتُ نفسي من الخلافة على أن أختار أحدَهما ، فأمسكا . فبدأ بعليّ عليه السلام ، وقال له : أبـايعك عـلى كتاب الله ، وسنة رسول الله ، وسيرة الشيخين : أبي بكر وعمر . فقال : بل على كتاب الله وسنّة رسوله واجتهاد رأيي . فعدل عنه إلى عثمان ، فعرض ذلك عليه ، فقال : نعم ، فعاد إلى عليّ عليه السلام ، فأعاد قوله ؛ فعَل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أنّ علياً غيرُ راجع عَمّا قاله*، وأنّ عثمان يُنعِم له(١) بالإجابة ، صفَق(٢) على يد عثمان ، وقال : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال : إنَّ علياً عليه السلام قال له : والله ما فعلتَها إلاَّ لأنك رجوتَ منه ما رجَا صاحبُكما من صاحبه ، دقّ الله بينكما عِطْرَ مَنْشِم(٣) .

قيل : ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن ، فلم يكلِّم أحدُهما صاحبَه حتى مات عبد الرحمن .

ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل :

أما قوله عليه السلام : « فصغا رجل منهم لضِغْنه » ، فإنه يعني طلحة . وقال القطب الراونديّ : يعني سعدَ بن أبي وقّاص ؛ لأنّ علياً عليه السلام قتل أباه يوم بدر . وهذا خطأ فـإن أباه أبـو وقّاص ، واسمـه مالـك بن أهيب بن عبد منـاف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ؛ مات في الجاهلية حَتْف أنفِه .

وأما قوله : « ومال الآخرُ لِصهْره » يعني عبدَ الرحمن مـال إلى عثمان ، لأن أم كلثـوم

---

* هنا تبرز عظمة أمير المؤمنين ، إذ لم يقبل البيعة مشروطة بشروط منها ما هو مُتَّهَم عنده او على الأقل ليس بأفضل مما لديه من العلم والسير كما أراد رسول الله (ص) تماماً . ورب قائل يقول : لِمَ لم يقبل بشرط سيرة الشيخين ثم يعمل وفق ما يرتأيه بعدما يبايع ، والجواب أنه لو فعل ذلك لثبت للناس في كـل العصور أن سيـرة الشيخين لا غبـار عليها ، أي أن الامام كان يعمل لجميع الأجيال ، ما عاصره وما يليه وليس هو ممن يبيع الآجل بالعاجل .

(١) أنعم له ؛ إذا قال مجيباً « نعم » .

(٢) يقال : صفق يده بالبيعة وعلى يده صفقاً ، أي ضرب بيده على يده .

(٣) قال الأصمعي : منشم ، بكسر الشين : اسم امرأة كانت بمكة عطارة ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيـما بينهم ، فكان يقـال : أشأم من عـطر منشم ؛ فصار مثلاً . صحاح الجوهري : ٢٠٤١ .

بنت عُقْبة بن أبي معيط كانت تحتَـه ، وأمّ كلثوم هـذه هي أخت عثمان من أمـه أرْوَى بنت كُرَيز .

وروى القُطْب الراونديّ أنّ عمر لما قال : كونوا مع الثَّلاثة التي عبد الرحمن فيها ، قال ابن عباس لعليّ عليه السلام : ذهبَ الأمرُ منّا ، الرجلُ يريد أن يكون الأمر في عثمان . فقال عليّ عليه السلام : وأنا أعلمُ ذلك، ولكنّي أدخل معهم في الشورى، لأنَّ عمر قد أهّلني الآن للخلافة ، وكان قبل ذلك يقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ النبوّة والإمامةَ لا يجتمعان في بيت ، فأنا أدخل في ذلك لأظْهِر للناس مناقضة فعله لروايته .

الذي ذكره الراونديّ غير معروف ، ولم ينقُلْ عمر هذا عن رسول الله صلى الله عليه ، ولكنّه قال لعبد الله بن عباس يوماً : يا عبد الله ، ما تقول منع قومكم منكم ؟ قال: لا أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : اللهم غفـراً ! إن قومكم كـرهوا أن تجتمـع لكم النبوّة والخـلافة ، فتـذهبـون في السـماء بُـذّخـاً وشُمَّخـاً ، لعلكم تقـولـون : إن أبـا بكـر أراد الإمْـرَة عليكم وهَضَمكم ! كلَّا ، لكنّه حضره أمر لم يكن عنده أحزمَ مما فعل ، ولولا رأيُ أبي بكر فيَّ بعـد موته لأعاد أمرَكم إليكم ، ولو فعل ما هنأكم مع قومكم ، إنّهم لينظرون إليكم نظر الثَّوْر إلى جازره* .

فأما الرواية التي جاءت بأنّ طلحـة لم يكن حاضـراً يوم الشـورى ، فإن صحّتْ فـذُو الضِّغن هو سعد بن أبي وقاص ، لأن أمه حَمْنَة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، والضغينة التي عنده على عليّ عليه السلام من قِبَل أخواله الذين قتل صناديدَهم ، وتقلّد دماءهم ؛ ولم يُعْرف أن عليّاً عليه السلام قَتَل أحداً من بني زُهْرة ليُنْسَب الضِّغن إليه .

---

* وهنا مربط الفرس ، هنا أحد الأسباب الرئيسة إن لم يكن أهمها في صرف الخلافة عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف لا ولم يبق علي ابن أبي طالب بيتاً من العرب إلاّ وقتل منه كافراً أو منافقاً ، وحسبك أنه قتل نصف ما قُتِلَ من قريش يوم بدر وهو اليوم الذي لا ينساه المسلمون والكافرون على حدّ سواء . فالأمر منذ السقيفة وحتى ما شاء الله هو كما قال دعبل :

وما نَالَ أصحاب السَّقِيفَةِ إمْرةً　　　بِدَعوَى تُرَاثٍ بل بِأمْرِ تِراثِ

ثم أن هناك أمراً هاماً ، وهو في كلام عمر مع ابن عباس وغيره إذ يعطي سبب صرف الخلافة عن علي بكراهية ذلك من (قريش) أو (العرب) أو (قومكم) على حد تعبيره ، فإن كان عمر معهم فيما كرهوا ، عند ذلك يصبح مع الذين احلّوا رأيهم محل ما أراد الله ، وإن لم يكن هناك ، أما كان عليه أن ينصر صاحب الحق أو يعتزل على الأقل ؟

وهذه الرواية هي التي اختارها أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ صاحب « التاريخ » قال : لّما طُعن عمر[1] قيل له : لو استخلفت يا أمير المؤمنين ! فقال : من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدةَ حَيّاً لاستخلفته وقلت لربي لو سألني : سمعتُ نبيّك يقول : « أبو عبيدة أمين هذه الأمة » ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حَيّاً استخلفته*، وقلت لربّي إن سألني : سمعتُ نبيَّك عليه السلام يقول : « إنَّ سالماً شديدُ الحبِّ لله » فقال رجل : وَلِّ عبد الله بن عمر ، فقال : قاتَلَك الله ! والله ما الله أردتَ بهذا الأمر ويحك ! كيف أستخلفُ رجلاً عجز عن طلاق امرأته ! لا أَرَبَ لعمر في خلافتكم ما حمِدْتُها فأرغبَ فيها لأحد من أهل بيتي ؛ إن تك خيراً فقد أصبنا منه ، وإن تَك شراً يُصرَف عنّا . حسبُ آلِ عمر أنْ يحاسبَ منهم رجل واحد ، ويُسأل عن أمر أمة محمد .

فخرج الناس من عنده ، ثم راحوا إليه فقالوا له : لو عهدتَ عهداً ! قال : قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي لكم أنْ أولِّيَ أمرَكم رجلاً هو أحراكم أن يحمِلكم على الحق وأشار إلى عليّ عليه السلام ـ فرهِقْتني غشية ، فرأيت رجلاً يدخل جنّة قد غرسها فجعل يقطف كلَّ غضّة ويانعة ؛ فيضمّها إليه ، ويصيرها تحته ، فخفت أن أتحمّلَها حيّاً وميتاً ، وعلمت أنَّ الله غالب أمره عليكم بالرهط الذي قال رسول الله عنهم : إنهم أهل الجنة ، ثم ذكر خمسة : عليّاً ، وعثمان ، وعبد الرحمن ، والزبير ، وسعداً**.

ـ قال : ولم يذكر في هذا المجلس طلحة ، ولا كان طلحة يومئذٍ بالمدينة ـ

ثم قال لهم : انهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا فيها ، ووضع رأسَه وقد نزفه الدم فقال العباس لعليّ عليه السلام : لا تدخلْ معهم ، وارفع نفسَك عنهم ، قال : إنّي أكره الخلاف ، قال : إذنْ ترى ما تكره ، فدخلوا الحجرة فتناجوْا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : إنَّ أمير المؤمنين لم يُمتْ بعد ، ففيم هذا اللّغط ! وانتبه عمر ، وسمع الأصوات ، فقال : ليُصلِّ بالناس صُهيب ، ولا يأتينَّ اليوم الرابع من يوم موتي إلاَّ وعليكم أمير ، وليحضر عبدُ الله بن عمر مشيراً وليس له شيء من الأمر ، وطلحة بن عبد الله شريككم في الأمر ، فإن قدم إلى ثلاثة أيام فأحضروه أمرَكم ، وإلاَّ فأرضُوه ، ومَنْ لي برضا طلحة ! فقال سعد : أنا لك به ، ولن يخالف إن شاء الله تعالى .

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٢٧ وما بعدها (طبع دار المعارف) مع تصرف واختصار.

* ثبت عن رسول الله (ص) بأن الخلافة لا تكون إلاّ في قريش فكيف تريد يا أبا حفص أن تولَّ سالماً وهو من الموالي ؟!

** وهكذا تصرف الخلافة عن صاحبها بالرؤى والأحلام .

ثم ذكر وصيّته لأبي طلحة الأنصاري وما خصّ به عبد الرحمن بن عوف من كَوْن الحق في الفئة التي هُوَ فيها وأمْرَه بقتل من يخالف ، ثم خرج الناسُ فقال عليّ عليه السلام لقوم معه من بني هاشم : إنْ أُطِيعَ فيكم قومُكم من قريش لم تؤمّروا أبداً .

وقال للعباس : عُدِل بالأمر عني يا عمّ . قال : وما علمك ؟ قال : قُرن بي عثمان . وقال عمر : كونوا مع الأكثر ، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ، فسعد لا يخالفُ ابنَ عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان ، فيولِّيها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخران مَعِي لم يُغْنِيا شيئاً . فقال العباس : لم أدْفعك إلى شيء إلاّ رجعت إليّ مستأخراً بما أكره ، أشرتُ عليك عِند مرض رسول الله صلى الله عليه أنْ تسأله عن هذا الأمر فيمن هو فأبيت*، وأشرت عليك عند وفاته أنْ تعاجل البَيْعة فأبيت ، وقد أشرتُ عليك حينَ سمّاك عمر في الشورى اليوم أن ترفَع نفسك عنها ، ولا تدخل معهم فيها فأبيت ، فاحفظ عني واحدة ؛ كلّما عرض عليك القوم الأمر فقل : لا ، إلاّ أن يولّوك . واعلم أنّ هؤلاء لا يبرحون يدفعونك عن هذا الأمر حتى يقوم لك به غيرُك ، وايم الله لا تناله إلاّ بشرّ لا ينفع معه خير . فقال عليه السلام : أما إنّي أعلم أنهم سيولّون عثمان ، وليحدِثن البدع والإحداث ، ولئن بقي لأذكرنّك ، وإن قتلْ أو مات ليتداولُها بنو أمية بينهم ، وإن كنت حيّاً لتجدنّي حيث تكرهون ، ثم تمثل :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرّاقِصَاتِ عَشِيّةً ... غَدَوْنَ خِفافاً يبتدرْنَ المحصَّبَا

ليجْتَلبن رهطُ ابن يعمـرَ غدوة ... نجيعاً بنو الشُّدّاخِ وِرْداً مُصلّبا

قال : ثم التفتَ فرأى أبا طلحة الأنصاريّ ، فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لا تُرَع

* والحق أني أشك في هذا الكلام جملة وتفصيلاً ، لأن العباس يعلم بأن أمير المؤمنين هو الوصي وهو صاحب بيعة الغدير . . . الخ ، فليس هناك حاجة لسؤال رسول الله (ص) عن أمر مفروغ منه . أضف إلى ذلك أن أمير المؤمنين لم يكن يتوقع صرف الأمر عنه مطلقاً لما ورد عنه في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها وسيأتي برقم ٤١ فراجع .

* أنظر إلى جاهلية بعض المسلمين وتمسكهم بما الغاه الإسلام من التفضيل على أناس العشيرة .

(١) هو أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي ، صنف كتابه في الجمع بين غريب القرآن والحديث.

أبا حسن . فلما مات عمر ودُفِن وخَلَوْا بأنفسهم للمشاورة في الأمر ، وقام أبو طلحة يحجُبهم بباب البيت ، جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، فجلسا بالباب ، فحصَبهما سعد وأقامهما ، وقال : إنما تريدان أن تقولا حَضَرْنا وكُنّا في أصحاب الشورى .

فتنافس القومُ في الأمر وكَثُر بينهم الكلام ، فقال أبو طلحة : أنا كنتُ لأنْ تدافعوها أخوفَ مني عليكم أن تنافسوها ! أما والّذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي وقفت لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم !

قال : ثم إنّ عبد الرحمن قال لابن عمه سعد بن أبي وقاص : إني قد كرهتُها ، وسأخلع نفسي منها ، لأني رأيت الليلة رَوْضَةً خضراء كثيرة العُشْب ، فدخل فحل ما رأيت أكرم منه ، فمرّ كأنه سهم لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها ، لم يعرّج ، ودخل بعير يتلوه تابع أثره ، حتى خرج منها . ثم دخل فَحْل عبقريّ يجرّ خِطامه ، ومضى قصد الأولين ، ثم دخل بعير رابع ، فوقع في الروضة يرتَع ويخضم . ولا والله لا أكون الرابع وإن أحداً لا يقوم مقام أبي بكر وعمر فيرضى الناس عنه .

ثم ذكر خَلْعَ عبد الرحمن نفسَه من الأمر ، على أن يولِّيَها أفضَلهم في نفسه ، وأن عثمان أجاب إلى ذلك ، وأن علياً عليه السلام سكت ، فلما روجع رضي على موثقٍ أعطاه عبد الرحمن ؛ أن يؤثر الحق ، ولا يتبع الهوى ، ولا يخصّ ذا رحم ، ولا يألو الأمة نصحاً ، وأن عبد الرحمن ردّد القول بين عليّ وعثمان متلوِّماً ، وأنه خلا بسعد تارة ، وبالمسوّر بن مخرمة الزهريّ تارة أخرى ، وأجال فِكْرَهُ ، وأعمل نظره ، ووقف موقفَ الحائر بينهما . قال : قال عليٌّ عليه السلام لسعد بن أبي وقاص : يا سعد ، ﴿ **اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ ، أسألك برحِم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وبِرَحم عَمّي حمزة منك ، ألّا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا .

ـ قلت : رحِمُ حمزة من سعد ، هي أنّ أم حمزة هالة بنت أهيب بن عبد مناف ابن زُهرة ؛ وهي أيضاً أم المقَوَّم . وجَحْفل ـ واسمه المغيرة ـ والغيداق أبناء عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ هؤلاء الأربعة بَنُو عبد المطلب من هالة ، وهالة هذه هي عمة سعد بن أبي وقاص ؛ فحمزة إذَنْ ابن عمة سعد ؛ وسعد ابن خال حمزة ـ .

قال أبو جعفر : فلما أتى اليومُ الثالث جَمَعهم عبد الرحمن ، واجتمع الناس كافة ، فقال عبد الرحمن : أيُّها الناس ، أشيروا عليّ في هذين الرجلين . فقال عمّار بن ياسر : إن أردتَ

الاّ يختلف الناس، فبايعْ عليّاً عليه السلام ، فقال المقداد : صدق عمار ، وإن بايعتَ علياً سمعْنا وأطعنا . فقال عبد الله بن أبي سَرْح : إن أَردتَ ألاّ تختلف قريشٌ ، فبايعْ عثمان . وقال عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ : صدق ، إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا فشتم عَمَّارٌ ابنَ أبي سَرْح ، وقال له : مَتى كنت تنصح الإسلام !

فتكلّم بنو هاشم وَبنو أمية ، وقام عمار ، فقال : أيّها الناس ، إن الله أكرمَكم بنبيِّه ، وأعزّكم بدينه ، فإلى متى تصرفون هذا الأمرَ عن أهل بيت نبيكم ! فقال رجل من بني مخزوم : لقد عَدَوْتَ طورَك يا بن سَميّة ، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها ! فقال سعد : يا عبدَ الرحمن، افرُغ من أمرك قبل أن يفتِتن الناس . فحينئذٍ عَرَض عبد الرحمن على عليّ عليه السلام العملَ بسيرة الشيخين ، فقال : بل أجتهد برأيي . فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال : نعم . فقال عليّ عليه السلام : ليس هذا بأوّلِ يوم تَظاهرتُم فيه علينا ، فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون ؛ والله ما ولّيتَه الأمرَ إلاّ ليردّه إليك ، والله كلّ يوم في شأن .

فقال عبد الرحمن : لا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً يا عليّ - يعني أمْرَ عمر أبا طلحة أن يضرب عُنُقَ المخالف - فقام عليّ عليه السلامِ فخرج ، وقال : سيبلغ الكتابُ أجلَه ، فقال عمَّار : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركتَه ، وإنّه من الذين يقضون بالحق وبه كانوا يعدلون . فقال المقدادُ : تالله ما رأيتُ مثلَ ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم ، واعجباً لقريش ! لقد تركتْ رجلاً ما أقولُ ولا أعلم أن أحداً أقْضَى بالعدل ولا أعلم ولا أتقى منه ! أما والله لو أجد أعواناً ! فقال عبد الرحمن : اتّقِ الله يا مقداد ، فإني خائف عليك الفتنة .

وقال عليّ عليه السلام : إني لأعلمُ ما في أنفسهم ؛ إنَّ الناس ينظرون إلى قريش ، وقريش تنظر في صلاح شأنها ، فتقول : إنْ وَلِيَ الأمرَ بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً ، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش .

قال : وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فتلكّأ ساعة ، ثم بايع .

وروى أبو جعفر رواية أخرى أطالها ، وذكر خطب أهل الشورى وما قاله كل منهم وذكر كلاماً قاله عليّ عليه السلام في ذلك اليوم ، وهو :

الحمدُ لله الذي اختار محمداً منا نبيّاً ، وابتَعثه إلينا رسولا ، فنحنُ أهل بيت النبوَّة ومعدن الحكمة ؛ أمانٌ لأهل الأرض ، ونجاةٌ لمن طلب ؛ إنّ لنا حقّاً إن نعطَه نأْخذه، وإن نمنعه نركبْ أعجاز الإبل وإن طال السُّرَى ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً

لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجالدْنا عليه حتى نموت . لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقٍّ وصلة رَحِم ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم . اسمعوا كلامي ، وعوا منطقي ، عسى أن ترَوْا هذا الأمر بعد هذا الجمع تُنْتَضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ؛ حتى لا يكون لكم جماعة ، وحتى يكون بعضُكم أئمةً لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة .

* * *

قلت : وقد ذكر الهرويّ[1] في كتاب « الجمع بين الغريبين » قوله : « وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل » ، وفسّره على وجهين :

أحدهما : أنّ من ركب عَجُز البعير يعاني مشقة ، ويقاسي جهداً ، فكأنّه قال : وإن نمنَعه نصبرْ على المشقة ؛ كما يصبر عليها راكبُ عجزُ البعير .

والوجه الثاني : أنه أراد : نتبع غيرنا ، كما أنّ راكبَ عجز البعير يكون رَديفاً لمن هو أمامه ، فكأنه قال : وإن نمنعه نتأخر ونتبع غيرنا كما يتأخر راكب البعير .

* * *

وقال أبو هلال العسكريّ في كتاب « الأوائل » : استجيبت دعوة عليّ عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن ، فما ماتا إلاَّ متهاجرين متعاديين . أرسل عبد الرحمن إلى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد وليتُك ما وليتك من أمر الناس ، وإن لي لأموراً ما هي لك : شهدتُ بدراً وما شهدتَها ، وشهدتُ بَيْعةَ الرضوان وما شهدتَها ، وفررتَ يوم أحُد وصبرتُ ؛ فقال عثمان لرسوله : قل له : أمّا يومَ بدْر فإن رسول الله صلى الله عليه رَدّني إلى ابنته لِما بها من المرض ، وقد كنتُ خرجتُ للذي خرجتَ له ، ولقيتُه عند منصرفه ، فبشّرني بأجرِ مثل أجوركم ، وأعطاني سهماً مثل سهامكم . وأما بَيْعة الرضوان فإنّه صلى الله عليه بعثني أستأذن قريشاً في دخوله إلى مكة ، فلما قيل له : إني قُتلت ، بايع المسلمين على الموت ، لما سمعه عني ، وقال : إن كان حيّاً فأنا أبايع عنه ، وصَفَق بإحدى يديه على الأخرى ، وقال : يساري خير من يمين عثمان ، فيدك أفضل أم يد رسول الله صلى الله عليه ! وأما صبرُك يوم أُحد وفِراري ، فلقد كان ذلك ، فأنزل الله تعالى العفوَ عني في كتابه ، فعيّرتَني بذنب غفره الله لي ، ونسيت من ذنوبك ما لا تَدْري أغفر لك أم لم يغفر !

لما بنى عثمان قصره طَمار[2] بالزوراء ، وصنع طعاماً كثيراً، ودعا الناس إليه ، كان

(١) هو أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي ، صنف كتابه في الجمع بين غريب القرآن والحديث .

(٢) طمار : موضع عند سوق المدينة ، ذكره ياقوت .

فيهم عبد الرحمن ، فلما نظر للبناء والطعام قال: يا بن عفان ، لقد صدّقنا عليك ما كنا نكذّب فيك ، وإني أستعيذ بالله من بيعتك . فغضب عثمان ، وقال : أخرجه عني يا غلام ، فأخرجوه ، وأمر الناس ألاّ يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحد إلاّ ابنُ عباس ، كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض . ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلّمه حتى مات .

* * *

ثم قال عليه السلام :

إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ ، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ ؛ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ .

الشرح :

نافجا حِضنيه : رافعاً لهما ، والحِضن : ما بين الإبط والكشح ، يقال للمتكبر : جاءنا نافجاً حِضْنيه ، ويقال لمن امتلأ بطنه طعاماً : جاء نافجاً حِضْنيه، ومراده عليه السلام هذا الثاني والنّثيل : الروث . والمعتَلف : موضع العلف ؛ يريد أنّ همّه الأكل والرجيع ، وهذا من مِمْضّ الذم ، وأشدُّ من قول الحُطيئة الذي قيل : إنه أهجى بيت للعرب :

دَعِ المَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لُبْغَيَتِهَا وَآقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي(١)

والخَضْم : أكلٌ بكلِّ الفم ، وضدّه القضْم، وهو الأكل بأطراف الأسنان . وقيل : الخَضْم أكلُ الشيء الرَّطْب ، والقَضْمُ أكْلُ الشيء اليابس ؛ والمراد على التفسيرين لا يختلف ، وهو أنّهم على قَدَم عظيمة من النَّهَم وشدّة الأكل وامتلاء الأفواه . وقال أبو ذرّ رحمه الله تعالى عن أبني أمية : يخضَمون ونقضَم ، والموعد الله . والماضي « خَضِمت » بالكسر ، ومثله قَضِمْت .

والنِّبتة ، بكسر النون كالنبات ، تقول : نَبتَ الرطب نباتاً ونِبْتة . وانتكث فتلُه انتفض ؛ وهذه استعارة . وأجهز عليه عمله : تمم قتله . يقال : أجهزتُ على الجريح ، مثل

(١) ديوانه ٥٤ .

ذَفَفْتُ ، إذا أتممتَ قَتله وكَبَتْ به بِطنته ، كبا الجواد ، إذا سقط لوجهه . والبِطنة : الإسراف في الشِّبَع .

* * *

ثم قال عليه السلام :

فَما راعَني إلاَّ وَالنَّاسُ إليَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ ، يَنْثالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جانِب ، حَتّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنانِ ، وَشُقَّ عِطْفايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلي كَرَبيضَةِ الْغَنَمِ . فَلَمّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ ، وَفَسق آخَرُونَ ؛ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[1] ؛ بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوها وَوَعَوْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُها .

* * *

الشرح :

عُرْف الضَّبع ثخين ، ويضرب به المثل في الازدحام . وينثالون : يتتابعون مزدحمين . والحَسَنان : الحسن والحسين عليهما السلام . والعِطْفان : الجانبان من المنكب إلى الورِك ويروى « عطافي » ، والعطاف : الرداء وهو أشبه بالحال ؛ إلاَّ أن الرواية الأولى أشهر والمعنى خُدش جانباي لشِدّة الاصطكاك منهم والزحام .

* * *

وقال القطب الراوندِيّ : الحسنان : إبهاما الرجل ؛ وهذا لا أعرفه .

وقوله : « كربيضة الغنم » أي كالقِطْعة الرابضة من الغنم ، يصف شِدّة ازدحامهم حوله ، وجثومَهم بين يديه .

وقال القطب الراونديّ : يصف بلادَتهم ونقصان عقولهم ؛ لأنَّ الغنَم توصف بقلّة الفطنة . وهذا التفسير بعيد وغير مناسب للحال .

فأما الطائفة النّاكثة ، فهم أصحابُ الجمل ، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صِفّين وسماهم رسول الله صلى الله عليه وآله القاسِطين . وأما الطائفة المارقة فأصحاب النَّهْرَوان

---

(١) سورة القصص ٨٣ .

وأشرنا نحن بقولنا : سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسطين إلى قوله عليه السلام : « ستقاتلُ بعدي الناكثين ، والقاسطين والمارقين » . وهذا الخبر من دلائل نبوّته صلوات الله عليه ، لأنه إخبار صريح بالغيب ، لا يحتمل التمويةَ والتدليس كما تحتمله الأخبار المجمَلة ، وصدَّق قوله عليه السلام : « والمارقين » ، قوله أولاً في الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة » ، وصدق قوله عليه السلام « الناكثين » كونهم نكثوا البيعة بادىء بدء ، وقد كان عليه السلام يتلُو وقت مبايعتهم له : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[1] .

وأما أصحاب صفين ، فإنهم عند أصحابنا رحمهم الله مخلّدون في النار لفِسْقهم فصحّ فيهم قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾[2] .

وقوله عليه السلام : « حليت الدنيا في أعينهم » تقول : حلا الشيء في فمي يحلو : وحليَ لعيني يَحْلَى . والزبرج : الزينةُ من وَشْيٍ أو غيره ، ويقال : الزبرج : الذهب .

فأما الآية فنحن نذكر بعض ما فيها ، فنقول : إنه تعالى لم يعلّق الوعدَ بترك العلو في الأرض والفساد ، ولكن بترك إرادتها ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[3] ؛ علّق الوعيد بالركون إليهم والميل معهم ، وهذا شديد في الوعيد .

ويروى عن أميرِ المؤمنين عليه السلام أنه قال : إنّ الرجل ليعجِبه أن يكون شِراكُ نعله أحسنَ من شِراك نعلِ صاحبه فيدخل تحت هذه الآية . ويقال : إن عمر بن عبد العزيز كان يردّدها حتى قُبِض .

* * *

ثم قال عليه السلام :

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَىٰ ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ ،

(١) سور الفتح ١٠ .
(٢) سورة الجن ١٥ .
(٣) سورة هود ١١٣ .

لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[١] ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُم دُنْيَاكُمْ هَـذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ .

* * *

الشرح :

فَلَق الحبة ، من قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾[٢] . والنَّسَمة : كلّ ذي رُوح من البشر خاصة .

قوله : « لولا حضور الحاضر » ، يمكن أن يريدَ به لولا حضور البيعة ؛ فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها ، ويمكن أن يريد بالحاضر مَنْ حَضَره من الجيش الذين يستعين بهم على الحرب . والكِظّة بكسر الكاف : ما يعتري الإنسان مِن الثِّقل والكَرْب عند الامتلاء من الطعام . والسَّغَب : الجوع . وقولهم : قد ألقى فلان حبل فلان على غاربه ، أي تركه هَمَلاً يسرح حيث يشاء من غير وازع ولا مانع ؛ والفقهاء يذكرون هذه اللفظة في كنايات الطلاق . وعَفْطَة عنز : ما تنثره من أنفها ، عفَطت تعفِط بالكسر ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، فأمّا العنْز فالمستعمل الأشهر فيها « النفطة » بالنون ، ويقولون : ماله عافط ولا نافط ، أي نعجة ولا عنز . فإن قيل : أيجوز أن يقال العفطة هاهنا الحبْقة ؟ فإن ذلك يقال في العنز خاصة ، عفَطت تعفط . قيل : ذلك جائز ، إلاَّ أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام الضمير الأول ؛ فإن جلالته وسؤدده تقتضي أن يكون ذلك أراد لا الثاني ، فإن صحّ أنه لا يقال في العَفطة عَفْطة إلاَّ للنعجة قلنا : إنه استعمله في العنز مجازاً .

يقول عليه السلام : لولا وجود مَنْ ينصرني ـ لا كما كانت الحال عليها أولا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإني لم أكن حينئذٍ واجداً للناصر مع كوني مكلّفاً ألاّ أمكِّن الظالم من ظلمه ـ لتركت الخلافة ، ولرفضتها الآن كما رفضتها قبل ، ولوجدتم هذه الدنيا عندي أهون من عَطْسة عنز وهذا إشارة إلى ما يقوله أصحابنا من وجوب النهي عن المنكر عند التمكن .

* * *

---

[١] الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وارسال الأمر .

(٢) سورة الانعام ٩٥.

قَالوا : وَقَـامَ إلَيْهِ رجُـلٌ مِن أَهْلِ السَّـوَادِ عِنْدَ بُلُوغِـهِ إلَى هَذَا المَـوْضِعِ مِن خُطْبَتِهِ ، فَنَاوَلَهُ كِتاباً فَأَقْبَلَ ينـظر فيه ؛ فلمـا فرغ من قـراءته قَـالَ لَهُ ابْنُ عبـاس رضي اللّهُ عنهمـا : يا أَمِيـر المُؤمنين ، لو اطَّردتْ مَقَالتكَ مِنْ حَيثُ أَفْضَيْتَ : فقـال : هَيْهَات يـابن عباسٍ ! تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ .

قالَ ابن عَبَّاسٍ : فَواللَّهِ مَا أَسِفْتُ على كَلَامٍ قطُّ كَأَسَفِي عَلَى هَذَا الْكَلَام أَلَّا يَكونَ أَمِيرُ المُؤمِنِين بلغَ مِنْهُ حَيْثُ أرادَ .

* * *

قوله عليه السلام في هذِهِ الخُطْبة : « كَرَاكِبِ الصعبةِ إنْ أَشنَقَ لَهَا خَرَم وإنْ أسْلَسَ لها تَقَحَّمَ » يُرِيدُ أَنَّه إذَا شَدَّدَ عَلَيها في جَذْبِ الزِّمام وَهِي تُنَازِعُـهُ رَأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا ، وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيئاً مَعَ صُعُوبَتِها تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهـا يُقَالُ : أَشْنَقَ النَّـاقَةَ إذَا جَـذَبَ رَأْسَهَا بِالزِّمَامِ فَرَفَعَهُ ، وَشَنَقَها أَيْضاً ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ السِّكِيتِ في « إصْلاحِ الْمَنْطِقِ » . وَإِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَشْنَقَ لها » ولَمْ يَقُلْ « أَشْنَقَها » لأنَّهُ جَعَلَهُ في مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ : « أَسْلَسَ لَهَا » ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إن رفَعَ لَهَا رَأْسَهَا بِالزِّمَـامِ يعني أَمْسَكَهُ عَلَيهَـا . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رسـول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَطَبَ عَلَى نَاقة وَقَد شَنَقَ لَهَا فَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا .

ومِن الشَّاهِدِ عَلَى أَنَّ « أَشْنَقَ » بِمَعْنَى شَنَقَ قَوْلُ عديٍّ بن زَيْدٍ الْعِبادِيّ :

سَـاءَهـا مَـالَهَـا تَبيَّنَ فِي الأَيْـ ـدِي وَإِشْنَـاقُهَـا إلَى الأَعْنَـاقِ

* * *

الشرح :

سمِّيَ السواد سواداً لخضرته بـالزروع والأشجـار والنخل ، والعـرب تسمى الأخضر أسود : قال سبحانه : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[1] يريد الخضرة . وقوله : « لـو اطّردت مقـالتك » ، أي أتبعتَ الأوّلَ قولاً ثانياً ! من قولهم اطّرد النهر ، إذا تتابع جريُه .

---

(١) سورة الرحمن ٦٤.

وقوله : « من حيث أفضيت » أصل أفضى خرجَ إلى الفضاء ، فكأنه شبّهه عليه السلام حيث سكت عما كان يقوله ، بمن خرج من خَبَاء أو جدار إلى فضاء من الأرض ، وذلك لأنّ النفس والقُوى والهمة عند ارتجال الخطب والأشعار تجتمع إلى القلب ، فإذا قُطع الإنسان وفرغ ، تفرقت وخرجت عن حجر الاجتماع واستراحت . والشّقشقة ، بالكسر فيهما : شيء يُخرجه البعير من فيه إذا هاج ، وإذا قالوا للخطيب : ذو شقشقة فإنما شبّهوه بالفحل . والهدير : صوتها .

وأما قول ابن عباس : « ما أسِفْت على كلام . . » إلى آخره ، فحدثني شيخي أبو الخير مصدِّق بن شبيب الواسطيّ(١) في سنة ثلاث وستمائة ، قال : قرأتُ على الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فلما انتهيتُ إلى هذا الموضع ، قال لي : لو سمعتُ ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بَقِيَ في نفس ابن عمك أمرٌ لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف ألَّا يكون بلغ من كلامه ما أراد ! والله ما رجع عن الأولين ولا عن الآخرين ، ولا بَقي في نفسه أحد لم يذكره إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال مصدّق : وكان ابن الخشاب صاحبَ دعابة وهزل . قال : فقلت له : أتقول إنها منحولة ! فقال : لا والله ، وإني لأعلم أنّها كلامه ، كما أعلم أنك مصدّق . قال : فقلت له : إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضيّ رحمه الله تعالى . فقال : أنَّى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النَّفَس وهذا الأسلوب ! قد وقفنا على رسائل الرضيّ ، وعرفنا طريقته وفَنّه في الكلام المنثور ، وما يقع مع هذا الكلام في خَلٍّ ولا خَمْر . ثم قال : والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صُنِّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمائتي سنة ، ولقد وجدتُها مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط مَنْ هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يخلق النقيبُ أبو أحمد والد الرضيّ .

قلت : وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ(٢)

---

(١) مصدق بن شبيب بن الحسين الصلحي الواسطي ؛ ذكره القفطي في إنباه الرواة (٣ : ٢٧٤) وقال إنه قدم بغداد ، وقرأ بها على ابن الخشاب وحبشي بن محمد الضرير ، وعبد الرحمن بن الأنباري وغيرهم ؛ وتوفي ببغداد سنة ٦٠٥ .

(٢) أبو القاسم البلخي ، ذكره ابن النديم وقال : « كان من أهل بلخ ، يطوف البلاد ويجول الأرض ؛ حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة . . . ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ودساتير لم يخرج منها إلى الناس كتاب تام » . الفهرست ٢٩٩ . وابن خلكان ١ : ٢٥٢ .

إمام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يَخلق الرضيّ بمدة طويلة . ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بنِ قِبّة أحد متكلّمي الإماميـة[1] وهو الكتـاب المشهور المعروف بكتاب « الإنصاف » . وكان أبو جعفر هذا من تلامـذة الشيخ أبي القـاسم البلخيّ رحمه الله تعالى ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضيّ رحمه الله تعالى موجوداً .

٣ ـ الخطبة ٤
فضلهم (ع) على الأمة

قال عليه السلام :

بِنَا آهْتَدَيْتُمْ في الظَّلْمَاء ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاء[٢] . وَبِنَا آنْفَجَرْتُمْ عَنِ آلسِّرَار . . .

الشرح :

هذه الكلمات والأمثال ملتقَطة من خطبة طويلة منسوبة إليه عليه السـلام ، قد زاد فيها قوم أشياء حملتْهم عليها أهواؤهم ، لا توافق ألفاظُها طريقته عليه السلام في الخـطب ، ولا تنـاسب فصاحتهـا فصاحتَـه ، ولا حاجـة إلى ذكرهـا فهي شهيرة . ونحن نشـرح هـذه الألفاظ ، لأنها كلامُـه عليه السـلام ، لا يشكّ في ذلـك مَنْ له ذوق ونقـد ومعرفـة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خُطَبهم ورسائلهم ، ولأنّ الروايـة لها كثيـرة ، ولأن الرضيّ رحمـة الله تعالى عليه قد التقَطها ونسبَها إليه عليه السلام ، وصحّحها وحذف ما عداها .

وأما قوله عليه السلام : « بنا اهتديتم في الظَّلْماء » ، فيعني بالظلماء الجهـالة ، وتَسَنَّمَ العلياء : ركبتم سنامها ؛ وهذه استعارة .

قوله : « وبنا انفجرتم عن السِّرار» . أي دخلتم في الفَجْر ، والسِّرار : الليلة والليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر فلا يـظهر. وروى « أفجـرتم » ، وهو أفصـح وأصحّ ، لأن « انفعل » لا يكون إلاّ مطاوع « فعل » ، نحو كسرته فانكسر ، وحطمته فانحطم ، إلاّ ما شذّ من قولهم : أغلقت الباب فانغلق وأزعجته فانزعج . وأيضاً فإنه لا يقع إلاّ حيث يكون علاج

---

(١) هو أبو جعفر بن محمد بن قبة ؛ من متكلمي الشيعة وحـذاقهم ، وله من الكتب كتـاب الإنصاف في الإمـامة . الفهرست ١٧٦

[٢] المراد كنتم في ظلام حـالك وهـو ظلام الشـرك والضلال فصـرتم إلى ضياء سـاطع بهـدايتنا وارشـادنا والضمـير لمحمد (ص) والامام ابن عمه ونصيره في دعوته .

وتأثير ، نحو انكسر وانحطم ؛ ولهذا قالوا : إنّ قولهم : انعدم خطأ ، وأما « أفعل » فيجيء لصيرورة الشيء على حل وأمر ، نحو أَغَدَّ البعير ، أي صار ذا غُدَّة ، وأجرَب الرجل ، إذا صار ذا إبلٍ جَرْبى ، وغير ذلك . فأفجرتم ؛ أي صرتم ذوي فجر .

وأما « عن » في قوله : « عن السرار » فهي للمجاوزة على حقيقة معناها الأصليّ ، أي منتقلين عن السرار ومتجاوزين له .

٤ ـ الخطبة ٥
عندما خاطبه العباس وأبو سفيان في البيعة له بعد وفاة النبي (ص)

ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخاطبَه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة :

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ شُقُّوا أَمْواجَ الْفِتَنِ بِسُفِنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ . أَفْلَحَ مَنْ نَهَض بِجَنَاحٍ ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ . مَاءٌ آجِنٌ ، ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . ومُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ ، فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا : جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ .

هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي !وَاللَّهِ لاَبْنُ أبي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ في الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ .

* * *

الشرح :

المفاخرة : أن يذكر كلّ واحد من الرجُلين مفاخرَه وفضائله وقديمه ، ثم يتحاكما إلى ثالث . والماء الآجن : المتغيِّر الفاسد ، أجَنَ الماء ، بفتح الجيم ، يأجِن ويأجُن ، بالكسر والضم . والإيناع : إدراكُ الثمرة . واللّتيا : تصغير التي ، كما أنّ اللّذيا تصغير الذي . واندمجت : انطويت . والطوِيّ : البئر المطويّة بالحجارة . يقول : تخلّصُوا عن الفتنة وانْجَوا منها بالمتاركة والمسالمة والعدول عن المنافرة والمفاخرة .

أفلح مَنْ نهض بجناح ، أي مات ؛ شبَّه الميِّت المفارقَ للدنيا بطائر نهضَ عن الأرض بجناحه . ويحتمل أن يريد بذلك : أفلح مَن اعتزل هذا العالم ، وساح في الأرض منقطعاً عن تكاليف الدنيا . ويحتمل أيضاً أن يريد : أفلح مَنْ نهض في طلب الرياسة بناصر ينصره ، وأعوان يجاهدون بين يديه ؛ وعلى التقادير كلّها تنطبق اللفظةُ الثانية ، وهو قوله : « أو استسلم فأراح » ، أي أراح نفسه باستسلامه .

ثم قال : الإمْرَة على الناس وخيمة العاقبة ، ذات مشقَّة في العاجلة ، فهي في عاجل كالماء الآجن يجدُ شاربه مشقّة ، وفي آجلها كاللقمة التي تُحْدُث عن أكلها الغصة ويَغَصّ مفتوح حرف المضارعة ومفتوح الغين ، أصله : « غَصِصْت » بالكسر . ويحتمل أن يكون الأمران معاً للعاجلة ؛ لأن الغَصَص في أول البلع ، كما أن ألم شرب الماء الآجن يحدث في أول الشرب . ويجوز ألّا يكون عَنَى الإمْرة المطلقة ؛ بل هي الإمرة المخصوصة ، يعني بيعةَ السقيفة .

ثم أخذ في الاعتذار عن الإمساك وترك المنازعة ، فقال : مجتني الثمرة قبل أن تُدْرك لا ينتفع بما اجتناه ، كمن زرع في غير أرضه ، ولا ينتفع بذلك الزرع ؛ يريد أنه ليس هذا الوقت هو الوقت الذي يَسُوغ لي فيه طلب الأمر ، وأنه لم يَأْن بعد .

ثم قال : قد حَصَلْت بين حالين ؛ إن قلتُ ، قال الناس : حَرَص على المُلْك ، وإن لم أقل ، قالوا : جَزِع من الموت .

قال : هيهات ، استبعاداً لظنّهم فيه الجزع . ثم قال : « اللَّتيا والَّتي » ، أي أَبَعْد اللَّتيا والتي أجزع ! أَبَعْدَ أن قاسيتُ الأهوال الكبار والصغار ، ومُنِيت بكل داهية عظيمة وصغيرة ! فاللّتيّا للصغيرة والّتي للكبيرة .

ذكر أنّ أُنْسَه بالموت كأنسِ الطفل بثدي أمه ، وأنّه انطوى على علم هو ممتنع لموجبه عن المنازعة ، وأنّ ذلك العلم لا يُباح به ، ولو باح به لاضطرب سامعوه كاضطراب الأرشية - وهي الحبال - في البئر البعيدة القعر ، وهذا إشارة إلى الوصيّةِ التي خُصَّ بها عليه السلام . إنه قد كان من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدأ الاختلاف عليه .

* * *

اختلاف الرأي في الخلافة بعد وفاة رسول الله

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، واشتغل عليّ عليه السلام بغسله ودفنه ،

وبُويع أبو بكر ؛ خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعبّاس وعليّ عليه السلام لإجالة الرّأي ، وتكلّموا بكلام يقتضي الاستنهاضَ والتهييج ، فقال العباس رضي الله عنه : قد سمعنا قولكم فلا لِقِلّة نستعين بكم ، ولا لِظنّةٍ نترك آراءكم ، فأمهلونا نراجع الفكر ؛ فإن يَكن لنا من الإثم مخرج يصرّ بنا وبهم الحقّ صَرير الجُدْجُد(١)، ونبسط إلى المجد أكفّاً لا نقبضُها أو نبلغَ المدى ، وإن تكن الأخرى ، فلا لِقلّة في العدد وَلا لـوَهَنٍ في الأيْد ، والله لـولا أنّ الإسلام قيّد الفتك ، لَتدكْدَكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العليّ .

فحلّ علي عليه السلام حَبْوته ، وقال : الصَّبْر حلم ، والتقوى دين ، والحجّة محمد ، والطريق الصراط . أيها الناس شُقُّوا أمواج الفتن . . . الخطبة . ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم .

* * *

وقال البَراء بن عازب : لم أزل لبني هاشم محبّاً ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خِفْتُ أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العَجُول مع ما في نفسي من الحُزْن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبيّ صلى الله عليه وسلّم في الحجرة ، وأتفقّد وجوهَ قريش ، فإنّي كذلك إذْ فقدت أبا بكر وعمر ، وإذا قائل يقول : القومُ في سقيفة بني ساعدة ، وإذا قائل آخر يقول : قد بُويع أبو بكر ، فلم ألبث ؛ وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأزُر الصنعانيّة لا يمرُّون بأحد إلاّ خبطوه ، وقدّموه فمدُّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه ؛ شاء ذلك أو أبى ؛ فأنكر عقلي*، وخرجت أشتدُّ حتى انتهيت إلى بني هاشم ، والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضرباً مخيفاً ، وقلت : قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قُحافة .فقال العباس : تَرِبَتْ أيديكم إلى آخر الدهر ؛ أما إنّي قد أمرتُكم فعصيْتُموني : فمكثتُ أكابِدِ ما في نفسي ، ورأيت في الليلِ المقْداد وسلمان وأبا ذَرّ

(١) الجدجد : دويبة كالجندب .

* إنكار البراء بن عازب هو اما لدفع الأمر عن علي بن أبي طالب ، يعاضد ذلك قوله المتقدم ـ خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ـ ، وأما للطريقة التي استكره فيها الناس على البيعة حيث تمسح أياديهم على يد أبي بكر شاؤوا أم أبوا . وعلى أية حال فلا قيمة لبيعة تتم هكذا .

وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحُذيفة وعَمار ، وهم يريدون أن يُعِيدوا الأمْرَ شورى بين المهاجرين** .

وبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة ، فسألاهما على الرأي ، فقال المغيرة : الرأيُ أن تلقوا العباسَ فتجعلوا له ولولده في هذه الإمْرة نصيباً ، ليقطعوا بذلك ناحية عليّ بن أبي طالب .

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة ؛ حتى دَخلوا على العباس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحمِد أبو بكر الله وأثنى عليه ، وقال : إنَّ الله ابتعث لكم محمداً صلى الله عليه وسلَّم نبيّاً، وللمؤمنين وليّاً ؛ فمنّ الله عليهم بكونه بين ظَهْرانيهم ؛ حتى اختار له ما عنده ؛ فخلَّى على الناس أمورَهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم والياً ، ولأمورهم راعياً ، فتولّيت ذلك ، وما أخاف بعوْنِ الله وتسديده وَهْناً ولا حَيْرة ولا جبْناً ، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب . وما أنفكُّ يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامّة المسلمين ، يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع ، وخطبه البديع ، فإمّا دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عَمّا مالوا إليه . فقد جئناك ، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ، ولمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومكان أهلِك ، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم . وعلى رِسْلِكُم بني هاشم ؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله منّا ومنكم .

فاعترض كلامه عمر ، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته ، فقال : إي والله . وأُخْرى : إنّا لم نأتكم حاجةً إليكم ، ولكنْ كرهنا أن يكونَ الطعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقَم الخطب بكم وبهم . فانظروا لأنفسكم ولعامّتهم . ثم سكت .

فتكلم العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنَّ الله ابتعث محمداً نبيّاً كما وصفت ووليّاً للمؤمنين ، فمنّ الله به على أمته حتى اختار له ما عنده ، فخلّى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم ، مصيبين للحقّ ، مائلين عن زَيْغ الهوى ؛ فإن كنت برسول الله طلبت

** الصحابة المذكورون هم من شيعة أمير المؤمنين كما هو معلوم لذا فليس من المعقول أنهم أرادوا جعل الأمر شورى ، بل أرادوا وضع الأمر حيث وضعه الله وهو مبايعة علي ابن أبي طالب .

فحقّنا أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ؛ ما تقدّمنا في أمركم فرَطا ، ولا حللنا وسطا ، ولا نزحنا شَحَطا ؛ فإن كان هذا الأمرُ يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين . وما أبعد قولك : إنَّهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك ! وأما ما بذلت لنا ، فإن يكن حَقّك أعطيتَناه فأمْسِكْه عليك، وإن يكن حقَّ المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه ، وإن يكن حقّنا لم نرض لك ببعضه دون بعض . وما أقول هذا أرومُ صرفَك عمّا دخلت فيه ، ولكن للحجّة نصيبها من البيان . وأما قولُك : إن رسول الله صلى الله عليه وآله منّا ومنكم ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها ، وأنتُم جيرانها. وأما قولك يا عمر : إنّك تخاف الناس علينا ، فهذا الذي قدمتموه أوَّل ذلك*، وبالله المستعان .

* * *

لما اجتمع المهاجرون على بَيْعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو يقول : أما والله إني لأرَى عجاجة لا يطفئها إلاّ الدم ؛ يا لَعبد مناف ، فيم أبو بكر من أمركم!أين المستضعفان ؟ أين الأذَلّان ؟ يعني علياً والعباس . ما بالُ هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش** . ثم قال لعليّ : ابسط يدك أبايعك ، فوالله إن شئت لأملأنّها على أبي فصيل - يعني أبا بكر - خَيْلا ورَجلا . فامتنع عليه عليّ عليه السلام ؛ فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمّس :

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرادُ بِهِ ... إلاّ الأَذَلاَّنِ ، عَيْرُ الحيّ والْوتِدُ(١)

هذا على الخَسْفِ مربوط برُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فلا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ(٢)

* * *

قيل لأبي قُحافة يوم ولى الأمر ابنهُ : قد ولي ابنك الخلافة ، فقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ

* بل كان هذا أول من جرأ الناس على أهل بيت النبي (ص) ، وقد احتج بذلك معاوية بن أبي سفيان في كتابه جواباً على كتاب محمد بن أبي بكر إذ قال (فإن يكنْ ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك اسّه ونحن شركاؤه ، فبهَديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أباك فعل ما فعل، فاحتذينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعِبْ أباك بما بدا لك ، أودَعْ . . . الخ) . أنظر شرح النهج - جزء ٣ - ص ١٩٠ .

** وهنا يحق للمرء أن يتساءل ، ما بال العرب رضيت بأقل حيّ من قريش يتأمّر عليها ، ولم تكن لترضىٰ ببني هاشم كما زعموا وهم من اعتادت العرب على سيادتهم منذ ما قبل الإسلام ؟!!

(١) معاهد التنصيص ٢ : ٣٠٦ . والعير هنا : الحمار .

(٢) الخسف : النقيصة . والرمة : القطعة من الحبل .

الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾[1] ، ثم قال : لم ولّوه ؟ قـالوا : لسنّه ، قال : أنا أسنّ منه*.

نازع أبو سفيان أبا بكر في أمر فأغلظ له أبو بكر ، فقال له أبو قحافة : يا بنيّ ، أتقول هذا لأبي سُفيان شيخِ البطحاء ! قال : إنَّ الله تعالى رَفع بالإسلام بيـوتاً ، ووضـع بيوتـاً ، فكان ممّا رفع بيتُك يا أبت ، ومما وضع بيتُ أبي سفيان .

٥ ـ الخطبة ٦
إثبات حقه في الخلافة بعد النبي (ص) بلا فصل

قال عليه السلام :

وَٱللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبعِ تَنَامُ . . .

منها :

فَوَٱللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَن حَقِّي ، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ[2] مُنْذُ قَبَضَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَوْمِ ٱلنَّاسِ هَذَا .

الشرح :

ومستأثَراً عليّ ، أي مستَبدّاً دوني بالأمر ، والاسم الأثَرَة ، وفي الحديث : إنَّه صلى الله عليه وآله ، قال للأنصار : « ستلقوْن بعدي أُثَرة ، فإذا كان ذلك فاصبـروا حتى تَرِدُوا عَـليّ الحوض »[3] .

---

(١) سورة آل عمران ٢٦

* وهذا جواب الفطرة على هـذا السبب الضعيف ، أي السنّ ، بل كـان هناك من الصحـابة من هم أسنّ ، ولكنـه التخبط فتارة يقولون قدمه في الصلاة وتارة أخرى يقولون صاحبه في الغار وثالثة بأن العرب كرهت أن يجتمع لبني هاشم النبوة والخلافة ورابعة لسنّه ، وكل ذلك لعدم وجود أساس متين يقيمون عليه دعواهم .

(٢) مخطوطة النهج : « مُسْتَأثَراً عَلَيّ غَيْرِي » .

(٣) ذكره ابن الأثير في النهاية (١ : ١٥) ، وقال : « الأثرة ، بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يؤثر إيثاراً ؛ إذا أعطى ؛ أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه في الفيء » .

٦ ـ الخطبة ١٦

حال الناس وحال عثمان

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة :

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ . . .

منها :

وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا ، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا[١] .

الشرح :

وهذه الخطبة من جلائل خطبة عليه السلام ومن مشهوراتها ، قد رواها الناس كلّهم ، وفيها زيادات حذفها الرضيّ ، إمَّا اختصاراً أو خوفاً من إيحاش السامعين ، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين »(٢) على وجهها ، ورواها عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثنّى .

قال : أوّل خطبة خطبها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالمدينة في خلافته حمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

أَلا لاَيُرْعِيَنَّ مُرْعٍ إلاَّ على نفسه . شُغِلَ مَنِ الجنّة والنارُ أمامه .

منها :

قد كانت لكم أمور مِلْتُمْ فيها عليّ مَيْلَة لم تكونُوا عندي فيها محمودين ولا مُصيبين . أما إنّي لو أشاء لقلتُ ، عفا الله عمَّا سلف . سبق الرَّجلان وقام الثالث كالغرابِ هِمّتهُ بَطْنه . ويحَهُ لو قُصَّ جَناحاه ، وقُطع رأسه لكان خيراً له ! أنظروا فإن أنكرتم فأنكِروا . . .

ثم قال الشارح :

قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى : وقال أبو عبيدة : وزاد فيها في رواية جعفر بن

---

[١] ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس اليه .

(٢) البيان والتبيين (٢ : ٥٠ ـ ٥٢) ، ورواها أيضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .

محمد عليهما السلام عن ابائه عليهم السلام :

ألا إنَّ أبرار عِتْرَتي ، وأَطايبَ أُرُومَتي ، أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً . ألاَ وإنَّا أهل بيت مِنْ علْم الله علمْنا ، وبحُكْم اللَّهِ حَكَمْنَا ، ومِنْ قَولٍ صادق سَمِعْنَا ، فإن تَتَبِعوا آثارنا تهتدوا ببصائِرنا ، وإنْ لم تفعلوا يُهْلِكْكُم الله بأيـدينا . ومعنـا رايةُ الحق ؛ مَنْ تَبعها لَحِق ، وَمنْ تأخّر عنها غَرِق . ألا وبنا يُدْرَكُ تِرَةُ كل مؤمن ، وبنا تخلع رِبْقة الذلّ عن أعناقكم وبنا فُتِح لا بكم ، ومنا يُخْتَمُ لاَ بِكُمْ .

* * *

وأما قوله : « قد كـانت أمور لم تكـونوا عنـدي فيها محمـودين » ، فمراده أمرُ عثمان وتقديمه في الخلافة عليه . ومن الناس مَنْ يحمِـلُ ذلك عـلى خلافـة الشيخين أيضـاً . ويبعدُ عندِي أن يكونَ أراده ، لأنّ المدة قد كانت طالتْ ، ولم يَبْقَ مَنْ يعاتبه ليقول : قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين ، فإنَّ هذا الكلام يُشعر بمعاتبة قوم على أمر كان أنكره منهم . وأمّا بيعة عثمان ، ثمّ ما جرى بينه وبين عثمان من منازعاتٍ طويلة ، وغضب تارة ، وصُلْحٍ أخرى ، ومراسلاتٍ خشنة ولطيفة ، وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين : إحداهما معه عليه السلام ، والأخرى مع عثمان ؛ فإنَّ صَرْفَ الكلام إلى ما قلناه بهذا الاعتبار أليق*.

ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجّد والتألّم لصرّف الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عنه ؛ وإنما كلامنـا الآن في هذه اللفـظات التي في هذه الخطبة ؛ على أنّ قوله عليه السلام : « سبق الرجُلان » والاقتصار على ذلك فيه كفاية انحرافه عنهما .

وأما التتِمّة المروية عن جعفـر بن محمد عليهـما السلام فـواضحة الألفـاظ ، وقولـه في آخرها : « وبنا تُختم لا بِكُم » إشارة إلى المهديّ الذي يظهر في آخر الزمان . وأكثر المحدّثين على أنه من وَلَد فاطمة عليها السلام . وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه ، وقد صرّحوا بذكره في

---

* مع ان في هذا وجه ، إلاّ أنه لا يبعد أن الامام أراد بعتابه جميع ما حدث معه منذ قبض رسول الله (ص) وذلك لأن الأمة ككل مسؤولة عن ذلك فهو عندما يعاتب من بقي مع من لم يشهد ما سبق فانما يعاتب الأمة بشكل عام ، على أنه من المعلوم وجود الكثير من كبار الصحابة إلى ذلك الوقت احياء يرزقون فلا مانع من تـوجيه اللوم إلى من لم ينصر الإمام أو من ظاهر عليه منهم .

كتبهم ، واعترف به شيوخهم ، إلاَّ أنه عندنا لم يُخْلَقْ بعد ، وسيخلق .

وإلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضاً .

وروى قاضي القضاة رحمه الله تعالى عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عَبَّاد رحمه الله بإسناد متصل بعليّ عليه السلام أنَّه ذكر المهديّ ، وقال : إنه من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حِليتَه[1] ، فقال رجل : أجْلَى الجبين ، أقنى الأنف ، ضخم البطن ، أزيل[2] الفَخذِين ، أبلج الثنايا ، بفخذه اليمنى شامة . . .

وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب « غريب الحديث » .

٧ ـ الخطبة ٣٦

لماذا لم يقاتل من دفعه عن حقه

قال عليه السلام :

إنَّ آللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ . وَأَمِيناً عَلَى آلتَّنْزِيلِ . . .

منها :

فَنَظَرْتُ فَإذا لَيسَ لِي مُعِينٌ إلاَّ أهْلُ بَيْتِي ، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَإغْضَيْتُ عَلَى القَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أخْذِ الْكَظَم ، وَعَلَى أَمَرٍّ مِنْ طَعْمِ آلْعَلْقَم .

* * *

الشرح :

الكَظَم ، بفتح الظاء : مَخرَج النَّفس ، والجمع أكْظام وضنِنْت ، بالكسر : بخلت . وأغضيت على كذا : غضضت طرفي ، والشَّجَى : ما يعترض في الحلق .

* * *

حديث السقيفة *

اختلفت الروايات في قصّة السَّقِيفة ، فالذي تقوله الشيعة ـ وقد قال قوم من المحدِّثين

---

(١) الحلية : هنا الصفة .

(٢) الزيل . محركة : تباعد ما بين الفخذين ، وهو أزيل .

* وسنورد ما جاء به الشارح بتصرف وتلخيص لبعضه وحذف لما لا كبير اهمية له وإن كنا سنورد معظمه .

بعضَه ورووا كثيراً منه ـ أنَّ علياً عليه السلام امتنع من البَيْعة حتى أخرِج كرْهاً ، وأنّ الزّبيرَ بن العوام امتنع من البَيْعة وقال : لا أبايع إلاَّ عليّاً عليه السلام ، وكذلك أبو سفيان بن حرب ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس ، والعبّاس بن عبد المطلب وبنوه ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وجميع بني هاشم . وقالوا : إنّ الزُّبَير شَهَر سيفَه ، فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم ، قال في جملة ما قال : خُذُوا سيفَ هذا فاضربوا به الحَجر . ويقال : إنَّه أخذ السّيف من يد الزبير فضرب به حَجراً فكسره ، وساقهم كلّهم بين يديه إلى أبي بكر ، فحملَهم على بيعتِه ولم يتخلف إلاَّ عليّ عليه السلام وحدَه ، فإنَّه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام ، فتحامَوْا إخراجه منه قَسْراً ، وقامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فأسمَعت مَنْ جاء يطلبُه ، فتفرقوا وعلموا أنّه بمفرده لا يضرّ شيئاً ، فتركوه .

وقيل : إنهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه . وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا[1] .

فأمّا حديث التّحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة ، وقول مَنْ قال إنهم أخذوا عليّاً عليه السلام يُقادُ بعمامته والناس حوله ؛ فأمْرٌ بعيدٌ ، والشّيعة تنفرد به ، على أن جماعة من أهل الحديث قد رووْا نحوه ، وسنذكر ذلك* .

وقال أبو جعفر : إنَّ الأنصار لّما فاتها ما طلبت من الخلافة ، قالت ـ أو قال بعضها : لا نبايع إلاَّ علياً . وذكر نحو هذا عليّ بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي في تاريخه[2] .

وأمَّا قوله : « لم يكن لي معين إلاَّ أهل بيتي فضنِنْتُ بهم عن الموت » فقولُ ما زال عليّ عليه السلام يقوله ، ولقد قاله عَقِيبَ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : لَوْ وَجدْتُ أربعين ذوي عزم !

ذكر ذلك نصر بن مُزاحم في كتاب « صفين » ، وذكره كثير من أرباب السيرة .

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ وما بعدها .

* وأنا أستبعد كثيراً من هذه الأمور الفظيعة ، لا لفظاعتها ، لأن نهب الخلافة حسب تعبير الامام (أرى تراثي نهباً) أفظع ، ولكن لاستحالة وقوع ذلك مع أبي الحسن وهو من هو في شموخه وقوته وعزته فكيف يسمح لأحد كائناً ما كان أن يحصر زوجه بضعة رسول الله (ص) بين الباب والحائط فتسقط الجنين وغير ذلك مما لا يعقل ، إلاَّ أن هناك من الأمور ما لم ينكرها الامام كأقتياده للبيعة حيث عيّره معاوية بذلك فلم ينكرها عليه السلام . أنظر الكتاب رقم ٢٨ فيما سيأتي من الكتاب .

(٢) الكامل ٢ : ٢٢٠ وما بعدها .

وأما الذي يقوله جمهور المحدّثين وأعيانهم ، فـإنّه عليـه السلام امتنـع من البيعة ستـة أشهر ، ولزِم بيتَه ، فلم يبايع حتى ماتت فاطمة عليها السلام ، فلما ماتت بايع طوْعاً*.

وفي صحيحيْ مسلم والبخاريّ : كانت وجوه الناس إليه وفاطمة باقية بعدُ ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه ،وخرَج من بيته فبايع أبا بكر ، وكـانت مدة بقائها بعد أبيها عليـه الصلاة والسلام ستة أشهر[1]**.

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال لي عبدُ الرحمن بن عـوف ، وقد حَجَجْنـا مع عمـر : شهدت اليـومَ أمير المؤمنـين بمنى ، وقـال له رجـلٌ : إني سمعت فـلانـاً يقـول : لـو قـد مـات عمـر لبـايعت فـلانـاً ، فقـال عمـر : إني لقـائم العشيـةَ في النـاس أحـذِّرهم هؤلاء الـرهْطَ قـال ابن عبـاس : فلما قـدمنـاهـا*** ، هجَّـرتْ يـوم الجمعـة لحـديث عبـد الـرحمن ، فلما جلس عمـر عـلى المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال بعد أن ذكر الـرَّجْم وحدّ الـزنا : إنـه بلَغني أنّ قائـلاً منكم يقول : لو مات أميرُ المؤمنين بايعت فلانا ، فلا يغرّنّ امرأ أن يقول : إنَّ بيعةَ أبي بكر كانت فَلْتَةً ، فلقد كانت كذلك ؛ ولكن الله وقى شرّها ، وليس فيكم مَنْ تُقَطَّع إليه الأعناقُ كأبي بكر ، وإنّه كان من خَبرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليـه أن عليّاً والزبير تخلّفا عنا في بيت فاطمة ومَنْ معهما ، وتخلّفت عنّا الأنصار ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت له : انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار . فانطلقنا نحوهم ، فلقِينا رجُلان صالحان من الأنصار قد شهدا بدراً : أحدهما عويم بن ساعدة ، والثاني مَعْن بن عديّ ، فقالا لنا : ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم ؛ فأتينا الأنصار ، وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة ، وبـين أظهرهم رجـل مُزّمّل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة وجِع . فقام رجل منهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : أما بعدُ ، فنحن الأنصار ، وكتِيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رَهْطُ نبيّنا ، قد دفّت إلينا دافّة من قومكم[2] ، فإذا أنتم تريدون أن تغصبونا الأمر .

---

* وهذا يعارضه الأخبار المؤكدة لإخراج الإمام إلى البيعة كرهاً ، على أنه من العسير القطع بأي منها .

(1) صحيح البخاري بسنده عن عائشة في كتاب المغازي ، وصحيح مسلم بسنده أيضاً عن عائشة ، في كتاب الجهاد والسير .

** وهذا ديدنهما في إخراج الأحاديث التي تلطّف الأجواء ، حتى ولو على حساب الحقائق .

*** الضمير يعود للمدينة .

(2) الدافة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد .

فلما سكت ، وكنت قد زوَّرت في نفسي مقالـة أقولها بين يـدي أبي بكر . فلما ذهبت أتكلم ، قـال أبو بكـر : عَلَى رِسْلك ! فقـام فحمِد الله وأثنى عليـه ، فـما تـرك شيئاً كنت زَوّرت[1] في نفسي إلاَّ جاء به أو بأحسنَ منه ، وقال : يا معشرَ الأنصار ، إنكم لا تَذْكرون فضلاً إلاَّ وأنتم له أهل ، وإن العربَ لا تعرِف هذا الأمـر إلاَّ لقريش ، أوسطِ العـرب داراً ونسباً ، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذيْن الرجلين ـ وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ـ والله ما كرِهْتُ من كلامه غيرَها : إنْ كنتُ لأقَدَّم فتضربُ عُنقي فيما لا يقرِّبني إلى إثم ؛ أحبّ إليّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر .

فلما قضى أبو بكر كلامه ، قامَ رجل[2] من الأنصار ، فقال : أنـا جُذَيْلُهـا المحكّك ، وعُذَيْقُها المرجَب[3] ؛ منا أمير ومنكم أمير .

وارتفعت الأصـوات واللّغط ، فلما خِفْتُ الاختلاف ، قلتُ لأبي بكـر : ابْسُط يـدك أبايعْك ، فبسَط يده فبايعتُه وبايعه الناس ، ثم نزوْنا على سعد بن عبـادة ، فقال قـائلهم : قتلتم سعداً ! فقلتُ : اقتلوه قتله الله ، وإنَّا والله ما وجدنا أمراً هو أقوَى من بيعة أبي بكر ، خشِيت إنْ فارقت القومَ ولم تكن بيعة أن يحدِثـوا بعدنـا بيعة ، فـإما أنْ نبـايِعَهم على مـا لا نرضى ، أو نخالفَهم فيكون فساد .

هذا حديث مُتّفَق عليه من أهل السِّيرة ، وقد وردت الروايات فيه بزيادات .

وقال شيخُنا أبو القاسم البلخيّ : قال شيخنا أبو عثمان الجـاحظ : إنَّ الرجـل الذي قال : لو قد مات عمرُ لبايعت فلاناً ، عمارُ بن ياسر ، قال : لو قد مات عمر لبايعت عليّاً عليه السلام فهذا القولُ هو الذي هاج عمرَ أنْ خطب بما خطب به .

وقال غيره من أهل الحديث : إنَّما كان المعـزوم على بيعتـه لو مـات عمر ، طلحـة بن عبد الله

(١) زورت في نفسي كلام ، أي هيأت وأصلحت ، والتزوير : إصلاح الشيء .

(٢) هو الحباب بن المنذر الخزرجي ، ذكره الزمخشري في الفائق ١ : ١٨١ ، وأورد كلامه .

(٣) الجذيل في الأصل : تصغير الجذل ؛ وهو عود ينصب للابل الجربى تستشفى بالاحتكاك به . والمحكك : الذي كثر بـه الإحتكاك حتى صار مملساً . والعـذيق : تصغير العـذق ، وهو النخلة . والمـرجب : المدعـوم بالـرجبـة ؛ وهي خشبـة ذات شعبتين ؛ وذلك إذا كثر وطال حمله ؛ والمعنى أني ذو رأي يشفي بالاستضاءة به كثيرا في مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والعلم بموارد الأحوال فيها وفي أمثالها ومصادرها كالنخلة الكثيرة الحمل . الفائق ١ : ١٨١ ، ١٨٢ .

وأما حديث الفَلْتة ، فقد كان سبق مِنْ عمر أن قال : إنَّ بيعةَ أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرها : فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه .

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف فيه حديث الفَلْتة ؛ ولكنه منسوق على ما قاله أولاً ، ألا تراه يقول : فلا يغرّنّ امْرَأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتة ، فلقد كانت كذلك ، فهذا يُشعر بأنه قد كان قال مِنْ قبل : إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة .

وقد أكثر الناس في حديث الفَلْتة ؛ وذكرها شيوخنا المتكلّمون ، فقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : الفلتة ليست الزلّة والخطيئة ، بل هي البَغْتة ، وما وقع فجأة من غير رويّة ولا مشاورة ، واستشهد بقول الشاعر :

مَنْ يَأمَنِ الحَدَثان بَعْدَ صُبَيْرَةَ القرشيِّ ماتَا[1]
سَبَقَت مَنِيَّتُهُ الْمَشِيبَ وكانَ مِيتَتُهُ افْتِلاتا

يعني بَغْتة .

وقال شيخنا أبو علي رحمه الله تعالى : ذكر الرّياشيّ أن العرب تسمِّي آخر يوم من شوّال فَلْتَةً . من حيث إنَّ كل مَنْ لم يدرك ثأره فيه فاتَه ؛ لأنهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحرم لا يطلبون الثأر ، وذو القعدة من الأشهر الحرم ، فسمَّوا ذلك اليوم فَلْتة ، لأنهم إذا أدركوا فيه ثأرهم ، فقد أدركوا ما كان يفوتهم . فأراد عمرُ أنّ بيعة أبي بكر تَدارَكها بعد أن كادت تفوت .

وقوله : « وقى الله شرّها » دليل على تصويب البَيْعة ، لأن المراد بذلك أنّ الله تعالى دفع شرّ الاختلاف فيها .

فأمَّا قوله : « فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه » ؛ فالمراد مَنْ عاد إلى أن يُبَايع من غير مُشاورة ولا عدد يُثبت صحة البيعة به ، ولا ضرورة داعية إلى البَيْعة ، ثم بسط يده على المسلمين يدخلهم في البيعة قهراً ، فاقتلوه[2] .

قال قاضي القضاة رحمه الله تعالى : وهل يشكّ أحدٌ في تعظيم عمرَ لأبي بكر وطاعته إياه ! ومعلوم ضرورة من حالِ عمر إعظامُه له ، والقول بإمامته والرّضا بالبيعة والثناء عليه ،

---

(١) البيان في الكامل ١ : ٣٤٨.

(٢) نقله المرتضى في الشافي ٢٤١ .

فكيف يجوز أن يترك ما يُعلم ضرورة لقولٍ محتَمل ذي وجوه وتأويلات ! وكيف يجوز أن تحمَل هذه اللفظة من عمر على الذمّ والتّخطِئة وسوء القول !

واعلم أنّ هذه اللفظة من عمر مناسِبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جَبَله الله تعالى عليه من غِلَظ الطينة وجفاء الطبيعة ، ولا حيلةَ له فيها ؛ لأنه مجبُولٌ عليها لا يستطيع تغييرَها ، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاطى أنْ يتلطّف ، وأن يُخرِجَ ألفاظه مخارج حسنة لطيفة ، فينزع به الطبع الجاسي ، والغريزة الغليظة ، إلى أمثال هذه اللفظات ، ولا يقصد بها سوءاً ، ولا يريد بها ذمّاً ولا تخطئه ، كاللفظة* التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكاللفظات** التي قالها عام الحديبية وغير ذلك ، والله تعالى لا يجازي المكلّف إلاّ بما نَواه ، ولقد كانت نيتُه من أطهرِ النيّات وأخلصها لله سبحانه وللمسلمين . ومَن أنصف عَلم أنّ هذا الكلام حقّ ، وأنّه يُغني عن تأويل شيخنا أبي عليّ .

ونحن من بعدُ نذكر ما قاله المرتضى رحمه الله تعالى في كتاب « الشافي »(1) لما تكلم في هذا الموضع ، قال : أمّا ما ادّعى من العلم الضروريّ برضا عمر ببيعة أبي بكر وإمامته ، فالمعلوم ضرورةً بلا شبهة أنّه كان راضياً بإمامته ، وليس كلّ مَنْ رَضِي شيئاً كان متديناً به ، معتقداً لصوابه ؛ فإنَّ كثيراً من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعةً لما هو أضرُّ منها ؛ وإن كانوا لا يروْنَها صواباً ، ولو ملكوا الاختيار لاختاروا غيرَها ، وقد علمنا أن معاوية كان راضياً ببيعة يزيد وولاية العهد له من بعده ، ولم يكن متديِّناً بذلك ومعتقداً صحته ، وإنّما رضيَ عمر ببيعة أبي بكر ، من حيث كانت حاجزة عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولو ملك الاختيارَ لكان مصيرِ الأمرِ إليه أسرَّ في نفسه ، وأقرَّ لعينه . وإن ادّعى أنَّ المعلوم ضرورةً

---

* وهي قوله (هجر) عندما أمرهم النبي (ص) باحضار دواة وصحيفة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فجابهه عمر بهذه الكلمة القاسية والتي لا تصدق على نبي لأنه لا يهجر حتى إن بعض الرواة أرادوا تلطيفها فقالوا إنه قال له (غلب عليه الوجع) . والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن الفاروق علم أن الكتاب هو تولية عليّ لأن عبارة النبي (ص) هي نفسها عبارته المشهورة (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ففعل ما فعل .

** وذلك برفضه فعل الرسول (ص) بمصالحة قريش حتى أنه ذهب إلى أبي بكر يقول له (اليس هو نبي الله ؟ ألسنا على الحق ؟.. الخ) مما لا يجوز إذ أنه تعالى يقول (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) . وانظر سيرة ابن هشام ٣ : ٣٦٥ .

(1) كتاب الشافي في الامامة والنقض على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار ، وقد اختصره أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ ، وطبع الكتاب والمختصر في العجم سنة ١٣٠١ في جزأين .

تديّنُ عمر بإمامة أبي بكر ،وأنه أولى بالإمامة منه ، فهذا مدفوع أشدَّ دفْع ، من أنه قد كان يبدر من عمر في وقتٍ بعد آخر ما يدلُّ على ما أوردناه .

ثم أورد المرتضى بعض الأحاديث تعضيداً لرأيه منه ما ذُكِرَ عن ابن عمر أن أباه ذمَّ أبا بكر عنده وقوله لابنه (أفي غفلة أنت إلى يومك هذا عمَّا كان من تقدم أحمق بن تَيْم عليّ وظلمه لي) فقال له ابنه (أفلا تجلّي عن فعله بموقفٍ في الناس تبين ذلك لهم ؟) فقام عمر في الجمعة التي تلت وقال (أيها الناس : إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرَّهـا ، فَمنْ دعاكم إلى مثلها فاقتلوه)*.

ثم أورد المرتضى حديث الشعبيّ لرجل من الأزْد ، إذ تذاكروا في أبي بكر وعمر فضحك الشعبيّ وقال : لقد كان في صدر عمر ضِبّ[1] على أبي بكر ، فقال الأزديّ : والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قطّ كان أسلسَ قياداً لرجل ، ولا أقولَ فيه بالجميل من عمر في أبي بكر ، فأقبل عليّ الشعبيّ وقال : هذا مما سألتَ عنه ، ثم أقبل على الرّجل وقال : يا أخـا الأزْد ، فكيف تصنع بالفَلْتَة التي وقى الله شرّها ! أترى عدواً يقول في عـدوٍّ يريد أن يهدم ما بنى لنفسـه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر !*

ثم أورد المـرتضى حـديثـاً عن أبي مـوسى الأشعـريّ حيث التقىٰ المغيرة ابن شعبـة** ومن ثم انـطلاقـهم إلى عـمـر وكيـف تـذاكـروا في طـريقـهـم حسـد قـريش لأبي بـكـر إذ بـوُيع خليفـة حتى انتهوا إلى عمـر فقصّا عليـه مـا كـان فيـه فـأيـد المغيـرة في كـون قـريش أحسد الناس ثم قال لهما : ألا أخبركُما بأحْسَد قريش كلها ؟ فقالا : بلى يا أمير المؤمنين فانطلق بهما إلى رَحْله مخافة إذاعة الخبر بين الناس . فلما وصلوا هناك ودخلوا سألاه عن أحسد قريش كلها ، هذا الذي ذكره لهما . فقال : سألتما عن مُعْضِلة ؛ وسأخبركما فلْيكن عندكـما في ذِمّةٍ منيعة وحرزٍ ما بقيت ؛ فإذا مِتّ فشأنَكما وما شئتما من إظهار أو كتمان . قلنا : فإنَّ لك عندنا ذلك . قال أبو موسى : وأنا أقول في نفسي : ما يريد إلاَّ الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره ، فإنهم قالوا لأبي بكر : أتستخلف علينا فظًّا غليظاً ! وإذا هو يذهبُ إلى غير ما في نفسي ، فعاد إلى التنفّس ، ثم قال : مَنْ تَريانه ؟ قلنا : والله مـا ندري إلاَّ ظنّـاً ! قال : ومَن تَظُنَّان ؟ قلنا : عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر عـلى صَرْفِ هـذا الأمر عنـك ؛

(١) الضب : الحقد والعداوة ؛ وجمعه ضباب .

* بتصرف واختصار .

** وهما غير متهمين في عمر وأبي بكر ، كما أن انحرافهما عن أمير المؤمنين معروف لدى الجميع .

قال : كلاّ والله ! بل كان أبو بكر أعقّ ، وهو الذي سألتما عنه ، كان والله أحْسَد قريشٍ كلّها . ثم أطرق طويلاً ، فنظر المغيرة إليّ ونظرتُ إليه ، وأطرقْنا مليّاً لإطراقه ، وطال السكوت منّا ومنه ، حتى ظننا أنه قد ندِم على ما بدا منه . ثم قال : والهفاه على ضئيل بني تيم بن مرة ! لقد تقدَّمني ظالماً ، وخرج إليّ منها آثماً ، فقال المغيرة : أمّا تقدُّمه عليك يا أميرَ المؤمنين ظالماً فقد عرفناه ، كيف خرج إليك منها آثماً ؟ قال : ذاك لأنه لم يخرج إليّ منها إلاَّ بعد يأس منها ، أما والله لو كنت أطعتُ يزيد بن الخطاب وأصحابَه لم يتلَمّظ من حلاوتها بشيء أبداً ، ولكني قدّمت وأخّرت ، وصعّدت وصوّبت ، ونقَضْت وأبرمت ، فلم أجد إلاَّ الإغضاء على ما نشب به منها ، والتلهّف على نفسي ، وأمّلت إنَابته ورجوعَه ، فوالله ما فعل حتى نَغَر[1] بها بَشَماً .

ثم حدثهما عمر بما حدث في السقيفة من دعوة أبي بكر لعمر بالخلافة وكيف أن ذلك ما كان إلاَّ مكراً مكره أبو بكر ليعرف ما عند عمر وذلك بعد أن اتضح لأبي بكر أن الأمر قد صار إليه ، ثم حدثهما عمر عن معاتبة أبي بكر له عندما قُدِمَ عليه بالأشعث أسيراً فاطلقه أبو بكر وزوّجه أخته أم فَرْوة ، وكيف أن عمر جبه الأشعث بالكفر والارتداد . ثم إنه صادف الأشعث في الطريق فبين له الأشعث أنه يأبى اتباع عمر لأبي بكر وتخلفه عن الخلافة فقال له عمر : لقد كان ذلك ، فما تأمر الآن ؟ قال : إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ، ثم انصرفا . ولقى الأشعث الزِّبْرقان بن بدر فذكر له ما جرى بينه وبين عمر ، فنقل ذلك إلى أبي بكر ؛ فأرسل إلى عمر بعتاب مؤلم ، فأرسل عمر إليه : أما والله لَتَكُفَنّ أو لأقولنّ كلمة بالغة بي وبك في الناس ، تحملها الركبان حيث ساروا ، وإن شئتَ استدمنا ما نحن فيه عفواً ، فقال أبو بكر : بل نستديمه ، وإنها لصائرة إليك بعد أيام ، فظننت (والقول لعمر) أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها عليّ ، فتغافل ، والله ما ذاكرني بعد ذلك حرفاً حتى هلك .

ولقد مَدّ في أمَدها عاضّاً على نواجذه حتى حضره الموت ، وأيِسَ منها فكان منه ما رأيتماه ثم طلب عمر من الأشعري والمغيرة أن يكتما حديثه عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة*.

قال المرتضى : وليس في طَعْن عمرَ على أبي بكر ما يؤدّي إلى فساد خلافتِه ، إذْ له أن

---

(١) نغر: أي امتلأ .

* بتصرف واختصار .

يُثبِت إمامةَ نفسه بالإجماع ، لا بنصّ أبي بكر عليه . وأما الفلْتة فإنها وإن كانت محتمِلةً للبغْتة كما قاله أبو عليّ رحمه الله تعالى ؛ إلاّ أن قوله : « وقى الله شرّها » خصصها بأنّ مخرَجَها مخرج الذمّ . وكذلك قوله : « فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه » ، وقوله : المراد وقى الله شرّ الاختلاف فيها ، عدولٌ عن الظاهر ؛ لأنّ الشرَّ في الكلام مضاف إليها دون غيرها . وأبعدُ من هذا التأويل قوله : إنَّ المراد من عاد إلى مثلها من غير ضرورة وأكْرَهَ المسلمين عليها فاقتلوه ؛ لأن ما جرى هذا المجرى لا يكون مِثْلاً لبيعة أبي بكر عندهم ؛ لأنّ كلّ ذلك ما جرى فيها على مذاهبهم ؛ وقد كان يجب على هذا أن يقول : فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه .

وليس له أن يقول : إنما أراد بالمِثْل وَجْهاً واحداً ، وهو وقوعها من غير مشاورة ، لأنَّ ذلك إنَّما تَمّ في أبي بكر خاصة بظهور أمره واشتهار فضله . ولأنّهم بادروا إلى العَقْد خوفاً من الفتنة ؛ وذلك لأنه غير منكر أن يتفق من ظهور فضل غير أبي بكر واشتهار أمره وخوف الفتنة ما اتفق لأبي بكر ، فلا يستحقّ قتلاً ولا ذمّاً ؛ على أنّ قوله : « مِثْلها » يقتضي وقوعَها على الوجه الذي وقعت عليه ، فكيف يكون ما وقع من غير مشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة مِثْلا لما وقع بلا مشاورة ، ومن غير ضرورة ولا أسباب ! والذي رواه عن أهل اللغة من أنّ آخر يوم من شوال يسمَّى فَلْتة من حيث إنّ من لم يدرك فيه الثأر فإنَّه قول لا نعرفه ؛ والذي نعرفه أنّهم يسمون الليلة التي ينقضي بها آخرُ الأشهر الحُرُم ويتم فلتة ، وهي آخر ليلة من ليالي الشهر ، لأنه ربما رأى الهلالَ قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون ، فيغير هؤلاء على أولئك وهم غارّون[1] ، فلهذا سُمِّيت تلك الليلة فَلْتة ؛ على أنّا قد بيّنا أنّ مجموع الكلام يقتضي ما ذكرناه من المعنى ، لو سُلِّم له ما رواه عن أهل اللغة في احتمال هذه اللفظة .

قال : وقد ذكر صاحب كتاب « العين » أنّ الفلْتة الأمرُ الذي يقع على غير إحْكام ، فقد صحّ أنها موضوعة في اللغة لهذا ، وإن جاز ألاّ تختصّ به ، بل تكون لفظة مشتركة .

وبعد ، فلو كان عمر لم يُرِدْ بقوله توهينَ بيعة أبي بكر ؛ بل أراد ما ظنه المخالفون ، لكان ذلك عائداً عليه بالنقص ؛ لأنّه وضع كلامه في غير موضعه ، وأراد شيئاً فعبّر عن خلافه ، فليس يَخْرج هذا الخبر من أن يكون طعناً على أبي بكر ؛ إلاّ بأن يكون طعناً على عمر[2] .

---

(١) غارون : غافلون .

(٢) كتاب الشافي ٢٤٤ مع اختصار وتصرف .

قال الشارح :

واعلم أنّه لا يبعد أن يقال : إنّ الرضا والسخط ، والحبّ والبغْض ، وما شاكل ذلك ، من الأخلاق النفسانية وإن كانت أموراً باطنة ، فإنّها قد تُعْلَم ويضطر الحاضرون إلى تفصيلها بقرائنِ أحوال تفيدهم العلم الضروري ؛ كما يُعْلَم خوف الخائف وسرور المبتهج . وقد يكون الإنسان عاشقاً لآخر فيعلم المخالطون لهما ضرورةَ أنه يَعْشُقه ، لما يشاهدونه من قرائن الأحوال ، وكذلك يُعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد في العبادة ، وصوم الهواجر وملازمة الأوراد وسهر الليل ، أنه يتدين بذاك . فغيرُ منكر أن يقول قاضي القضاة رحمه الله تعالى : إنّ المعلوم ضرورةً من حالِ عمر تعظيم أبي بكر ورضاه بخلافته وتديّنه بذلك ، فالذي اعترضه رحمه الله تعالى به غيرُ وارد عليه .

وأما الأخبار التي رواها عن عمر فأخبار غريبة ؛ ما رأيناها في الكتب المدوّنة ، وما وقفنا عليها إلّا من كتاب المرتضى ، وكتاب آخر يعرف بكتاب « المسترشد »[1] لمحمد بن جرير الطبريّ - وليس هو محمد بن جرير صاحب « التاريخ » ، بل هو من رجال الشيعة - وأظنّ أنّ أمه من بني جرير من مدينة آمُل طَبَرِستان ، وبنو جرير الآمليّون شيعة مستهترون بالتشيّع ، فنسِب إلى أخواله ، ويدلّ على ذلك شعر مرويٌّ له وهو :

بآمُلَ مولِدِي وبنو جَريرٍ ... فأخوالي ، ويَحْكي المرء خالَه[2]

فَمَنْ يَكُ رافضيّاً عن أبيهِ ... فإني رافضيّ عن كَلالَهْ

وأنت تعلم حال الأخبار الغريبة التي لا توجد في الكتب المدونة كيف هي ؟ وأما إنكارُه ما ذكره شيخنا أبو عليّ رحمه الله تعالى من أنّ الفلتة هي آخر يوم من شوال ، وقوله : إنّا لا نعرفه ؛ فليس الأمر كذلك بل هو تفسير صحيح ، ذكره الجوهريّ في كتاب « الصحاح » قال : الفلتة آخر ليلة من كل شهر ، ويقال : هي آخر يوم من الشهر الذي بعده الشهر الحرام[3] . وهذا يدلّ على أن آخر يوم من شوال يسمى فَلْتة ، وكذلك آخر يوم من جمادي الآخرة ؛ وإنّما التفسيرُ الذي ذكره المرتضى غيرُ معروف عند أهل اللغة .

---

(١) كتاب المسترشد في الأمامة ، طبع في النجف وفي الأصول : « المستبشر » وهو خطأ ، راجع النجاشي ٢٦٦ .

(٢) نسبهما ياقوت في معجم البلدان (١ : ٦٣) إلى أبي بكر الخوارزمي ، وظن أنه قالهما في خاله الطبري المؤرخ : وحققه محمد باقر ، وذكر أن الأمر اشتبه على ياقوت . وانظر روضات الجنات ٦٧٣ .

(٣) الصحاح ١ : ٣٦٠.

وأما ما ذكره من إفساد حَمْلِ الفلتة في الخبرِ على هـذه الوجـوه المتأوّلـة فجيّد ، إلّا أنَّ الإنصاف أنَّ عمرَ لم يخرِج الكلام مخرج الذمّ لأمر أبي بكر ؛ وإنما أراد باللفظة محض حقيقتها في اللغة ، ذكر صاحب « الصّحاح » أن الفلتةَ الأمر الذي يُعمل فجأة من غير تردد ولا تدبّر ؛ وهكذا كانت بيعة أبي بكر ؛ لأنَّ الأمر لم يكن فيها شورى بين المسلمين ، وإنما وقعت بغتة لم تمحَّصْ فيها الآراء ، ولم يتَناظر فيها الرجال ، وكانت كالشيء المستـلَ المستلب ، وكان عمـر يخاف أن يموت عن غير وصيّة ، أو يُقتل قتلاً فيبايَع أحد من المسلمين بغتة كبيعة أبي بكـر ، فخطب بما خطب به ، وقال معتذراً : ألا إنه ليس فيكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق كأبي بكر !

وأيـضاً قول المرتضى : قد يتّفق من ظهورِ فضلِ غير أبي بكر وخوف الفتنة مثل ما اتفق لأبي بكر ، فلا يستحق القتل ، فإنّ لقائل أن يقول : إنّ عمر لم يخاطب بهذا إلاّ أهلَ عصره ، وكان هو رحمه الله يذهبُ إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر ، ولا من يُحتمل له أن يبايِـع فَلْتة كـما احتمِل ذلك لأبي بكر ؛ فإن اتفق أن يكون في عصرٍ آخر بعد عصره مَنْ يظهر فضله ، ويكون في زمانه كأبي بكر في زمانه فهو غيرُ داخل في نهي عمر وتحريمه .

واعلم أن الشيعة لم تسلِّم لعمر أن بيعـة أبي بكر كـانت فَلْتة*، قـال محمد بن هـانيء المغربيّ :

وَلكِنّ أمـراً كـان أبـرِمَ بينهم   وإن قال قوم فَلْتَةً غَيْرُ مُبْرَمِ (1)

وقال آخر :

زعـمـوهـا فَـلْتَـةً فـاجِئـةً   لا وَرَبِّ البيت والرُّكْنِ المشيدِ
إنمـا كـانتْ أمـراً نُسِجَتْ   بينهم أسبـابُها نَسْجَ الْبُـرود*

* * *

وروى أبو جعفر أيضاً في(2) التاريخ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبِض اجتمعت

* وخير خاتمة لحديث الفَلْتة هى الحكمة رقم ٥٢١ في الجزء العشرين لنهج البلاغة والتي أوردناها برقم ٥٠ فلتراجع .
(1) ديوانه ٦٨٩ (طبع المعارف) .
* راجع السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر لتعلم ثمة أن ما ذكره الشاعر ليس بعيداً . ثم راجع الحكمة رقم ٤١٤ في الجزء العشرين للنهج والتي أوردناها برقم ٤٩ حيث يقول الامام (واجمعـت ـ يعني قريشاً ـ مُذْ كان حيّـاً على صرفِ الأمرِ عَن أهل بيتِهِ بعد موته) ولا أظن أن هناك تصريحاً بأن الأمر دُبِّر بليل اكثر من هذا .
(2) تاريخ الطبري ٣ : ٢١٨ وما بعدها مع اختصار وتصرف .

الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة ، وأخرجوا سعد بن عبادة ، ليولّوه الخلافة ، وكـان مريضـاً ، فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرياسة والخلافة فأجابوه ، ثم ترادّوا الكلام فقـالوا : فـإنْ أبى المهاجرون ، وقالوا : نحن أولياؤه وعِتْرته ؟ فقال قوم من الأنصار : نقولُ : مِنّا أمير ومنكم أمير ، فقال سعد : فهذا أول الوَهَن ! وسمِع عمر الخبر فأتى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيه أبو بكر ، فأرسل إليه أن اخرج إليّ ، فأرسل : إني مشغول ، فأرسل إليه عمر أن اخرج ، فقد حدث أمر لا بدَّ أن تَحْضُرَه ، فخرج فأعلمه الخبر ، فمضيـا مسرعَـيْن نحوهم ومعهما أبو عُبيدة ، فتكلّم أبو بكر ، فذكر قُرْبَ المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه وأنّهم أولياؤه وعِتْرته ، ثم قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا نفتاتُ عليكم بمشورة ، ولا نقضي دونكم الأمور .

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال :

يا معشرَ الأنصار امِلكوا عليكم أمرَكم ؛ فإنَّ الناس في ظلِّكم ، ولن يجترىء مجترىء على خِلافكم ، ولا يَصـدُرُ أحد إلاَّ عن رأيكم . أنتم أهـل العِزّة والمَنعـة ، وأولـوا العَـدَد والكثرة ، وذوو البأس والنجدة ، وإنَّما ينظر الناس ما تصنعون ، فلا تختلِفوا فتفسـد عليكم أمورُكم ، فإن أبى هؤلاء إلاَّ ما سمعتم ؛ فمنا أمير ومنهم أمير* .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع سَيْفانِ في غِمْد ، والله لا تـرضى العرب أن تؤمِّـرَكم ونبيُّها من غيركم ، ولا تمتنع العربُ أن تولِّيَ أمرَها مَنْ كانت النبوّة منهم ؛ مَنْ ينازعنا سلطان محمد ، ونحن أولياؤه وعشيرته !

فقال الحبَاب بن المنذر :

يـا معشرَ الأنصار ، امِلكـوا أيديَكم ، ولا تسمعـوا مقالـةَ هذا وأصحـابه ، فيـذهبوا

---

* يقول الشيخ المظفر في كتابه السقيفة ص ٩٩ في عرضه لموقف الأنصار ونفسيتهم وانقسامهم على أنفسهم وانسحابهم أمام خصومهم (وأعظم من ذلك تنازلهم إلى الشركة في الأمر من قبل أن ينازعهم منازع ، أعني قبل مجيء جماعة من المهاجرين إليهم ، إذ قال قائلهم : « فإنا نقول إذن ـ أي عندما ينازعوننا ـ منا أمير ومنكم أمير ، ولن نرضى بدون هذا أبداً » ، فقال لهم سعد : « هذا أول الوهن » . والحق أنه أول الوهن وآخره . ثم يبتمر معهم هذا التنازل حتى بعد مجيء المهاجرين فكرروا هذه الكلمة بالرغم من تنبيه سعد لهم أنها من الوهن ، وهـذا يكشف ـ أيضاً ـ عن سماحة في نفوسهم ولين في طباعهم ، ويصدق ما قلنـاه أنهم مدافعـون أكثر منهم مهـاجمين ، فلم يطلبوا الإمارة ليملكوا مقدرات الأمة وشؤونها بل ليدفعوا ضرر من يخافون ضرره . فاكتفوا بالشركة التي يحصل بها الغرض من الدفاع) . ويقصد بالخوف من أن يملك الأمر من في نفسه الحقد على الأنصار قاتلي أهله في معارك النبي (ص) وقريش فينتقم منهم وهو ما حصل بعد ذلك في وقعة الحرة على عهد يزيد بن معاوية .

بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبَوْا عليكم فاجلَوهم من هذه البلاد ، فأنتم أحقُّ بهـذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدّين ؛ أنا جُذَيْلُها المحكَّك ، وعُذَيْقُها المرجّب ، أنا أبو شِبْلٍ في عرِّيسَة الأسد ، والله إن شئتم لَنُعِيدَنَّها جَذَعة .

فقال عمر : إذن يقتلَك الله ، قال : بل إياك يقتل .

فقال أبو عبيدة : يا معشرَ الأنصار ؛ إنّكم أولُ مَنْ نصر وآزر ، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر .

فقـام بشيـر بن سعد ، والد النعمان بن بشير فقال : يا معشرَ الأنصار ؛ ألا إنَّ محمداً من قريش ، وقومُه أولى به ، وايمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر .

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيَّهما شئتم ، فقالا : والله لا نتولّى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه في الصلاة ـ وهي أفضلُ الـدين ـ ابسط يدك . فلمّا بسط يـدَه ليبايعـاه سَبَقهما إليـه بشـير بن سعـد فبـايعـه ، فنـاداهُ الحُباب بن المنذر : يا بَشير ، عَقِقْتَ[1] عقاقِ ! أنَفِسْت على ابن عَمّك الإمارة[2] ! فقال أسيد بن حُضَيْرٍ[3] رئيس الأوس لأصحابه : والله لئنْ لم تبايعوا ليكوننَّ للخـزرج عليكم الفَضيلةُ أبداً . فقاموا فبايعوا أبا بكر .

فانكسر على سعد بن عبادة والخزرج ما اجتمعوا عليه ، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر مِنْ كلِّ جانب ، ثم حُمِل سعد بن عبادة إلى داره ، فبقي أياماً ، وأرسل إليه أبو بكر ليبايع ، فقـال : لا والله حتى أرمِيَكم بمـا في كنـانتي ، وأخضِّب سِنـان رمحي ، وأضـربَ بسيفي مـا أطاعني ، وأقاتلَكم بأهل بيتي ومن تبعَني ، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنسُ ما بايعتكم حتى أُعرَض على ربّي .

فقال عمر : لا تدعْه حتى يبايع ، فقال بشير بن سعد : إنه قد لجّ ، وليس بمبايع لكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتلَ معه أهله وطائفة من عشيرته ، ولا يضرّكم تركه ؛ إنّما هو رجل واحد ، فتركوه .

وجاءت أسلم فبايعت ، فقوِيَ بهم جانب أبي بكر ، وبايعه الناس .

---

(١) عقاق : مبنية على الكسر ، مثل حذام وفي الطبري « عققت عقاق » .

(٢) بعدها كما في التاريخ : « فقال : لا والله ، ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم » .

(٣) في الطبري : « ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش ؛ وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ؛ فقال بعضهم لبعض ، وفيهم أسيد بن حضير . . . » ثم ذكر كلام أسيد

وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفِّيَ كان أبو بكر في منزله[1] بالسُّنْح ، فقام عمر بن الخطاب فقال : ما مات رسول الله صلى الله عليه ، ولا يموت حتى يظهر دينهُ على الدِّين كله ، ولَيرجِعَنّ ، فَليُقطّعنَّ أيديَ رجال وأرجلهم ممّن أرْجَف بموته ، لا أسمع رجلاً يقول : مات رسول الله إلاَّ ضربته بسيفي . فجاء أبو بكر وكشفَ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : بأبي وأمي ! طِبْتَ حَيّاً وَمَيتاً ، والله لا يذيقك اللَّهُ الموتتيْن أبداً ، ثم خرج والناس حول عمر ، وهو يقول لهم : إنه لم يمت ، ويحلف ، فقال له : أيّها الحالف ، على رِسْلك ! ثم قال : مَنْ كان يعبد محمّد فإن محمّداً قد مات ومَنْ كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[2] ، وقال : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[3] ، قال عمر : فوالله ما ملكتُ نفسي حيث سمعتُها أن سقطتُ إلى الأرض ، وعلمتُ أنّ رسول الله صلى الله عليه قد مات .

وقد تكلّمت الشِّيعة في هذا الموضع ، وقالوا : إنَّه بلغ من قلّة عِلْمه أنّه لم يعلم أن الموتَ يجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه أُسوة الأنبياء في ذلك ؛ وقال : لما تلا أبو بكر الآيات ، أيقنْتُ الآن بوفاته . كأنّي لم أسمع هذه الآية ، فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكر فيه ، ما قال ذلك ، وَمَنْ هذه حاله لا يجوز أن يكون إماماً*.

وأجاب قاضي القضاة رحمه الله تعالى في « المغنى » عن هذا فقال : إنّ عمر لم يمنع من جواز موته عليه السلام ، ولا نَفَى كونه ممكناً ، ولكنه تأوّل في ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّيْنِ كُلِّهِ ﴾[4] ، وقال : كيف يموت ولم يظهَر صلوات الله عليه على الدين كُلِّه ! فقال أبو بكر : إذا ظهر دينهُ فقد ظهر هو ، وسيظهر دينهُ بعد وفاته .

فحمَل عمر قوله تعالى : ﴿ أَفإِنْ مَاتَ ﴾ على تأخّر الموت ، لا على نفيه بالكلية ،

---

(١) السنح ؛ بالضم ثم السكون : إحدى محال المدينة ؛ كان بها منزل أبي بكر ؛ وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة .

(٢) سورة الزمر ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

* وستعرف خطأ ذلك الاستدلال لأن عمر لم يكن جاهلاً بالأمر بل واعياً تماماً لما يقوم به . كما سترى عند ايرادنا لكلام المظفر بعد قليل في الهامش .

(٤) سورة التوبة ٣٣.

قـال : ولا يجب فيمن ذَهل عن بعض أحكـام القرآن ألاَّ يحفظَ القـرآن ، لأن الأمر لـو كان كذلك لوجب ألاَّ يحفظَ القرآن إلاَّ من عرف جميع أحكامه ؛ عـلى أنَّ حفظَ جميع القـرآن غير واجب ، ولا يقدح الإخلال به في الفضل(١) .

واعترض المرتضى رحمه الله تعالى في كتـاب « الشافي » هـذا الكلام ، فقـال : لا يخلُو خلاف عمر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال والاعتقاد أنّ الموت لا يجوز عليه على كلّ وجه ، أو يكون منكِراً لموته في تلك الحال من حيث لم يظهر على الدين كلِّه ، فإن كان الأوَّل فهو مما لا يجـوز خلاف عـاقل فيـه ، والعلم بجواز الموت على جميع البشر ضروريّ . وليس يحتاج في حصول هذا العلم إلى تلاوة الآيات التي تلاها أبو بكر . وإنْ كان الثاني ، فأوّل ما فيه أنّ هذا الاختلاف لا يليق بما احتجّ به أبو بكر عليه من قوله : ﴿ إنّكَ مَيّتٌ ﴾ ، لأن عمر لم ينكِـر على هـذا الوجـه جوازَ المـوت عليه وصحتَه ، وإنما خالف في وقته . فكان يجب أن يقول لأبي بكر : وأيّ حجة في هـذه الآيات عليّ ! فإني لم أمنع جوازَ موته ، وإنما منعتُ وقوع موته الآن ، وجوزته في المستقبل ، والآيات إنَّما تدل على جواز الموت فَقَطْ ، لا على تخصيصه بحال معينة .

وبعد ، فكيف دخلت هذه الشبهة البعيدة على عُمر من بين سائر الخلق ! ومن أين زعم أنه سيعود فيقطع أيديَ رجال وأرجلَهم ! وكيف لم يحصل له من اليقين لّما رأى من الواعية(٢) وكآبة الخلْق وإغلاق الباب وصُراخ النساء ما يدفع به ذلك الوهْم والشبهة البعيدة ، فلم يحتج إلى موقِّف !

وبعد ، فيجب إن كانت هذه شبهته أن يقول في مرض النبي صلى الله عليه وآله ـ وقد رَأى جَزَع أهلِه وخوفهم عليه الموت ، وقولَ أسامة صاحب الجيش ـ : لم أكنْ لأرحَل وأنت هكذا وأسأل عنك الرّكْب ؛ يا هؤلاء لا تخافوا ولا تجزعوا ، ولا تخف أنت يا أسـامة ، فـإنَّ رسول الله صلى الله عليه لا يموت الآن لأنّه لم يَظْهر على الدين كلِّه .

وبعد ، فليس هذا من أحكـام الكتاب التي يُعْـذَر من لا يعرفهـا على مـا ظنّ المعتذِر له(٣) .

* * *

(١) نقله المرتضى في الشافي ٢٥٢ ص مع اختلاف في الروايتين .

(٢) الواعية : الصراخ على الميت .

(٣) الشافي ٢٥٢ مع اختصار وتصرف .

ونحن نقول : إن عمر كان أجلّ قدراً من أن يعتقد ما ظهر عنه في هذه الواقعة ؛ ولكنه لما علم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد مات ، خاف من وقوع فتنة في الإمامة ، وتقلّب أقوام عليها ، إمَّا من الأنصار أو غيرهم ، وخاف أيضاً من حدوث رِدّة ، ورجوع عن الإسلام ، فإنَّه كان ضعيفاً بعد لم يتمكّن ، وخاف من تِراتٍ تُشَنّ ، ودماء تراق ، فإنّ أكثرَ العرب كان موتوراً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لِقَتْل مَنْ قَتَل أصحابُه منهم ، وفي مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة ، وتُهْتَبَلُ الغِرّة ، فاقتضت المصلحة عنده تسكينَ الناس بأنْ أظهر ما أظهره من كون رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت ، وأوقعَ تلك الشبهةَ في قلوبهم ، فكسر بها شِرَّةَ كثير منهم ، وظنوها حقّاً ، فثناهم بذلك عن حادث يُحدثونه ، تخيّلاً منهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما مات ؛ وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه ، وهكذا كان عمر يقول لهم : إنّه قد غاب عنكم كما غاب موسى عن قومه ، وليعودَنّ فليقطِّعنّ أيديَ قوم أرجفوا بموته .

ومثلَ هذا الكلام يقع في الوهْم ، فيصدّ عن كثير من العزم ؛ ألا ترى أنّ الملِك إذا مات في مدينة وقع فيها في أكثر الأمر نهب وفساد وتحريق ، وكلّ مَنْ في نفسه حِقْد على آخر بلَغ منه غرضه ، إمَّا بقتلٍ أو جرح أو نهْب مال ؛ إلى أن تتمهَّد قاعدةُ الملِك الذي يَلِي بعده ؛ فإذا كان في المدينة وزير حازم الرأي ، كتم موت الملك ، وسجن قوماً ممن أرجف نداء بموته ، وأقام فيهم السياسة ، وأشاع أن الملِك حيّ ، وأنّ أوامره وكتبه نافذة ، ولا يزال يلزم ذلك الناموس إلى أن يمهِّد قاعدة الملك للوالي بعده ؛ وكذلك عمر أظهر ما أظهر حِراسة للدين والدولة ، إلى أن جاء أبو بكر ـ وكان غائباً بالسُّنْح ، وهو منزل بعيد عن المدينة ـ فلما اجتمع بأبي بكر قوِيَ به جأشُه ، واشتدّ به أزره ، وعَظُم طاعة الناس له وميلهم إليه ، فسكت حينئذٍ عن تلك الدعوى التي كان ادّعاها ، لأنه قد أمِنَ بحضور أبي بكر من خَطْبٍ يحدث ، أو فساد يتجدّد ؛ وكان أبو بكر محبباً إلى الناس ؛ لا سيّما المهاجرين .

ويجوز عند الشيعة وعند أصحابنا أيضاً أن يقول الإنسان كلاماً ظاهر الكذب على جهة المعاريض ؛ فلا وَصْمَةَ على عمر إذا كان حَلَف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لم يمُتْ ، ولا وَصْمَةَ عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة ما تلا : كأني لم أسمعها ، أو قد تيقنت الآن وفاته صلى الله عليه ، لأنه أراد بهذا القول الأخير تشييدَ القول الأول ، وكان هو الصواب ، وكان من سيِّىء الرأي وقبيحه أن يقولَ : إنَّما قلتهُ تسكيناً لكم ، ولم أقله عن

اعتقاد ، فالذي بَدَأ به حَسن وصواب ، والذي ختم به أحسن وأصوَب*.

* * *

---

* قال الشيخ المظفر في كتابه السقيفة ص ١٠٩ بعد ين أعطى صورة دقيقة عن حال المسلمين عند سماعة نبأ وفاة النبي (ص) وترقبهم لما سيحدث على المسرح الإسلامي ، قال :

(١) وهو يبعد عن المسجد بميل واحد « وفي رواية عن عائشة » وكذا في معجم البلدان ولعله اعتمد على هذه الرواية . ولكن السنح هو عالية من عوالي المدينة وادنى العوالي ـ بتقدير نفس المعجم ـ يبعد بأربعة أميال أو ثلاثة .

(٢) اقتبسنا مجموع هذه العبارة من كنز العمال «٣ : ١٢٩ ، ٤ : ٥٣» ومن تاريخي الطبري وابن الأثير والبخاري «٤ : ١٥٢» والسيرة الدحلانية «٢ : ٣٤٧» ولفظ « كنت أرجو أن يعيش . . » في الصحيح والسيرة . والمروي في هذه الكتب وغيرها بألفاظ متقاربة جداً وتختلف بما لا يضر بالمعنى .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد (٢ : ٨) .

(٤) راجع الامامة والسياسة .

(ولكن . . ولكن عمر بن الخطاب صاحب رسول الله ذلك الرجل الحديدي أبىٰ على الناس تصديقهم بموت نبيهم ، إذ طلع صارخاً مهدداً « وقد قطع عليهم تفكيرهم وهواجسهم » وراح يهتف بهم : « ما مات رسول الله ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله . وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته . لا أسمع رجلاً يقول مات رسول الله إلا ضربته بسيفي » .

أتراك « لو خلوت بنفسك وأنت هادىء الأفكار » تقتنع بوحي هذه الفكرة من هذا الذي لا يقعقع له بالشنان ، وأنت لا تدري لماذا رسول الله يقطع أيدي وأرجل من أرجف بموته ، أو بالأصح من قال بموته ؟ ولأي ذنب يستحق الضرب بالسيف هذا القائل ؟ ومن أين علم أن رسول الله لا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله ؟ وما هو هذا الرجوع ؟ أرجوع بعد الموت أو بعد غيبة « كغيبة موسى بن عمران كما يدعيها عمر بن الخطاب في بعض الحديث » ولكنها أية غيبة هذه وهو مسجى بين أهله لا حراك فيه ؟

إلا أني أعتقد أنك لو كنت ممن ضمه هذا الإجتماع لذهبت بتياره ولتأثرت بهذا القول إلى أبعد حد كسائر من معك ما دام الإجتماع بتلك الحال التي وصفناها ، والخطيب هو عمرُ بن الخطاب ، وقد جاء بتلك الدعوة الثائرة ، في صرامة إرادة ورأي بلغا أقصى درجات الصرامة ، وقد استعمل المغريات الخلابة للجماعات : فمن أمل بحياة الرسول وبإظهار دينه على الدين كله ـ إلى توعيد بقطع رسول الله أيدي وأرجل المرجفين بموته وتهديد منه « أعني عمر » بقتل من يقول مات رسول الله .

إنهما الخوف والأمل إذا اجتمعا مع هذا الرأي القاطع والإرادة الصارمة لهما التأثير العظيم الذي لا يوصف على أفكار الجماعة الإجتماعية وأي تخدير بها لأعصاب المجتمعين . ومن وراء ذلك أن شأن المحبين يتعللون في موت حبيبهم إذ نعي بالأوهام ولا يرضون لأنفسهم التصديق بموته لا سيما مثل فقيدهم هذا العظيم الذي يجوز عليه ما لا يجوز على البشر .

ولا شك أن مميزات الجماعة المقصودة لعلماء الإجتماع كانت متوفرة في الإجتماع الفجائي المضطرب الأفكار المتأثر بهذا الحدث العظيم المتحفز للحوادث المجهولة والمفاجآت المنتظرة . ومن البديهي أن الإجتماع الذي يتألف على هذا النحو تتكون منه روح واحدة مشتركة حساسة تتغلب على نفسيات أفراده الشخصية ، وتكون هذه الروح =

= بخاضعة لمؤثرات لا حكم لها غالباً على روحية الفرد لو كان خارج الإجتماع . وأهم خواص هذه الروح أنها تكون عرضة للتقلبات والإنقلابات الفجائية ويبطل فيها حكم العقل وسلطانه ويقوى سلطان المحاكاة والتقليد الأعمى . ولذلك لا تفكر الجماعات إلا بأحط فكرة فيها ، وتقبل أيضاً كل فكرة تعرض عليها إذا اقترنت بالمؤثرات الخلابة وإن خرجت عن حدود المعقول . ومن أقوى المؤثرات شخصية الخطيب وصرامة رأيه .

فلا نستغرب قناعة المسلمين يومئذ برأي عمر بقدر ما نستغرب منه نفسه هذا الرأي ، وإن لم ينقل لنا صريحاً قبولهم له ، كما لم ينقل في الوقت نفسه إعتراض أحد عليه سوى أبي بكر وقد جاء متأخراً . وإذا أبيت فعلى الأقل شككهم في موت النبي وألهاهم عن التفكير فيما يجب أن يكون بعده وفيما سيحدث من حوادث منتظرة ، لأنهم - لاشك - التفوا حوله متعجبين مستغربين وهو مستمر يبرق ويرعد مهدداً حتى « أزبد شدقاه » .

ولكلمة « الأرجاف » هنا التأثير البليغ في إقلاع أفكار الجماعات عن الدعوى التي يدعونها لأنها من الألفاظ الخلابة التي تتضمن التهجين الشنيع للدعوى والإشمئزاز منها إلى أبعد حد ، إذ نشعر هنا أن مدعيها من المنافقين الذين لهم غرض مع النبي والإسلام ، فقال « . . . . ممن أرجف بموته » ولم يقل ممن ادعى أو قال . وهذا كاف للتأثير على الجماعات وتكوين التسعور السنح[1] أن يكشف عن وجه النبي ليتحقق موته ، ثم يخرج إلى الناس مفنداً مزاعم عمر ، وعمر مستمر يحلف أنه لم يمت . وطلب إليه أن يجلس - فلم يجلس - ثلاث مرات ، فقال له : « أيها الحالف على رسلك » . . . ثم قام خطيباً في ناحية أخرى وقد اجتمع حوله الناس فتشهد وقال - وعمر مستمر وقد تركه الناس - :

« من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . . . » . ثم تلا هذه الآية الكريمة : ﴿ **أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . .** ﴾ .

و « شاهد ثان » : إن الناس لما سمعوا كلام أبي بكر أصبحوا كأنما أخرجوا من مأزق أو أطلقوا من عقال ، فإنهم تلقوا الآية كلهم وراحوا يلهجون بها « فما تسمع بشراً من الناس إلا يتلوها » .

أما عمر فقد صعق إلى الأرض وصدق حينئذ بموت النبي بعد أن تحقق أن الآية من القرآن ، كما يقول .

* * *

لله أبوك يابن الخطاب ! ما أدهشني بك ، وأنت أنت ، إذ تقف ذلك الموقف الرهيب حالفاً مهدداً ، لتنكر أمراً واضحاً ، ألم يعلمك الإسلام حقيقة محمد فتنكر أنه يموت ؟ ثم تسمعي مدعي موته « مرجفاً » ؟

- لا ؟ ولكنك تحاول أن تقنع الناس أنه غاب كما غاب موسى بن عمران ، فيرجع ليقطع الأيدي والأرجل . إلا أنه - بالله عليك - أية غيبة هذه ؟

وأنت أعجب وأعجب حين تسرع مصدقاً وتنقاد طائعاً لقول قاله أبو بكر لا يكذبك ولا يصدقك ، بعد ذلك التوعيد والتهديد . أو لست أنت كنت تعترف أنه يموت بعد أن يظهر دينه على الدين كله ؟ فأي دليل كان في الآية ناقض قولك فأقنعك حتى صعقت إلى الأرض . والآية لا تدل على أنه يموت يوم مات ! .

وأعجب من ذلك كله وقوفك بعد يوم معتذراً فتقول : فإني قلت بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلى رسول الله . ولكن كنت أرجو أن يعيش رسول الله فيدبرنا ويكون آخرنا موتاً[1] . فأين هذا الرجاء الفاتر من تلك الصرخة المعلنة وذلك الحلف والتهديد وطعن القائل بموته بالأرجاف ؟ وأين هذا الإعتذار الهادىء من تلك الدعوى الثائرة ؟

= إن لك لسراً عظيماً !

يبدو لي أن عمر كان أبعد من أن يظهر بهذه السهولة لقارئي هذه الحادثة . ومن البعيد جداً وفوق البعد أن يعتقد مثله أن النبي لا يموت يوم مات ، وهو الذي قال في مرضه ـ كما سبق ـ بكل رباطة جأش : « إن النبي قد غلبه الوجع . . . حسبنا كتاب الله » . فأي معنى تراه لقوله « حسبنا . . . » لرد الكتاب الذي أراده النبي لأمته بعد موته ، لو لم يكن معتقداً أنه سيموت وأن كتاب الله يغني عن أي شيء آخر يريد أن يقرنه النبي به .

وهل تراه قال ما قال دهشة بالمصيبة ؟ فما باله لم يعتذر بذلك بعد يوم وقد سمعت اعتذاره ! بل ما باله لم يزد دهشة لما تحقق أنه قد مات ! هيهات أن يكون قد دهش فيخفى عليه موت النبي وهو هو من نعرف .

وبعض الناس قد جهلوا عمر بهذا وأبعدوا ، فقالوا : من يجهل مثل هذا الأمر الواضح المعلوم بالإضطرار جدير بأن لا يكون إماماً راعياً للأمة . . .

والتجأ بعضهم الآخر أن يعتذر عنه بأن ذلك من فرط دهشته .

وفيما عندي أن الطرفين لم يعرفها حق عرفانه ولم يصلا إلى غوره وتدبيره في هذا الحادث المدهش . فإن من يعتقد أن النبي قد غاب فيحلف لا يقنعه مثل حجة أبي بكر فيرتدع . ومن خبل بالمصيبة فهو عند اليقين بها أدهش وأدهش .

* * *

ويكفي المتدبر في مجموع نقاط هذه الحادثة أن يفهم هذا الذي لا يختل بالحرش ، فيعرف أن وراء الأكمة ما وراءها ، ولا يضعه حيث وضعه الناس .

ألا تعتقد معي أنه كان يخشى أن يحدث القوم ما لا يريد ، وقد أشرأبت الأعناق ـ بطبيعة الحال ـ إلى من سيخلف النبي ، وهذه ساعة طائشة ، وأبو بكر بالسنح غائب ، وهو خدنه وساعده ، وهما أينما كانا هما ولعلهما وحدهما قد تفاهما في هذا الأمر . . فأراد أن يصرف القوم عما هم فيها ، ويحوِّل تفكيرهم إلى ناحية أخرى ، إن لم يجعلهم يعتقدون غياب النبي . حتى لا يحدثوا بيعة لأحد من الناس قبل وصول صاحبه . وليس هناك من تحوم حوله الأفكار إلا علياً للنص عليه كما نعتقد أو لأنه أولى الناس ، ما شئت فقل « حتى كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله »[1] .

وكانوا يلاحظون في علي بن أبي طالب صغر سنه[1] وحسد العرب وقريش خاصة إياه ، وتمالؤها عليه ولا تعصب الدماء التي أراقها الإسلا إلا به ، لأنه الأمثل ، في عشيرة الرسول على عادة العرب وبسيفه قتل أكثر أبطالهم . ويلاحظون « رابعاً » كراهة قريش لإجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم فيبجحون على قومهم بجحاً بجحاً كما يراه عمر فيما سبق في الفصل الثاني من محاورته مع ابن عباس . ويلاحظون « خامساً » أنه سيحملهم إذا ولي الأمر على الحق الأبلج والمحجة البيضاء وإن كرهوا « على حد تعبير عمر نفسه » ، والحق مر في الأذواق .

ويظهر أن عمر بطل المعارضة في إمارة علي كما شاهدنا موقفه في قصة الكتاب الذي أراد أن يكتبه النبي وفي مواقفه التي أشرنا إليها في الفصل الثاني ، فلا نعجب إذا رأيناه يقف هذا الموقف ليلهي الناس عما يخشاه من إستباق أحد إلى بيعة علي قبل مجيء أبي بكر .

أما أنه هل كان يدري كيف سيخرج من هذا المأزق الذي أدخل نفسه فيه فأغلب الظن أنه غامر بنفسه ليقف الناس عند حدهم . وعلى صاحبه إذا جاء أن يدبر الأمر حينئذ .

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب « السقيفة » عن عمر بن شبّة ، عن محمد بن منصور ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار ، قال : كان النبي صلى الله عليه وآله قدبعثَ أبا سفيان ساعياً[١] ، فرجع من سِعايته وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلقيَه قوم فسألهم ، فقالوا : مات رسـول الله صلى الله عليـه ، فقال : مَنْ وليَ بعده ؟ قيل : أبو بكر ، قال : أبو فَصِيل ! قالوا : نعم ، قال : فما فعل المستضعفان: عليّ والعباس ! أما والّذي نفسي بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وذكر الراوي ـ وهو جعفر بن سليمان ـ أنَّ أبا سفيانَ قال شيئاً آخر لم تحفظه الرواة ؛ فلما قدم المدينة قال : إنّي لأرى عَجاجة لا يطفئها إلَّا الدم ! قال : فكلّم عمرُ أبا بكر ، فقال : إنَّ أبا سُفيان قد قَدِمَ ، وإنا لا نأمن شَرّه ، فدَعْ له ما في يده ، فتركه فرضيَ .

وروى أحمد بن عبد العزيز أن أبا سفيان قال لما بويع عثمان ، : كان هذا الأمر في تَيْم ، وأنّى لتَيْم هذا الأمر ! ثم صار إلى عديّ فأبعد وأبعد ، ثم رجعت إلى منازلها ، واستقرّ الأمر قراره ، فتلقفوها تلقّفَ الكرة .

قال أحمد بن عبد العزيز : وحدّثني المغيرة بن محمد المهلّبي قال : ذاكرت إسماعيل بن إسحاق القاضي بهذا الحديث ، وأنّ أبا سفيان قال لعثمان : بأبي أنت ! أنفق ولا تكنْ كأبي حجر ، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدانِ الكُرة ، فوالله ما من جَنّة ولا نار ـ وكان الزّبـير حاضراً ، فقال عثمان لأبي سفيان : اعْزُب ، فقال : يا بنيّ أهاهنا أحد ! قال الـزبير : نعم والله لاكتمتُها عليك ـ قال : فقال إسماعيل : هذا باطل . قلت : وكيف ذلك ؟ قـال : ما

= وأقوى الشواهد على هذا التعليل ما قلناه من سرعة قناعته بقول صاحبه أبي بكر ، وهو لا يمس دعواه تكذيباً . . . وليس إلا أن جاء أبو بكـر ووقف خطيباً والتف حولـه الناس وهـو يعلم من أبو بكـر فقد انتهت مهمتـه وانقلب الدور ، ولم يبق إلا أن يخرج من مـوقفه الحـرج بلباقـة ، لئلا يحسـوا بهذا التـدبير فينتقض الغـرض ، فصعق إلى الأرض كأنما تحقق موت النبي من جديد مظهراً القناعة بقول صاحبه . ثم لم يلبث أن راح يشتد معه لعلهما كأنمـا نشط من عقال ولم يقل ما قال ، ولم يظهر ما أظهر من الدهشة والإضطراب ، حتى رمى بالحبـل وهو عنه بعيد ، فقد ذهب بعد ذلك إلى السقيفة مع أبي بكر حينما علما باجتماع الأنصار السري ووقفنا ذلك الموقف العجيب .

(١) السعاية : مباشرة أعمال الصدقات .

أنكِر هذا من أبي سفيان ، ولكن أنكِر أن يكون سَمِعه عثمان ، ولم يضرب عنقه .

وروى أحمد بن عبد العزيز ، قال : جاء أبو سفيان إلى عليّ عليه السلام ، فقال : ولّيتم على هذا الأمر أذلّ بيت في قريش ، أما والله لئن شئت لأملأنّها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً ، فقال عليّ عليه السلام : طالما غششتَ الإسلام وأهلَه فما ضررتَهم شيئاً ! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك* ، لولا أنّا رأينا أبا بكر لها أهلاً ، لما تركناه** .

وروى أحمد بن عبد العزيز ، قال : لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى عليّ وهو في بيت فاطمة ، فيتشاورون ويتراجعون أمورهم ، فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام ، وقال : يا بنتَ رسول الله ، ما من أحد من الخلق أحبّ إلينا من أبيك ، وما من أحد أحبّ إلينا منك بعد أبيك ، وايمُ الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النَّفَر عندك أنْ آمرَ بتحريق البيت عليهم . فلما خرج عمر جاءوها ، فقالت : تعلَمون أنَّ عمر جاءني ، وحلف لي بالله إن عُدتم لَيحرقَنّ عليكم البيت ، وايمُ الله ليمضينّ لما حَلَف له ، فانصرفوا عنا راشدين . فلم يرجعوا إلى بيتها ، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر .

* * *

وروى أحمد ـ وروى المبرّد في « الكامل » صدر هذا الخبر[1] ـ عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : دخلتُ على أبي بكر أعودُه في مرضه الذي مات فيه ، فسلّمت ، وسألته : كيف به ؟ فأستوى جالساً ، فقلت : لقد أصبحت بحمد الله بارئاً ، فقال : أما إني على ما تَرى لوجع . . . إلى أن قال : أما إني لا آسَ إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ ، ودِدت أنّي لم أفعلهنّ . . . فودِدْتُ أني لم أكن كشفتُ عن بيت فاطمة وتركتهُ ولو أُغْلق على حَرْب . . . الخ*** .

---

* هنا تبرز عظمة الامام إذ كان بامكانه الاستعانة بأبي سفيان وغيره ليرجع الأمر إليه كما فعل غيره باستعانتهم بكل من تبرع بذلك ، كلٌ لسببٍ خاصٍ به ، ولكن الحيطة على الدين هي هاجسه الوحيد ، وعلى أية حال ، لو لم يكن كذلك لما كان لنا معه هذا الموقف من التعظيم .

** وهذه الزيادة يدفعها نفثات الامام وزفراته وادعاؤه ـ وهو صادق ـ بأنه ليس هناك من يدانيه لا من يفوّقه ويسلبه حقه ، وتجد ذلك في هذا الجامع .

(١) والخبر أيضاً في تاريخ الطبري : (٣ : ٢٣٤) وما بعدها .

*** باختصار .

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز ، عن حُباب بن يزيد ، عن جرير بن المغيرة أنّ سلمان والزّبير والأنصار كان هواهم أن يُبايعوا عليّاً عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلمّا بُويع أبو بكر ، قال سلمان : أصبتم الخِبْرَةَ وأخطأتم المَعْدِن .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبَّة ، قال : حدثنا عليّ بن أبي هاشم ، قال : حدّثنا عمرو بن ثابت ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : قال سلمان يومئذٍ : أصبتم ذا السنّ منكم ، وأخطأتم أهلَ بيت نبيِّكم ؛ لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ، ولأكلتموها رغَداً .

قال أبو بكر : وأخبرنا عمر بن شبّة ، قال : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا غسّان بن عبد الحميد ، قال : لمّا أكثر الناس في تخلُّف عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر ، واشتدَّ أبو بكر وعمر عليه في ذلك ، خرجتْ أم مِسْطح بن أُثاثة ، فوقفتْ عند القبر ، وقالت :

كانتْ أمورٌ أنباءٌ وَهَنْبَثَةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبِ[1]
إنّا فَقَدْناك فَقْدَ الأرْضِ وَابِلَها ... واختلّ قومُك فاشْهَدْهُمْ ولا تَغِبِ[2]

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهِيعة ، عن أبي الأسود ، قال : غضب رجالٌ من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة ، وغضب عليّ والزبير ، فدخَلا بيت فاطمة عليها السلام ، معهما السلاح ، فجاء عمر في عصابة ؛ منهم أُسَيْد بن حُضَير وسلمَة بن سَلاَمة بن وَقش ـ وهما من بني عبد الأشهل ـ فصاحت فاطمة عليها السلام ، وناشدتْهم الله . فأخذوا سيفي عليّ والزبير ، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ، ثم أخرجهما عمر يَسُوقهما حتى بايعا ، ثم قام أبو بكر فخطب الناس ، واعتذر إليهم ، وقال : إنَّ بيعتي كانت فَلْتَة وقى الله شرَّها ، وخشيتُ الفتنة ، وايمُ الله ما حرَصت عليها يوماً قطّ ، ولقد قُلِّدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يدان ، ولوَدِدْتُ أنّ أقوى الناس عليه مكاني . وجعل يعتذر إليهم ، فقبل

(١) الهنبثة ، واحدة الهنابث ؛ وهي الأمور الشداد المختلفة ؛ والبيتان في اللسان (٣ : ٢٠)، وذكر أنه جاء في حديث أن فاطمة قالتها بعد موت الرسول عليه السلام ؛ وذكر أيضاً أنه ورد هذا الشعر في حديث آخر ؛ قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت صفية تلفع بثوبها وتقول البيتين » .
(٢) اللسان : « فاختل » .

المهاجرون عذرَه . وقال عليّ والزبير : ما غَضِبْنا إلاَّ في المشورة ، وإنَّا لَنَرَى أبا بكر أحقّ الناس بها ؛ إنه لصاحبُ الغار ، وإنا لنعرف له سنّه ،ولقد أمّره رسول الله صلى الله عليه بالصلاة بالناس وهو حيّ*.

قال أبو بكر ـ وقد روى بـإسناد آخـر ذكره ؛ أنَّ ثـابت بن قيس بن شَمّاس كـان مع الجماعة الذين حَضَرُوا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام ؛ وثابت هذا أخو بني الحارث بن الخزرج .

وروى أيضاً أن محمد بن مسكمة كان معهم ، وأن محمداً هو الذي كسر سيف الزبير .

وقال أبو بكر : حدّثني المغيرة بن محمد المهلّبي من حفظه وعمر بن شَبّـة من كتابـه ، بإسنادٍ رفعه إلى أبي سعيد الخُـدْريّ ، قال : سمعت البَرَاء بن عازب يقـول : لم أزلْ لبني هاشم محبّاً ، فلما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه تخوّفتُ أن تَتمالأ قريْشُ على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم ، فأخذني ما يأخذ الوَالهَ العَجُول .

ثم ذكر ما قد ذكرناه في شرح قوله عليه السلام : « أما والله لقد تَقَمّصها فلان »، وزاد فيه في هذه الرواية : فمكثتُ أكابد ما في نفسي ، فلما كان بليل ، خرجت إلى المسجد ، فلما صرت فيه تذكّرت أنّي كنت أسمع هَمْهَمة رسول الله صلى الله عليـه بالقـرآن ، فامتنعتُ من مكاني ، فخرجت إلى الفضاء ، فضاء بني بَيَاضة ، وأجـد نفراً يتنـاجون ، فلما دنـوتُ منهم سَكَتُوا ، فانصرفت عنهم ، فعرفوني وما أعرفهم ، فدعوني إليهم فأتيتُهم ، فأجد المقـدادَبْنَ الأسود وعبادة بن الصامت ، وسلمان الفارسيّ ، وأبا ذرّ ، وحُذيفة ، وأبا الهَيْثم بن التّيهان؛ وإذا حُذَيفة يقول لهم : والله ليكونَنّ ما أخبرتُكم به ، والله ما كَذَبت ولا كُذِبت ؛ وإذا القوم يريدون أن يُعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين .

ثم قال : ائتوا أبيَّ بن كعب ، فقد علم كما علمت . قال : فانطلقنا إلى أبيّ ، فضربنا عليه بـابـه : حتى صـار خلف البـاب ، فقـال : من أنتم ؟ فكلّمـه المقـداد ، فقـال : مـا حاجتكم ؟ فقال له : افتح عليك بَابَك ، فإنَّ الأمر أعظم من أن يُجْرَى من وراء حجاب ،

---

* وهذا مدفوع بما سبق وإن قلناه في الهامش من ادعاءات الامام المتكررة بافضليته وبسلب حقه . يدفعه أيضاً استحالة وقوفهم ذلك الموقف واعتصامهم في دار فاطمة وخروج الزبير بالسيف وقوله ابايع علياً في حين أنهم لم يغضبـوا ـ على زعم هذا الحديث ـ إلاّ في المشورة . ويدفعه كذلك مزايا أبي بكر التفضيلية وهي السن والصحبة في الغار والصلاة وهو مما لا يستدل به الامام بل عامة الناس !!

قال : ما أنا بفاتح بابي ، وقد عرفتُ ما جئتم له ، كأنّكم أردتم النظر في هذا العقد . فقلنا : نعم ، فقال : أفيكم حُذيفَة ؟ فقلنا : نعم ، قالْ : فالقول ما قال ؛ وبالله ما أفْتَح عني بابي حتى يُجْرى على ما هي جارية ، ولَما يكون بعدها شَرٌّ منها ، وإلى الله المشتكى*!

قال : وبلغ الخبرُ أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عُبيدة والمغيرة بن شُعْبة ، فسألاهما عن الرّأي ، فقال المغيرة : أن تَلْقَوُا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقِبه ، فتقطعوا به من ناحية عليٍّ ، ويكون لكم حُجّة عند الناس على عليّ ، إذا مال معكم العباس .

فانطلقوا حتى دخلوا على العبّاس في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله . ثم ذكر خطبة أبي بكر وكلام عمر وما أجابهما العباس به ، وقد ذكرناه فيما تقدم .

وروى أبو بكر ، قال : أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما تُوَفِّيَ النبي صلى الله عليه اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة ، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عُبيدة ، فقال الحُباب : بن المنذر : منّا أمير ومنكم أمير ، إنّا والله ما ننْفِس[1] هذا الأمر عليكم أيّها الرهط ؛ ولكنا نخاف أن يليه بعدكم مَنْ قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم ؛ فقال عمر بن الخطاب : إذا كان ذلك قمت إن استطعت . فتكلّم أبو بكر فقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء*، والأمر بيننا نصفان كشِقّ الأُبلمة[2] . فبويع ، وكان أول من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير .

فلما اجتمع الناس على أبي بكر ، قَسَم قَسْماً[3] بين نساء المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قَسْمَها مع زيد بن ثابت ، فقالت : ما هذا ؟ قال : قَسْمُ

---

* وهذا الخوف من أبيّ يعطي لمحة عن الجو الذي كان سائداً آنذاك وكيف أن القوم أصبحوا حكم ومعارضة بشكل واضح .

(١) تنفس : تحسد .

* وهو منصب خيالي لا وجود له ولكن استعمله لتسكينهم .

(٢) في اللسان : (١٤ : ٣٢٠) وفي حديث السقيفة : « الأمر بيننا وبينكم كقدّ الأبلمة » ، والأبلمة ، بضم الهمزة واللام وفتحهما وكسرهما : خوصة المقل ، وهمزتها زائدة ، يقول : « نحن وإياكم في الحكم سواء » لا فضل لأمير على مأمور ، كالخوصة إذا شقت اثنتين متساويتين .

(٣) القسم هنا : العطاء .

قَسَمه أبو بكر للنساء ، قالت : أتراشونني عن ديني* ! والله لا أقبل منه شيئاً فردته عليه .

قلت : قرأت هذا الخبر على أبي جعفر يحيى بن محمد العلويّ الحسينيّ المعروف بابن أبي زيد نقيب البصرة رحمه الله تعالى في سنة عشر وستمائة من كتاب السَّقِيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : لقد صدقت فِراسة الحُباب ، فإنَّ الذي خافه وقع يوم الحَرَّة وأُخِذ من الأنصار ثار المشركين يوم بدر . ثم قال لي رحمه الله تعالى : ومن هذا خاف أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله على ذُرّيته وأهله ، فإنه كان عليه السلام قد وَتَر الناس ، وعلم أنه إن مات وترك ابنته وولدها سُوقة ورعيّة تحت أيدي الولاة ، كانوا بعرَض خطر عظيم ، فما زال يقرّر لابن عمه قاعدة الأمر بعده ، حفظاً لدمه ودماء أهل بيته ، فإنهم إذا كانوا ولاة الأمر كانت دماؤهم أقربَ إلى الصِّيانة والعصمة مما إذا كانوا سوقة تحتَ يد والٍ من غيرهم ، فلم يساعده القضاء والقدَرَ ، وكان من الأمر ما كان . ثم أفضىٰ أمر ذرّيته فيما بعد إلى ما قد علمت .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : حدّثني يعقوب بن شيبة بإسناد رفعه إلى طلحة بن مصرِّف ، قال : قلت لهذيل بن شُرَحبيل : إنَّ الناس يقولون : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى عليّ عليه السلام ، فقال : أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله صلى الله عليه ! ودَّ أبو بكر أنَّه وجد من رسول الله اصلى الله عليه عهداً فخزم أنفه .

قلت : هذا الحديث قد خَرّجه الشيخان : محمد بن إسماعيل البخاريّ ومسلم بن الحجاج القُشَيريّ في صحيحيهما عن طلحة بن مصرّف ، قال : سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى[1] رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كُتِب على المسلمين الوصية[2] أو كيف أُمَرَ بالوصية ولم يوص[3] ؟ قال : أوصى بكتاب الله[4] . قال طلحة : ثم قال ابن

---

* هذه وأمثالها تدحض الادعاء برضى جميع المسلمين ببيعة أبي بكر وإنما تثبت ان الأمر أصبح حكم ومعارضة كما اسلفنا .

* بعد اثبات الوصية لعليّ احاديثاً وشعراً وتصريحاً وتلميحاً لم يبق في الامكان انكار ذلك . أما انكار عائشة للأمر فبينها وبين أمير المؤمنين ما يجعل الاحتجاج بحديثها هذا ظلماً كبيراً .

(١) لفظ مسلم : « هل أوصى ؟ » .

(٢) لفظ مسلم : « فلم كتب على المسلمين الوصية ؟ » .

(٣) لفظ مسلم : « أو فلم أمروا بالوصية ؟ » .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٦ .

أوفى : ما كان أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله صلى الله عليه ؛ ودّ أبـو بكر أنـه وَجَد مِنْ رسول الله صلى الله عليه عهداً ، فخزم أنفه بخزامة .

وروى الشيخان في الصحيحين عن عائشة أنه ذُكِر عندها أن رسول الله صلى الله عليه أوصى ، قالت : ومتى أوصى ؟ ومن يقول ذلك ! قيل : إنهم يقولون ، قالت : مَنْ يقوله ؟ لقـد دعا بـطست ليبول ، وإنـه بين سَحْـري ونَحْري فـانخنث[1] ، في صدري فمـات وما شَعَرت[2]* .

وفي الصحيحين أيضاً ، خرّجاه معاً عن ابن عباس ، أنّه كان يقول : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى بلّ دمعه الحصى ، فقلنا : يابْنَ عباس ، وما يوم الخميس ؟ قال : اشتدَّ برسول الله صلى الله عليه وَجَعُه ، فقال : ائتوني بكتاب أكتُبه لكم[3] لا تضلّوا بعدي أبداً . فتنازعوا ، فقال : إنه لا ينبغي عندي تنازُع ، فقال قائل : ما شأنه ؟ أهَجَر ؟ استفهموه . فذهبوا يعيدون عليه ، فقال : دعوني ، والذي أنا فيه خير من الذي أنتم فيه ، ثم أمرَ بثلاثة أشياء ، فقال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجِيزُهم ؛ وسئل ابن عباس عن الثالثة ، فقال : إمَّا ألاّ يكون تكلّم بها ، وإمّا أن يكون قالها فنسِيت[4]* .

وفي الصحيحين أيضاً خرّجاه معاً عن ابن عباس رحمه الله تعالى ، قال : لما احتُضِر[5]

---

(١) انخنث : مال وسقط .

(٢) لفظ مسلم ٣ :١٢٥٧ بسنده عن الأسود بن يزيد : « ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً » فقالت : متى أوصىٰ إليه ؟ فقد كنت مسندته إلى صدري ـ أو قال حجري ـ فدعا بالطست ، فلقد انخنث في حجري ، وما شعرت أنه مات ، فمتى أوصىٰ إليه ؟ » .

(٣) لفظ مسلم : « ائتوني أكتب لكم كتاباً » .

(٤) لفظ مسلم : « قال : وسكت عن الثالثة أو قال : فأنسيتها » ، والحديث في صحيحه ٣ :١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ .

(٥) لفظ مسلم : « حضر » ؛ وهما بمعنى حضره الموت .

* اللطيف في هذا الحديث هو قول ابن عباس (ثم أمر بثلاثة أشياء) ومن ثم قوله (إما ألاَّ يكـون تكلم بها) ويعني الثالثة ، فإن لم يكن قد تكلم بها فقد أمر باثنتين فكيف يقول أمر بثلاثة وان كان قد تكلم بها فهي ثلاثة !! أما قوله (وإما أن يكون قالها فنسيت) فقد قالها وما نسيها ابن عباس ، بـل ان الأمر لا يعدو أمـا خـوف ابن عباس من اذاعتها وإما أن قلم مثبت الحديث قد توقف واستعصت عليه نفسه أن يذكـر الثالثـة والتي علمنا أنها ليست إلاّ الوصية بالتمسك بالكتاب والعترة الطاهرة حيث أوصىٰ بالتمسك بهما (ص) بنفس الصيغة من قبل (لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما) واخرى ، لو كان الأمر غير مهم بحيث تكون الثالثة غير مقطوع بوجودها أو انها تنسىٰ ، فما بال ابن عباس يبكي ويسمي ذلك رزية ؟!!

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي البيت رجالٌ منهم عمر بن الخطاب ؛ قال النبيّ صلى الله عليه : هلمّ أكتبْ لكم كتاباً لا تضِلّونَ بعده ، فقال عمر : إنَّ رسول الله صلى الله عليه قد غلب عليه الوجَع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف القوم واختصموا ، فمنهم من يقول : قَرِّبُوا إليه يكتبْ لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده ، ومنهم من يقول : القولُ ما قاله عمر* ؛ فلما أكثروا اللغو والاختلاف عنده عليه السلام ، قال لهم : قوموا ، فقاموا ، فكان ابن عباس يقول : إنَّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وبين أن يكتب لكم(١) ذلك الكتاب(٢) .

* * *

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ: وحدثني أحمد بن إسحاق بن صالح ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن معاذ ، عن ابن عون ، قال : حدثني رجل من زُرَيق أنَّ عمر كان يومئذٍ ـ قال : يعني يوم بويع أبو بكر ـ محتجزاً(٣) يهرول بين يدي أبي بكر : ويقول : ألا إنَّ الناس قد بايعوا أبا بكر . قال : فجاء أبو بكر حتى جلس على مِنْبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أمّا بعد ، فإنِّي ولِّيتُكم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسُنّت السنن ، وعلمنا فقلنا أنَّ أكيس الكَيْس التّقَى ، وأحمق الحمق الفجور . وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بالحقّ ، وأضعفَكم عندي القويّ حتى آخذ منه الحق . أيها النّاس إنّما أنا متّبع ولست بمبتدع ، إذا أحسنتُ فأعينوني ، وإذا زُغْت فقوِّموني .

قال أبو بكر : وحدثني أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أحمد بن معاوية ، قال : حدّثني النضرّ بن شُمَيل ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، عن سلمة بن عبد الرحمن ، قيل : لما جلس أبو بكر على المِنْبر ، كان عليّ عليه السلام والزبير وناسٌ من بني هاشم في بيت فاطمة ، فجاء عمر إليهم ، فقال : والّذِي نفسي بيده لَتَخْرُجُنّ إلى البَيْعة أو لأُحْرِقَنَّ البيت عليكم ! فخرج الزبير مُصْلِتاً سيفه ، فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لَبِيد فبدر السيف ،

---

* ولا أدري والله ما مدى إيمان هؤلاء الذين يتركون أمر رسول الله (ص) ويركنوا إلى غيره .

(١) لفظ مسلم : « لهم » .

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٩ .

(٣) يقال : احتجز بالإزار إذا شده على وسطه .

فصاح به أبو بكر وهو على المنبر : اضرِبْ به الحجر ، فدق به . قال أبو عمرو بن حماس : فلقد رأيت الحجرَ فيه تلك الضربة ، ويقال : هـذه ضربـةُ سَيف الزبـير ثم قال أبـو بكر : دعوهم فسيأتي الله بهم ، قال : فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه .

قال أبو بكر : وقد رُوِي في رواية أخرى أنّ سعد بن أبي وقّاص ، كان معهم في بيت فـاطمة عليهـا السـلام والمقـداد بن الأسـود أيضـاً ، وأنهم اجتمعـوا عـلى أن يبـايعـوا عليّـاً عليه السلام ، فأتاهم عمـر ليَحرِق عليهم البيت ، فخـرج إليه الـزُّبَير بـالسيف ، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح ؛ فنُهنهتْ من الناس ، وقالوا : ليس عندنا معصية ، ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس ؛ وإنما اجتمعنا لنؤلِّف القرآن في مصحف واحد . ثم بايعوا أبا بكر*، فاستمرّ الأمرُ واطمأنّ الناس .

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد عمر بن `شبّة، قال : أخبرنا أبو بكر البـاهلي ، قـال . حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : سأل أبو بكر فقال : أين الزبـير ؟ فقيل : عند عليّ وقد تقلّد سيفه ، فقال : قم يا عمر ، قم يا خالد بن الوليد ؛ انـطلقا حتى تـأتياني بهما ، فانطلقا ، فدخل عمر ، وقام خالد على باب البيت من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ فقال : نبايع عليّاً ، فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره ، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه ، وقال : يا خالد دونَكَه فأمسكه ، ثم قال لعليّ : قم فبايع لأبي بكر ، فتلكّأ واحتبس ، فأخذ بيده ، وقال : قم ، فأبى أن يقومَ ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير فأخرجه* ، ورأت فاطمةُ ما صنِع بهما ، فقامت على باب الحجرة ، وقالت : يا أبا بكـر ، ما أسـرع ما أغرْتُـم على أهلِ بيت رسول الله ! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله . قال : فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشفَع لعمر ، وطلب إليها فرضيت عنه .

قال أبو بكر : وحدثنا أبو زيد ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، قال : حدثنا الحراميّ ، قال : حدثنا الحسين بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : مرّ عمر بعليّ وعنده ابنُ عباس بِفنـاء داره ، فسلَّم فسألاه : أين تـريد ؟ فقـال : مالي بيَـنبُع ، قال : عليّ : أفلا نصل جناحَك ونقوم معك ؟ فقال : بلى ، فقال لابن عبـاس : قم معه ، قال : فشبّك أصابعه في أصابعي ، ومضى حتى إذا خَلّفنا البقيع ، قال : يا بن عباس ، أما

---

* وهذا مدفوع بما ورد من أنه عليه السلام لم يبايع إلاّ بعد وفاة فاطمة عليها السلام ، إلاّ أنه يعاضده عدم انكاره دفعه وسوقه للبيعة في جوابه على كتاب معاوية كما قلنا سابقاً .

والله إن كان صاحبك هذا أَوْلى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله إلاّ أنّا خفناه على اثنتين . قال ابن عباس : فجاء بمنطق لم أجد بُدّاً معه من مسألته عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما هما ؟ قال : خشيناه على حداثة سِنّه وحبِّه بني عبد المطلب .

قال أبو بكر : وحدّثني أبو زيد ، قال : حدثنا هارون بن عمر ، بإسناد رفعه إلى ابن عباس رحمه الله تعالى ، قال : تفرّق الناس ليلة الجابية[1] عن عمر ، أفسار كلّ واحد مع إلفه ، ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا ، فحادثتُه ، فشكا إليّ تخلُّف عليّ عنه . فقلت : ألم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، فقلت : هو ما اعتذر به ، قال : يا بن عباس ، إنَّ أولَ من رَيَّثَكم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إنَّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة ، قلت : لم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ ألم نُنِلْهُمْ خيراً ؟ قال : بلى ، ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جَحْفاً جَحْفا[2] .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن الخطاب ، قال : حدثنا عليّ بن هشام ، مرفوعاً إلى عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : لقِيَ عليّ عليه السلام عمر ، فقال له عليّ عليه السلام : أنشُدك الله ، هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع أنت وصاحبك ؟ قال : أمّا صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلى عُنُقك ، فقال : جَدَع الله أنف مَنْ يُنقِذك منها ! لا ولكن جعلني الله علَما ، فإذا قمتُ فمن خالَفني ضَلّ .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، عن هارون بن عمر ، عن محمد بن سعيد بن الفضل عن أبيه ، عن الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن أبي أوفَى الخُزاعيّ ، قال : كان خالد بن سعيد بن العاص مِنْ عُمّال رسول الله صلى الله عليه على اليَمن ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه جاء المدينة ، وقد بايع الناس أبا بكر ، فاحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أياماً ، وقد بايع الناس ، وأتى بني هاشم ، فقال : أنتم الظهر والبطن ، والشّعار دون الدثار[3] ، والعصا دون اللِّحا[4] ، فإذا رضيتم رضينا ، وإذا سخطتم سخطنا . حدّثوني إن كنتم قد بايعتم هذا

---

(١) الجابية : قرية من أعمال دمشق ، ذكر ياقوت أن عمر خطب فيها خطبته المشهورة .

(٢) جحفاً جحفاً ، أي فخراً فخراً وشرفاً شرفاً . النهاية لابن الأثير ١ : ١٤٥ .

(٣) الشعار : ما يلي شعر الجسد ؛ وهو تحت الدثار .

(٤) اللحا : ما على العصا من قشرها ، بمد وبقصر ؛ وفي خطبة الحجاج : « لألحونكم لحو العصا » .

الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : على برد ورِضاً من جماعتكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أرضى وأبايع إذا بايعتم . أما والله يا بني هاشم ، إنكم الطّوال الشجر الطيِّبو الثمر . ثم إنَّه بايع أبا بكر ، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها ، وظغنها عليه عمر ، فلما ولاه أبو بكر الجند الذي استنفر إلى الشام ، قال له عمر : أتولِّي خالداً وقد حَبَس عليك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قال ، وقد جاء بوَرِق من اليمن وعبيد وحُبْشان ودُروع ورماح ! ما أرى أن تولِّيَهَ ، وما آمن خلافه . فانصرف عنه أبو بكر ؛ وولّى أبا عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان وشُرَحْبيل بن حَسَنة .

* * *

٨ ـ الخطبة ٣٣

ماذا تنقم قريش من أهل البيت (ع)

قال عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة :

إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتاباً وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً . وَٱللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إلاَّ أَنَّ ٱللَّهَ ٱخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ ٱلأَوَّلُ :

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ ٱلْمَحضَ صَابِحاً ... وَأَكْلَكَ بالزُّبْدِ المُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا[1]

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلاَءَ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلِيّاً ، وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالْسُّمْرَا

* * *

الشرح :

خبر يوم ذي قار

روى أبو مِخْنف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن زيد بن علي ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلنا مع عليّ عليه السلام ذا قار ، قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، ما أقلّ مَنْ يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ ! فقال : والله لَيأتيِّني منهم ستة آلاف وخمسمائةٍ وستون رجلاً ؛ لا يزيدون ولا ينقصون .

---

(١) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة .

قال ابن عباس : فدخلني والله من ذلك شكٌّ شديد في قوله ، وقلت في نفسي : والله إن قدِمُوا لأعُدَّنّهم .

قال أبو مِخْنف : فحدث ابن إسحاق ، عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، قال : نفَر إلى عليّ عليه السلام إلى ذِي قار من الكوفة في البحر والبرّ ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً ؛ أقام عليّ بذي قار خمسة عشر يوماً ، حتى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله .

قال : فلما سار بهم منقلة[1] ، قال ابنُ عباس : واللّهِ لأعُدّنّهم ، فإن كانوا كما قال ، وإلاّ أتممتُهم من غيرهم ؛ فإنَّ الناس قد كانوا سمعوا قوله . قال : فعرضتهم فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً ، ولا ينقصون رجلاً ، فقلت : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ! ثم سرنا .

قال أبو مِخْنف : ولما بلغ حُذَيفَة بن اليَمان أنّ علياً قد قَدِم ذا قار ، واستنفَرَ الناس ، دعا أصحابه فوعظهم وذكّرهم الله وزهدهم في الدنيا ، ورغبهم في الآخرة ، وقال لهم : الحقوا بأمير المؤمنين ووصيِّ سيد المرسلين* ، فإنَّ من الحقّ أن تنصروه ؛ وهذا الحسن ابنهُ وعمّار قد قدما الكوفة يستنفران الناس ، فانفِروا .

قال : فنفر أصحابُ حذيفة إلى أمير المؤمنين ، ومكث حُذَيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة ، وتوفي رحمه الله تعالى .

قال أبو مِخْنف : وقال هاشم بن عُتْبة المِرْقال ، يذكر نفورهم إلى علي عليه السلام :

وسِـرْنَا إلى خَيرِ البَرِيَّة كُلّها ... عَلَى عِلْمنَا أنَّا إلى اللّهِ نَرْجِعُ
نُـوَقِّـرهُ فـي فَضْـلِهِ ونُـجِـلّه ... وفي الله مـا نَرْجُـو وما نتـوقّعُ
وَتَخصِفُ أخْفَافَ المِطيّ عَلَى الوجا ... وَفِي الله ما نُزْجِي وَفي الله نُوضِعُ
دَلَفْنَا بجَمْعٍ آثرُوا الحقّ والهُدَى ... إلى ذِي تُقىً في نَصْرِهِ نَتَسرَّعُ
نكافحُ عنـه والسُّيوفُ شهيـرة ... تصافح أعناقَ الرِّجـال فتقطعُ

قال أبو مخنف : فلما قدم أهلُ الكوفة على عليّ عليه السلام ، سلّموا عليه ، وقالوا :

---

(١) المنقلة : مرحلة السفر .

* أنظر إلى وصفه بوصيّ سيد المرسلين من قبل حذيفة الذي يسمىٰ : كاتم سر رسول الله (ص) والذي أعلمه النبي (ص) باسماء المنافقين ، ثم ارجع إلى انكار عائشة وما ورد في البخاري ومسلم للوصاية وأعجب .

الحمدُ لله يا أمير المؤمنين الَّذي اختصَّنا بموازرتك ، وأكرمَنا بنُصرتك ؛ قد أجبناك طائعين غيرَ مكرهين ، فمرْنا بأمرك .

قال : فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال :

مرحباً بأهل الكوفة ، بيوتاتِ العرب ووجُوهها ، وأهل الفضل وفرسانها ، وأشدّ العرب مودّة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته ؛ ولذلك بعثتُ إليكم واستصرخْتُكم عند نَقْضِ طلحة والزبير بَيْعتي ، عن غَيْر جَوْرٍ مني ولا حَدَثٍ ؛ ولَعمري لو لم تنصُروني يا أهل الكوفة ؛ لرجوت أن يكفِيَني الله غوغاء الناس ، وطَغَام أهل البصرة، مع أنَّ عامَّة مَنْ بها ووجوهها وأهل الفضل والدين قد اعتزلوها ، ورغبوا عنها .

فقام رؤوس القبائل فخطبوا وبذلوا له النصر ، فأمرهم بالرحيل إلى البصرة .

٩ ـ الخطبة ٣٧

تفضيله على الآخرين وكيف سكت عن حقّه

ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة :

فَقُمْتُ بالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا ، وَنَطَقْتُ حِين تَعْتَعُوا ، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتَ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً ، فَطِرْتُ بِعِنَانِهِا ، واسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهِا .

كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ ، وَلاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ ؛ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ ؛ الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ .

رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ ، وَسَلَّمْنَاهُ لِلَّهِ أَمْرَهُ . أَتُرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ! وَاللَّهِ لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه ، فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ .

فَنَظَرْتُ في أَمْرِي ، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ؛ وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي .

الشرح :

هذه فصول أربعة ، لا يمتزج بعضُها ببعض ، وكلّ كلام منها ينحو به أمير المؤمنين عليه

السلام نحواً غير ما ينحوه بالآخر ؛ وإنّما الرضيّ رحمه الله تعالى التقطها من كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السلام طويل منتشر ، قاله بعد وقعة النّهروان ، ذكَر فيه حاله منذ توفيَ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلى آخر وقت ؛ فجعل الرضيّ رحمه الله تعالى ما التقطه منه سَرْداً ، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصداً واحداً .

* * *

فالفصل الأول وهو من أول الكلام إلى قوله : « واستبددت برهانها » ؛ يذكُر فيه مقاماتِه في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أيامَ أحداث عثمانَ ، وكَوْن المهاجرين كلّهم لم ينكِروا ولم يُواجهوا عثمانَ بما كان يواجِهُهُ به وينهاه عنه ؛ فهذا هو معنى قوله : « فقمت بالأمر حين فَشِلوا » ، أي قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله عنه . والفَشَل : الخَوَر والجُبْن .

قال : « ونطقتُ حين تعتعوا » ، يقال : تعتع فلان ؛ إذا تردّد في كلامه من عِيّ أو حَصَر قوله : « وتطلّعتُ حين تقبّعوا » ، امرأةٌ طُلَعَة قُبَعَة ، تَطلع ثم تقبَع رأسها ، أي تدخله كما يقبَعُ القنفذُ ، يدخُل برأسه في جلده ، وقد تقبّع الرجُل ، أي اختبأ ، وضدّه تطلّع .

قوله : « وكنت أخفَضهم صوتاً ، وأعلاهم فَوْتاً » يقول : علوتُهم وفتّهم وشأوتُهم سَبْقا ، وأنا مع ذلك خافِض الصوت ، يشير إلى التواضع ونفي التكبّر .

وقوله : « فطرت بعنانها ، واستبددت برهانها » يقول : سبقتهم ، وهذا الكلامُ استعارة من مُسابقة خَيْل الحلْبة . واستبددت بالرهان ، أي انفردت بالخَطَر[1] الذي وقع التراهُنُ عليه .

* * *

الفصل الثاني فيه ذكر حالِه عليه السلام في الخلافة بعد عثمان ، يقول : كنتُ لمّا وَليتُ الأمر كالجبل لا تحرّكُه القواصِف ، يعني الرياح الشديدة ، ومثله العواصف .

والمهمز : موضِع الهمز ؛ وهو العيب ، وكذاك المغمز .

ثم قال : « الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له . والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » : هذا آخر الفصل الثاني ، يقول : الذليل المظلوم أقوم بإعزازه ونَصْره ، وأقوّي يدَه إلى أن آخذ الحق له ، ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التي كان عليها قبل أن أقومَ بإعزازه

---

(١) الخطر : السبق الدي يترامى عليه في الرهان .

ونصره ، والقويّ الظالم أستضعِفه وأقهَره وأذله إلى أن اخذ الحقّ منه ، ثم يعود إلى الحالة التي كان عليها قَبْل أن أهتضِمَه ، لاستيفاء الحق .

الفصل الثالث من قوله : « رضينا عن الله قضاءه » ، إلى قوله : « فَلَا أكونُ أوَّلَ مَنْ كذَّب عليه » : هذا كلامٌ قاله عليه السلام لما تفرَّس في قوم من عَسْكره أنّهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من أخبار الملاَحِم والغائبات ، وقد كان شك منهم جماعة في أقواله ؛ ومنهم من واجهه بالشك والتهمة .

* * *

الأخبار الواردة عن معرفة علي بالأمور الغيبية

روى ابن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » عن زكريا بن يحيى العطّار ، عن فُضَيْل ، عن محمد بن عليّ ، قال : لما قال علي عليه السلام : سَلوني قَبْل أن تفقِدوني ، فوالله لا تسألونني عن فئة تضل مائة ، وتَهدِي مائة إلاّ أنبأتكم بناعِقتها وسائقتها ، قام إليه رجل فقال : أخبِرْني بما في رأسي ولِحْيَتي من طاقة شَعْر ، فقال له علي عليه السلام : والله لقد حَدّثني خليلي أنّ على كلّ طاقة شَعْرٍ من رأسك مَلَكاً يلعنك ، وأنّ على كل طاقة شعر مِنْ لحيتك شيطاناً يغويك : وأنَّ في بيتك سَخْلاً يقتلُ ابن رسول الله صلى الله عليه ـ وكان ابنهُ قاتل الحسين عليه السلام يومئذٍ طفلاً يحبو ـ وهو سنان بن أنس النَّخَعِيّ .

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثماليّ ، عن سويد بن غفلة أنّ علياً عليه السلام ، خطب ذات يوم ، فقام رجل من تحت مِنْبره ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّي مررتُ بوادي القرى ، فوجدتُ خالد بن عُرْفطة قد مات ، فاستغفر له ، فقال عليه السلام : والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة ، صاحب لوائه حبيب بن حِمار . فقام رجل آخر من تحت المِنْبر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أنا حبيب بن حِمار ، وإني لك شيعة ومحبّ ، فقال : أنت حبيب بن حمار ؟ قال : نعم ، فقال له ثانية : والله إنَّك لحبيب بن حمار ؟ فقال : اي والله ! قال : أما والله إنَّك لحامِلها ولتحمِلنّها ، ولتدخلَنّ بها من هذا الباب ـ وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة .

قال ثابت : فوالله ما مِتّ حتى رأيتُ ابنَ زياد ، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام ، وجعل خالد بن عُرْفطة على مقدّمته وحبيب بن حمار صاحبَ رايته ، فدخل بها من باب الفيل .

وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو البَجَليّ ، قال : أخبرنا عمرو بن موسى الوجيهيّ ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال علي عليه السلام على المنبر : ما أحدٌ جرت عليه المواسي إلاَّ وقد أنزل الله فيه قرآناً ؛ فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له : فما أنزل الله تعالى فيك ؟ فقام الناس إليه يضربونه ؛ فقال : دعوه ، أتقرأ سورة هود ؟ قال : نعم ، قال : فقرأ عليه السلام : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾(1) ثم قال : الذي كان على بينة من ربه محمد صلى الله عليه ، والشاهد الذي يتلوه أنا .

وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جُبير ، قال : خطب عليّ عليه السلام فقال في أثناء خطبته : « أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدي إلاَّ كذب ؛ ورِثْتُ نبيَّ الرحمة ، ونكَحْتُ سيدة نساء هذه الأمة ، وأنا خاتم الوصيين »* .

فقال رجل من عَبْس : [و] مَنْ لا يحسِنُ أن يقول مثل هذا ! فلم يرجع إلى أهله حتى جُنّ وصُرِع ، فسألوهم : هل رأيتم به عَرَضاً قبل هذا ؟ قالوا : ما رأينا به قبل هذا عَرَضاً .

وروى محمد بن جبلة الخياط ، عن عِكْرمة ، عن يزيد الأحمسيّ أنّ علياً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة ، وبين يديه قوم منهم عمرو بن حُرَيث ؛ إذ أقبلت امرأة مختمِرة لا تُعرف ، فوقفت فقالت لعليّ عليه السلام : يا مَن قتل الرجال ، وسفك الدماء وأيتم الصبيان ، وأرمل النساء ! فقال عليه السلام : وإنَّها لهي هذه السَّلَقْلَقة الجلعة المَجِعَة ، وإنها لهي هذه ؛ شبيهة الرجال والنساء ؛ التي ما رأت دماً قطّ : قال : فولّت هاربة منكِّسة رأسها ، فتبعها عمرو بن حريث ، فلمَّا صارت بالرَّحبة ، قال لها : والله لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل ، فادخلي منزلي حتى أهبَ لك وأكسوَك ، فلما دخلت منزلَه أمر جواريَه بتفتيشها وكشفها ونَزْع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها ، فبكتْ وسألته ألاَّ يكشِفها ؛ وقالت : أنا والله كما قال ، لي رَكَب النساء ، وأنْثيانِ كأنثى الرجال ؛ وما رأيت دَماً قط . فتركها وأخرجها . ثم جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره ، فقال : إنّ خَليلي رسولَ الله صلى الله عليه أخبرني بالمتمرِّدين عليّ من الرجال والمتمرّدات من النساء إلى أن تقومَ الساعة .

قلت : السَّلَقْلَقة : السَّليطة ، وأصله من السِّلْق وهو الذئب ، والسِّلْقة : الذئبة

---

(1) سورة هود ١٧ .

* انظر تصريحه بالوصاية هنا أيضاً .

والجَعِلة المَجِعة : البذيئة اللسان ، والرَّكَب : مَنبِت العانة .

وروى عثمان بن سعيد ، عن شرِيك بن عبد الله ، قال : لما بلغ عليّاً عليه السلام أنّ الناس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ صلى الله عليه وآله وتفضيله [إياه] على النّاس ، قال : أنشدُ اللَّهَ مَنْ بَقِي ممّن لقي رسول الله صلى الله عليه وسمع مقاله في يوم غَدير خُمّ(١) إلاّ قام فشهِد بما سمع ، فقام ستة ممن عن يمينه ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وستة ممن على شماله من الصحابة أيضاً ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك اليوم ، وهو رافع بيديْ عليّ عليه السلام : « مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهمَّ والِ مَنْ والاه ، وعاد من عاداه ، وانصُرْ مَنْ نصره ، واخذُلْ مَنْ خذله ، وأحبّ مَنْ أحبّه ، وأبْغِض مَنْ أبغضه »(٢) .

وروى عثمان بن سعيد عن يحيى التَيْميّ ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، قال : قام أعْشَى همْدان(٣) ـ وهو غلام يومئذٍ حَدَث ـ إلى عليّ عليه السلام ، وهو يخطب ويذكر الملاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أشبه هذا الحديث بحديث خُرافة ! فقال علي عليه السلام : إنْ كنتَ آثماً فيما قلتَ يا غلام ، فرماك الله بغلام ثَقِيف ؛ ثم سكت ، فقام رجال فقالوا : ومَنْ غلامُ ثَقِيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : غلام يملِك بلدتَكُم هذه لا يترك لله حرمةً إلاَّ انتهَكها ، يضرب عُنُق هذا الغلام بسيفه ، فقالوا : كم يملُكُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : عشرين إن بلغها ، قالوا : فيُقتَلُ قتلاً أم يموت موتاً ؟ قال : بل يموتُ حَتْفَ أنفه بداء البَطْن ، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه .

قال إسماعيل بن رجاء : فوالله لقد رأيتُ بعيني أعْشَى باهلة ، وقد أحضِر في جملة الأسرى الذين أسِروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج ، فقرّعه ووبّخه ، واستنشده شِعْرَه الذي يحرِّض فيه عبدَ الرحمن على الحرب ، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس

وروى محمد بن علي الصوّاف ، عن الحسين بن سفيان ، عن أبيه ، عن شَمِير بن سَدِير الأزديّ ، قال : قال عليّ عليه السلام لعمرو بن الحمِق الخزاعيّ : أين نزلت يا عمرو ؟

---

(١) خم : واد بين مكة والمدينة عند الجحفة ، به غدير عرف به .

(٢) نقله المحب الطبري في الرياض النضرة (٢ : ١٦٩) . وتحدث عن طرقه هناك .

(٣) أعشى همدان ، أسره الحجاج ثم قتله : وانظر الأغاني ٦ : ٥٨ - ٦٢

قال : في قومي ، قال : لا تنزلنّ فيهم ، قال : فأنـزلُ في بني كِنانـة جيرانـنا ؟ قال : لا ، قال : فأنزل في ثقيف ؟ قال : فما تصنع بالمَعرّة والمجرة ؟ قال : وما هما ؟ قـال : عُنُقان من نار ، يخرجان من ظهر الكوفة ، يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل ؛ فقلّما يُفلِت منه أحدٌ ، ويأتي العنق الآخر ، فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة ، فقلَّ منْ يصيبُ منهم ، إنما يدخل الدارَ فيحرِق البيتَ والبيتين . قال : فأين أنزِل ؟ قال : انزِل في بني عمـرو بن عامـر ، من الأزد ـ قال : فقال قوم حضروا هذا الكلام : ما نراه إلاّ كـاهناً يتحـدّث بحديث الكَهَنـة ـ فقـال : يا عمـرو ، إنّكَ المقتـول بعدي ؛ وإنَّ رأسَـك لمنقـول ؛ وهـو أوّلُ رأسٍ ينقَـل في الإسلام ؛ والويل لقاتِلك ! أما إنّك لا تنزِل بقوم إلاّ أسلموك برُمّتك[1] ؛ إلاّ هذا الحيّ من بني عمرو بن عامر من الأزْد ، فإنَّهم لن يُسلموك ولن يَخْذُلوك ؛ قال : فوالله ما مضت إلاّ أيام حتى تنقل عمرو بن الحمِق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب ، خائفاً مـذعوراً ، حتى نزل في قومه من بني خُزاعة ، فأسلموه ، فقتِل وحُمِل رأسه من العراق إلى معاوية بالشـام ؛ وهو أوّلُ رأس حُمِل في الإسلام من بلد إلى بلد .

وروى إبـراهيم بن ميمون الأزديّ عن حَبّـة العرنيّ ، قـال : كان جـويريـة بن مِسهر العبديّ صالحاً ، وكان لعلي بن أبي طالب صديقاً ، وكان عليّ يحبُّه ، ونظـر يوماً إليـه وهو يسير ، فناداه : يا حويرية ، الحَقْ بي ، فإني إذا رأيتُك هَويتُك ؛ قـال إسماعيـل بن أبان : فحدثني الصبّاح ، عن مسلم عن حبَّة العُرنيّ، قال: سرنا مع علي عليه السلام يومـاً فالتفت فإذا جُويرية خَلْفـه بعيداً ، فنـاداه : يا جُـويريـة ، الحَقْ بي لا أبالـك ! ألا تعلم أنّي أهواك وأحبّك ! قال : فركض نحوه ، فقال له : إني محدِّثك بأمور فاحفظها ، ثم اشتركا في الحديث سرّاً ، فقال له جُويرية : يـا أمير المؤمنـين ، إني رجلٌ نسيّ[2] ، فقـال له : إني أعيـدُ عليك الحديثَ لتحفظه ، ثم قال له في آخر ما حدثه إياه : يا جويرية ، أحبِب حبيبنا ما أحبَّنا فإذا أبغضنا فأبغِضْه ، وأبْغِض بغيضنَا ما أبغضَنا ، فإذا أحبّنا فأحبّه .

قال : فكان ناسٌ ممن يشكّ في أمر عليّ عليه السلام يقولون : أتراه جعل جُوَيرية وصيّه كما يدّعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : يقولون ذلك لشدّة اختصاصه له ، حتى دخل على عليّ عليه السلام يوماً ، وهو مضـطجع ، وعنـده قوم من أصحـابه ، فنـاداه

(١) أسلموك برمتك ، أي أسلموك بجميع ما معك .

(٢) النسي : الكثير النسيان .

جويرية : أيّها النائم ، استيقظ ، فلَتُضْرَبَنَّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك ، قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ؛ قال : وأحدّثك يا جويرية بأمرِك ؛ أما والّذي نَفْسي بيده لتعتَلَنَّ[1] إلى العتل الزنيم ، فليقطعنّ يدَكَ ورِجْلَك وليصلبنك تحت جذع كافر، قال : فوالله ما مضت إلاَّ أيّام على ذلك حتى أخذ زياد جُويرية ، فقطع يدَه ورِجْلَه وصَلَبه إلى جانب جذع ابن مكعبر ، وكان جِذْعاً طويلاً ؛ فصلَبه على جِذْع قصير إلى جانبه .

وروى إبراهيم في كتاب « الغارات » عن أحمد بن الحسن المِيثميّ ، قال : كان ميثم التمّار مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد ، فاشتراه عليّ عليه السلام منها وأعتقه ، وقال له : ما اسمك ؟ فقال : سالم ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّ اسمك الذي سماك به أبوك في العجم « مِيثَم » ، فقال : صدق الله ورسوله ، وصدقتَ يا أمير المؤمنين ، فهو والله اسمي ، قال : فارجع إلى اسمك ، ودَعْ سالماً ، فنحن نكنيك به ؛ فكناه أبا سالم . قال : وقد كان قد أطلعه عليّ عليه السلام على علم كثير ، وأسرار خفية من أسرار الوصية ، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك ، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة ، وينسبُون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرقة[2] والإيهام والتدليس ؛ حتى قال له يوماً بمحضَر من خَلْق كثير من أصحابه ، وفيهم الشاكّ والمخلِص : يا ميثم ، إنك تُؤْخَذَ بعدي وتُصْلب ، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر مُنْخُراك وفمك دماً ، حتى تخضّب لحيتك ، فإذا كان اليومُ الثالث طعِنْت بحربة يقضيٰ عليك ، فانتظِر ذلك . والموضع الذي تُصْلَب فيه على باب دار عمرو بن حريث ؛ إنَّك لَعاشِر عشرة أنت أقصرُهم خشبة ، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرِينّك النَّخْلة التي تُصْلَب على جِذْعها ، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين ، وكان ميثم يأتيها ، فيصلِّي عندها ، ويقول : بوركت مِنْ نخلة لكِ خلقت ، ولي نبتِّ ، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل عليّ عليه السلام ، حتى قُطِعت ، فكان يَرْصُد جذعها ، ويتعاهده ويتردد إليه ، ويبصره ، وكان يَلْقَى عمرو بن حريث ، فيقول له : إني مجاورُك فأحسِنْ جواري ، فلا يعلم عمرو ما يريد ، فيقول له : أتريد أن تشتري دار ابن مسعود ، أم دار ابن حكيم !

قال : وحجّ في السّنَة التي قتل فيها ، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها ، فقالت له :

---

(١) يقال : عتله عتلا ؛ إذا أخذه بمجامعه وجره جراً عنيفا .

(٢) المخرقة : اختلاق الكذب .

مَنْ أنت ! قال : عِراقي ، فاستنسبَتْه ، فذكر لها أنه مولى عليّ بن أبي طالب ، فقالت : أنت هيثم ، قال : بل أنا ميثم[1] ، فقالت : سبحان الله ؛ والله لربّما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه يوصي بك عليّاً في جوف الليل ، فسألها عن الحسين بن عليّ ، فقالت : هو في حائط[2] له ، قال : أخبريه أني قد أحببتُ السّلام عليه ، ونحن ملتقُون عند ربّ العالمين ، إن شاء الله ، ولا أقدر اليوم على لقائه ، وأريد الرجوع ، فدعتْ بِطيب فطيَّبت لحيته ، فقال لها : أما إنها ستخضب بدم ، فقالت : مَن أنبأك هذا ؟ قال : أنبأني سيدي ، فبكت أمّ سلمة ، وقالت له : إنه ليس بسيّدك وحدَك : هو سيّدي وسيد المسلمين ، ثم ودّعته .

فقدم الكوفة ، فأخِذ وأدخِلَ على عُبيد الله بن زياد . وقيل له : هذا كان من آثرِ النّاس عند أبي تراب ، قال : وَيْحكم ! هذا الأعجميّ ! قالوا : نعم ، فقال له عبيد الله : أين ربُّك ؟ قال : بالمرصاد ، قال : قد بلغني اختصاصُ أبي تراب لك ، قال : قد كان بعضُ ذلك ، فما تريد ؟ قال : وإنه ليقال إنَّه قد أخبرك بما سَيَلْقاك ، قال : نعم ؛ إنَّه أخبرني ، قال : ما الذي أخبرك أني صانع بك ؟ قال : أخبرني أنّك تصلُبني عاشر عشرة وأنا أقصرُهم خشبة ، وأقربهم من المطهرة ، قال : لأخالفنّه ، قال : ويحك ! كيف تخالفُه ؛ إنما أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل ، وأخبر جبرائيل عن الله ، فكيف تخالف هؤلاء ! أما والله لقد عرفتُ الموضع الذي أُصْلَب فيه أين هو من الكوفة ؟ وإنّي لأوّل خَلق الله ألجِم في الإسلام بلجامٍ كما يُلْجَم الخيل . فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ ، فقال مِيثَم للمختار ـ وهما في حبس ابن زياد : إنّك تُفْلِت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام ، فتقتل هذا الجبّار الذي نحن في سجنه ، وتطأ بقدمك هذه على جَبْهته وخَدَّيه . فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتلَه طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد ، يأمره بتخلية سبيله ؛ وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فسألت بعلَها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع ، فأمضى شفاعته ، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد ، فوافى البريد ، وقد أخرج ليضرب عنقه ، فأطلق . وأما مِيثم فأخرج بعده لِيُصْلَب ؛ وقال عبيد الله : لأمْضِينَّ حكمْ أبي تراب فيه ، فلقَيه رجل ، فقال له : ما كان أغناك عن هذا يا ميثم ؟ فتبسم ، وقال : لها خلقتُ ، فلقيَه رجل ، فقال له : ما كان أغناك عن هذا يا ميثم ؟فتبسم ، وقال : لها خلقتُ ، ولي غُذِيتْ ؛ فلما رُفِع على الخشبة

(١) ميثم ، ضبطه صاحب القاموس بكسر الميم .
(٢) الحائط : البستان .

اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث ، فقال عمرو : لقد كان يقول لي : إني مجاورك ، فكان يأمر جاريته كلَّ عشية أن تكنُس تحت خشبته وترشّه ، وتجمّر بالمجمر تحته ، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم ، ومخازي بني أميّة ، وهو مصلوب على الخشبة ، فقيل لابن زياد : قد فضحكم هذا العبد ، فقال : ألجموه ، فألجم ، فكان أول خَلق الله ألجِم في الإسلام ، فلما كان في اليوم الثاني فاضت مُنخراه وفيه دماء فلما كان في اليوم الثالث طعِن بحربة فمات .

وكان قَتْل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام .

قال إبراهيم : وحدثني إبراهيم بن العباس النَّهْدِي ، حدّثني مبارك البَجَليّ ، عن أبي بكر بن عياش ، قال : حدثني المجالد ، عن الشّعبي ، عن زياد بن النضر الحارثيّ ، قال : كنت عند زياد ، وقد أتي برشيد الهجَري ـ وكان من خواص أصحاب عليّ عليه السلام ـ فقال له زياد : ما قال خليلك لك إنا فاعلون بك ؟ قال : تَقْطعُون يديّ ورِجْلي وتصلبُونني ، فقال زياد : أمَا والله لأكَذّبنَّ حديثه ؛ خَلّوا سَبيلَه ، فلما أراد أن يخرُج قال : ردُّوه ، لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبُك ؛ إنَّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت ؛ اقطعوا يديهْ ورجليْه ، فقطَعوا يديه ورجليه ، وهو يتكلّم ، فقال : اصلبوه خَنْقاً في عُنْقه ، فقال رشيد : قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه ، فقال زياد : اقطعوا لسانَه ، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال : فَفكّوا عني أتكلم كلمة واحدة ، فنفّسوا عنه، فقال : هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين ، أخبرني بقطع لساني ، فقطعوا لسانه وصلبوه .

وروى أبو داود الطَّيالسيّ ، عن سليمان بن رُزَيق ، عن عبد العزيز بن صهيب ، قال : حدثني أبو العالية ، قال : حدّثني مزرع[1] صاحبُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : لَيُقبِلَنَّ جيشٌ حتى إذا كانوا بالبيداء ، خُسِف بهم . قال أبو العالية : فقلت له : إنّك لَتُحَدِّثُني بالغيب ! فقال : احفَظ ما أقوله لك ، فإنما حدّثني به الثّقة عليّ بن أبي طالب . وحدثني أيضاً شيئاً آخر : لَيُؤخَذَنّ رجل فليقتلنَّ ولَيُصْلَبَنَّ بين شُرْفتيْن من شُرَف المسجد ؛ فقلت له : إنّك لَتُحَدّثني بالغيب ! فقال : احفَظْ ما أقول لك ؛ قال أبو العالية : فوالله ما أتَتْ علينا جُمعة حتى أُخذ مزرع ، فقتل وصُلِب بين شرفتين من شُرَف المسْجِد .

---

(١) مزرع : ذكره صاحب تنقيح المقال ٢ : ٢١٠ ، ولم يزد على ما نقله من خبره هنا .

قلت : حديث الخَسْف بالجيش قد خرّجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « يَعُوذ قومٌ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء[١] خُسِف بهم » ، فقلت : يا رَسولَ الله ، لعلَّ فيهم المكرَه أو الكاره ، فقال : « يُخْسَف بهم ، ولكن يحشرون » ـ أو قال : « يُبْعَثون على نياتهم[٢] يوم القيامة » .

قال : فسئِل أبو جعفر محمد بن عدي : أهي بيداء من الأرض ؟ فقال : كَلاّ والله إنها بيداء المدينة . أخرج البخاري بعضه وأخرج مسلم الباقي[٣] .

وروى محمد بن موسى العَنَزِيّ ، قال : كان مالك بن ضَمْرة الرؤاسيّ من أصحاب عليّ عليه السلام ، وممن استبطن من جهته علماً كثيراً ، وكان أيضاً قد صَحِب أبا ذَرّ ، فأخذ من علمه ، وكان يقول في أيام بني أمية : اللّهم لا تجعلني أشْقَى الثلاثة ، فيقال له : وما الثلاثة ؟ فيقول : رجلٌ يرمَى من فوق طَمارٍ[٤] ، ورجل تُقطعُ يداه ورجلاه ولسانه ويصلب ، ورجل يموت على فراشه . فكان من الناس مَن يهزأ به ، ويقول : هذا من أكاذيب أبي تراب .

قال : وكان الذي رُمِي به من طَمارِ هانىء بن عُرْوة[٥] ، والذي قُطِع وصلب رشيد الهجري ، ومات مالك على فراشه .

* * *

الفصل الرابع وهو من قوله : « فنظرت في أمري . . » إلى آخر الكلام ، هذه كلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه كان معهوداً إليه ألَّا ينازِعَ في الأمر ، ولا يثيرَ فتنة ، بل يطلبه بالرفق ؛ فإن حَصَل له وإلَّا أمسك .

هكذا كان يقول عليه السلام ، وقوله الحق ، وتأويلُ هذه الكمات : فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله صلى الله عليه ، أي وجوب طاعتي ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه

(١) البيداء : كل أرض ملساء لا شيء فيها .
(٢) لفظ مسلم : « ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » .
(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٠٩ .
(٤) طمار ، كقطام : المكان المرتفع .
(٥) كذا في الأصول . وفي معجم البلدان ٦ : ٥٨ أن الذي رمى به من طمار مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، أمر بالقائه عبيد الله بن زياد ، وأنشد :

فإن كُنْتِ ما تَدْرينَ ما الموتُ فانظري ... إلى هانىء في السُّوقِ وابن عَقيل
إلى بَطَلٍ قد عَقَّر السّيفُ وجهَه ... وآخرَ يَهْوي مِنْ طَمار قتيل

قد سَبَقت بيعتي للقوم : أي وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه علىّ ، ووجوب امتثالي أمره سابقٌ على بَيْعَتي للقوم ، فلا سبيل لي إلى الامتناع من البَيْعة ؛ لأنه صلى الله عليه وآله أمرَني بها .

وإذا الميثاق في عُنُقي لغيري ؛ أي رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة ، فلم يحلّ لي أن أتعدّى أمرَه ، أو أخالف نهيَه .

فإن قيل : فهذا تصريح بمذهب الإمامية .

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين : لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة ، وأنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أنّ الأصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه ، لكان مَنْ تقدّم عليه هالكاً ، فرسول الله صلى الله عليه وآله أخبره أنّ الإمامة حقّه ، وأنه أولى بها من الناس أجمعين ، وأعلمه أنّ في تقديم غيره وصَبْره على التأخّر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلّفين ، وأنّه يجب عليه أن يُمسك عن طلبها*، ويُغْضِي عنها من هو دون مَرْتَبته ، فامتثل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يخرجه تقدم مَنْ تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحقّ . وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى بهذا ، وصرّح به تلامذتُه ، وقالوا : لو نازع عقِيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلّ سيفه لحكمْنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه كما حكمنا بهلاك مَنْ نازعه حين أظهر نفسه ، ولكنّه مالك الأمر ، وصاحب الخلافة ؛ إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق مَنْ ينازعه فيها ، وإذا أمسك عنها وجب علينا القولُ بعدالة مَنْ أغضى له عليها ، وحكمه في ذلك حكمُ رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال : « عليّ مع الحقّ ، والحق مع عليٍّ يدور حيثما دار » ، وقال له غير مرة : « حربُك حربي وسِلْمك سِلْمي » .

وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي ، وبه أقول .

---

* هذا غير صحيح بدلالة قوله عليه السلام (فطفقت ارتأي بين أن اصول بيدٍ جذّاء أو اصبر على طخيةٍ عمياء) الشقشقية وقوله : (لو وجدت اربعين ذوي عزمٍ) مما يدل على أنه ما كان مأموراً بترك المنازعة إلاّ إذا لم يجد أنصاراً ، وبين هذا وأمر رسول الله (ص) علياً بترك المنازعة مطلقاً والمدعىٰ من الشارح بون واسع ، بل أن جعله هٰرون هذه الأمة وفي نفس الوقت أمره ترك هذه المنزلة يعتبر تعارضاً لا نثبته لرسول الله (ص) .

١٠ ـ الخطبة ٦٦

احتجاج قريش على الأنصار
واحتجاجه على قريش

ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار :

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة[١] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال عليه السلام : ما قالت الأنصار ؟ قالوا : قالت : منّا أمير ومنكم أمير ؛ قال عليه السلام :

فَهَلاَّ ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، وَيُتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ !

قَالُوا : وَما في هَذا مِنَ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : لَوْ كَانَت الإمامَةُ فِيْهِم لَمْ تَكُنْ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟

قَالُوا : احْتَجَّتْ بِأَنَّها شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ :

ٱحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ !

الشرح :

قد ذكرنا فيما تقدم طرفاً من أخبار السقيفة ؛ فأمّا هذا الخبر الوارد في الوصية بالأنصار ؛ فهو خبر صحيح ، أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاريّ ومسلم بن الحجاج القُشَيْريّ في مسنديْهما ، عنْ أنس بن مالك ، قال : مرّ أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلسٍ من الأنصار ، في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقالا : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدخلا على النبيّ

[١] سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم لاختيار خليفة له .

صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك ؛ فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عَصب على رأسه حاشية بُردة[1] ، فصعد المِنْبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أوصِيكم بالأنصار ، فإنَّهم كَرِشي وعَيْبَتي ، وقد قضوا الذي عليهم ؛ وبقيَ الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم »[2].

فأما كيفية الاحتجاج على الأنصار ، فقد ذكرها عليّ عليه السلام ؛ وهي أنّه لو كان ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ ممّن يجعل الإمامة فيهم ؛ لأوصى إليهم ، ولم يوصِ بهم .

وإلى هذا نَظر عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو المسمى بالأشْدَق ؛ فإنَّ أباه لما مات خَلّفه غلاماً ، فدخل إلى معاوية فقال : إلى مَنْ أوْصى بك أبوك ؟ فقال : إنَّ أبي أوصَى إليَّ ولم يوصِ بي ؛ فاستحسن معاوية منه ذلك ؛ فقال : إنَّ هذا الغلام لأشدَق ، فسمِّيَ الأشدَق[3]

فأما قول أمير المؤمنين : « احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » ؛ فكلام قد تكرّر منه عليه السلام أمثالُه ؛ نحو قوله : « إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقُرْب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة ؛ فإنَّ فَلَجَتْ حُجّتهم كانت لَنَا دونهم ؛ وإلاَّ فالأنصار على دعوتهم » .

ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر : « وأما قولك : نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم جيرانها ؛ ونحن أغصانها » :

يوم السقيفة

ونحن نذكر خبر السَّقِيفة[4] ؛ روَى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب « السقيفة » قال :

أخبرني أحمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا أحمد بن سيّار ، قال : حدَّثنا سعيد بن كَثِير بن عُفَير الأنصاري أن النبيّ صلى الله عليه وآله لما قُبِض ، اجتمعت الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة ، فقالوا : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُبض ، فقال سعد بن عبادةُ لابنه

---

(١) البخاري : « برد » .

(٢) صحيح البخاري ٢ :٣١٢، صحيح مسلم ١٩٤٩ .

(٣) الأشدق : البليغ.

(٤) أنظر أخبار السقيفة في الجزء الثاني شرح الخطبة ٢٦ التي اوردناها بتسلسل ٧ .

قيس ـ أو لبعض بنيه : إنّي لا أستطيعُ أن أُسْمِعَ الناسَ كلامي لمرضِي ؛ ولكن تلقّ مني قولي فأسمِعهم . فكان سعد يتكلّم ، ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليُسمِع قومَه ؛ فكـان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه أنْ قال :

إنَّ لكم سابقةً إلى الدين ، وفضيلةً في الإسلام ليستْ لقبيلة من العرب . إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لبِثَ في قومه بضـعَ عشرةَ سنـة ، يدعـوهم إلى عبادة الـرحمن ، وخلْع الأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلاّ قليل ، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله ، ولا يَعِزّوا دينه ، ولا يدفعـوا عنه عِـداه ؛ حتى أراد الله بكم خيرَ الفضيلة ، وسـاق إليكم الكرامـة ، وخصّكم بدينه ، ورزقكم الإيمان به وبرسوله ، والإعزازَ لدينه ، والجهـادَ لأعدائـه ؛ فكنتم أشدَّ الناس على مَنْ تخلّف عنه منكم ، وأثقله على عَدُوِّه من غيركم ؛ حتى استقاموا لأمر الله طوْعاً وكرهاً، وأعطَى البعيدُ المَقَادَةَ صاغراً داخراً[1] ، حتى أنجز الله لنبيّكم الوعد ، ودانت لأسيافِكم العربُ . ثم توفّاه الله تعالى وهو عنكم راضٍ ؛ وبكم قريرُ عَيْنْ ؛ فشُدّوا يديْكم بهذا الأمر ، فإنّكم أحقُّ الناس وأولاهم به*.

فأجابوا جميعاً : أنْ وُفِّقت في الرأي ، وأصبت في القول ، ولن نعدُوَ ما أمرت . نولِّيك هذا الأمر ، فأنت لنا مقنَع ، ولصالح المؤمنين رضاً .

ثم إنَّهم تـرادُّوا الكـلام بينهم ، فقـالـوا : إن أبتْ مُهـاجِـرة قـريش فقـالـــوا : نحن المهاجرون ، وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأوَّلون؛ونحن عشيـرته وأوليـاؤه ، فعلامَ تُنازعوننا هذا الأمر من بعده ! فقالت طائفة منهم : إذاً نقول : مِنّا أمير ومنكم أمير ، لنْ نَرْضى بدون هذا منهم أبداً ، لنا في الإيواء والنصرة ما لهم في الهجرة ، ولنا في كتاب الله ما لهم ، فليسوا يعدُّون شيئاً إلاّ ونعدّ مثله ، وليس مِنْ رأينا الاستئثارُ عليهم ، فمنّا أمير ومنهم أمير .

فقال سعد بن عبادة : هذا أول الوَهَن !

وأتى الخبرُ عمر ، فأتى منزلَ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوجَد أبـا بكرٍ في الـدار وعليّاً في جِهاز رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وكان الذي أتاه بالخبر مَعْن بن عديّ ـ فأخذ بيد عمر ، وقال : قم ، فقال عمر : إنّي عنك مشغول ، فقال : إنّه لا بدّ من قيام ، فقام معه ،

(١) الداخر : الذليل .

* انظر الكلمة رقم ٥٢٢ الجزء العشرون تسلسل ٥١ .

فقـال له : إنّ هـذا الحيّ من الأنصار قـد اجتمعُوا في سَقِيفـة بني ساعـدة ، معهم سعد بن عُبـادة ، يدورون حَـوْلـه ، ويقـولـون : أنت المـرجّى ، ونجلك المـرجّى ، وثَمّ أنـاسٌ من أشرافهم ، وقد خُشِيت الفتنة ، فانظر يا عمر ماذا ترى ! واذكر لإخـوتك من المهـاجرين ، واختاروا لأنفسكم ، فإني أنظر إلى باب فتنة قد فتِح الساعة إلاَّ أن يُغلِقَهُ الله . ففزع عمر أشدَّ الفزَع ، حتى أتى أبا بكر ، فأخذ بيده ، فقال : قم ، فقال أبـو بكر : إنِّي عنـك مشغول . فقال عمر : لا بدّ من قيام ؛ وسنرجع إن شاء الله .

فقام أبو بكر مع عمر ، فحدثه الحديث ، ففزِع أبو بكر أشدَّ الفزع ، وخرجا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة ؛ وفيها رجالٌ من أشراف الأنصار ؛ ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم ، فأراد عمر أن يتكلّم ويمهِّدَ لأبي بكر ؛ وقال : خشِيتُ أن يقصّر أبـو بكر عن بعض الكلام ؛ فلما نَبَس(١) عمر ، كَفْه أبو بكر وقال : عَلَى رِسْلك ؛ فتلقّ الكلامَ ثم تكلَّمْ بعد كلامي بما بدا لك . فتشهد أبو بكر ، ثم قال :

إنَّ الله جلَّ ثناؤه بعثَ محمداً بالهدى ودين الحق ، فدعا إلى الإسلام ، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه ، وكُنّا ـ معاشرَ المسلمين المهاجرين ـ أوَّلَ الناس إسلاماً ، والنّاس لنا في ذلك تَبَع ؛ ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، وأوسطُ العرب أنْسـاباً ، ليس من قبائل العرب إلاَّ ولقريش فيها ولادة ؛ وأنتم أنصار الله ، وأنتم نصـرتُم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين ؛ وفيما كُنّا فيه من خير ؛ فأنتم أحبُّ الناس إلينا ، وأكرمُهم علينا ، وأحقّ الناس بالرضا بقضاء الله ، والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين ، وأحقّ الناس ألاَّ تحسدوهم ، فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة ، وأحقُّ الناس ألاَّ يكون انتقاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم ، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة وعمر ؛ فكلاهما قـد رضِيت لهذا الأمر ، وكلاهما أراه له أهلاً*.

فقال عمر وأبو عبيدة : مـا ينبغي لأحدٍ من النـاس أن يكونَ فـوقك ، أنت صـاحبُ الغار ، ثاني اثنين ، وأمرَك رسول الله بالصلاة** ، فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر .

فقال الأنصار :

---

(١) نبس : أي تكلم .

* ولا ندري من أعطى ابا بكر هذا الحق ، ولا ندري لِم لم تسأله الأنصار هذا السؤال .

** والحق ان النبي (ص) لم يأمره بالصلاة بل نحاه جانباً عندما رآه يؤم الناس كما تجد ذلك في مكـان آخر من هـذا الكتاب .

والله ما نحسدكم على خيرٍ ساقه الله إليكم ، ولا أحد أحبّ إلينا ولا أرضى عِنْدنا منكم ، ولكِنّا نشفِق فيما بعد هذا اليوم ، ونحذر أن يغلبَ على هذا الأمر مَنْ ليس مِنا ولا منكم ؛ فلو جعلتم اليوم رجُلاً منكم بايعنا ورضينا ـ على أنّه إذا هلك اخترنا واحداً من الأنصار ؛ فإذا هَلَك كان آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الأمة ـ كان ذلك أجدر أن نَعْدِل في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفِق الأنصاريّ أن يزيغ فيقبضِ عليه القرشيّ ، ويشفق القرشيّ أن يزيغَ فيقبض عليه الأنصاريّ .

فقام أبو بكر فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم لما بُعث عظم على العرب أن يتركوا دينَ آبائهم ، فخالفوه وشاقّوه ، وخصّ الله المهاجرين الأولين من قومِه بتصديقه والإيمان به والمواساة له ، والصَّبر معه على شِدّة أذى قومه ، ولم يستوحشوا لكثرة عَدوّهم ؛ فهم أول مَنْ عَبَد الله في الأرض ، وهم أوّلُ مَنْ آمن برسول الله ، وهم أولياؤه وعِتْرته ، وأحقّ الناس بالأمر بعده ، لا ينازعهم فيه إلاّ ظالم ؛ وليس أحدٌ بعد المهاجرين فضلاً وقدَما في الإسلام مثلكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا نمتاز دونَكم بمشورة ، ولا نقضي دونكم الأمور .

فقام الحُباب بن المنذر بن الجموح ، فقال :

يا معشر الأنصار ؛ امْلِكوا عليكم أيديَكم ؛ إنّما الناس في فيئكم وظلّكم ؛ ولن يجترىء مجترىء على خِلافكم ، ولا يصدر الناس إلاّ عن أمركم ، أنتم أهل الإيواءُ والنُّصْرة ، وإليكم كانت الهجرة ، وأنتم أصحاب الدّار والإيمان ؛ والله ما عبِدَ اللَّهُ علانيةً ألا عندكم وفي بلادكم ، ولا جمعت الصلاة إلاّ في مساجدكم ، ولا عُرِفَ الإيمان إلاّ من أسيافكم، فامْلِكُوا عليكم أمرَكم ، فإن أبى هؤلاء فمنّا أميرٌ ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع سَيْفان في غِمْد ؛ إنَّ العرب لا ترضى أن تؤمِّركم ونبيُّها من غيركم ، وليس تمتنع العرب أن تولِّيَ أمرَها مَنْ كانت النبوّة فيهم* ، وأولو الأمر منهم ، لنا بذلك الحجة الظاهرة على مَنْ خالفنا ، والسلطان المبين على مَنْ نازعنا ، مَنْ ذا يخاصِمُنا في سلطان محمد وميراثه ؛ ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلاّ مُدْلٍ بباطل ، أو متجانفٌ لإثم ، أو متورّط في هَلَكة !

فقامَ الحُباب ، وقال :

يا معشر الأنصار ، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر ، فإن

---

* هذا قوله للأنصار ، أما قوله لبني هاشم فهو أن العرب لا ترضىٰ باجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد !!

أبوا عليكم ما أعطيتموهم فأجلُوهم عن بلادكم ، وتولّوا هذا الأمر عليهم ، فأنتم أوْلَى الناس بهذا الأمر ، إنّه دانَ لهذا الأمر بأسيافكم مَنْ لم يكن يدين له . أنا جُذَيْلُها المحكّك ، وعُذَيْقُها المرجَّب[١] ، إن شئتم لنعيدنّها جَذعة[٢] ، والله لا يردّ أحدٌ عليّ ما أقول إلّا حطّمت أنفه بالسَّيْف .

قال : فلما رأى بشير بن سعد الخزرجيّ ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة ـ وكان حاسداً له ، وكان من سادة الخزرج ـ قام فقال :

أيها الأنصار ، إنّا وإنْ كنّا ذوِي سابقة ، فإنّا لم نرِدْ بجهادنا وإسلامِنا إلّا رضا ربّنا وطاعة نبينا ، ولا ينبغي لنا أن نستطِيل بذلك على الناس ، ولا نبتغِي به عِوَضاً من الدّنيا ، إذ محمداً صلى الله عليه وسلم رجلٌ من قريش ؛ وقومه أحقُّ بميراثِ أمره ، وايمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر ؛ فاتّقوا اللّهَ ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم .

فقام أبو بكر ، وقال : هذا عمر وأبو عُبيدة ، بايعوا أيَّهما شئتم ؛ فقالا : والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ؛ وأنت أفضلُ المهاجرين ، وثاني اثنين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ؛ والصّلاة أفضل الدّين . ابسُط يَدك نبايعك .

فلما بَسط يَده ، وذهبا يبايعانه ، سبقهما بشير بن سعد ، فبايَعه ، فناداه الحُباب بن المنذر : يا بشير ، عَقّك عَقاقِ ؛ والله ما اضطرك إلى هذا الأمر إلّا الحسدُ لابنِ عمّك .

ولما رأت الأوس أنّ رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أُسَيد بن حُضَير ـ وهو رئيس الأوس ـ فبايَع حسداً لسعد أيضاً ، ومنافَسةً له أن يليَ الأمرَ ، فبايعت الأوس كلّها لما بايع أُسَيد ، وحمِل سعد بن عبادة وهو مريض ، فأدخِل إلى منزله ، فامتنع من البَيْعة في ذلك اليوم وفيما بعده ، وأراد عمر أن يُكرِهه عليها ، فأشير عليه ألّا يفعل ، وأنه لا يبايع حتى يُقتل ، وأنه لا يُقْتل حتى يقتَل أهلُه ، ولا يقتَل أهلُه حتى يقتَلَ الخزرج ؛ وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها .

---

(١) قال الزمخشري في الفائق ١ : ١٨١ : « الجذل » : عود ينصب للابل الجربى تحتك به فتستشفي . والمحك : الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملساً . والعذق ؛ بالفتح : النخلة . والمرجب : المدعوم بالرجبة ؛ وهي خشبة ذات شعبتين ؛ وذلك إذا طال وكثر حمله ، والمعنى : إني ذو رأي يشفي بالاستضاءة به كثيراً في مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والعلم بموارد الأحوال فيها ، وفي أمثالها ومصادرها ، كالنخلة الكثيرة الحمل . ثم رمى بالرأي الصائب عنده ، فقال : منا أمير ومنكم أمير » .

(٢) قال في اللسان : « إن شئتم أعدناها جذعة ، أي أول ما يبتدأ فيها » .

وفسد الأمر فتركوه ، فكانَ لا يصلّي بصلاتِهم ، ولا يجتمع بجماعتهم ، ولا يقضِي بقضائهم ؛ ولو وجد أعواناً لضارَبهم ، فلم يزل كذلك حَتى مات آبو بكر ، ثم لقِي عمرَ في خلافته ؛ وهو على فرس ، وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات يا سعد ! فقال سعد : هيهات يا عمر ! فقال : أنت صاحب مَنْ أنت صاحبه ؟ قال : نعم أنا ذاك ؛ ثم قال لعمر : والله ما جاوَرني أحدٌ هو أبغضُ إليّ جواراً منك ، قال عمر : فإنه مَنْ كَرِه جوار رجل انتقل عنه ؛ فقال سعد : إنّي لأرجو أن أخلِّيهَا لك عاجلاً إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إليّ جواراً منك ومن أصحابك ؛ فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلاَّ قليلاً حتى خرج إلى الشام ، فمات بحُوران ولم يبايع لأحدٍ ؛ لا لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما .

قال : وكثر الناسُ على أبي بكر ، فبايعه معظمُ المسلمين في ذلك اليوم ؛ واجتمعت بنو هاشم إلى بيت عليّ بن أبي طالب ، ومعهم الزبير ، وكان يعدّ نفسه رجلاً من بني هاشم ؛ كان عليّ يقول : ما زال الزُّبير مِنّا أهلَ البيت ؛ حتى نشأ بنُوه ، فصرفُوه عَنّا .

واجتمعت بنو أميّة إلى عثمان بن عفّان ، واجتمعت بنو زَهْرة إلى سعد وعبد الرحمن : فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة ، فقال : مالي أراكم ملتاثِين ؟ قوموا فبايعوا أبا بكر ؛ فقد بايع له الناس ، وبايعه الأنصار . فقام عثمان ومن معه ، وقام سعد وعبد الرحمن ومَنْ معهما ، فبايعوا أبا بكر .

وذهب عمر ومعه عِصَابة إلى بيت فاطمة ، منهم أسيد بن حُضير وسلمة بن أسلم ، فقال لهم : انطلقوا فبايعوا ، فأبوْا عليه ؛ وخرج إليهم الزُّبَير بسيفِه ، فقال عمر : عليكم الكلْب ، فوثب عليه سلمَة بن أسلم ، فأخذَ السيفَ من يدِه فضرب به الجِدار ، ثم انطلقوا به وبعليّ . ومعهما بنو هاشم ، وعليّ يقول : أنا عبدُ الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى انتهوا به إلى أبي بكر ، فقيل له : بايعْ ؛ فقال : أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أوْلى بالبيعةِ لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ، واحْتَجَجْتُم عليهم بالقرابة من رسول الله ، فأعطوْكم المقادَة ، وسلَّموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتُم به على الأنصار . فأنصفونا إن كنتم تخافُون الله من أنفِسكم ، واعرِفوا لَنَا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم ، وإلاَّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون*.

---

* وهذا قول صريح في نفي تبرير الأمر بأنه مخافة الفتنة أو أن القوم مجتهدون أو متأولون لأن الإمام يصف الأمر بالظلم صراحة

فقال عمر : إنّك لستَ متروكاً حتى تبايع . فقال له عليّ : احلب يا عمر حلباً لك شطرُه ! اشدُد له اليوم أمرَه ليردّ عليك غَداً ! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه . فقال له أبو بكر : فإن لم تبايعْني لم أكْرِهك ، فقال له أبو عبيدة : يا أبا الحسن ، إنَّك حديثُ السنّ ، وهؤلاء مَشْيَخة قريش قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلاَّ أقوَى على هذا الأمر منك ، وأشدَّ احتمالاً له ؛ واضطلاعاً به ، فسلِّم له هذا الأمر وارْضَ به ، فإنكِ إن تعش وَيَطُلْ عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق ؛ في فضلِك وقرابتِك ، وسابقتِك وجهادِك .

فقال عليّ : يا معشرَ المهاجرين ، اللَّهَ اللَّهَ ! لا تُخرِجوا سلطانَ محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهلَه عن مقامه في الناس وحَقّه ، فوالله يا معشرَ المهاجرين ، لَنَحْنُ - أهلَ البيت - أحقُّ بهذا الأمر منكم . أمَا كان منّا القارىء لكتابِ الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنّة ، المضطلع بأمر الرعية ! والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى ، فتزدادوا من الحقّ بعداً .

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعتْهُ منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتِهم لأبي بكر ، ما اختلف عليك اثنان ، ولكنّهم قد بايعوا .

وانصرف عليّ إلى منزله ، ولم يبايع ، ولزم بيتَه حتى ماتت فاطمة فبايَع .

قلت : هذا الحديث يدلُّ على بُطْلان ما يُدَّعَى من النصّ على أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نصٌّ صريح لاحتجّ به ولم يجرِ للنصّ ذكر*، وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب ، فلو كان هناك نصٌّ على أمير المؤمنين أو على أبي بكر ، لاحتجّ به أبو بكر أيضاً على الأنصار ، ولاحتج به أميرُ المؤمنين على أبي بكر ، فإنَّ هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة ، يدلّ على أنه قد كان كاشفهم وهَتَك القِناع بينه وبينهم ، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدِّي عليه وظِلمه ، وتمنَّع من طاعتهم ، وأسمَعهم من الكلام أشده وأغلظه ! فلو كان هناك نصٌّ لذكره ، أو ذكره بعض مَنْ كان من شيعته وحِزْبه ؛ لأنَّه لا عِطْر بعد عَرُوس .

وهذا أيضاً يدلّ على أنّ الخبرَ المرويّ في أبي بكر في صحيحي البخاري ومسلم غيرُ

* ولقد بين السيد محمد باقر الصدر في كتابه فدك سبب عدم احتجاج الامام بالنص انقله بطوله لكي يقطع دابر هذه الشبهة التي يتمسك فيها من يدحض الواضحات ، قال رحمه الله في ص ٨٢ من كتابه :

وأما الأنصار فقد سبقوا جميع المسلمين إلى الإستخفاف بتلك النصوص والإستهانة بها إذا حدث بهم الشراهة إلى الحكم إلى عقد مؤتمر في سقيفة بني ساعدة ليصفقوا على يد واحد منهم فلن يجد علي فيهم إذا استدل بالنصوص النبوية جنوداً للقضية العادلة وشهوداً عليها لأنهم إذا شهدوا على ذلك يسجلون على أنفسهم تناقضاً فاضحاً في يوم واحد وهذا ما يأبونه على أنفسهم بطبيعة الحال .

وليس في مبايعة الأوس لأبي بكر أو قول من قال : لا نبايع إلاَّ علياً مناقضة كتلك المناقضة لأن المفهوم البديهي من تشكيل مؤتمر السقيفة إن مسألة الخلافة مسألة انتخاب لا نص فليس الى التراجع عن هذا الرأي في يوم اعلانه من سبيل .

وأما اعتراف المهاجرين بالأمر فلا حرج فيه لأن الأنصار لم يجتمعوا على رأي واحد في السقيفة وإنما كانوا يتذاكرون ويتشاورون ولذا نرى الحباب بن المنذر يحاول بث الحماسة في نفوسهم والاستمالة بهم إلى رأيه بما جلجل به في ذلك الاجتماع من كلام وهو يوضح أنهم جمعوا لتأييد فكرة لم يكن يؤمن بها إلاَّ بعضهم .

واذن فقد كان الامام يقدر أنه سوف يدفع الحزب الحاكم الى انكار النصوص والاستبسال في هذا الانكار إذا جاهر بها ولا يقف إلى جانبه حينئذٍ صف ينتصر له في دعواه لأن الناس بين من قادهم الهوى السياسي الى انكار عملي للنص يسد عليهم مجال التراجع بعد ساعات وبين من يرى أن فكرة النص تجعل من الخلافة وقفاً على بني هاشم لا ينازعهم فيها منازع . وإذا سجلت الجماعة الحاكمة وانصارها انكاراً للنص واكتفى الباقون بالسكوت في الأقل فمعنى هذا ان النص يفقد قيمته الواقعية وتضيع بذلك مستمسكات الامامة العلوية كلها ويؤمن العالم الاسلامي الذي كان بعيداً عن مدينة النبي (ص) على انكار المنكرين لأنه منطق القوة الغالب في ذلك الزمان .

ولنلاحظ ناحية اخرى فإن علياً لو ظفر بجماعة توافقه على دعواه وتشهد له بالنصوص النبوية المقدسة وتعارض انكار الفئة الحاكمة كان معنى ذلك أن ترفض هذه الجماعة خلافة ابي بكر وتتعرض لهجوم شديد من الحاكمين ينتهي بها إلى الاشتراك في حرب مع الحزب الحاكم المتحمس لكيانه السياسي إلى حد بعيد فإنه لا يسكت عن هذا اللون من المعارضة الخطرة فمجاهرة علي بالنص كانت تجره الى المقابلة العملية وقد عرفنا سابقاً أنه لم يكن مستعداً لإعلان الثورة على الوضع القائم والإشتراك مع السلطات المهيمنة في قتال .

ولم يكن للاحتجاج بالنص اثر واضح من ان تتخذ السياسة الحاكمة احتياطاتها وأساليبها الدقيقة لمحو تلك الأحاديث النبوية من الذهنية الاسلامية لأنها تعرف حينئذٍ أن فيها قوة خطر على الخلافة القائمة ومادة خصبة لثورة المعارضين في كل حين .

وإني اعتقد أن عمر لو التفت إلى ما تنبه إليه الأمويون بعد أن احتج الامام بالنصوص في أيام خلافته واشتهرت بين شيعته من خطرها لاستطاع أن يقطعها من أصولها ويقوم بما لم يقدر الأمويون عليه من اطفاء نورها وكان اعتراض الامام بالنص في تلك الساعة ينبهه إلى ما يجب أن ينتهجه من أسلوب فأشفق على النصوص المقدسة أن تلعب بها السياسة وسكت عنها على مضض واستغفل بذلك خصومه حتى ان عمر (رضي الله تعالى عنه) نفسه صرح بأن علياً هو ولي كل مؤمن ومؤمنة بنص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ثم ألم يكن من المعقول أن يخشى الامام على كرامة حبيبه وأخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تنتقض وهي أغلى عنده من كل نفيس ـ إذا جاهر بنصوص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو لم ينس

صحيح ؛ وهو ما رُوي من قوله عليه السلام لعائشة في مرضه : « ادعِي لي أباك ، حتى اكتب لأبي بكر كتاباً ؛ فإني أخـافُ أن يقول قـائل ، أو يتمنى متّمنّ ، ويـأبى الله والمؤمنون إلاّ أبـا بكر » .

وهذا هو نص مذهب المعتزلة .

وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ أيضاً : حدّثنا احمد وقال : حدثنا ابن عُفير ، قال : حدَّثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ رضي الله عنهـما ، أنَّ عليّاً حَمَل فاطمة على حمار ، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار ؛ يسـألهـم النصرة ، وتسـألهم فاطمة الانتصار له ، فكانوا يقولون : يا بنتَ رسول الله ، قد مضت بيعتُنا لهذا الرجل ؛ لو كان ابنُ عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عَدَلْنا به ؛ فقال عليّ : أكنت أتركُ رسولَ الله ميِّتاً في بيته لا أجهِّزه ، وأخرجُ إلى الناس أنازعهم في سلطانه !

= موقف الفاروق من رسول الله (ص) حين طلب دواة ليكتب كتاباً لا يضل الناس بعده أبـداً ، فقال عمـر : إن النبي ليهجر أو قد غلب عليه الوجع ، وقد اعترف فيما بعد لابن عباس ان رسول الله (ص) كان يريد أن يعين علياً للخلافة وقد صده عن ذلك خوفاً من الفتنة .

وسـواء أكـان رسـول الله (ص) يـريـد أن يحـرر حق عـلي في الخـلافـة أو لا فـإن المهم أن نتـأمـل مـوقف عمـر من طلبـه فهو إذا كان مستعداً لاتهام النبي (ص) وجهاً لوجه بما ينزهه عنه نص القرآن وضرورة الاسلام خوفاً من الفتنة فما الذي يمنعه عن اتهام آخر له بعد وفاته مهما تلطفنا في تقديره فلا يقل عن دعوى ان رسـول الله (ص) لم يصدر عن أمر الله في مـوضوع الخـلافة وإنمـا استخلف علياً بـوحي من عاطفته بل كـان هذا اولى من تلك المعارضة لأن الفتنة التي تقوم بدعوى على النص أشد مما كان يترقبه عمر من اضـطراب فيما إذا كـان النبي (ص) قد خلف نصاً تحريرياً بامامة علي يعلمه الجميع .

وإذا كان رسول الله (ص) قد ترك التصريح بخلافة علي في ساعته الأخيرة لقول قاله عمر فان المفهوم ان يترك الوصي الاحتجاج بالنصوص خوفاً من قول قد يقوله .

ونتيجة هذا البحث أن سكوت أمير المؤمنين عن النص الى حين كان يفرضه عليه :

١ ـ أنه لم يكن يجد في رجالات تلك الساعة من يطمئن إلى شهادته بذلك .

٢ ـ أن الاعتراض بالنصوص كان من الحري به أن يلفت انظار الحاكمين إلى قيمتها المادية فيستعملون شتى الأساليب لخنقها .

٣ ـ ان معنى الاعتراض بها التهيؤ للثورة بأوسع معانيها وهذا ما لم يكن يريده الامام .

٤ ـ ان اتهام عمر للنبي (ص) في آخر ساعاته عـرف علياً بمقـدار تفاني الحـاكمين في سبيل مـراكزهم ومـدى استعدادهم لتأييدها والمدافعة عنها وجعله يخاف من تكرر شيء من ذلك فيما إذا اعلن عن نصوص امامته

وقالت فاطمة : ما صنع أبو حسن إلاّ ما كان ينبغي له ، وصنعوا هم ما الله حسْبُهم عليه .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وحدثنا أحمد ، قال : حدثني سعيد بن كَثِير ، قال : حدثني ابن لَهيعة ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما مات وأبو ذَرّ غائب ، وقدم وقد وُلّيَ أبو بكر ، فقال : أصبتم قِناعه ، وتركتم قرابه ؛ لو جعلتم هذا الأمرفي أهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم اثنان .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب ، قال : لما توفّيَ النبيّ صلى الله عليه وآله ، وجرى في السقيفة ما جرى تمثل عليّ :

وأصبح أقوام يقولونَ ما اشتهوْا ويطغون لّما غالَ زيداً غوائلُهْ

أمر المهاجرين والأنصار بعد بيعة أبي بكر *

وروى الزبير بن بكار في « الموفقيّات » قال : لما بايع بشير بن سعد أبا بكر ، وازدحَم الناس على أبي بكر فبايعوه ، مَرّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوقف وأنشَد :

بَني هاشمٍ لا تطمِعُوا النَّاس فيكمُ ولا سيَّما تَيم بن مرة أو عدي
فما الأمرُ إلاَّ فيكمُ وإليكمُ وليس لها إلاَّ أبو حسن عليّ
أبا حَسَنٍ فاشدُدْ بها كف حازمٍ فإنَّك بالأمر الذي يُرْتجى مليّ
وأي امرىءٍ يرمي قصيّاً ورأيها منيعُ الحِمى والناس من غالب قصيّ !

فقال عليّ لأبي سفيان : إنّك تريدُ أمراً لسْنَا من أصحابه ، وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً فأنا عليه ؛ فتركه أبو سفيان وعدَل إلى العبّاس بن عبد المطلب في منزله ، فقال : يا أبا الفضْل ، أنت أحقّ بميراث ابن أخيك ، امدد يدك لأبايعك ، فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك . فضحِك العباس ، وقال : يا أبا سفيان ، يدفعها عليّ ويطلبها العباس ! فرجع أبو سفيان خائباً .

وقال الزبير* : وقد كان مالأ أبا بكر وعمر على نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلان من

---

* شرح النهج : ابن ابي الحديد الجزء ٦ ص ١٧ .

* شرح النهج : ابن ابي الحديد الجزء ٦ ص ١٩ .

الأنصار ممّن شهد بدراً ، وهما عُوَيم بن ساعدة ومعن بن عديّ .

قلت : كان هذان الرجلان ذَوَيْ حُبّ لأبي بكر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله واتفق مع ذلك بغض وشحناء ؛ كانت بينهما وبين سعد بن عبادة ، ولها سبب مذكور في كِتاب « القبائل » لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ، فليُطلب من هناك .

وعُوَيم بن ساعدة ، هو القائل لمّا نصب الأنصار سعداً : يا معشرَ الخزرج ؛ إن كان هذا الأمر فيكم دونَ قريش فعرّفونا ذلك وبرهِنُوا حتى نبايِعَكم عليه ؛ وإن كان لهم دونَكم ، فسلّموا إليهم ؛ فوالله ما هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عَرَفْنا أنَّ أبا بكر خليفة حين أمرَه أن يصليَّ بالناس ؛ فشتَمه الأنصار وأخرجوه ؛ فانطلق مسرعاً حتى التحقَ بأبي بكر ، فشحذَ عزمه على طلب الخلافة .

ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار في « الموفقيات » .

وذكر المدائني الواقديّ، أن معن بن عديّ اتفق هو وعُوَيم بن ساعدة على تحريض أبي بكر وعمر على طلب الأمر وصَرْفه عن الأنصار . قالا : وكان معن بن عديّ يشخصهما إشخاصاً ، ويسوقهما سَوْقاً عنيفاً إلى السقيفة ، مبادرةً إلىٰ الأمر قبل فواته .

قال الزبير بن بكار : فلمّا بُويع أبو بكر ، أقبَلت الجماعة التي بايعتْه تزفّه زفاً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان آخرُ النهار ، افترقوا إلى منازلهم ، فاجتمع قومٌ من الأنصار وقومٍ من المهاجرين ، فتعاتبوا فيما بينهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشرَ الأنصار ، إنّكم وإن كنتم أولي فضلٍ ونصر وسابقة ؛ ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة . فقال زيد بن أرقم : إنّا لا ننكر فضلَ مَنْ ذَكَرتَ يا عبد الرحمن ؛ وأن منّا لسيّد الأنصار سعد بن عبادة، ومَنْ أمر الله رسوله آن يقرئه السلام، وأن يأخذ عنه القرآن أُبَيّ بن كعب ، ومَنْ يجيء يوم القيامة إمام العلماء مُعاذ بن جبل ، ومن أمْضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت ؛ وإنّا لنعلم أنَّ ممّن سمَّيتَ من قريش مَنْ لو طلب هذا الأمر لم ينازعْه فيه أحد ؛ عليّ بن أبي طالب* .

---

* وهذا يلمّح إلى النص ، وذلك لقوله (وأنّا لنعلم) إذ لو كان يعني الفضائل لردوا عليه بأن ابا بكر ثاني اثنين في الغار . . . الخ من مقالتهم السابقة . كما أنه بلا وجود النص لا يمكن القول (لم ينازعه فيه أحد) لأن ترك المنازعة لا يكون إلّا بوجود نص نبوي ، بل لقد جادلوا النبي (ص) في كثير من أوامره فكيف بما لم يأمر به كما يزعمون ؟ !

قال الزّبير : فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس وقال :

أيّها الناس ؛ إني وليت أمركم ولستُ بخيركم ، فإذا أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوّموني ؛ إنَّ لي شيطاناً يعتريني ؛ فإيَّاكم وإيَّاي إذا غضِبت ؛ لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم الصّدْق أمانة ، والكذب خيانة ، والضّعيف منكم قويّ حتى أردَّ إليه حقه ، والقويّ ضعيف حتى آخذ الحق منه . إنَّه لا يَدع قومٌ الجهادَ إلاّ ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشِيع في قوم الفاحشة إلاّ عَمّهم البلاء ؛ أطِيعوني ما أطعتُ الله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

وروى الزبير بن بكارٍ ، قال : روى محمد بن إسحاق أنّ أبا بكر لما بُويع افتخرت تيم بن مرة ـ قال : وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكُّون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ، صلى الله عليه وآله* ـ فقال الفضل بن العباس : يا معشرَ قريش ، وخصوصاً يا بني تَيْم ، إنَّكم إنما أخذتم الخلافَة بالنبوّة ، ونحن أهلُها دونَكم ، ولو طلبنا هذا الأمرَ الذي نحنُ أهلهُ لكانت كراهةُ الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا ؛ حسداً منهم لنا ، وحِقْداً علينا ، وإنَّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عَهْداً هو ينتهي إليه .

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعراً :

ما كنتُ أحسِبُ أنَّ الأمر منصرفٌ — عن هاشمٍ ثمَّ منْهَا عن أبي حَسَنِ
أليس أوّلَ مَنْ صلّى لقبلتكمْ — وأعلمَ الناس بالقرآن والسّننِ
وأقربَ الناس عهداً بالنبيّ ومَنْ — جبريلُ عَوْنٌ له في الغسْلِ والكَفَنِ
ما فيه ما فيهمُ لا يمترونَ بهِ — وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي رَدّهُمْ عنه فنعلَمه — ها إنَّ ذَا غُبْناً من أعظم الغُبنِ !

قال الزَّبير . فبعث إليه عليّ فنهاه وأمرَه ألاّ يعود ، وقال : سلامة الدّين أحبّ إلينا من غيره .

ثم أورد الشارح ما جرى بين المهاجرين ـ أو مثيري الفتن منهم بالحقيقة ـ والأنصار من كلام فيه التهديد والوعيد والتذكير بالذحول والتراث والأفعال الماضية . ونلخص هنا بعض ما جاء في الصفحات من ٢٢ إلى ٣٨ من الجزء ٦ ، وقد أوردها كلها من كتاب الموفقيات للزبير بن بكار . .

---

* وهذه أخرى تدل على النص ، كما هو واضح لكل ذي عينين .

قام خالد بن الوليد وكان شيعةً لأبي بكر ومن المنحرفين عن عليّ خطيباً فتكلم يمدح أبا بكر حتى إن حَزن بن أبي وهب المخزومي قال شعراً يمدح فيه خالداً .

ثم إن كثيراً من الأنصار ندموا بعد بيعة أبي بكر ولام بعضهم بعضاً وذكروا عليّ ابن أبي طالب وهتفوا باسمه* وجزع لذلك المهاجرون وكثر في ذلك الكلام .

وقام سهيل بن عمرو خطيباً بعدما اعتزلت الانصار وذكر بأن الأنصار قد ذكروا علياً ، وحثّ المهاجرين على الدعوة إلى أبي بكر وان يجددوا الأنصار البيعة وإلّا قاتلوهم . وكذلك فعل الحارث بن هشام وعكْرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب .

فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء قام ثابت بن قيس بن شماس فذكّر الأنصار بأن هؤلاء النفر هم أهل الدنيا ومن الموتورين وأن القولِ والرأي مع أخيار المهاجرين . فقال حسان بن ثابت يذكر ذلك :

تنادى سهيلٌ وابنُ حربٍ وحارثٌ وعِكْرمةُ الشَّاني لَنا ابن أبي جَهْلِ
وكلهمُ ثانٍ عن الحقِّ عِطفه يقول اقتلوا الأنصار ، يا بئس مِنْ فِعل

فغضبت قريش من شعر حسان فأمروا ابن ابي عزّة شاعرهم أن يجيبه ففعل .

ثم ان قريشاً اكرمت معن بن عديّ وعويم ابن ساعدة إلّا أن الأنصار اجتمعوا ودعوهما فوبخوهما لذهابهما إلى أبي بكر وعمر وأخبارهما بدعوة الأنصار في السقيفة . وذكر شعراً لمعن وعويم يدافعان عن نفسيهما ، كما أورد شعراً لفَرْوَة بن عمر يهجوهما .

وما إن سكنت الفتنة حتى جاء عمرو بن العاص من سفر كان فيه فدخل اجتماعاً للمهاجرين والأنصار يتذاكرون فيه ما جرى في السقيفة ، فأخذ يلقح الفتنة لتشتعل نارها من جديد وأخذ يفاضل بين المهاجرين والأنصار وتوعد الأنصار بالقتل وقال في هذه الحادثة شعرا ، فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره بعثوا إليه شاعرهم النعمان بن العجلان فجاء ووبخ عمراً ثم انصرف قائلاً وهو يذكر بلاء الأنصار ويذكر حق عليّ بالأمر ويذكر ابي بكر بخير :

ومنها :

فقل لقريش نحنُ أصحابُ مكَّةٍ ويوم حُنين والتدارسُ في بَدْر
وقلتم : حرامٌ نصب سعدو نصبكمْ عتيقَ بن عثمان ـ حلالٌ ـ أبا بكرِ

---

* وهذه اخرى تدل على النص ايضاً ذلك لأن الأنصار بعدما ارادوا ان يكون الأمر لهم لا يمكن ان يندموا إلّا على انحرافهم عن امر رسول الله (ص) ، وإلّا فإن الأمر قد خرج على أية حال .

وأهـلٌ أبو بكـر لها خـير قائمٍ وإن علياً كـان أخْلَقَ بـالأمْـرِ
وكـان هـوانـا في عـليّ وإنــه لأهْلٌ لها يا عمرو من حَيْثُ لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدَى وينهى عن الفحشاء والبَغْي والنُّكْرِ
وصيُّ النبيِّ المصطَفى وابنُ عمِّه وقاتِلُ فرسان الضَّلالة والكُفرِ
وهذا بحمدِ الله يهدي منَ الْعَمَى ويفتـح آذاناً ثُقُلْنَ من الْـوَقْـرِ
نَجِيُّ رسول الله في الغار وحدَه وصاحبُهُ الصِّدِّيقُ في سَالِفِ الدَّهْرِ
فلولا اتّقـاء الله لم تَذهبـوا بها ولكن هـذا الخير أجمـع للصَّبرِ

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضـب كثير منها . وكان ذلـك عند قـدوم خالد ابن سعيد بن العاص من اليمن إذ استعمله رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) عليها وكان وأخـوه من أول من أسلم من قريش ولهما فضـل وعبادة فغضب لـلأنصار وشتم عمرو بن العاص وقال : يا معشر قريش ؛ إنَّ عمراً دخـل في الإسلام حـين لم يجِدْ بـدّاً من الدخول فيه ، فلما لم يستطِعْ أن يكيدَه بيده كاده بلسانه ، وإنَّ مِنْ كيده الإسلام تفريقَه وقطعه بين المهاجرين والأنصار . والله ما حارَبْناهم للدِّين ولا للدنيا ؛ لقد بذلوا دماءهم لله تعـالى فينا ؛ وما بذلنا دماءنا لله فيهم ؛ وقاسمونـا ديارَهم وأمـوالهم ، وما فعلنـا مثل ذلـك بهم ، وآثرونا على الفَقْر ، وحرمانهم على الغنى ، ولقد وصّى رسـولُ الله بهم ، وعزّاهم عن جَفْـوة السلطان ؛ فأعوذ بالله أن أكونَ وإياكم الخلّف المضيّع ، والسلطان الجاني !

قلت*: هذا خالد بن سعيد بن العاص ؛ هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر ، وقال : لا أبايع إلَّا عليّاً ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

وأما قوله في الأنصار*: « وعزَّاهم عن جَفْوة السُّلْطان » فإشارة إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله : » سَتَلْقَوْن بعدي أثَرةً ، فاصبروا حتى تقدَمُـوا عليّ الحـوض » ؛ وهذا الخبـر هو الذي يكفِّر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به ، وذلـك أنّ النعمان بن بشـير الأنصاريّ جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية ، فشكوْا إليه فقرَهم ، وقالوا : لقد صـدق رسول الله صلى الله عليه وسلـم في قولِه لنا : « ستلقون بعدي أثرةً » ، فقد لقيناها . قال معاوية : فماذا

* القول لابن أبي الحديد .

قال لكم ؟ قالوا : قال لنا « فاصْبِروا حتى تردوا عليّ الحوض » ، قال : فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقُونه غداً عند الحوض كما أخبركم ؛ وحرمهم ولم يعطهمْ شيئاً .

ثم ان بعض سفهاء قريش من مثيري الفتن حرّضوا عمرو بن العاص على الرد على الأنصار فقام وتكلم بالسوء ، إلاَّ أنه ندم عندما رأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب وذلك للخئولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار ، ولأن الأنصار كانت تعظّم عليّاً وتهتف بـاسمه حينئذٍ . ثم رجع الفضل إلى عليّ وحدثه فغضب وشتم عمراً . وقال : آذى الله ورسوله . ثم أتى المسجد وتكلم مغضباً . فقال :

يا معشرَ قريش ، إنَّ حب الأنصار إيمان ، وبغضَهم نفاق ، وقد قَضَوا ما عليهم ، وبقي ما عليكم ؛ واذكروا أنَّ الله رغب لنبيكم عن مكّة ، فنقله إلى المدينة . وكره له قريشاً ؛ فنقله إلى الأنصار، ثم قدِمْنَا عليهم دارَهم ، فقاسمونا الأموال ، وكَفَوْنَا العمل ، فصرْنا منهم بَيْنَ بذل الغنى وإيثار الفقير ، ثم حارَبَنا الناس فوقونا بأنفسهم ؛ وقد أنزل الله تعالى فيهم آيةً من القرآن ، جمع لهم فيها بين خمس نِعَم ، فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ** ﴾[1] ، ألاَ وإنَّ عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميّت والحيّ ، ساء به الواتر وسرّ به الموتور ؛ فاستحقّ من المستمع الجواب ، ومن الغائب المقْت ؛ وإنه مَنْ أحبَّ الله ورسوله أحبَّ الأنصار ، فليكفُف عمرو عَنّا نفسَه .

فمشت قريش بعد هذه المقالة لأمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص وقالوا له : أيّها الرجل ؛ أما إذا غضب عليّ فاكفُف .

ثم ذكر شعراً لخزيمة بن ثابت الأنصاري يدعو قريشاً إلى وحدة الكلمة . ثم إن عليّاً عليه السلام امر الفضل بأن ينصر الأنصار ففعل إذ قال شعراً يمدح الأنصار :

إنّما الأنصار سيفٌ قاطعٌ ... مَنْ تُصِبْهُ ظُبَةُ السّيْفِ هَلَك[2]
نصرُوا الدين وآوَوْا أهلَه ... منزل رَحْبٌ ورِزْقٌ مُشْتَرَكْ

---

(١) سورة الحشر ٩.
(٢) ظبة السيف : حده .

ثم أمره الامام بأن يبعث بشعره إلى الأنصار ففعل فطلبت الأنصار من حسان بن ثابت أن يجيبه فقال :

جـزى الله عنّا والجـزاء بكَفِّـه أبا حسنٍ عَنّا ومَنْ كأبي حَسَنْ
سبقتَ قريشاً بالذي أنت أهلُه فصدرك مشروحٌ ، وقلبك ممتحَنْ
تمنَّتْ رجـالٌ من قريشٍ أعِـزّةٌ مكانك ، هيهاتُ الهزال من السِّمَنْ
وأنْتَ من الإسلام في كلِّ موطن بمنزلة الدَّلو البَطِين من الرَّسَنْ
غضبتَ لنا إذ قامَ عمروٌ بخطبة أمات بها التقوى وأحيا بها الإحَنْ
فكنتَ المرجَّى من لؤيّ بن غالب لما كان منهم ، والَّذي كان لم يكُنْ
حفظت رسول الله فينَا وعهدَه إليك ومَن أولى به منك مَنْ وَمَنْ
ألستَ أخاه في الهُدى ووصيَّـهُ وأعلمَ منهم بالكتابِ وبالسُّنَنْ
فحقك ما دامت بنجْدٍ وشيجةٌ عظيم علينا ثم بعد على اليمنْ

وبعث الأنصـار بهـذا الشعـر إلى علـيّ بن أبي طـالـب ، فخـرج إلى المسجـد ، وقـال لمن بـه من قـريش وغيـرهم : يـا معشرَ قـريش ، إنَّ الله جعـلَ الأنصـار أنصـاراً ، فـأثنى عليـهم في الـكتـاب ، فـلا خـيرَ فيكـم بعـدهـم ؛ إنَّـه لا يـزال سفيـه من سفهـاء قـريش وتَـرَه الإسـلام ، ودفعـه عن الحقّ ، وأطفـأ شـرفـه وفضَّـل غيـره عليه ؛ يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار ؛ فاتَّقوا الله وارعَوْا حقَّهم ، فـوالله لو زالـوا لزلتُ معهم ؛ لأنّ رسـول الله قال لهم : « أزولُ معكم حيثما زُلتم » ؛ فقال المسلمـون جميعاً : رحِمك الله يا أبا الحسن ! قلت قولاً صادقاً :

ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط شتم الأنصار وذلك لبغضه لهم لأنهم اسروا أباه يوم بدر وضربوا عنقه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ثم قال في ذم الأنصار شعراً . فغضبت الأنصـار وغضب لها قـوم من قريش منهم ضـرار بن الخـطاب الـفـهري وزيـد بن الخطاب ويزيد بن أبي سفيان ، فبعثوا إلى الوليد فوبخوه وذكروه بأنه من الذين دخلوا الإسلام كرهاً وذكروا الأنصار بخير وأمروه بالسكوت .

وأقبل حسان بن ثابت مغضَباً من كلام الوليد بن عُقْبة وشعره ، فدخل المسجد وفيـه قوم من قريش ، فقال : يا معشرَ قـريش ، إن أعظم ذنبنـا إليكم قتلُنا كفـارَكم ، وحمايتُنـا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإن كنتم تنقمون مِنّا مِنَّة كـانت بالأمس ؛ فقـد كفى الله

شَرِّها ، فما لنا وما لكم ؛ والله ما يمنعنا من قتالكم الجبنُ ، ولا من جوابكم العِيّ ، إنّا لحيّ فَعال ومقال ؛ ولكنا قلنا : إنها حرب ؛ أولها عار وآخرها ذلّ ؛ فأغضيْنا عليها عيوننا ، وسحبنا ذيولَنا ، حتى نَرَى وَتَرَوْا ، فإن قلتم قلنا ، وإن سكتّم سكتنا .

فلم يجبْه أحدٌ من قريش ، ثم سكت كلٌّ من الفريقين عن صاحبه ، ورضِيَ القوم أجمعون ، وقطعوا الخلاف والعصبية .

قال الشارح : انتهى ما ذكره الزبير بن بكار في « الموفّقيات » ونعود الآن إلى ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب « السقيفة » .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدثني زيد بن يحيى الأنماطي ، قال : حدثنا صخر بن جُويرية ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أخذ أبو بكر بيد عمر ويد رجل من المهاجرين ـ يرونه أبا عبيدة ـ حتى انطلقوا إلى الأنصار ، وقد اجتمعوا عند سَعْد في سقيفة بني ساعدة ، فقال عمر : قلت لأبي بكر : دعني أتكلّم ، وخشيت جِدّ أبي بكر ـ وكان ذَا جِدّ ـ فقال أبو بكر لا ، بل أنا أتكلّم ، فما هو والله إلاّ أن انتهينا إليهم ، فما كان في نفسي شيء أريد أن أقوله إلاّ أتى أبو بكر عليه ، فقال لهم :

يا معشرَ الأنصار، ما ينكِرُ حقَّكم مسلم ؛ إنّا والله ما أصبنا خيراً قطّ إلاّ شَركتمونا فيه ، لقد آويتم ونصرتم ، وآزرتم وواسيتُم ؛ ولكن قد علمتم أنَّ العرب لا تُقِرّ ولا تطِيع إلاّ لامرىءٍ من قريشٍ ، هم رهط النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أوسطُ العرب وشيجةَ رحِم ، وأوسط الناس داراً ، وأعرَبُ الناس ألسناً ، وأصبَحُ الناس أوجهاً ؛ وقد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام وقدمه ، هلمّ فلنبايعْه .

قال عمر : بل إيّاك نبايع ، قال عمر : فكنتُ أوّل الناس مدّ يده إلى أبي بكر فبايعه ، إلاّ رجلاً من الأنصار أدخل يده بين يديّ ويد أبي بكر فبايعه قبلي . ووطىء الناس فراش سعد ، فقيل : قتلتم سعداً . فقال عمر : قتل الله سعداً ! فوثب رجل من الأنصار ، فقال : أنا جُذَيْلُها المحكّك وعذَيقُها المرجَّب . فأخِذ ووطىء في بطنِه ودسُّوا في فيه التراب .

قال أبو بكر : وحدّثني يعقوب ، عن محمد بن جعفر ، عن محمد بن إسماعيل ، عن مختار اليمان ؛ عن عيسى بن زيد ، قال : لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى عليّ ، فقال : أغلبكم على هذا الأمر أذلّ بيت من قريش وأقلّها ! أما والله لئن شئت لأملأنّها على أبي فَصِيل خيلاً ورجلاً ؛ ولأسدنّها عليه من أقطارها ، فقال عليّ : يا أبا سفيان ، طالما كدْت الإسلام

وأهلَه ، فما ضرّهم شيئاً ؛ أمسك عليك ؛ فإنا رأينا أبا بكر لها أهلاً*.

قال أبو بكر : وحدّثنا يعقوب ، عن رجاله ، قال : لمَّا بُويع أبو بكر تخلَّف عليّ فلم يبايع ، فقيل لأبي بكر : إنه كره إمارتك ، فبعث إليه : أكرِهت إمارتي ؟ قال : لا ، ولكن القرآن خشيت أن يُزاد فيه ، فحلفتُ ألاَّ أرتدي رِداءً حتى أجمعه ؛ اللهم إلاَّ إلى صلاة الجمعة**

فقال أبو بكر : لقد أحسنت ، قال : فكتبه عليه الصلاة والسلام كما أنزل ، بناسخه ومنسوخه .

قال أبو بكر : حدثنا يعقوب ، عن أبي النضر ، عن محمد بن راشد ، عن مكحول ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل ، فقدم بعدما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بايع الناس أبا بكر ، فدعاه إلى البيعة ، فأبى ، فقال عمر : دعني وإياه*** ، فمنعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ، ثم مرَّ به أبو بكر وهو جالس على بابه فناداه خالد : يا أبا بكر ؛ هل لك في البيعة ؟ قال : نعم ، قال : فادْنُ ، فدنا منه ، فبايعه خالد وهو قاعد على بابه .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة ، عن رجاله ، عن الشعبيّ ، قال : قام الحسن بن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطُب على المنبر فقال له : انزل عن منبر أبي ، فقال أبو بكر : صدقت ؛ والله إنَّه لمنبر أبيك لا منبر أبي ، فبعث عليّ إلى أبي بكر ؛ إنه غلام حدَثٌ ، وإنا لم نأمره ، فقال أبو بكر : صدقت ، إنَّا لم نتهمك .

قال أبو بكر : وروى أبو يزيد ، عن حباب بن يزيد ، عن جرير ، عن المغيرة أنّ سلْمان والزبير وبعضَ الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، فلما بويع أبو بكر ، قال سلمانُ للصحابة : أصبتم الخير ؛ ولكن أخطأتم المعدِن قال : وفي رواية أخرى : أصبتم ذا السنّ منكم ، ولكنكم أخطأتم أهلَ بيت نبيّكم . أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رَغَداً .

---

* وهذا كلام لا صحة له قطعاً بدلالة النصوص المتتالية من امير المؤمنين والتي نورد ما جاء منها في نهج البلاغة ، اضافة الى الروايات الواردة في الشروح وحسبك في ذلك تخلُّفه عن البيعة حتى تعلل بجميع القرآن عندما سأله أبو بكر عن ذلك ، وواضح أن البيعة لا تحتاج إلى وقت طويل فلا يمكن أنْ تعيقه عن جمع القرآن .

** فليباعه إذاً بعد صلاة الجمعة !!!

*** يبدو أن الفاروق أراد التعامل معه بنفس الأسلوب الذي تعامل به مع المقلفين في دار فاطمة عليها السلام .

قلت : هذا الخبر هـو الذي رواه المتكلمـون في باب الإمـامة عن سلمـان أنه قـال : « كرد يد ونكرديد » ، تفسره الشيعة ، فتقول : أراد أسلمتم وما أسلمتم ، ويفسره أصحابنا فيقولون معناه : أخطأتم وأصبتم .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا غسّان ابن عبد الحميد ، قال : لما أكثر في تخلّف عليّ عن البيعة ، واشتدّ أبو بكر وعمر في ذلك ، خرجت أم مِسْطح بن أثاثة ، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله ونادته : يا رسول الله !

قَدْ كانَ بعدك أنباءٌ وهيْنمةٌ لو كنتَ شاهِدَها لم تكثر الخَطَبُ(١)
إنا فقدناك فَقدَ الأرض وابلها فاختلَّ قومك ، فاشْهدهم ولا تَغِبِ

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز : وسمعتُ أبا زيد عمر بن شبّة يحدِّث رجلاً بحديث لم أحفظ إسنادَه ، قال : مرَّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر ، وهما جالسان على باب النبي حين قُبِض ، فقال : ما يقعدكما ؟ قالا : ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ـ يعنيـان علياً ـ فقـال : أتريدُون أن تنظروا حبَل الحَبلة(٢)من أهلِ هذا البيت ! وسِّعُوها في قريش تتّسع*.

وقال أبو بكر : وحدّثني أبو الحسن عليّ بن سليمان النوفليّ ، قال : سمعت أُبَيّاً يقول : ذكر سعد بن عبادة يوماً علياً بعد يوم السقيفة ، فذكر أمراً من أمره نسيَه أبو الحسن ، يوجب ولايتَه ، فقال لِه ابنه قيس بن سعد : أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام في عليّ بن أبي طالب ، ثم تطلب الخلافة ، ويقول أصحابُك : منّا أمير ومنكم أمير ! لا كلمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبداً .

قال أبو بكر : وحدّثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفليّ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدّثني شريك بن عبد الله ، عن إسماعيل بن خـالد ، عن زيـد بن عليّ بن الحسـين ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عليّ : كنت مع الأنصار لرسول الله صلى الله عليـه وسلم على

أو كما حصل للذين بايعوا مكرهين بخبط أيديهم على يد الصديق .

(١) الهينمـة : الصوت الخفي . وفي اللسـان ـ ونسب البيتين الى فاطمـة . « وهنبثـة » والهنبثة : الاختـلاط في القول .

(٢) الحبلة في الأصل : الكرم ؛ قيل : معناه حمل الكرمة قبل أن تبلغ ؛ ولعله كناية عن صغر سن عليّ .

* وهذا غير صحيح ، تدفعه الرواية القائلة بأن معن بن عديّ وعويم بن ساعدة جاءا إلى عمر يخبرانه بدعوة الأنصار في السقيفة ومن ثم فزعه وإخراجه لأبي بكر من بيت النبي ليذهبا بعد ذلـك إلى هناك . كمـا وتدفعـه الكلمة رقم ٤١٤ الجزء العشرين التي أوردناها بتسلسل ٤٩ وفيها يقول ، (وأجمعت ـ أي قريش ـ مُـذ كان حيّـاً ـ أي النبي (ص) ـ على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته) أي أن الأمر كان مخططاً له مسبقاً

السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه ، فلما عزّ الإسلام ، وكَثُر أهله ، قال : يا عليّ ؛ زد فيها : « على أن تمنعـوا رسولَ الله وأهـلَ بيته مما تمنعون منـه أنفسَكم وذراريكم » ، قال : فحملها على ظهور القوم ، فوفَى بها مَنْ وَفَى ، وهلك مَنْ هَلَك .

قلت : هذا يطابق ما رواهُ أبو الفرج الأصفهاني في كتاب « مقاتل الطالبيين » أن جعفر بن محمد عليه السلام وقف مستتراً في خِفْية ، يشاهد المحامل التي حُمِل عليها عبد الله ابن الحسن وأهلُه في القيود والحديد من المدينة إلى العراق ، فلما مرُّوا به بكى ، وقال : ما وفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بايَعهم على أن يمنعوا محمداً وأبناءه وأهله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذراريهم ، فلم يفوا . اللهم اشدد وطأتك على الأنصار .

قال أبو بكر : وحدَّثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد ، قال : حدثنا أحمد بن الحكم ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ليث بن سعد ، قال : تخلّف عليّ عن بيعة أبي بكر ، فأخرج مُلَبّباً[1] يُمْضَى به رَكْضاً ؛ وهو يقول : معاشرَ المسلمين ، علام تضرب عنق رجل من المسلمين ، لم يتخلَّفْ الخلاف ، وإنَّما تخلَّف لحاجة ! فما مرَّ بمجلس من المجالس إلاَّ يقال له : انطلق فبايع .

قال أبو بكر : وحدّثنا عليّ بن جرير الطائي ، قال : حدثنا ابن فضل ، عن الأجلح ، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد ، قال : سمعت عليّاً يقول : أما وربِّ السماء والأرض ، ثلاثاً وإنه لعهد النبيّ الأمي إليّ : » لتغدرَنّ بك الأمّة من بعدي »*.

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد عمر بن شبّة بإسناد رفعه إلى ابن عباس ، قال : إنّي لأماشي عمر في سكّة من سكك المدينة ، يده في يدي ، فقال : يابن عباس ، ما أظن صاحبك إلاَّ مظلوماً ، فقلت في نفسي : والله لا يسبقُني بها فقلت : يا أمير المؤمنين ، فارددْ إليه ظلامته . فانتزع يدَه من يدي ، ثم مرّ يهمهم ساعة ثم وقف . فلحقته فقال لي : يابن عباس ؛ ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلاَّ أنّهم استصغروه ؛ فقلت في نفسي : هذه شر

---

(١) يقال : لبب فلان فلاناً : أخذ بتلبيبه ، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره ثم جره .

* وردت هذه الكلمة رقم ٧٣٤ الجزء العشرون ، وأوردناها برقم ٥٥ فراجع .

من الأولى ؛ فقلت : والله ما استصغره الله حين أمرَه أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر**

ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر

فأما ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين(1) من كيفية المبايعة لأبي بكر بهذا اللفظ الذي أورده عليك ؛ ولإسناد إلى عائشة : أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبي صلى الله عليه وآله ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فَدَك ؛ وسهمَه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : إنِّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّا معشر الأنبياء لا نورث؛ ما تركناه صدقة ، إنَّما يأكل آل محمد من هـذا المال » ؛ وإني والله لا أدعُ أمـراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلاَّ صنعته . فهجرتْه فاطمةُ ولم تكلّمه في ذلك حتى ماتت . فدفنها عليّ ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر . وكان لعلي وجه من الناس في حياة فاطمة . فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوهُ الناس عن عليّ ، فمكثت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت ـ فقال رجـل للزهري وهو الراوي لهذا الخبر عن عائشة : فلم يبايعه عليّ ستة أشهر ! قال : ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه عليّ . فلما رأى ذلك ضرع إلى مبايعة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ، ولا يأت معك أحد ، وكره أن يأتيَه عمر لما عرف من شدته ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، فقال أبو بكر : والله لآتينّهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! فانطلق أبو بكـر حتى دخل عَـلَى عليّ ، وقد جَمَعَ بني هاشم عنده ؛ فقام عليّ . فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم يمنعْنا أنْ نبايعَك يا أبا بكر إنكارٌ لفضلك ، ولا منافسةُ لخيرٍ ساقه الله إلَيك ، ولكنا كنا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبددتم به علينا . وذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه ، فلم يزل عليّ يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر ، فلما صَمت عليّ تشهّد أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه . ثم قال : أما بعد فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحبُّ إليّ أنْ أصلَها من قرابتي ، وإني والله ما آلوكم من هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم إلاَّ الخير ؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا نورَث ما تركناه صدقة ؛ وإنما يأكل آل محمد في هذا المال » ، وإني والله لا أترك أمراً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ صنعتهُ إن شاء الله ، قال علي : موعـدك العشيّة للبيعـة ، فلما صلّى أبـو بكر

** ما أطرف هذا السبب في صرف الخلافة عن امير المؤمنين ، أعني صغر سنّه . وما اشدَّ تأثيره على الناس مع الأسف . ولو كان هذا مقبولاً لكان عذر اليهود بتكذيب عيسى عليه السلام ابلغ إذ كلمهم على انه نبي وهو في المهد !!

(1) صحيح البخاري ٢ . ١٨٦ ، ومسلم ٣ : ١٣٨ مع اختلاف في لفظ الحديث .

الظهر ، أقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر به ، ثم قام عليّ فعظم من حقّ أبي بكر ، وذكر فضلَه وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه ، فأقبل الناس إلى عليّ ، فقالوا : أصبتَ وأحسنت ، وكان عليّ قريباً إلى الناس حين قارب الأمر بالمعروف* .

قال أبو بكر : وحدّثني أبو زيد عمر بن شبّة ، عن رجاله ، قال : جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين ، فقال : والّذي نفسي بيده لتخرجَنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم . فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فاعتنقه زياد بن لَبيد الأنصاري ورجل آخر ، فنَدَر[1] السيفُ من يده ، فضرب به عمر الحجر فكسره ، ثم أخرَجَهُم بتلابيبهم يساقون سَوْقاً عنيفاً ؛ حتى بايعوا أبا بكر .

قال أبو زيد : وروى النضر بن شُمَيْل ، قال : حُمِل سيف الزبير لما نَدَر من يده إلى أبي بكر وهو على المنبر يخطب ، فقال : اضربوا به الحجر ، قال أبو عمرو بن حماس : ولقد رأيت الحجَر وفيه تلك الضربة ، والناس يقولون : هذا أثر ضربة سيف الزبير .

قال أبو بكر : وأخبرني أبو بكر الباهليّ ، عن إسماعيل بن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال أبو بكر : يا عمر ، أين خالد بن الوليد ؟ قال : هو هذا ، فقال : انطلقا إليهما - يعني علياً والزبير - فأتياني بهما ، فانطلقا ، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج ، فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟ قال : أعددته لأبايع علياً ، قال : وكان في البيت ناس كثير ؛ منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين ، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسرَه ، ثم أخذ بيد الزبير ، فأقامه ثم دفعه فأخرجه ، وقال : يا خالد ، دونك هذا ، فأمْسَكَه خالد - وكان خارج البيت مع خالد جَمْعٌ كثير من الناس ، أرسلهم أبو بكر رِدْءاً لهما - ثم دخل عمر فقال لعليّ : قم فبايع ، فتلكّأ واحتبس[2] ، فأخذ بيده ، وقال : قم : فأبى أن يقومَ ، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ، ثم أمسكهما خالد ، وساقهما عمرو مَن معه سَوْقاً عنيفاً* ، واجتمعت الناس ينظرون ، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال ، ورأت فاطمة ما صنع

---

* وتكون الدعوة الى نفسه مع كل ادلتها وبعدما سمعوها ووعوها منكراً فانا لله وإنا اليه راجعون .

(١) ندر : سقط .

(٢) احتبس : توقف .

* وهذا ما لا أراه معقولاً إذ يصبح علي والزبير متاعاً بيد خالد وعمر يسوقانهما ، وهما من عرفت من ابطال المسلمين في جميع المواقف لذا فإن الصحيح هو الرواية الأخرى القائلة بأنه عليه السلام بايع بعد وفاة فاطمة .

عمر ، فصرخت وولولت ، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميّات وغيرهنّ ؛ فخرجت إلى باب حجرتها ، ونادت : يا أبا بكر ، ما أسرع ما أغرتُم على أهل بيت رسول الله ! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله .

قال : فلما بايع عليّ والزبير ؛ وهدأت تلك الفوْرة ، مشى إليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر ، وطلب إليها فرضيَت عنه* .

قال أبو بكر : وحدّثني المؤمل بن جعفر ، قال : حدثني محمد بن ميمون ، قال : حدثني داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحجّ في جماعة ، فسألناه عن مسائلَ ، وكنت أحدَ مَنْ سأله ، فسألت عن أبي بكر وعمر ، فقال : أجيبك بما أجاب به جَدّي عبد الله بن الحسن ، فإنه سئل عنهما ، فقال : كانت أمّنا صِدّيقة ، ابنة نبيّ مرسل ، وماتت وهي غضبىٰ على قوم ، فنحن غِضاب لغضبها .

قلت : قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيِّين من أهل الحجاز ؛ أنشد فيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد بن عبد الحميد العَلويّ قال : أنشدني هذا الشاعر لنفسه ـ وذهب عني أنا اسمه ـ قال :

يا أبا حفص الهوَيْنَى وما كنت مليّاً بذاك لولا الحمامُ
أتموتُ البتولُ غَضْبَى ونَرضى ما كذا يصنعُ البنون الكرامُ !

يخاطب عمر ويقول له : مهلاً ورُوَيداً يا عمر ، أي ارفق واتئد ولا تعنُف بنا وما كنت مليّاً ، أي وما كنت أهلاً لأن تخاطَب بهذا وتستعطف، ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه ، لولا أنَّ أباها الذي كان بيتها يحترم ويصانُ لأجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع . ثم قال : أتموت أمّنا وهي غضبىٰ ونرضى نحن إذاً لسنا بكرام ، فإنَّ الولد الكريم يرضى لرضا أبيه وأمه ويغضب لغضبهما .

والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر ، وأنها أوصت ألَّا يصلِّيا عليها ؛ وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما ، وكان الأولى بهما إكرامها واحترامَ منزلها

---

* وهذا مدفوع بموتها غضبى عليهما كما جاء فيما يليه وهو المشهور .

لكنهما خافا الفرقة ، وأشفقا من الفتنة*، ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما ؛ وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين ، لا شكّ في ذلك ، والأمور الماضية يتعذّر الوقوف على عِلَلها وأسبابها ، ولا يَعْلَم حقائقَها إلاَّ مَنْ قد شاهدها ولابسها ، بل لعلّ الحاضرين المشاهدين لها

---

* وقد كانت « الفتنة » هي التبرير الآخر (والأول حداثة سن الامام) الذي ذهب إليه من اراد أن يخرج القوم من تبعة مخالفة امر رسول الله (ص) أو ايذاء بضعته الزهراء . ولما كانت هذه الكلمة أو قل هذا العذر قد ورد كثيراً ، كان جيداً ، إيراد هذه التعليقة للسيد محمد باقر الصدر رحمه الله حولها في كتابه فدك ص ١٠٢ ، قال :

ومن مهازل القدر أن يعتذر الفاروق عن موقفه بانه خاف الفتنة وهو لا يعلم ان انتزاع الأمر ممن اراده له رسول الله (ص) باعتراف عمر هو الفتنة بعينها المستوعبة لكل ما لهذا المفهوم من ألوان .

وأنا لا أدري ما منع هؤلاء الخائفين من الفتنة الذين لا مطمع لهم في السلطان إلاّ بمقدار ما يتصل بصالح الاسلام ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خليفته أو يطلبوا منه أن يعين لهم المرجع الأعلى للحكومة الاسلامية من بعده وقد طال المرض به اياماً متعددة واعلن فيها مراراً عن قرب أجله واجتمع به جماعة من اصحابه فسألوه عن كيفية غسله وتفصيلات تجهيزه ولم يقع في أنفسهم مطلقاً ان يسألوه عن المسألة الأساسية بل لم يخطر في بال اولئك الذين أصروا على عمر بأن يستخلف ولا يهمل الأمة والحوا عليه في ذلك خوفاً من الفتنة أن يطلبوا نظير هذا من رسول الله (ص) فهل ترى انهم كانوا حينذاك في غفلة عن اخطار الموقف بالرغم من انذار النبي (ص) بفتن كقطع الليل المظلم حتى إذا لحق سيد البشر بالرفيق الأعلى توجهت مشاعرهم بالغيرة على الدين وملأ قلوبهم الخوف من الفتنة والانعكاسات السيئة أو تعتقد معي أن النبي (ص) كان قد اختار للسفينة ربانها الأفضل ولذلك لم يسأله السائلون .

دع عنك هذا واختلق لهم ما شئت من المعاذير فان هؤلاء الغيارى على الاسلام لم يكتفوا بترك السؤال بل منعوا رسول الله (ص) من مقاومة الخطر المرتقب حينما أراد أن يكتب كتاباً لا يضل المسلمون بعده أبداً . والفتنة ضلال وإذن فلا فتنة بعد ذلك الكتاب ابداً فهل كانوا يشكون في صدق النبي (ص) أو يرون انهم اقدر على الاحتياط للإسلام والقضاء على الشغب والهرج من نبي الاسلام ورجله الأول .

وخليق بنا ان نسأل عما عناه النبي (ص) بالفتن التي جاء ذكرها في مناجاته لقبور البقيع في أخريات أيامه إذ يقول : ليهنكم ما أصبحتم فيه قد اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم[1] .

ولعلك تقول : إنها فتن المرتدين وهذا تفسير يقبل على فرض واحد وهو : ان النبي (ص) كان يتخوف على موتى البقيع من الارتداد فاما إذا لم يكن يخشى عليهم من ذلك كما ـ هو في الواقع ـ لأنهم على الأكثر من المسلمين الصالحين وفيهم الشهداء فلماذا يهنئهم على عدم حضور تلك الأيام ولا يستقيم في منطق صحيح أن يريد بهذه الفتن المشاغبات الأموية التي قام بها عثمان ومعاوية بعد عقود ثلاثة من ذلك التاريخ تقريباً .

وإذن فتلك الفتن التي عناها النبي (ص) لا بدأن تكون فتناً حادثة بعده مباشرة ولا بد أيضاً أن تكون اكثر اتصالاً بموتى البقيع لو قدرت لهم الحياة من فتن الردة والمتنبئين .

وهي اذن عين الفتنة التي عنتها الزهراء بقولها : ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين .

وهل من غضاضة بعد أن يصطلح عليها رسول الله (ص) بالفتنة ان تمنح لقب الفتنة الأولى في دنيا الاسلام .

(١) راجع تاريخ الكامل ج ٢ ص ٢٢٢ .

يعلمون باطن الأمر ؛ فلا يجوز العدولُ عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى ؛ والله وليّ المغفرة والعفو ؛ فإنَّ هذا لو ثبت أنه خطأ لم يكن كبيرة ، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبرُّؤ ، ولا توجب زوال التولّي .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا محمد بن حاتم ، عن رجاله ، عن ابن عباس ، قال : مرّ عمر بعليّ ، وأنا معه بِفناء داره فسلّم عليه ، فقال له عليّ : أين تريد ؟ قال : البقيع ، قال : أفلا تصل صاحبك ، ويقوم معك ؛ قال : بلى ، فقال لي عليّ : قم معه ، فقمت فمشيتُ إلى جانبه ، فشبك أصابعه في أصابعي ، ومشينا قليلاً ، حتى إذا خلّفنا البقيع قال لي : يابن عباس ، أما والله إنَّ صاحبَك هذا لأولىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلاَّ أنّا خفناه على اثنين ؛ قال ابن عباس : فجاء بكلامٍ لم أجد بداً من مسألته عنه ، فقلت : ما هما يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : خِفْناه على حداثة سنِّه ، وحبّه بني عبد المطلب .

قال أبو بكر : وحدّثني أبو زيد ، قال : حدّثني محمد بن عباد ، قال : حدّثني أخي سعيد بن عباد ، عن الليث بن سعد ، عن رجاله ، عن أبي بكر الصديق أنّه قال : ليتني لم أكشف بيتَ فاطمة ، ولو أعلن عليّ الحرب !

قال أبو بكر : وحدّثنا الحسن بن الربيع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ ، عن عليّ بن عبد الله بن العباس عن أبيه ، قال : لما حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وآله الوفاة ، وفي البيت رجالٌ، فيهم عمر بن الخطاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ائتوني بدواةٍ وصحيفة ، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي ، فقال عمر كلمة معناها أنَّ الوَجَع قد غَلَب على رسول الله صلى الله عليه وآله*، ثم قال : عندنا القرآن حسبُنا كتاب الله ؛ فاختلف مَنْ في البيت واختصموا ، فمِن قائل يقول : القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومِنْ قائل يقول : القول ما قال عمر** ، فلما أكثَرُوا اللغَط واللغو والإختلاف ، غضِب رسول الله ، فقال : « قوموا ؛ إنه لا ينبغي لنبيّ أن يختلف عنده

* الكلمة التي لم يشأ الراوي ان يذكرها هي (هَجَر) أي أخذ يهذي من شدة الوجع حاشاه (ص) من ذلك ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لمنع كتابة النص على عليّ تحريرياً بعدما كان شفوياً .

** وهي مصيبة إن يكن هناك مسلم يفضل قول شخص آخر على قول النبي (ص) ولعل كلمة (هجر) التي سمعها جعلته يعمل فكره فيما امر به الرسول (ص) ، أي لعله ظن بأن ذلك جائز عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

هكذا »* ، فقاموا ، فمات رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم ؛ فكان ابن عباس يقول : إنَّ الرزيّة كلَّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله . يعني الإختلاف واللغط .

قلت : هذا الحديث قد خَرّجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاريّ ، ومسلم بن الحجاج القشيريّ في صحيحيهما[1] ، واتفق المحدّثون كافة على روايته .

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد ، عن رجاله ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنْ تولُّوها أبا بكر تجدُوه ضعيفاً في بَدَنه ، قويّاً في أمر الله ، وإن تولُّوها عمر تجدوه قويّاً في بدنه قوياً في أمر الله ، وإن تولُّوها علياً ـ وما أراكم فاعلين . تجدوه هادياً مهديّاً ، يحملكم على المحجّة البيضاء ، والصراط المستقيم .

قال أبو بكر : وحدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح ، عن أحمد بن سيّار ، عن سعيد بن كثير الأنصاريّ ، عن رجاله ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله في مرض موته أمَّر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جِلّةُ المهاجرين والأنصار ؛ منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير ، وأمَرَه أن يُغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد ، وأن يغزو وادِيَ فلسطين . فتثاقل أسامةُ وتثاقل الجيش بتثاقُلِه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه يثقُل ويخفّ ، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث ؛ حتى قال له أسامة : بأبي أنت وأمي ! أتأذن لي أن أمكث أياماً حتى يَشفِيَكَ الله تعالى ! فقال : اخرج وسر على بركة الله ، فقال : يا رسول الله ، إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قَرْحة منك ، فقال : سر على النصر والعافية ، فقال : يا رسول الله ، إني أكره أن أسأل عنك الركبان ، فقال : انفذ[2] لما أمرتُك به ، ثم أغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقام أسامة فتجهّز للخروج ، وما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن أسامة والبعث ، فأخبر أنهم يتجهّزون ، فجعل يقول : « أنفذوا بعث

---

* لعمري أن هذه الكلمة من النبي مما لا يمكن دفعه . ولئن وضعت الروايات عن رضا الزهراء عن القوم لكي يُهْرب من الحديث (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها) ، فماذا يقولون عن هذا القول من الرسول (ص) ؟ أم أنهم لم يؤذوه باختلافهم عنده وقولهم (هجر) وما اسوأها من كلمة وداع لهذا المنقذ العظيم ؟ لا بد من تأويل لذلك وإلاّ فانه تعالى يقول : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم).

(١) صحيح مسلم : ١٢٥٩ .

(٢) انفذ : أي امض لوجهك .

أسامة ، لعن الله مَنْ تخلّف عنه » ، وكرر ذلك ، فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه ، حتى إذا كان بالجرْف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ؛ ومن الأنصار أُسَيْد بن حُضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه ، فجاءه رسولُ أمّ أيمن ، يقول له : ادخل فإنَّ رسول الله يموت ، فقام من فوره ، فدخل المدينة واللواء معه ، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ، ورسول الله قد مات في تلك الساعة .

قال : فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلَّا بالأمير .

١١ - الخطبة ٧٣

حقه في الخلافة و حال أهل الشورى

ومن كلام له عليه السلام لَّما عزموا على بيعة عثمان :

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَٱللَّهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً ، الْتِمَاساً لأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ .

الشرح :

نافست في الشيء مُنافسة ونِفاساً ؛ إذا رغبتَ فيه على وجه المباراة في الكرم ، وتنافسوا فيه ، أي رغبوا .

والزّخرف : الذهب ، ثم شبه به كل مموّه مزوّر ، قال تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا** ﴾[1] والمزخرف : المزيَّن .

والزِّبرج : الزينة من وشيٍ أو جوهر ، ونحو ذلك . ويقال : الزبرج الذهب أيضاً .

يقول لأهل الشورى : إنكم تعلمونَ أنّي أحقّ بالخلافة من غيري ، وتعدلون عَنّي . ثم أقسم لَيُسْلِمَنَّ وليتركَنّ المخالفة لهم ، إذا كان في تسليمه ونزوالـه عن حَقِّه سلامةُ أمور المسلمين ، ولم يكن الجَوْرُ والحيْفُ إلَّا عليه خاصة ، وهذا كلام مثله عليه السلام ، لأنه إذا علم أو غلَب عَلَى ظنه أنه إن نازَع وحارَب دخل على الإسلام وَهَن وَثَلْم لم يَخْتَرْ له المنازعة ، وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حقّ ؛ وإن عَلِم أو غلَب على ظنّه بالإمساك عن طلب حقه أنما

(١) سورة يونس ٢٤ .

يدخل الثلم والوَهَن عليه خاصة ، ويسلم الإسلامُ من الفتنة ، وَجَب عليه أنْ يُغضيَ ويصبر على ما أتوْا إليه من أخذ حقّه ، وكفّ يده ؛ حراسة للإسلام من الفتنة .

فإن قلت : فهلاّ سلّم إلى معاوية وإلى أصحاب الجَمل ، وأغضىَ على اغتصاب حَقّه حفظاً للإسلام من الفتنة ؟

قلت : إنَّ الجورَ الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام ، لم يكن مقصوراً عليه خاصّة ؛ بل كان يعمّ الإسلام والمسلمين جميعاً ؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلُح لرياسة الأمة وتحمّل أعباء الخلافة ، فلم يكن الشَّرْط الذي اشترطه متحقّقاً ، وهو قوله : « ولم يكن فيه جَوْر إلاَّ عليّ خاصة » .

وهذا الكلام يدلّ على أنه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافة عثمان كانت تتضمّن جَوْراً على المسلمين والإسلام ، وإنما كانت تتضمن جَوْراً عليه خاصّة ، وأنها وقعت على جهة مخالفة الأوْلى ؛ لا على جهة الفساد الكليّ والبطلان الأصلي(*) ؛ وهذا محضُ مذهب أصحابنا .

كلام لعلي قبل المبايعة لعثمان

ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدتِه أصحابَ الشورى ، وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم من غيرهم . قد رَوَى الناس ذلك فأكثروا ؛ والذي صحَّ عندنا أنه لم يكن الأمرُ كما رُوِي من تلك التعديدات الطويلة ؛ ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبدُ الرحمن والحاضرون عثمانَ ، وتلكّأ هو عليه السلام عن البيعة : إنّ لنا حقّاً إن نعطَه نأخذه ، وإن نمنَعْه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُّرى ؛ في كلام قد ذكره أهل السيرة ؛ وقد أوردنا بعضَه فيما تقدم ، ثم قال لهم : أنشدكم الله ! أفيكم أَحَدٌ آخَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين نفسه ؛ حيث آخى بينَ بعض المسلمين وبعضٍ غيري ؟ فقالوا : لا ؛ فقال : أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كنت مولاه فهذا مولاه » غيري ؟ فقالوا : لا ، فقال : أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتَ مني بمنزلة هارونَ من موسى إلاَّ أنه لا نبيّ بعدي » غيري ؟ قالوا : لا ، قال :

(*) وهو قول عجيب ، إذ كيف لا يكون الجور على المسلمين أيضاً إذا كانت نتيجة ذلك صعود سدة الحكم احد هؤلاء النفر المتنافسين (من زُخْرُفِهِ وزِبْرِجِهِ) كما قال الامام ، وهل يصلح للخلافة من يتنافس على الزخرف والزبرج ؟

أفيكُم من اؤتمن على سورة براءة ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله إنه لا يؤدي عَنّي إلاَّ أنا أو رجل مِنّي غيري ؟ قالوا : لا ، قال : ألا تعلمون أنَّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرُّوا عنه في مأقِط[1] الحرب في غير موطن ، وما فررت قَطّ ؟ قالوا : بلى ، قال : ألا تعلمون أني أوَّل الناس إسلاماً ؟ قالوا : بلى . قال : فأيُّنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسباً ؟ قالوا : أنت . فقطع عليه عبدُ الرحمن بن عوف كلامه ، وقال : يا عليّ ؛ قد أبَى الناس إلاَّ على عثمان ، فلا تجعلَنّ على نفسك سبيلاً ، ثم قال : يا أبا طلحة ، ما الذي أمرك به عمر ؟ قال : أن أقْتُل مَنْ شقَّ عصا الجماعة ، فقال عبد الرحمن لعليّ : بايع إذن ؛ وإلاَّ كنت متَّبعاً غيرَ سبيل المؤمنين ، وأنفذْنا فيك ما أمِرْنا به . فقال : « لقد علمتم أني أحقُّ بها من غيري ، والله لأسْلِمن . . . » الفصل إلى آخره، ثم مدّ يده فبايع .

١٢ ـ الخطبة ٨٦
وصف أهل البيت (ع) ووجوب التمسك بهم

قال عليه السلام :

عِبَادَ ٱللَّهِ ، إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادَ ٱللَّهِ إلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ . .

منها :

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ! وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، وَالأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ ؛ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ ! فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُم ! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُم ؛ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وَأَعْلاَمُ الدِّينِ ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنازِلِ الْقُرْآنِ ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ خُذُوهَا عَنْ خَاتمِ النَّبِيِّينَ صَلّى اللَّـهُ عَلَيْهِ ، إنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْس بِبَالٍ ، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لكُمْ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ أَنَا . أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثّقلِ الأَكْبَرِ ، وَأَتْرُكْ فِيكُمْ الثّقلَ الأَصْغَرَ ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلاَلِ .

(١) المأقط : موضع القتال .

وَالْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي .

فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لاَ يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ ، وَلاَ تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ .

الشرح :

وتُؤفَكون : تقلبون وتصرَفُون .

والأعلام : المعجزات هاهنا ؛ جمع عَلَم ، وأصله الجبل أو الراية والمنارة ، تنصَب في الفَلاة ليهتدَى بها .

وقوله : « فأيْنَ يُتاه بكم ! » أي أين يذهب بكم في التيه ! ويقال : أرضٌ تَيْهاء يتحيَّر سالكها . وتَعمَهُون : تتحيّرون وتَضِلّون .

وعِتْرَة رسول الله صلى الله عليه وآله : أهلُه الأدْنَوْن ونسله ؛ وليس بصحيح قول مَنْ قال : إنَّهم رهطُه وإن بعدوا ؛ وإنَّما قال أبو بكر يوم السقِيفة أو بعده : « نحن عِترة رسول الله صلى الله عليه وبيْضته التي فُقِئَتْ عنه » ؛ على طريق المجاز ؛ لأنهم بالنسبة إلى الأنصار عِتْرَة له لا في الحقيقة ؛ ألا تَرَى أنَّ العدنانيّ يفاخر القحطاني ؛ فيقول له : أنا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ ليس يعني أنه ابنُ عَمّه على الحقيقة ، بل هو بالإضافة إلى القحطانيّ كأنه ابن عمه ؛ وإنما استعمل ذلك ونطق به مجازاً . فإنَّ قَدّر مقدراً أنه على طريق حذفِ المضافات ؛ أي ابن ابن عمّ أب الأب ؛ إلى عدد كثير في البنين والآباء ، فكذلك أراد أبو بكر أنهم عِتْرة أجداده ، على طريق حذف المضاف . وقد بَيّن رسول الله صلى الله عليه وآله عِتْرتَه مَنْ هي ، لما قال : « إني تارك فيكم الثَّقَلَيْنْ » ، فقال : « عِترتي أهل بيتي » ، وبيّن في مقام آخر مَن أهلُ بيته حيث طرح عليهم كساء . وقال حين نزلت : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾[1] : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم » .

فإن قلت : فَمَنْ هي العِتْرة التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام ؟

قلت : نفسه وولداه ؛ والأصلُ في الحقيقة نفسه ، لأنَّ ولديه تابعان له ؛ ونسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبَّه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله : « وأبوكما خير منكما » .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

وقوله : « وهم أزمّة الحقّ » : جمع زمام ؛ كأنَّه جعل الحقّ دائـراً معهم حيثما داروا ، وذاهباً معهم حيثما ذهبوا ، كما أن الناقة طَوْع زمامها ، وقد نبَّه الرسول صلى الله عليه وآله على صِدْق هذه القضية بقوله : « وأدرِ الحقّ معه حيث دار » .

وقوله : « وألسنة الصّدق » من الألفاظ الشريفة القرآنية ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ** ﴾[1] ، لما كـان لا يصدرُ عنهم حكم ولا قـول إلَّا وهو مـوافق للحقّ ؛ والصواب جعلَهم كأنّهم ألسِنَـة صِدْقٍ لا يصـدر عنها قـول كاذب أصـلاً ؛ بل هي كالمطبوعة على الصدق .

وقوله : « فأنزلوهُم منازل القرآن» تحته سرٌّ عظيم ؛ وذلك أنَّه أمر المكلَّفِين بأن يُجْـروا العِتْرة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مَجْرَى القرآن .

فإن قلت : فهذا القول منه يُشعِرُ بأن العِتْرة معصومة ، فما قول أصحابكم في ذلك ؟

قلت : نصَّ أبو محمد بن متَّوَيْه ؛ رحمه الله تعالى في كتـاب « الكفايـة » على أنَّ عليـاً عليه السلام معصوم ، وإنْ لم يكُنْ واجبَ العصمة ، ولا العصمـة شرط في الإمـامة ؛ لكن أدلَّة النصوص قد دلَّتْ على عِصْمَتِهِ ؛ والقطع على باطنه ومغيبه ، وأنَّ ذلك أمرٌ اختصَّ هو به دون غيره من الصحابة ؛ والفرق ظاهرٌ بين قولنا : « زيد معصوم»، وبين قولنا : « زيد واجب العصمة » ، لأنَّه إمام ؛ ومِنْ شرط الإمـام أن يكون معصـوماً ، فـالاعتبار الأول مـذهبنا ، والاعتبار الثاني مذهب الإمامية .

ثم قال : « ورِدوهم وِرْد الهِيم العطاش»، أي كونوا ذوي حِرْصٍ وانكماش على أخذ العلم والدين منهم ، كحِرْص الهِيم الظماء على وُرود الماء .

ثم قال : « أيُّها النـاس خذوهـا عن خاتم النبيـين » إلى قولـه : « وليس ببالٍ » هـذا الموضع يحتاج إلى تلطّف في الشرح ، لأنَّ لقائلٍ أنْ يقولَ : ظاهر هذا الكلام متناقض ، لأنه قال : « يموت مَنْ مات منا وليس بميت » ، وهذا كما تقول : يتحرّك المتحرّك وليس بمتحرّك ، وكذلك قوله : ويبلى مَنْ بليَ منا ، وليس ببال » ، ألا ترى أنَّه سلب وإيجـاب لشيء واحد ! فإن قلتم : أراد بقاءَ النفس بعد موت الجسد ، كما قاله الأوائـل وقوم من المتكلمـين ، قيل لكم : فلا اختصاص للنبيّ ولا لعليّ بذلك ؛ بل هذه قضِيّة عامة في جميـع البشر ، والكلام خَرَج مخرج التمدّح والفخر .

---

(١) سورة الشعراء ٨٤.

فنقول في الجواب :
إنَّ هذا يُمكن أن يَحمل على وجهين :

أحدُهما : أن يكونَ النبي صلى الله عليه وآله وعليٌّ ومَنْ يتلوهُما من أطايب العِترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها ؛ قَدْ رَفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته ؛ وعلى هذا لو قدرنا أن محتفِراً احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دَفْنهم لم يجد الأبدان في الأرض ؛ وقد روى في الخبر النبويّ صلى الله عليه وآله مثل ذلك ؛ وهو قوله : « إنَّ الأرض لم تُسَلَّط عليّ ، وأنها لا تأكل لي لحماً ولا تشرب لي دماً » نعم يبقى الإشكال في قوله : « ويبلى مَنْ بَلِي منا وليس ببال » ؛ فإنه إنْ صَحّ هذا التفسير في الكلام الأول ؛ وهو قوله : « يموت مَنْ مات منا وليس بميت » ؛ فليس يصحّ في القضية الثانية ، وهي حديث البلاء ، لأنَّها تقتضي أنَّ الأبدانَ تَبْلى وذاكَ الإنسان لم يبلَ ، فأحوَج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل محذوف ؛ فيكون تقدير الكلام : يموت مَنْ مات حال موته وليس بميت فيها بعد ذلك من الأحوال والأوقات ، ويَبْلَى كفن مَنْ بَلَى منّا وليس هو ببال ؛ فحذف المضاف كقوله : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ ﴾[1] ، أي وإلى أهل مدين : ولما كان الكَفَنُ كالجزء من الميت لاشتماله عليه عَبّر بأحدهما عن الآخر للمجاورةوالإشتمال ، كما عبَّروا عن المَطَر بالسماء ، وعن الخارج المخصوص بالغائط ، وعن الخمر بالكأس . ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ ﴾[2] ؛ و : ﴿ فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ ﴾[3] . وقول حاتم : « إذا حَشْرَجَت »[4] وحذف الفاعل كثير .

والوجه الثاني : أنَّ أكثر المتكَلِّمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحيّ الفعّال أجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة ، وهي أقلّ ما يمكن أن تأتلف منه البنية التي معها يصحّ كون الحيّ حيّاً ، وجعلوا الخطاب متوجّهاً نحوها ، والتكليف وارداً عليها ، وما عداها من الأجزاء ؛ فهي فاضلة ليست داخلة في حقيقة الإنسان ؛ وإذا صحَّ ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء

---

(١) سورة الأعراف ٨٥.
(٢) سورة ص ٣٢.
(٣) سورة الواقعة ٨٣.
(٤) من قول حاتم :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّراء عَنِ الفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

ديوانه ١١٨ (من مجموعة خمسة دواوين) .

الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء، فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى ؛ كما قاله مَنْ ذهب إلى قيامة الأنفس والأبـدان معاً ، فتنعم عنده وتلتذّ بضروب اللذات الجسمانية ، ويكون هذا مخصوصاً بهذه الشجـرة المباركـة دون غيرها ؛ ولا عجب فقد ورد في حقّ الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾(١) .

وعلى الوجه الأول لو أنَّ محتفِراً احتفر أجداثهم لوجـدَ الأبدان فيهـا ؛ وإن لم يعلم أنَّ أصول تلك البُنَى قد انتزعت منها ونقلت إلى الرفيق الأعلى ؛ وهذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدّرناه أولاً من الحذف ؛ لأنَّ الجسد يَبْلَى في القبر إلَّا قَدْر ما انتزع منه ونقِل إلى مَحَلّ القُدْس ؛ وكذلك أيضاً يصدُق على الجسد أنَّه ميت ؛ وإن كان أصل بنيته لم يمُتْ ؛ وقـد ورد في الخبر الصحيح : « أنَّ أرواحَ الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خُضْر تدور في أفناء الجنان ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش » ، فإذا جاء هـذا في الشهـداء فما ظنُّك بموالي الشُّهَداء وساداتهم !

فإن قلت : فهل يجوز أن يُتأوّل كلامُه ، فيقال : لعلّه أراد بقاء الذِّكر والصيت ؟

قلت إنه لبعيـدٌ ، لأنَّ غيرَهم يَشْرَكُهُم في ذلك ؛ ولأنَّه أخرج الكلام مخرَج المستغرب المستعظم له .

فإن قلت : فهل يمكن أن يقال : إنَّ الضمَير يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنه قد ذكره في قوله : « خاتم النبيين » فيكون التقدير : أنَّه يموت مَنْ مات منـا والنبي صلى الله عليه وآله ليس بميت ، ويبلى مَنْ بَلِي منا والنبي ليس ببال .

قلت : هذا أبعدُ من الأول ، لأنه لو أراد ذلك لقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا تُبليه الأرض ، وإنه الآن حيّ ؛ ولم يأت بهذا الكلام الموهم ؛ ولأنه في سياق تعظيم العِتْرة وتبجيل أمرها ؛ وفخره بنفسه وتمدّحه بخصائصه ومزاياه ؛ فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه .

فإن قلت : فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعاً ؟ قلت : بل ذكره مرفوعـاً ، ألا تراه قال : « خذوها عن خاتم النبيين » . ثم نعود إلى التفسير فنقول : إنَّه لما قال لهم ذلك علم أنه

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩ .

قال قولاً عجيباً ؛ وذكر أمراً غريباً ، وعلم انهم ينكِرون ذلك ويعجبون منه ، فقال لهم : فلا تقولوا ما لا تعرفون ؛ أي لا تكذِّبوا أخباري ؛ ولا تكذِّبوا أخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون مالا تعلمون صِحَّته ، ثم قال : فإن أكثر الحق في الأمور العجيبة التي تنكرُونها* كإحياء الموتى في القيامة ، وكالصراط والميزان والنار والجنة وسائر أحوال الآخرة ؛ هذا إن كان خَاطَب مَنْ لا يعتقد الإسلام ؛ فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعني بذلك أنَّ أكثرهم كانوا مرجئة ومشبّهة ومُجْبرة ؛ ومن يعتقد أفضليةَ غيره عليه ، ومن يعتقـد أنه شَـرَك في دم عثمان ، ومن يعتقد أنَّ معاوية صاحب حُجّة في حربه ؛ أو شبهة يمكن أن يتعلّق بها متعلق ؛ ومن يعتقد أنَّه أخطأ في التحكيم ؛ إلى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها .

ثم قال : « واعذروا مَنْ لا حجة لكم عليه وهـو أنا » ، يقـول : قد عَـدَلْتُ فيكم ، وأحسنت السيرة وأقمتكم على المحجّة البيضاء ، حتى لم يبق لأحد منكم حُجَّةٌ يحتجُّ بها عليّ ، ثم شرح ذلك ، فقـال : « عملت فيكم بالثَّقَـل الأكبر » ، يعني الكتـاب و « خلَّفت فيكم الأصغر » يعني ولديْه ؛ لأنهما بقية الثَّقَل الأصغر ؛ فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب مَنْ ذهب منه أنهما الثقل الأصغر ، وإنَّما سمي النبي صلى الله عليه وآله الكتاب ، والعِتْرة الثقليْن لأن الثَّقَل في اللغة متاع المسافر وَحَشَمُه ؛ فكأنه صلى عليه وآله لمّا شارف الانتقال إلى جـوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من مَنْزِلٍ إلى منزل ؛ وجعل الكتاب والعِتْرة كمتاعه وحَشَمه ، لأنهما أخصّ الأشياء به .

قوله : « وركزت فيكم راية الايمان » ، أي غرزتها وأثبتها ، وهذا من باب الاستعارة .

وكذلك قوله : « ووقفتكم عـلى حدود الحـلال والحرام » من بـاب الاستعارة أيضـاً ، مأخوذ من حُدود الدار وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها .

قـوله : « وألبستكم العـافية منْ عَـدْلي » استعـارة فصيحـة ، وأفصح منهـا قـولـه : « وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي » ، أي جعلته لكم فراشاً ، وفَرَش هـاهنا : متعـدٍّ إلى مفعولين ، يقال : فرشته كذا ، أي أوسعته إياه .

ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العِترة وعجائب ما منحها الله

---

* وهو تنبيه رائع لمن اراد ان يصل الى الحقيقة ، وذلك لأن هذا الانكار لا زال معاشاً الى الآن ، حتى ان احدهم لو يرى آخر يتعبد بشيء إلى الله أو يتحرك حركة معينة في صلاته أو ذكره أو غير ذلك انكرها وربما اخرجه من الملّة دون ان يكلف نفسه مراجعة الأمر والتثبت منه لعله ان يكون هو على خطأ وأخوه على صواب .

تعالى ، فقال : إنَّ أمرنا أمر صعب لا تهتدي إليه العقول ، ولا تـدرك الأبصار قعـرَهُ ، ولا تتغلغل الأفكار إليه . والتغلغل : الدخول ، من تغلغل الماء بين الشجر ، إذا تخللها ودخل بين أصولها .

١٣ ـ الخطبة ٨٧

ذم بعض الفرق

قال عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي . . . .

منها :

فَيَا عَجَباً ! وَمَا لِيَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ؛ لا يَقْتَصُّـونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلاَ يَقْتَـدُونَ بِعَمَـلِ وَصِيٍّ ، وَلاَ يُـؤْمِـنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلاَ يَعِفُّـونَ عَنْ عَيْبٍ ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا ، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَـرُوا ، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِـلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّـاتِ عَلَى آرائِهِم ؛ كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفسه ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمـا يَرَى بِعُـراً ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَـابٍ مُحْكَمَاتٍ .

الشرح :

ثم تعجّب من اختـلاف حجج الفـرق في الدّين وخـطئهم وكـونهم لا يتبعـون أقـوالَ الأنبياء ، ولا أقوال الأوصيـاء ، ثم نَعَى عليهم أحوالهم القبيحـة ، فقال : إنهم لا يؤمنـون بالغيب ، أي لا يصدقون بما لم يشاهدوه ، ولا يكفُّون عن الأمور القبيحة ، لكنهم يعملون في الشبهات ، أي يعملون أعمالاً داخلة في الشبهات متوسطة لها . ويـسيرون في الشهوات ، جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيها الإنسان .

ثم قال : المعروف فيهم ما عرفوه ، أي ليس المعروف عندهم ما دلَّ الدليل على كونه معروفاً وصواباً وحَقّاً ، بل المعروف عندهم ما ذهبوا إلى أنـه حَقّ ، سواء كـان حقّاً في نفس الأمر أو لم يكن ، والمنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه في المعروف .

ثم قال : إنهم لا يستشيرون بعالم ، ولا يستفتون فقيهاً فاضلاً ، بل مفزعهم في الأمور المشكلة إلى أنفسهم وآرائهم ، ولقد صدق عليه السلام ، فإن هذه صفات مَنْ يدَّعي العلم

والفضل في زماننا وقبله بدهر طويل ، وذلك أنهم يأنفون من التعلّم والاسترشاد ، فالبادىء منهم يعتقـد في نفسه أنـه أفضلُ من البـارع المنتهي ، ومتى ظفر الـواحد منهم بمبـادىء علم وحَمله ، شرع في التدريس والتصنيف ، فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبـواب العلماء ، وأنف من سؤالهم عن الأمور المشكلة ، فدام جهله إلى أن يموت .

ثم قال : « كأنّ كل واحد منهم إمام نفسه » ، ويروى بحذف « كـأنّ » وإسقاطهـا ، وهو أحسن* .

١٤ ـ الخطبة ٩٠

التكليف باتباع رأي العترة

بعد نصوص النبي (ص) والقرآن

قال عليه السلام في خطبة الأشباح :

آلحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لا يَفِرُهُ المَنْعُ وَالْجُمُودُ . .

منها :

فَانْظُرْ أَيُّها السَّائِلُ فَمَا دَلَّك الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ ، واستَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلمَهُ ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ ، وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَئِمَّةِ الْهُـدَى أَثَرُهُ ، فَكِـلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَـانَهُ ، فَـإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ .

الشرح :

ثم قال للسائل بعد غضبه واستحالة لونه وظهور أثر الإنكار عليه ما دلَّك القرآنَ عليه من صفته فخُذْ به ، فإن لم تجده في الكتاب فاطلبه من السنّة ومن مذاهب أئمة الحق ، فإن لم تجد ذلك ، فاعلم أنّ الشيطان حينئذٍ قد كلّفك علمَ ما لم يكلفك الله علمـه ؛ وهذا حقّ ؛ لأن الكتاب والسنّة قد نطقا بصفات الله من كونه عالماً قادراً حيّاً مريداً سميعاً بصيراً ، ونطقاً أيضاً بتنزيهه عن سِمات الحُدُوث كالجسمية والحلول والجهة ؛ وما استلزم الجهة كالرؤية فلا إنكارَ على مَنْ طلب في مدارك العقول وجوهاً تعضِّدُ ما جاء به القـرآن والسنَّة ، وتوفِّق بَيْنَ بعض

* اثبتنا هذه الخطبة في المختار لأنها تشير الى اتباع الأوصياء بعد الأنبياء ، ولما عرفنا انه عليه السلام وصي رسول الله (ص) فإنه إذاً الواجب اتباعه بعده .

الآيات وبعض ؛ وتحمل أحدَ اللفظين على الآخر إذا تناقضا في الظاهر ، صيانةً لكلام الحكيم عن التهافت والتعارض . وأما ما لم يأتِ الكتاب والسنة فيه بشيء فهو الذي حُرّم وحُظِر على المكلّفين الفكر فيه ؛ كالكلام في الماهيّة التي يذهب ضرار المتكلم إليها ، وكإثبات صفات زائدة على الصفات المعقولة لذات الباريء سبحانه ، وهي على قسمين :

أحدهما : ما لم يَرِدْ فيه نَصٌّ ؛ كإثبات طائفة تعرف بالماتريدية صفةَ سمّوها التكوين زائدة على القدرة والإرادة .

والثاني : ما ورد فيه لفظ فأخطأ بعضُ أهل النظر ، فأثبت لأجل ذلك اللفظة صفة غير معقولة للباريء سبحانه ، نحو قول الأشعريِّين : إنَّ اليدين صفة من صفات الله ، والاستواء على العرش صفة من صفات الله ، وإنَّ وجه الله صفة من صفاته أيضاً ، ثم قال : إن الراسخين من العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج والتقحّم فيما لم يعرفوه ، وهؤلاء هم أصحابنا المعتزلة لا شبهة في ذلك ، ألا ترى أنَّهم يعللون أفعال الله تعالى بالحِكم والمصالح ، فإذا ضاق عليهم الأمر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع ، قالوا : نعلم على الجملة أنّ لهذا وجْهَ حكمة ومصلحة، وإن كنا لا نعرف تفصيل تلك المصلحة ، كما يقولون في تكليف مَنْ يعلم الله تعالى منه أنه يكفر ، وكما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها وما بعدها*.

١٥ - الخطبة ٩٢

معرفته بالأمور الغيبية

قال عليه السلام :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ؛ أَيُّها النَّاسُ ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ . . .

منها :

فاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِها وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ،

---

* اثبتنا هذه الخطبة في هذا المختار لأنها تشير الى اتباع رأي العترة الطاهرة وهم (ائمة الهدى) بلا جدال بعد البحث عن نصوص النبي (ص).

وَمُنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً .

الشرح :

ثم قال عليه السلام : « سَلُوني قبل أن تفقدوني » ، روى صاحب كتاب « الاستيعاب » وهو أبو عمر محمد بن عبد البر عَنْ جماعة من الرواة والمحدّثين ، قالوا : لم يقلْ أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم : « سَلُوني » إلاَّ علي بن أبي طالب . وروى شيخنا أبو جعفر الإسكافي في كتاب « نقض العثمانية » عن عليّ بن الجَعْد ، عن ابن شُبْرمة ، قال : ليس لأحد من الناس أن يقول عَلَى المنبر : « سَلُوني » إلاَّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

والفئة : الطائفة ؛ والهاء عوض من « الياء » التي نقصت من وسطه ، وأصله « فيء » مثال « فيع » لأنه من فاء ، ويجمع على فئات ؛ مثل شيات وهبات ولِدَات .

وناعقها : الداعي إليها ، من نَعيق الرَّاعِي بغنمه، وهو صوته نَعق ينعِق بالكسر نعيقاً ونُعاقاً ، أي صاح بها وزجرها . قال الأخطل :

فانْعَقْ بضأنكَ يا جرير فإنّما ... منّتْك نفسُك في الخلاء ضلالا(١)

فأمَّا الغراب ، فيقال : نَغَق ، بالغين المعجمة ينغِق بالكسر أيضاً ، وحكى ابن كَيْسان « نَعَق الغراب » أيضاً بعين غير معجمة .

والركاب : الإبل ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها ، وجمعها رُكُب ، مثل كتاب وكتب . ويقال : زيْت ركابيّ ، لأنه يحمل من الشام عليها .

والمُنَاخ ، بضمّ الميم ، ومَحطّ بفتحها ، يجوز أن يكونا مصدرين ، وأنْ يكونا مكانين ، أما كونُ المُناخ مصدراً ، فلأنه كالمقام الذي بمعنى الإقامة ، وأما كون المَحطّ مصدراً فلأنه كالمرد في قوله سبحانه : ﴿ وَأَنّ مَرَدَّنا إلَى اللَّهِ ﴾(٢) ، وأما كونهُما موضعين فلأن المناخ من أنخت الجمل ، لا من ناخ الجمل ، لأنه لم يأت ، والفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع منه يأتي مضموم الميم ، لأنَّه مشبه ببنات الأربعة ، نحو دحرج ، وهذا مُدَحرجنا ، ومن قال : هذا مُقام بني فلان ، أي موضع مقامهم جَعَله كما جعلناه نحن ، من أقام يقيم ، لا من قام يقوم ، وأما المحطّ ، فإنه كالمَقْتل موضع القتلِ ، يقال : مَقتل الرّجُل بين فكيه ، ويقال

(١) ديوانه ٥٠ .

(٢) سورة غافر ٤٣ .

للاعضاء التي إذا أصيب الإنسان فيها هلك : مَقاتل ، ووجه المماثلة كونها مضمومي العين .

فإن قلت : لماذا قال عن فئة تهدي مائة ؟ وما فائدة التقييد بهذا العدد ؟

قلت : لأن ما دون المائة حقير تافه لا يعتدّ به ليذكر ويخبر عنه ، فكأنه قال : مائة فصاعداً .

فصل في ذكر أمور غيبية ؛ أخبر بها الإمام ثم تحققت

واعلم أنه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده ، أنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلاَّ أخبرهم به ، وأنّه ما صحّ من طائفة من الناس يهتدي بها مائة وتضلّ بها مائة ، إلاَّ وهو مخبرٌ لهم ـ إن سألوه ـ برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومَنْ يقتل منها قتلاً ، ومَنْ يموت منها موتا ، وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعاء الرّبوبية ، ولا ادّعاء النبوة ، ولكنه كان يقول : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرَه بذلك ، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً ، فاستدلّلنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة ، كإخباره عن الضربة يُضرب بها في رأسه فتخضِب لحيته ، وإخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام ، وما قاله في كرْبلاء حيث مرّ بها ، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده ، وإخباره عن الحجاج ، وعن يوسف بن عمر ، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان ، وما قدمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم ، وصَلْب مَنْ يُصْلَب ، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وإخباره بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شَخَص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها ، وإخباره عن عبد الله بن الزبير ، وقوله فيه : « خبّ ضبّ ، يروم أمراً ولا يدركه ، ينصِبُ حبالة الدين لاصطياد الدنيا ، وهو بعد مصلوب قريش » وكإخباره عن هلاك البصرة بالغرق ، وهلاكها تارة أخرى بالزَّنج ، وهو الذي صحّفه قوم فقالوا : بالريح ، وكإخباره عن ظهور الرايات السُّود من خُراسان ، وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق ـ بتقديم المهملة ـ وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده وإسحاق بن إبراهيم ، وكانوا هم وسَلفهم دعاة الدولة العباسية ، وكإخباره عن الأئمة الذين ظهروا من وَلده بطَبرِستان ، كالناصر والداعي وغيرهما ، في قوله عليه السلام : « وإن لآل محمد بالطالقان لكنزاً سيظهره الله إذا شاء دعاؤه حق يقوم بإذن الله فيدعو إلى دين الله » ، وكإخباره عن مقتل النفس الزّكية بالمدينة ، وقوله : « إنه يقتَل عند أحجار الزيت » ، وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباب حمزة : « يقتل بعد أن يظهر ويُقهر بعد أن يقهر » ، وقوله فيه

أيضاً : « يأتيه سهم غَرْب[١] يكون فيه منيّته فيا بؤساً للرامي ! شَلّت يده ، ووهَن عَضُده » ، وكإخباره عن قتلىٰ فَخّ ، وقوله فيهم : « هم خير أهل الأرض » .

وكإخباره عن المملكة العَلوية بالغرب ، وتصريحه بذكر كتامة ، وهم الذين نصروا أبا عبد الله الدَّاعي المعلّم . وكقوله وهو يشير إلى أبي عبد الله المهدي : وهو أولهم ثم يظهرُ صاحب القَيْروان الغضّ البَضّ ، ذو النسب المحض ، المنتجَب من سلالة ذي البداء ، المسجّى بالرداء ، وكان عبيد الله المهدي أبيض مترفاً مشرباً بحُمرة ، رخْص البدن ، إتارّ[٢] الأطراف . وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام ، وهو المسجّى بالرداء ، لأن أباه أبا عبد الله جعفراً سجّاه بردائه لما مات ، وأدخل إليه وجُوه الشيعة يشاهدونه ، ليعلموا موته ، وتزول عنهم الشبهة في أمره .

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم : « ويخرج من دَيْلَمانَ بنو الصّياد » ، إشارة إليهم . وكان أبوهم صياد السمك يصيدُ منه بيده ما يتقوّت هو وعياله بثمنه ، فأخرجَ الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة ، ونشر ذرّيتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم . وكقوله عليه السلام فيهم : « ثم يستشرى أمرُهم حتى يملكوا الزّوراء ، ويخلعوا الخلفاء » فقال له قائل : فكم مدَّتُهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « مائة أو تزيد قليلاً » . وكقوله فيهم : « والمترفُ ابن الأجذم ، يقتله ابنُ عَمّه على دِجْلة » ، وهو إشارة إلى عزّ الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين ، وكان معزّ الدولة أقْطَع اليد ، قطعت يده للنّكوص في الحرب ، وكان ابنه عزّ الدول بختيار مترفاً ، صاحب لهو وشرب ، وقتله عَضُد الدولة فناخسرو ، ابن عمه بقصر الجُصّ على دِجْلة في الحرب ، وسلَبه ملكه . فأما خلعهم للخلفاء فإنَّ معز الدولة خلع المستكفي ، ورتّب عِوضه المطيع ، وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خَلَع الطائع ورتَّب عوضه القادر ، وكانت مدة ملكهم كما أخبر به عليه السلام .

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده ، فإنَّ علي بن عبد الله لما ولِدَ ، أخرجه أبوه عبد الله إلى علي عليه السلام ، فأخذه وتَفَل في فيه وحَنّكه بتمرة قد لاكها ، ودفعه إليه ، وقال : خذ إليك أبا الأملاك . هكذا الرواية

---

(١) سهم غرب ؛ أي لا يدري راميه .

(٢) التار : الممتلىء جسمه وعظمه رياً .

الصحيحة ، وهي التي ذكرها أبو العباس المبرّد في كتاب « الكامل »(١) ، وليست الرواية التي يُذكر فيها العدد بصحيحة ولا منقولة من كتاب معتمَد عليه .

وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى ، مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة ، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة .

فإن قلت : لماذا غَلَا الناس في أمير المؤمنين عليه السلام ، فادَّعَوْا فيه الإلّهية لإخباره عن الغيوب التي شاهدوا صدقها عِياناً ، ولم يَغْلوا في رسول الله صلى الله عليه وآله فيدّعوا له الإلّهية ، وأخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقيناً ، وهو كان أَوْلى بذلك ، لأنه الأصلُ المتبوع ، ومعجزاته أعظم ، وأخباره عن الغيوب أكثر ؟

قلت : إنَّ الذين صحبوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، وشاهدوا معجزاتِه ، وسمعوا إخباره عن الغيوب الصادقة عِياناً ، كانوا أشد آراء ، وأعظم أحلاماً ، وأوفر عقولاً من تلك الطائفة الضعيفة العقول ، السخيفة الأحلام ، الذين رأوا أمير المؤمنين عليه السلام في آخر أيامه ، كعبد الله بن سبأ وأصحابه*، فإنهم كانوا من رَكاكة البصائر وضعفها على حال مشهورة ، فلا عجب عن مثلهم أن تستخفّهم المعجزاتُ ، فيعتقدوا في صاحبها أنَّ الجوهر الإلّهيّ قد حلّه ، لاعتقادهم أنه لا يصحّ من البشرِ هذا إلَّا بالحلول ، وقد قيل : إن جماعة من هؤلاء كانوا من نَسْل النصارى واليهود ، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم ورؤسائهم ، فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك . ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم مُلْحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام ، فذهبوا إلى ذلك ، ولو كانوا في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله لقالوا فيه مثل هذه المقالة ، إضلالاً لأهل الإسلام ، وقصداً لإيقاع الشبهة في قلوبهم ، ولم يكن في الصّحابة مثل هؤلاء ، ولكن قد كان فيهم منافقون وزنادقة ، ولم يهتدوا إلى هذه الفتنة ، ولا خطر لهم مثل هذه المكيدة .

ومما ينقدِحُ لي من الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّ هؤلاء من العراق وساكني الكوفة ، وطينة العراق ما زالت تنبت أربابَ

---

(١) الكامل ٢ : ٢١٧ .

* لقد أسدل الستار على رواية عبد الله بن سبأ الخيالية بعد أن نسفها الأستاذ مرتضى العسكري في كتابه (عبدالله بن سبأ) نسفاً . هذه الرواية التي لم يراد بها إلا وصم التشيع لأهل البيت بأنه صنيعة عبدالله بن سبأ . أنظر أيضاً كتاب (عبدالله بن سبأ) للدكتور عبد العزيز الهلابي الأستاذ بجامعة محمد بن مسعود بالسعودية حيث قرر بأن ابن سبأ شخصية مختلفة .

الأهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة ، وأهل هـذا الإقليم أهل بَصَرٍ وتـدقيق ونظر ، وبحث عن الآراء والعقائـد ، وشُبَهٍ معتـرضة في المـذاهب ، وقد كـان منهم في أيام الأكاسرة مثل ماني وديصان ومَزْدك وغيرهم ، وليست طينة الحجاز هذه الطينة ، ولا أذهـان أهل الحجاز هذه الأذهان ، والغالب على أهل الحجاز الجفاء والعَجْرفيّة وخشونة الطبع ، ومن سكن المـدن منهم كأهـلِ مكة والمـدينة والـطائف فطبـاعُهم قريبـة من طبـاع أهـل البـاديـة بالمجاورة ، ولم يكن فيهم من قبلُ حكيم ولا فيلسوف ولا صاحب نظر وجـدل ، ولا موقـع شبهـة ، ولا مبتدع نِحْلة ، ولهـذا نجد مقـالة الغُـلاة طارئـة ونـاشئـة من حيث سكن عـليّ عليه السلام بالعراق والكوفة ، لا في أيام مقامه بالمدينة ، وهي أكثر عمره .

فهذا ما لاح لي من الفرق بين الرجلين في المعنى المقدم ذكره .

١٦ ـ الخطبة ٩٣

وصف عترة النبي (ص)

قال عليه السلام :

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ الَّذِي لا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ . . .

منها :

عِتْرَتُهُ خَيْرُ العِتَرْ ، وَأُسْرَتُهُ خَيْـرُ الأُسَرِ ، وَشَجَـرَتُهُ خَيْـرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَـرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ؛ لَها فُرُوعٌ طِوَالٌ ، وَثَمرٌ لاَ يُنالُ .

الشرح :

وقوله : « نبتت في حرم » يجوز أن يعني به مكّة ، ويجوز أن يعني به المنعة والعزّ .

وبسقت : طالت . ومعنى قوله : « وثمر لا ينال » ليس على أن يريد به أن ثمرهـا لا ينتفع به ، لأن ذلك ليـس بمدح بل يريد به أنّ ثمرها لا ينال قهراً ، ولا يجنى غصباً . ويجوز أن يـريـد بثمرها نفسه عليه السلام ، ومُن يجرى مجراه من أهل البيت عليهم السلام ، لأنهم ثمرة تلك الشجرة .

ولا ينال ، أي لا ينال مساعيهم ومآثرهم ولا يباريهم أحد ، وقد روى في الحديث عن النبي صلى الله عليـه وآلـه في فضـل قـريش وبني هـاشم الكثـير المستفيض ، نحـو قـولـه عليه السلام : « قدّموا قريشاً ولا تقدمُوها » ، وقوله : « الأئمة من قريش » ، وقوله : « إن الله اصطفى من العرب مَعَدّاً ، واصطفى من معدٍّ بني النضر بن كنانة ، واصطفى هاشماً من

بني النضر ، واصطفاني من بني هاشم » ، وقوله : « إن جبرائيل عليه السلام قال لي : يا محمد قد طفتُ الأرض شرقاً وغرباً فلم أجدْ فيها أكرَم منك ، ولا بيتاً أكرم من بني هاشم » ، وقوله : « نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية » ، وقوله عليه السلام : « إن الله تعالى لم يمسسْني بسفاح في أرومتي منذ إسماعيل بن إبراهيم إلى عبد الله بن عبد المطلب » ، وقوله صلى الله عليه وآله : « سادة أهل المحشر، سادة أهل الدنيا : أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر » ، وقوله وقد سمع رجلاً ينشد :

يا أيّها الرجلُ المحوِّل رحلَه　　هلّا نزلتَ بآل عبد الدار ؟

أهكذا قال يا أبا بكر ؟ منكراً لما سمع ، فقال أبو بكر : لا يا رسول الله ، إنه لم يقل هكذا ولكنّه قال :

يـاأيُّهـا الـرجــلُ المحــوّل رَحْلَهُ　　هـلَّا نزلتَ بـآل عبد منـافِ[1] ؟
عَمْـرو العُلاَ هَشَم الـثريد لقـومِه　　وَرِجـالُ مكـة مُسْنِتـونَ عِجَـافُ

فسرّ صلى الله عليه وآله بذلك ، وقوله : « أذلّ الله من أذلّ قريشـاً » ، قالهـا ثلاثـاً ، وكقوله : « أنا النبيّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » وكقوله : « الناس تبع لقريش ، بَرّهم لبرهم ، وفاجرهم لفاجرهم » ، وكقوله : « أنا ابنُ الأكرمين » ، وقوله لبني هاشم : « والله لا يُبغضُكم أحد إلَّا أكبّه الله على منخريه في النار » ، وقوله : « ما بال رجال يزعمون أنَّ قرابتي غير نافعة ! بلى إنها لنافعة ، وإنه لا يُبغِضُ أحدُ أهلِي إلَّا حرّمه الله الجنة » .

والأخبار الواردة في فضائل قريش وبني هاشم وشرفهم كثيرة جداً ، ولا نرى الإطالة هاهنا باستقصائها .

١٧ ـ الخطبة ٩٦

وجوب الاتباع المطلق لأهل البيت (ع)

قال عليه السلام :

وَلَئِن أَمهَلَ اللَّهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفوتَ أَخْذُهُ . . .

منها :

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً ،

(١) المطرود بن كعب الخزاعي أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ .

وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدىً ، فَإِنْ لَبَدُوا فالْبُدُوا، وَإِن نَهضُوا فَانْهَضُوا ، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا .

الشرح :

السَّمْتُ : الطريق ، ولَبَد الشيء بالأرض ، يلبُد بالضم لبودا : التصق بها .

١٨ ـ الخطبة٩٩

وجوب اتباع أهل البيت (ع)

قال عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ . . .

منها :

وَخَلَّفَ(*) فِينَا رَايَةَ الحَقِّ ؛ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ . دَلِيلُهَا مَكِيثُ الكَلاَمِ ، بَطِيءُ الْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ .

ومنها :

أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ؛ إِذَا خَوَىٰ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ .

الشرح :

وراية الحق : الثَّقَلان المخلّفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وهما الكتاب والعِتْرة .

ومَرَق : خرج ، أي فارق الحَقّ ، ومرق السهم عن الرميّة : خرج من جانبها الآخر ؛ وبه سُمِّيت الخوارج مارقة .

وزهَقت نفسه ، بالفتح زُهوقاً ، اي خرجت ، قال تعالى : ﴿ **وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾(1) . وزهَقت الناقة ؛ إذا سبقت وتقدّمت أمام الرّكاب ، وزهقَ الباطل : اضمحلّ ، يقول عليه السلام : مَنْ خالفها متقدّماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق ، ومن لازمها فقد أصابَ الحق .

* يعني رسول الله (ص).

(١) سورة التوبة ٨٥.

ثم قال : « دليلها مَكيث الكلام » ، يعني نفسَه عليه السلام ، لأنه المشارُ إليه من العِتْرة ، وأعلمُ النّاس بالكتاب . وَمَكِيث الكلام : بطيئه ، ورجل مَكِيث ؛ أي رزين ، والمُكْث : اللُّبْث والانتظار ، مَكَثَ ومكُث بالفتح والضم، والاسم المُكْث والْمُكْث والْمِكثة بالضم وكسرها ، يعني أنه ذو أناة وتؤدة ، ثم أكّد ذلك بقوله : « بطيء القيام » .

ثم قال : « سريع إذا قام » ، أي هو متأنٍّ متثبّت في أحواله ؛ فإذا نهض جَدّ وبالغ وهذا المعنى كثير جداً ؛ قال أبو الطيب :

وما قلتُ للبدرِ أنت اللُّجَيْنُ ولا قلتُ للشمْسِ أنتِ الذهب[1]
فَيَقْلَقَ منهُ البعيد الأناةِ وَيَغْضَبُ منه البطيء الغضبْ

يعني سيف الدولة .

١٩ ـ الخطبة ١٠٨

وصفهم (ع) وحال محبهم ومبغضهم

قال عليه السلام :

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ . . . .

منها :

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ ؛ نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ .

الشرح :

قوله عليه السلام : « نحن شجرة النبوّة » ، كأنه جعل النبوّة كثمرة أخرجتها شجرة بني هاشم . ومحطّ الرسالة : منزلها . ومختلف الملائكة : موضع اختلافها في صعودها ونزولها ، وإلى هذا المعنى نظر بعض الطالبيّين فقال : يفتخر على بني عمّ له ليسوا بفاطميين :

هل كان يقتعد البُرَاقَ أبوكُمُ أمْ كانَ جبريلُ عليه يُنـزَّلُ
أم هَلْ يقولُ له الإلّه مُشافهاً بالوَحْي : قم يأيّها المزمِّل

---

(١) ديوانه ١ :٩٧.

وقال آخر يمدح قوماً فاطميين :

ويطرقه الـوَحْيُ وهناً وأنتمْ ضَجيعانِ بين يدي جَبْرئيلا

يعني حسناً عليه السلام وحسيناً عليه السلام .

واعلم أنه إن أراد بقوله : « نحن مختلف الملائكة » جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلا ريب في صحة القضية وصدْقها ، وإن أراد بها نفسَه وابنيْه فهي أيضاً صحيحة ؛ ولكن مدلوله مستَنبَط ، فقد جاء في الأخبار الصحيحة ، أنه قال : « يا جبريل ، إنه منّي وأنا منه» ، فقال جبريل : وأنا منكما . وروى أبو أيوب الأنصاريّ مرفوعاً : «لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لم تصلّ على ثالث لنا » ؛ وذلك قبل أن يظهر أمرُ الإسلام ويتسامع الناس به .

وفي خطبة الحسن بن عليّ عليه السلام لما قبض أبوه : « لقد فارقكُم في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون ، كان يبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره » .

وجاء في الحديث أنه سُمِع يوم أحد صوتٌ من الهواء من جهة السماء ، يقول : « لا سيف إلاّ ذو الفقار ، ولا فتى إلاّ عليّ » . وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « هذا صوت جبريل » .

فأما قوله : « ومعادن العلم ، وينابيع الحُكْمْ » يعني الحكمة أو الحكم الشرعيّ ، فإنه وإن عَنَى بها نفسه وذرّيته، فإن الأمر فيها ظاهر جدّاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب » ، وقال : « أقضاكم عليّ » والقضاء أمر يستلزم علوماً كثيرة .

وجاء في الخبر أنّه بعثه إلى اليمن قاضياً ، فقال : يا رسول الله ، إنهم كهول وذوو أسنانٍ وأنا فتىً ، وربما لم أصِبْ فيما أحكُم به بينهم ، فقال له : « اذهب فإنّ الله سيثبِّت قلبك ويهدي لسانك » .

وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[1] : سألت الله أن يجعلها أذنَك ففعل . وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

(١) سورة الحاقة ١٢ .

فَضْلِهِ﴾[1] أنها أنزلت في عليّ عليه السلام وما خُصّ به من العلم . وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[2] : أن الشاهد عليّ عليه السلام .

وروى المحدّثون أنه قال لفاطمة : « زوّجتُكِ أقدَمهم سِلْماً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأعلمهم علماً » . وروى المحدّثون أيضاً عنه عليه السلام أنه قال : «مَنْ أراد أن ينظُر إلى نوح في عَزْمه ، وموسى في عِلْمِه ، وعيسى في وَرَعه ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب » .

وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه . وحقّ له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينابيع الحكم ، فلا أحد أحقُّ بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

فإن قلت : كيف قال : « عدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة » ، ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه ، لا ينتظرونها !

قلت : لما كانت منتظرةً لهم ومعلوماً بيقين حلولها بهم ، صاروا كالمنتظرين لها . وأيضاً فإنهم ينتظرون الموت لا محالة الذي كلّ إنسان ينتظره ؛ ولما كان الموت مقدّمة العقاب وطريقاً إليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده .

٢٠ ـ الخطبة ١١٩

علمه وعلم أهل البيت (ع)

قال عليه السلام :

تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ ؛ وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ .

الشرح :

رواها قوم « لقد عَلِمْتُ » بالتخفيف وفتح العين ، والرواية الأولى أحسن ، فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى المكلفين ، وفيه إشارة إلى

---

(١) سورة النساء ٥٤.

(٢) سورة هود ١٧ .

قوله تعالى : ﴿ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ ﴾[1] ، وإلى قول النبي صلى الله عليه وآله في قصة براءة : « لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا ورجل منّي » .

وإتمام العدات : إنجازها ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيهِ ﴾[2] ، وإلى قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام : « قاضي ديني ومنجز مَوْعدي » .

وتمام الكلمات : تأويل القرآن ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾[3] ، وإلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقه عليه السلام : « اللهم اهد قَلبَه ، وثبّت لسانه » .

وخلاصة هذا ، أنّه أقسم بالله أنه قد عَلم ، أو علّم ، ـ على اختلاف الروايتين ـ أداء الشرائع إلى المكلّفين ، والحكم بينهم بما أنزله الله ، وعلِم مواعيد رسول الله التي وعد بها ، فمنها ما هو وعدٌ لواحدٍ من الناس بأمرٍ ، نحو أن يقول له : سأعطيك كذا ، ومنها ما هو وعدٌ بأمرٍ يحدُث ، كاخبار الملاحم والأمور المتجدّدة . وعلِم تمام كلمات الله تعالى ، أي تأويلها وبيانها الذي يتمّ به ؛ لأنّ في كلامه ـ تعالى ـ المجمَل الذي لا يستغنى عن متمّم ومبيّن يوضحه .

ثم كشف الغطاء وأوضح المراد فقال : « وعندنا ـ أهلَ البيت ـ أبواب الحكْم » ، يعني الشرعيات والفتاوى وضياء الأمر ، يعني العقليات والعقائد ، وهذا مقام عظيم لا يجسُر أحدٌ من المخلوقين أن يدّعيَه سواه عليه السلام ؛ ولو أقدم أحد على ادّعائه غيره لكذب وكذبه الناس .

و « أهلَ البيت » منصوب على الاختصاص .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٩.
(٢) سورة الأحزاب ٢٣ .
(٣) سورة الأنعام ١١٥ .

٣١ - الخطبة ١٣١
كونه أول من أجاب وصلى
وصفة الإمام العادل

قال عليه السلام :

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ . . .

منها :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجابَ ؛ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلاَةِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ . وَلاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلاَ الجَافي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دونَ قَوْم ، وَلاَ الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ ، فَيَذْهَبَ بِالحُقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دون المَقَاطِعِ ، وَلاَ الْمُعَطِّلُ للسِنَّةِ ، فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ .

الشرح :

ثم ذكر أنَّه سبَق المسلمين كلَّهم إلى التوحيد والمعرفة ، ولم يسبِقه بالصلاة أحدٌ إلاَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وهكذا روى جمهور المحدثين ، وقد تقدَّمَ ذكر ذلك .

فإن قلت : أيّ وجه لإدخال هذا الكلام في غُضُون مقصده في هذه الخطبة(*) ، فإنها مبنيّة على ذمّ أصحابه ، وتقرير قاعدة الإمامة ، وأنّه لا يجوز أن يليَها الفاسق ، وأنّه لا بدّ للإمام من صفات مخصوصة ؛ عدّدها عليه السلام ، وكلّ هذا لا تعلّق لسبقه إلى الإسلام !

قلت : بل الكلامُ متعلّق بعضهُ ببعض من وجهين : أحدهُما أنه لما قال : اللهمّ إنَّك تعلم أني ما سَلَلْتُ السَّيْفَ طلباً للملك ، أراد أن يؤكّد هذا القول في نفوس السامعين ؛ فقال : أنا أوّل من أَسْلَم ؛ ولم يكن الإسلام حينئذٍ معروفاً أصلاً ، ومن يكون إسلامه هكذا لا يكون قد قصد بإسلامه إلاَّ وجه الله تعالى والقربة إليه ؛ فمَنْ تكونُ هذه حاله في مبدأ

(*) تمت اضافة هذا الكلام وما بعده لتوضيح وجهي تفضيله عليه السلام على الآخرين (من وجهة نظر الشارح) ليس الا . وإلاّ ، فإن صفات الامام ليست الغرض من هذا المختار .

أمره ، كيف يخطُرُ ببال عاقل أنّه يطلُب الدنيا وحُطامها ، ويجرّد عليها السّيْفَ في آخر عمره ، ووقت انقضاء مدّة عُمْره !

والوجه الثاني أنَّه إذا كان أوّلَ السابقين ، وجب أن يكون أقربَ المقرّبين ، لأنَّه تعالى قال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾[1] ، ألا ترى أنه إذا قال الملك : « العالمون العاملون هم المختصّون بنا » ، وجب أن يكون أعلمهم أشدّهم به اختصاصاً ؛ وإذا كان عليه السلام أقربَ المقرّبين ، وجب أن تنتفَى عنه الموانع الستة ، التي جعل كلَّ واحد منها صادّاً عن الإمامة ، وقاطعاً عن استحقاقها ؛ وهي البخل والجهل والجفاء - أي الغِلْظة - ، العصبية في دولته - أي تقديم قوم على قوم - ، والإرتشاء في الحكْم ، والتعطيل للسنّة ، وإذا انتفتْ عنه هذه الموانع الستّة تعين أن يكون هو الإمام ، لأنَّ شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق ، فإذا كانت موانُعها عنه منتفيةً ولم يحصل لغيره اجتماع الشروط ، وارتفاع الموانع ، وجب أن يكون هو الإمام ؛ لأنه لا يجوز خلوُّ العصر من إمامٍ ؛ سواء كانت هذه القضيّة عقليّة أو سمعيّة .

٣٢ - الخطبة ١٥٠

الانقلاب على الأعقاب بعد وفاة النبي (ص)

قال عليه السلام في خطبة له يومىء فيها إلى الملاحم :

وَأَخَذُوا يَميناً وَشِمَالاً طَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ . . .

منها :

حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلاَئِجِ ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاء عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ . قَدْ مَارُوا فِي الْحِيْرَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ؛ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ؛ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلْدِّيْنِ مُبَايِنٍ .

---

(١) سورة الواقعة ١٠ .

الشرح :

رجعوا على الأعقاب : تركوا ما كانوا عليه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾[1] .

وغالَتْهم السُّبُل : أهلكَهُم اختلاف الآراء والأهواء ، غاله كذا ، أي أهلكه ، والسُّبُل : الطرق .

والولائج : جمع وَليجة ، وهي البِطَانة يتّخذها الإنسان لنفسه ، قال سبحانه : ﴿ وَلَم يَتَّخِذُوا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[2] .

ووصلوا غير الرَّحِم ، أي غير رحِم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكرها عليه السلام ذِكْراً مطلقاً غير مضاف للعلْم بها ؛ كما يقول القائل : « أهل البيت » ، فيعلم السامع أنه أراد أهلَ بيت الرسول .

وهَجَرُوا السبب ، يعني أهلَ البيت أيضاً ؛ وهذه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « خَلَّفْتُ فيكم الثَّقَلَيْنْ : كتاب الله وعِترتي أهل بيتي ؛ حبْلان ممدودان من السماء إلى الأرض ، لا يفترقان حتى يرِدَا عَلَيَّ الحوض » ، فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ « السبب » لّما كان النبي صلى الله عليه وآله قال : « حَبْلان » ، والسبب في اللغة : الحبل .

عَنَى بقوله : « أمِرُوا بمودّته » قولَ الله تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[3] .

قوله : « ونقلوا البناء عن رصّ أساسه » ، الرّصّ مصدر رَصَصْت الشيء أرصّه ، أي ألصقت بعضه ببعض ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[4] ، وتَراصّ القوم في الصف ، أي تلاصقوا . فبنوْه في غير موضعه ! ونقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله .

ثم ذمّهم عليه السلام ، وقال : « إنّهم معادن كلّ خطيئة ، وأبواب كل ضاربٍ في غَمْرة » ، الغمرة : الضّلال ، والجهل . والضّارب فيها : الداخل المعتقد لها .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) سورة التوبة ١٦ .

(٣) سورة الشورى ٢٣ .

(٤) سورة الصف ٥ .

قد ماروا في الحَيْرة ، مارَ يَمُور إذا ذهب وجاء ، فكأنّهم يسبحون في الحيـرة كما يَسْبَـح الإنسان في الماء .

وذهَل فلان ، بالفتح ، يـذْهَل . عـلى سنّة من آل فـرعون ، أي عـلى طريقـة ، وآل فرعون : أتباعه ، قال تعالى : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[١] .

من منقطع إلى الدنيا : لا همّ له غيرها . راكن : مخلِد إليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[٢] . أو مفارق للدين مباين : مزايل .

فإن قلت : أيّ فَرْق بين الرَّجُلين ؟ وهل يكون المنقطِع إلى الدنيا إلّا مفارقاً للدين ؟

قلت : قد يكون في أهلِ الضلال مَنْ هو مفارق للدين مباين ؛ وليس براكنٍ إلى الدنيا ولا منقطِع إليها ؛ كما نرى كثيراً من أحْبَار النصارى ورهبانهم .

فإن قلت : أليس هذا الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الإمامية ؟

قلت : لا ، بل نحمله على أنـه عَنَى عليه السـلام أعداءه الـذين حاربـوه من قريش وغيـرهم من أفناء العـرب ، في أيام صِفّـين ، وهـم الذين نقلوا البنـاء ، وهجروا السبب ، ووصلُوا غَـير الرَّحِم ، واتّكلوا عـلى الولائـج ، وغالتهم السبُـل ، ورجعوا عـلى الأعقاب ؛ كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومَرْوان بن الحكم ، والوليـد بن عُقْبة ، وحبيب بن مسلَمـة ، وبُسْر بن أرطاة ، وعبـد الله بن الزبـير ، وسعيد بن العـاص ، وحـوشب ، وذِي الكَلاع ، وشُرَحْبيـل ابن السّمط ، وأبي الأعور السلميّ ؛ وغيـرهم ممن تقدّم ذكـرُنا لـه في الفصول المتعلّقة بصِفّين وأخبارها ، فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه عليه السـلام إلى معاويـة ، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه .

فإن قلت : لفظ الفصل يشهدُ بخلاف ما تأوّلتَـه ، لأنه قـال عليه السـلام : حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ، فجعل رجوعَهم على الأعقاب عَقِيب قَبْض الرسول صلى الله عليه وآله ، وما ذكرتَه أنتَ كان بعد قَبْض الرّسول بنيّف وعشرين سنة !

قلت : ليس يمتنع أن يكونَ هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب ، لمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، وأضْمَرُوا في أنفسهم مشـاقّة أمـير المؤمنين وأذاه ، وقـد كان فيهم مَنْ يتحكّك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان ، ويتعرّض له ؛ ولم يكن أحدٌ منهم ولا من غيرهم

(١) سورة غافر ٤٦ .

(٢) سورة هود ١١٣ .

يُقدِم على ذلك في حياة رسول الله . ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدَادهم عن الإسلام بالكلّية ، فإنَّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض مَنْ ذكرناه ويعدّونهم من المنافقين ، وقد كان سيفُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقمَعُهم ويردَعُهم عن إظهار ما في أنفسهم من النِّفاق ، فأظهر قومٌ منهم بعده ما كانوا يضْمِرُونه من ذلك ؛ خصوصاً فيما يتعلّق بأمير المؤمنين، الذي وَرَد في حقّه : « ما كنّا نعرِفُ المنافِقِين عَلَى عَهْدِ رسول الله إلاَّ ببغض عليّ بن أبي طالب » ، وهو خَبَرٌ محقّق مذكور في الصّحاح .

فإن قلت : يمنعك من هذا التأويل قوله : « ونقلوا البناء عن رصّ أساسه ، فجعلوه في غير موضعه » ، وذلك لأنّ « إذا » ظرف ؛ والعامل فيها قوله : « رجع قومٌ على الأعقاب » وقد عطف عليه قوله : « ونقلوا البناء » ؛ فإذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور ، وهو وقت قبض الرسول ، وجَب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً ، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر ، ولم ينقلْ أحدٌ وقتَ قبض الرسول صلى الله عليه وآله البناءَ إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنّما نُقِل عنه إلى شخص آخر ، وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإماميّة صريحاً !

قلت : إذا كان الرجوعُ على الأعقاب واقعاً وقت قبْض النبي صلى الله عليه وآله فقد قمنا بما يجبُ من وجود عامل في الظرف ، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً ، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر ؛ إمَّا بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف ، أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدَث في عين ذلك الزّمان المخصوص ، كقوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ** ﴾(١) ؛ فالعامل في الظرف « استطعما » ويجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلَها لا محالة . ولا يجب أن تكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الإتيان أيضاً ؛ ألا ترى أنّ من جملتها « فأقامه » ولم يكن إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل متراخياً عنه بزمان ما*؛ اللّهم إلاَّ أن يقول قائل : أشار بيده إلى الجدار فقام ، أو قال له : قم ، فقام ، لأنه لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارناً للإتيان إلاَّ على هذا

---

(١) سورة الكهف ٧٧.

* انظر إلى التأويلات البعيدة التي لم تقنع حتى صاحبها بحيث ذهب في النهاية إلى الإعتماد على (تحميل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدُده الجليل . . . الخ) والتي لو وصلنا إلى هذه النتيجة في ما يدور من نقاش لانتفت الحاجة إليه إذ نلجأ إلى تحميل الأمر على ما يلائم الهوى وكفىٰ الله المؤمنين القتال !!

الوجه ؛ وهذا لم يكن ، ولا قاله مفسر . ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾ ؛ لأنّ الأجر إنما يكون على اعتمال عمل فيه مشقّة : وإنّما يكون فيه مشقّة إذا بناه بيده ، وباشره بجوارحه وأعضائه .

وأعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل ، ومنصبه العظيم ، ودينه القويم ، من الإغضاء عمّا سلف ممّن سلف ؛ فقد كان صاحَبَهم بالمعروف بُرْهَةً من الدهر ، فإمّا أن يكون ما كانوا فيه حقّهم أو حقه ، فتركه لهم رفعاً لنفسه عن المنازعة ، أو لما رآه من المصلحة ؛ وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبّق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم وبين أولها ؛ فإنّ بُعْد تأويل ما يتأوّله من كلامه ، ليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن ، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظةً على الأصول المقررة ؛ فكذلك هاهنا*.

٢٣ - الخطبة ١٥٤
وصفه وأهل بيته (ع)
والتحذير من الانحراف

ومن خطبة له عليه السلام :

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ . . .

منها :

نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ ، وَالخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ : وَلَا تُؤْتَى البُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

* من الضروري التفريق بين نهج امير المؤمنين مع الخلفاء الثلاثة وهو التعامل بالتي هي احسن والنصح لهم وللمسلمين ، بل وحتى نقض ما حكموا به احياناً إذا كان به خروجاً عن النهج القويم أو إذا احس أنه يشكل سابقة بالاتجاه السلبي ، أقول انه يجب التفريق بين هذا النهج وبين رأيه عليه السلام في أصل خلافتهم وولايتهم ، فإن ذلك النهج الحسن لا يعني الرضا بولايتهم . الا ترى بان الانسان إذا ما كان ذو سجايا حسنة فإنه يقدم النصح حتى لظالميه فكيف الأمر مع امير المؤمنين وهو المركب من كل سجية حسنة ؟ على اننا لم نذكر ذلك إلاّ في معرض الرد على تأويلات الشارح ، وإلاّ فإن الأمر اوضح من ان يحتاج الى شرح .

الشرح :

قال : « نَحن الشّعار والأصحـاب » ؛ يشير إلى نفسـه ، وهو أبـداً يأتي بلفظ الجمـع ومراده الواحد .

والشِّعار : ما يلي الجسد من الثيابِ ، فهو أقرب من سائرها إليه ؛ ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله .

والخَزَنَةُ والأبواب ؛ يمكن أن يعنى به خَزَنة العلم وأبواب العلم ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أرادَ الحكمة فلْيأتِ الباب » . وقوله فيه : « خازن علمي » وقال تارة أخرى : « عَيْبة عِلْمي » . ويمكن أن يريـد خزنـة الجنّة وأبـواب الجنة ، أي لا يدخل الجنة إلاّ مَنْ وَافَى بولايتنا ؛ فقدْ جاء في حقه الخبر الشائع المستفيض : إنه قَسيم النار والجنة ، وذكر أبو عبيد الهرويّ في « الجمع بين الغريبين » ، أنَّ قوماً من أئمة العربية فسَّـرُوه فقالوا : لأنّه لما كان مُحِبُّهُ من أهل الجنة ، ومبغِضُه من أهل النّار ؛ كأنّه بهذا الاعتبار قسيمُ النار والجنة . قال أبو عبيد : وقال غـير هؤلاء : بلْ هـو قسيمها بنفسـه في الحقيقة ؛ يدخِل قوماً إلى الجنة ، وقوماً إلى النار ؛ وهذا الذي ذكره أبو عبيد أخيراً هو ما يطابق الأخبار الواردة فيه ، يقول للنار : هذا لي فدعيه ، وهذا لك فخذيه .

ثم ذكر أن البيوت لا تؤتَى إلاّ من أبوابها ، قـال الله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ الْبِـرُّ بِأَنْ تَـأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها** ﴾[1] .

ثم قال : مَنْ أتاها من غير أبوابها سمّي سارقاً ، وهذا حقّ ظاهراً وباطناً ؛ أمّا الظاهر فلأنّ مَنْ يتسوّر البيوت من غير أبوابها هو السارق ، وأمّا الباطن فلأنّ مَنْ طَلب العلم من غير أستاذ محقّق فلم يأتِهِ من بابه ؛ فهو أشبه شيء بالسارق .

ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل عليّ

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لو فخرَ بنفسه ، وبالغ في تعديـد مناقبـه وفضائله بفصاحته ؛ التي آتاه الله تعالى إياها ، واختصّه بها ، وساعده على ذلك فُصحاء العرب كافّة ؛ لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره ؛ ولستُ أعني بذلك الأخبارَ العامّة الشائعة التي يحتجّ بها الإماميّة على إمامته ، كخبر الغديـر ، والمنزلـة ، وقصّة

(١) سورة البقرة ١٧٧ .

براءة ، وخبر المناجاة ، وقصة خيبر ، وخبر الدار بمكة في ابتداء الدعوة ؛ ونحو ذلك ؛ بل الأخبار الخاصة التي رواها فيه أئمة الحديث ، التي لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره ؛ وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً مما رواه علماء الحديث الذين لا يُتَّهمون فيه ، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه ، فروايتهم فضائلَه توجب من سكونِ النفس مالا يوجبه رواية غيرهم .

الخبر الأول : « يا عليّ ، إنَّ الله قد زيّنَك بزينةٍ لم يزيِّن العباد بزينة أحبَّ إليه منها ، هي زِينة الأبرار عند الله تعالى ، الزّهد في الدنيا ، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً[١] ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ؛ ووهب لك حبَّ المساكين ، فجعلك ترضى بهم أتباعاً ؛ ويرضوْن بك إماماً » .

رواه أبو نعيم الحافظ في كتابه المعروف بـ« حلية الأولياء » وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في « المسند » : « فطوبىَ لمن أحبّك وصدق فيك ، وويلٌ لمن أبغضك وكذّب فيك ! » .

الخبر الثاني : قال لوفد ثَقِيف : « لَتُسْلِمُنّ ، أو لأبعثَنّ إليكم رجلاً منّي ـ أو قال : عديل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم ، ولَيسبِينّ ذراريّكم ، وليأخذنّ أموالكم » . قال عمَر : فما تمنيت الإمارة إلاّ يومئذٍ ، وجعلتُ أنصِب له صدري رجاء أن يقول : هو هذا . فالتفت فأخذ بيد عليّ وقال : « هو هذا ! »، مرتين .

رواه أحمد في « المسند » ؛ ورواه في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، أنّه قال : « لتنتهُنّ يا بَني وليعة[٢] ، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً كنفسي ، يُمضِي فيكم أمري . يقتل المقاتلة ، ويسبى الذّرّيّة » . قال أبو ذرّ : فما راعني إلاّ برْد كفّ عمر في حُجْزتي[٣] من خَلْفي ، يقول : مَنْ تراه يعني ؟ فقلت : إنه لا يَعْنيك ، وإنّما يعني خاصفَ النعل ، وإنه قال : « هو هذا » .

الخبر الثالث : « إنَّ اللّهَ عَهِد إليّ في عليّ عهداً ، فقلت : يا ربّ بيّنه لي ، قال : اسمع ، إنَّ علياً رايةُ الهدى ، وإمامُ أوليائي ، ونورُ من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتُها المتقين ؛ مَنْ أحبّه فقد أحبّني*، ومن أطاعه فقد أطاعني ؛ فبشِّره بذلك . فقلت : قد بشرته

---

(١) ترزأ : تأخذ .

(٢) بنو وليعة : حي في كندة .

(٣) الحجزة : موضع الإزار .

* هنا نلفت نظر القارىء الكريم الى ان المحبّة بدون اتّباع لا تعني شيئاً بل تصبح ميلاً عاطفياً هوائياً ، اما الاتباع فهو المحبة الحقيقية ، يقول تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله) فجعل سبحانه الاتباع شرط صدق المحبة .

يا ربّ فقال : أنا عبد الله وفي قبضته ؛ فإن يعذّبني فبذنوبي لم يظلم شيئاً ، وإن يتمّ لي ما وعدني فهو أوْلى ؛ وقد دعوت لـه فقلت : اللهمّ اجْلُ قَلبـه ، واجعلْ ربيعَـه الإيمان بـك . قال : قد فعلت ذلـك ، غير أني مختصّـه بشيء من البلاء لم أختصّ بـه أحداً من أوليـائي ، فقلت : ربّ ، أخي وصاحبي ! قال : إنّه سبق في علمي : إنّه لمبتلٍ ومبتلىً » .

ذكره أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء » عن أبي بَرْزة الأسلميّ ، ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر ، عن أنس بن مالك : « إنَّ رب العالمين عهد في عليّ إليّ عهداً ؛ إنه راية الهدى ، ومنار الإيمان ، وإمـام أوليائي ، ونـور جميع مَنْ أطـاعني . إن عليّاً أميني غـداً في القيامـة ، وصاحب رايتي ، بيد عليّ مفاتيح خزائن رحمة ربّي » .

الخبر الرابع : « مَنْ أراد أن ينظر إلى نوح في عَزْمه ، وإلى آدم في عِلْمه ، وإلى إبراهيم في حِلْمه ، وإلى موسى في فِطْنته ، وإلى عيسى في زهده ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب » .

رواه أحمد بن حنبل في « المسند » ، ورواه أحمد البيهقيّ في صحيحه .

الخبر الخامس : « مَنْ سـرّه أن يحيا حيـاتي ، ويموت ميتتي ؛ ويتمسّـك بالقضيب من الياقوتة التي خلقها الله تعالى بيده ، ثم قال لها : كوني فكانت ؛ فليتمسَّكْ بولاء عليّ بن أبي طالب » .

ذكـره أبو نُعيم الحـافظ في كتاب « حليـة الأوليـاء » وزواه أبـو عبـد الله بن حنبـل في « المسنَد » في كتاب فضائل عليّ بن أبي طالب ، وحكاية لفظ أحمد رضي الله عنه : « مَنْ أحبّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جَنّة عدن بيمينه ، فليتمسّك بحبّ علي بن أبي طالب » .

الخبر السادس : « والّذي نفسي بيده ، لولا أن تقول طوائف مِنْ أمّتي فيك مـا قالت النصارى في ابن مريم ، لقلت اليوم فيك مقالاً : لا تمرّ بملإٍ من المسلمين إلّا أخذوا التّراب من تحت قدميك للبركة »*.

ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل في « المسند » .

الخبر السابع : خرج صلى الله عليه وآله عَلى الحجيج عشيّة عرَفة ، فقال لهم : إنّ الله

* لو أورد الشيعة هذا الحديث لاتهموهم بالغلو وبشتى التهم ولكن ماذا تفعل الشيعة وقد رفع الله صاحبهم إلى هذه المنازل !!

قد باهَى بكم الملائكة عامّة ، وغفر لكم عامّة ، وباهَى بعليّ خاصة ، وغفر له خاصة . إني قائل لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرابتي ؛ إن السعيد كلّ السّعيد حقّ السعيد مَنْ أحبَّ عليّاً في حياته وبعد موته »* .

رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائل علي عليه السلام ، وفي « المسند » أيضاً .

الخبر الثامن : رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الكتابين المذكورين : « أنا أوّل مَنْ يُدعى به يوم القيامة ؛ فأقوم عن يمين العرش في ظلّه ، ثم أكسى حلّة ، ثم يدعى بالنبيّين بعضهم على أثر بعض ؛ فيقومون عن يمين العرش ويكسَوْن حُلَلاً ، ثم يدعى بعليّ ابن أبي طالب لقرابته منّي ومنزلته عندي ، ويدفع إليه لوائي لواء الحمد ، آدم وَمَنْ دونه تحت ذلك اللواء » . ثم قال لعليّ : « فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل ، ثم تكسى حلّة ، وينادِي منادٍ من العرش : نعم العبدُ أبوكَ إبراهيم ! ونعم الأخ أخوكَ عليّ ! أبشر فإنّك تُدْعَى إذا دعيت ، وتُكْسَى إذا كسيت ، وتحيَّا إذا حيِّيت » .

الخبر التاسع : « يا أنَس ، اسكب لي وضوءاً » ، ثم قام فصلّى ركعتين ، ثم قال : « أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين ، وسيّد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وخاتم الوصيين وقائد الغرّ المحجّلين » . قال أنس : فقلت : اللّهمّ اجعله رجلاً من الأنصار ، وكتمت دعوتي ، فجاء عليّ ، فقال : صلى الله عليه وسلّم : « مَنْ جاء يا أنس » ؟ فقلت : عليّ ؛ فقام إليه مستبشراً ، فاعتنقه ، ثم جعل يمسحُ عرق وجهه . فقال عليّ : يا رسول الله ، صلّى الله عليك وآلك ؛ لقد رأيت منك اليوم تصنع بي شيئاً ما صنعته بي قبل ! قال : « وما يمنعني وأنت تؤدّي عني ، وتسمعُهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي ! »** .

الخبر العاشر : « ادعُوا لي سيّدَ العرب عليّاً » ، فقالت عائشة : ألست سيّد

---

* انظر الى قوله (ص) (غير محابٍ فيه لقرابتي) واعلم ان هذا القول وغيره مما يشبهه يدلل على انه (ص) كان يعلم عدم طيب نفس بعض الناس بمدحه عليّاً وتفضيله على المسلمين ، وإلاّ فلو انهم اتقوا لعلموا أنه لا يفضل احداً لقرابة مطلقاً بل (لا ينطق عن الهوى . إن هو إلاّ وحي يوحى). ثم انظر الى قوله (باهى بعليّ خاصة) وجعله مقابل قوله (باهى بكم الملائكة عامّة) وتخيل فعل ذلك القول في نفوس البعض .

** وهذا الخبر صريح في وجوب أتباعه عليه السلام لمن أراد النجاة من الفتنة عند الإختلاف .

العـرب ؟* فقال : « أنا سيّد ولد ادم ، وعليّ سيّد العرب » ؛ فلما جاء أرسل إلى الأنصار ، فأتوْه ، فقال لهم : « يا معشَرَ الأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمسّكْتم به لن تضلّوا أبـداً » قالوا : بلى يا رسـول الله ، قال : « هـذا عليّ ؛ فـأحبّوه بحبّي ، وأكـرِموه بكـرامتي ؛ فإنّ جبرائيل أمرني بالّذي قلت لكم عن الله عزّ وجلّ » .

رواه الحافظ أبو نعيم في « حلية الأولياء » .

الخبـر الحادي عشر : « مـرْحَباً بسيّـد المؤمنين ؛ وإمـام المتقـين » ! فقيـل لعـليّ عليـه السلام : كيف شكرُك ؟ فقال : أحمَد الله على ما آتاني ، وأسأله الشُّكر على ما أولاني ، وأنْ يزيدَني ممّا أعطاني .

ذكره صاحب « الحلية » أيضاً .

الخبر الثاني عشر : «مَنْ سرّه أن يحيا حياتي ، ويموت ممـاتي ، ويسكنَ جنّة عـدن التي غـرسهـا ربّي ، فليـوالِ عليّـاً من بعـدِي** ، وليـوال وليّـه*** ، وليقتـد بـالأئمـة من بعدي**** ، فإنّهم عِـتْرَتي ، خُلقوا من طينتي ، ورزقـوا فهماً وعلماً . فـويل للمكـذبين من أمتي ! القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالَهم الله شفاعتي » .

ذكره صاحب « الحلية » أيضاً .

الخبر الثالث عشر : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خـالد بن الـوليد في سـريّة ، وبعث عليّاً عليه السلام في سريّة أخرى ، وكلاهما إلى اليمن ، وقـال : « إن اجتمعتما فَعـليّ عَلَى الناس ، وإن افترقتما فكلّ واحدٍ منكما على جُنْـده » ، فأجتمعـا وأغـارا وسبيا نسـاء ، وأخذا أموالاً ، وقتلا ناسـاً ، وأخذ عـليّ جاريـة فاختصّهـا لنفسه ، فقـال خالـد لأربعة من المسلمين ؛ منهم بُريدة الأسلميّ : اسبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذكـروا له

* مـن هذا الاستفهام الاستنكاري وامثاله تعلم ما كان يعتمل داخل نفوس القوم ، إذ لا معنى للاستنكار طالما ان رسول الله (ص) قد وصفه بسيّد العرب

** فانحرفوا عنه وقاتلوه وكفروه وشتموه !

*** فأخذوا بقتل شيعته وسبيهم وقطع ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وأصبحت لفظة الشيعي أسوأ من كافر !

**** فوضعوهم رهن الحراسة وسَبَوْا بعضهم ، وسمّوا أكثرهم وجعلوهم رعية في حين أنهم الرعـاة والقادة . بـل لقد أنكروهم حتى قال البخاري عن الإمام الحسن العسكري وهو معاصره (ليس بشيء) فـلا حول ولا قـوة إلّا بالله .

كذا، واذكروا له كذا ، لأمور عدّدهـا على عـليّ*، فسبقوا إليـه ، فجاء واحـد من جانِبـه ، فقال : إنّ عليّاً فَعَل كذا ، فأعرَض عنه ، فجاء الآخر من الجانب الآخر ، فقال : إنَّ علياً فعل كذا ، فأعرَض عنه فجاء بُريدة الأسلمي فقال : يا رسـول الله ، إنّ علياً فعـل ذلك ، فأخذ جـاريةً لنفسـه ، فغضب صلى الله عليـه وآله ، حتى احمـرّ وجهه ، وقـال : « دَعُوا لي عليّاً ! » ، يكررها ، « إنّ علياً مِنّي وأنا مِنْ عليّ ، وإنّ حظه في الخُمس أكثر مما أخذ ؛ وهو وليّ كلّ مؤمن من بعدي » .

رواه أبو عبد الله أحمد في « المسند » غير مرة ، ورواه في كتاب فضائل عليّ ، ورواه أكثر المحدّثين .

الخبر الرابع عشر : « كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عـزّ وجل ، قبـل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خَلَق آدم قسّم ذلك فيه وجعله جزأين ، فجزءأنا ، وجزء عليّ » .

رواه أحمد في « المسند » وفي كتاب فضائل علي عليـه السلام ، وذكـره صاحب كتـاب الفـردوس ، وزاد فيه : « ثمّ انتقلنـا حتى صرنـا في [illegible]ـد المـطلب ، فكـان لي النبـوّة ولعـليّ الوصية » .

الخبر الخامس عشر : « النّظر إلى وجهك يا عليّ عبادة، أنت سيّد في الـدنيا وسيّـد في الآخـرة ، مَنْ أحبّك أحبّني . وحبيبي حبيب الله ، وعـدوّك عدوِّي ، وعـدوِّي عـدوُّ الله ، الويل لمَنْ أبغضك ! » .

رواه أحمد في « المسند » ، قال : وكان ابنُ عبّاس يفسره ، ويقول : إنَّ مَن ينظر إليـه يقول : سبحان الله ! ما أعلم هذا الفتى ! سبحان الله ما أشجع هذا الفتى ! سبحان الله ، ما أفصح هذا الفتى !

الحديث السادس عشر : لما كانت ليلة بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ يستقي لنا ماء ؟ » ، فأحجم الناس ، فقـام عليّ فـاحتضن قربـة ، ثم أتى بئراً بعيـدة القَعْر مظلمة ، فانحدر فيها ، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل : أن تأهبوا لنصْر محمـد وأخيه وحزبه ، فهبطوا من السّماء ، لهم لغط يذعر مَنْ يسمعه ، فلما حـاذوا البئر ، سلّمـوا

---

* انظر الى فعل خالد بن الوليد وكيف يريد اسقاط عليّ عند النبي (ص) باية وسيلة ممكنة ، وهذا توكيد كلامنا عن الحسد والغيرة في نفوسهم ، ثم قل لي بربك اهذا من فعل المودّة والموالاة لعلي والتي امرهم النبي (ص) بها ام من فعل البغضاء ؟

عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام ، وزاد فيه في طريق أخرى عن أنس بن مالك : « لتؤتَينّ يا عليّ يوم القيامة بناقةٍ من نوق الجنة فتركبها ، وركْبتك مع ركبتي ، وفخِذُك مع فخذي ؛ حتى تدخل الجنة » .

الحديث السابع عشر : خَطَب صلى الله عليه وآله الناس يوم جمعة ، فقال : « أيّها النّاس ؛ قدّموا قريشاً ولا تقدموها ، وتعلّموا منها ولا تعلموها ، قوّة رجلٍ من قريش تعدِلُ قوّة رجلين من غيرهم ، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجليْن من غيرهم . أيّها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرباها ، أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب ؛ لا يحبّه إلاّ مؤمن ، ولا يبغضه إلاّ منافق ؛ مَنْ أحبّه فقد أحبّني ، ومَنْ أبغضهُ فقد أبغضني ، ومَنْ أبغضنِي عذّبه الله بالنار » .

رواه أحمد رضي الله عنه في كتاب فضائل عليٍّ عليه السلام .

الحديث الثامن عشر : الصِّديقون ثلاثة : « حبيب النّجار ، الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ، ومؤمن آل فرعون الّذي كان يكتم إيمانَه ، وعليّ بن أبي طالب ؛ وهو أفضلهم » .

رواه أحمد في كتاب فضائل عليّ عليه السلام .

الحديث التاسع عشر : أعطِيتُ في عليّ خمساً ، هُنَّ أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها ؛ أما واحدة فهو كابٍ بين يدي الله عزّ وجلّ ؛ حتى يفرغ من حساب الخلائق ، وأما الثانية فلواء الحمد بيده ، آدم ومن ولد تحته ، وأما الثالثة فواقف عَلَى عَقْر[1] حوضي ؛ يَسقِي مَنْ عرف من أمّتي ، وأما الرابعة فساتر عورتي ومسلمي إلى رَبِّي ، وأما الخامسة فإني لست أخشى عليه أن يعود كافراً بعد إيمان ، ولا زانياً بعد إحصان » .

رواه أحمد في كتاب الفضائل .

الحديث العشرون : كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ، فقال عليه الصلاة والسلام يوماً : « سدّوا كلّ باب في المسجد إلاّ باب عليّ » ، فسدّت ، فقال في ذلك قوم ، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم ،

(١) العقر : مؤخر الحوض حيث تقف الإبل .

فقال : « إنّ قوماً قالوا في سدّ الأبواب وتركي باب عليّ ، إني ما سددت ولا فتحت ، ولكنّي أمِرْت بأمرٍ فاتبعته » .

رواه أحمد في « المسند » مراراً ، وفي كتاب الفضائل .

الحديث الحادي والعشرون : دعا صلى الله عليه وآله عليّاً في غزاة الطائف ، فانتجاه ، وأطال نجواه حتى كرِه قوم من الصحابة ذلك ، فقال قائل منهم : لقد أطال اليَوم نَجْوى ابنِ عمّه ، فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوماً ، ثم قال : « إنَّ قائلاً قال : لقد أطالَ اليومَ نجوى ابن عمّه ، أما إني ما انتجيتُه ؛ ولكن الله انتجاه » .

رواه أحمد رحمه الله في « المسند » .

الحديث الثاني والعشرون : « أخصِمك[1] يا عليّ بالنبوّة فلا نبوّة بعدِي ، وتخصم الناس بسبع ، لا يجاحد فيها أحد من قريش : أنت أوّلهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعدلهم في الرعيّة ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزيّة » .

رواه أبو نعيم الحافظ في « حلية الأولياء » .

الخبر الثالث والعشرون : قالت فاطمة : إنّك زَوَّجتَني فقيراً لا مال له ، فقال : « زوَّجْتك أقدمهم سِلْماً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأكثرهم عِلْماً ! ألا تعلمين أنّ الله اطّلع إلى الأرض اطّلاعةً ، فاختار منها أباك ، ثم اطّلع إليها ثانية فاختار منها بعلَك ! » .

رواه أحمد في المسند .

الحديث الرابع والعشرون : لما أنزل : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حُنَيْن ، جعل يكثر من « سبحان الله ! أستغفر الله » ، ثم قال : « يا عليّ إنه قد جاء ما وعدت به ، جاء الفتح ، ودخل النّاس في دين الله أفواجاً ، وإنّه ليس أحداً أحقّ منك بمقامي ؛ لقِدَمك في الإسلام وقربك مني ، وصهرك ؛ وعندك سيّدة نساء العالمين ؛ وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن ؛ فأنا حريصٌ عَلَى أن أراعي ذلك لولده » .

رواه أبو إسحاق الثعلبيّ في « تفسير القرآن » .

واعلم أنّا إنما ذكرنا هذه الأخبار هاهنا ، لأنّ كثيراً من المنحرفين عنه عليه السلام إذا

---

(١) أخصمك : أغلبك.

مرُّوا عَلَى كلامه في « نهج البلاغة » وغيره المتضمّن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صَلى الله عليه وآله ، وتميزه إياه عن غيره ، ينسبونه إلى التّيه والزّهْو والفخر ، ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة ، قيل لعمر : وَلّ عليّاً أمر الجيش والحرب ، فقال : هو أتْيَهُ من ذلك ! وقال زيد بن ثابت : ما رأينا أزهَى من عليّ وأسامة .

فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عند تفسير قوله : « نحن الشعار والأصحاب ، ونحن الخزنة والأبواب » ، أن ننبِّه عَلَى عِظَم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّ من قيل في حقه ما قيل لو رقى إلى السماء ، وعَرَج في الهواء ، وفخر عَلَى الملائكة والأنبياء ، تعظماً وتبجّجاً ؛ لم يكن ملوماً ، بل كان بذلك جديراً ؛ فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قطّ مسلك التعظّم والتكبّر في شيء من أقواله ولا من أفعاله ؛ وكان ألطف البشر خلقاً ، وأكرمهم طبعاً ، وأشدّهم تواضعاً ، وأكثرهم احتمالاً ، وأحسنهم بِشْراً ، وأطلقهم وجهاً ؛ حتى نسبه من نسبه إلى الدُّعابة والمزاح ، وهما خُلُقان ينافيان التكبّر والاستطالة ؛ وإنما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع ، نَفْثَة مصدُور ، وشكوى مكروب ، وتنفّس مهموم ؛ ولا يقصد به إذا ذكره إلاَّ شكر النعمة ، وتنبيه الغافل عَلَى ما خصّه الله به من الفضيلة ، فإنَّ ذلك من باب الأمر بالمعروف ، والحضّ عَلَى اعتقاد الحقّ والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل ؛ فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال : ﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَع أَمَّنْ لَا يَهِدي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[1] .

ومنها :

* * *

فِيهِمْ كَـرَائِمُ الإِيمَانِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ ؛ إنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا . فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاء الآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ .

الشرح :

قوله : « فيهم » يرجع إلى آل محمد صلى الله عليه وآله الذين عناهم بقوله : « نحن الشّعار والأصحاب » ، وهو يطلق دائماً هذه الصيغ الجمعية ، ويعني نَفسه ؛ وفي القرآن كثير

---

(١) سورة يونس ٣٥.

من ذلك ، نحو قوله تعالى : ﴿ **الَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيماناً وقَالُوا حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الْوَكيل** ﴾[1].

وكرائم الإيمان : جمع كريمة وهي المنفسات منه ، قال الشاعر :

ماضٍ مِنَ العيش لو يفدى بذلت لَهُ كرائم المال من خيلٍ ومن نَعَمِ

فإن قلت : أيكون في الإيمان كرائم وغير كرائم ؟ قلت : نعم لأنّ الإيمان عند أكثر أصحابنا اسم للطّاعات كلّها واجبها ونفلها ، فمن كانت نوافله أكثرَ كانت كرائم الإيمان عنده أكثر ، ومن قام بالواجبات فقط من غير نوافل ، كان عنده الإيمان ، ولم يكن عنده كرائم الإيمان .

فإن قلت : فعلى هذا تكون النّوافل أكرمَ من الواجبات ؟

قلت : هي أكرم منها باعتبار ، والواجبات أكرم منها باعتبار آخر ؛ أمّا الأوّل فلأنّ صاحبَها إذا كان قد قام بالواجبات كان أعلى مرتبةً في الجنّة ممن اقتصر على الواجبات فقط ؛ وأمّا الثاني فلأن المخلّ بها لا يعاقب ، والمخلّ بالواجبات يعاقب .

قوله : « وهم كنوز الرحمن » لأن الكنز مال يدّخر لشديدة أو ملمّة تلمّ بالإنسان ، وكذلك هؤلاء قد ذخروا لإيضاح المشكلات الدينية على المكلفين .

ثم قال : إن نطقوا صدقوا ، وإن سكتوا لم يكن سكوتهم عن عيّ يوجب كونَهم مسبوقين ؛ لكنّهم ينطقون حُكْماً ، ويصمُتون حلماً .

ثم أمر عليه السلام بالتقوى والعمل الصالح ، وقال : « ليصدق رائدٌ أهلَه » ، الرائد : الذاهب من الحيّ يرتاد لهم المرعى ؛ وفي أمثالهم : « الرائد لا يكذِب أهله » ، والمعنى أنه عليه السلام أمر الإنسان بأن يصدُق نفسَه ولا يكذبَها بالتسويف والتعليل*.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٣ .

* جعل الشارح الجملة الأخيرة من المختار منفصلة عما قبلها حيث فسرها بانها أمر من الامام بالتقوى والعمل الصالح على شكله المجرد ، والحق ان الكلام يشعر بأنه وحدة واحدة حيث أنه عليه السلام يقول للناس اتقوا الله في آل بيت النبي (ص) واحذروا الآخرة من مخالفتهم إذ ان فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا . وبذلك اعطاك ضماناً بانك تكون قد اتبعت الحق أن اتبعتهم لأنهم لا يكذبون ولا يخطئون والله اعلم .

٢٤ ـ الخطبة ١٥٦

الإمام (ع) وعائشة

ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم :

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ ؛ وَإِنْ أَطَعْتُمُونِي ؛ فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ . وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ؛ وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ !

الشرح :

يعتقل نفسه على الله : يحبسها على طاعته . ثم ذكر أنّ السبيل التي حملهم عليها وهي سبيل الرشاد ؛ ذات مشقّة شديدة ومذاقة مريرة ، لأنّ الباطل محبوب النفوس ؛ فإنَّه اللهو واللّذة ، وسقوط التكليف ؛ وأما الحقّ فمكروه النفس ، لأن التكليف صعب وترك الملاذّ العاجلة ، شاقّ شديد المشقَّة .

والضِّغن : الحقد . والمِرْجل : قِدْر كبيرة . والقيْن : الحداد ، أي كَغَليان قِدْر من حديد .

فأما قوله : « فأدركها رأيُ النساء » ، أي ضعف ارائهنّ وقد جاء في الخبر : « لا يفلح قوم أسندوا أمرَهم إلى امرأة » وجاء : « إنَّهنّ قليلات عقل ودين » ، أو قال : « ضعيفات » ، ولذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد ؛ والمرأة في أصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب، سيّئة الظن فاسدة التدبير ، والشجاعة فيهنّ مفقودة ، أو قليلة ؛ وكذلك السخاء .

وأما الضّغْن ، فاعلم أنّ هذا الكلام يحتاج ، إلى شرح ، وقد كنت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانيّ رحمه الله أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام ، وسألته عمّا عنده فيه ، فأجابني بجواب طويل ؛ أنا أذكر محصوله ، بعضُه بلفظه رحمه الله ، وبعضُه بلفظي ، فقد شذّ عني الآن لفظه كلّه بعينه ، قال : أول بدء الضّغْن كان بينها وبين فاطمة عليها السلام ، وذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّجها عَقِيب موت خديجة ، وأقامها مقامها ، وفاطمة هي ابنة خديجة ، ومن المعلوم أنّ ابنة الرجل إذا ماتت أمّها ، وتزوج

أبوها أخرى ، كان بين الأبنة وبين المرأة كَدَرٌ وشنآن ، وهذا لا بدّ منه ، لأن الزوجة تنفَس عليها ميل الأب ، والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة . كالضرَّة لأمها : بل هي ضرة على الحقيقة ، وإن كانت الأمّ ميّتة . ولأنّا لو قدّرنا الأمّ حيّة ، لكانت العداوة مضطرمة متسعرة ، فإذا كانت قد ماتت ورثتْ ابنتها تلك العداوة ، وفي المثل : « عداوة الحماة والكَنّة » . وقال الراجز :

إن الحماة أولِعَتْ بالكَنَّةْ(١) وأولِعَتْ كَنّتُها بالظّنَّة

ثم اتَّفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مال إليها وأحبَّها ، فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله ، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمةَ إكراماً عظيماً أكثر مما كان الناس يظنونه ؛ وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم ، حتى خرج بها عن حدِّ حبّ الآباء للأولاد ، فقال بمحضر الخاصّ والعام مراراً لا مرة واحدة ، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد : إنّها سيّدة نساء العالمين ، وإنها عديلة مريم بنت عمران ، وإنها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش : يا أهل الموقف ، غضّوا أبصاركم لتعبُرَ فاطمة بنت محمد . وهذا من الأحاديث الصحيحة ، وليس من الأخبار المستضعَفة ؛ وإن إنكاحه عليّاً إيّاها ما كان إلاّ بعد أن أنكحه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة . وكم قال لا مرّة : « يؤذيني ما يؤذيها ، ويغضبني ما يغضبها » ، و« إنها بضعة منّي ، يريبني ما رابها » ، فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضّغن عندْ الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل ، والنفوس البشرية تغيَّظُ على ما هو دون هذا ، فكيف هذا !

ثم حصل عند بعلها ما هو حاصلٌ عندها ـ أعني عليّاً عليه السلام ـ فإنّ النساء كثيراً ما يجعلنَ الأحقاد في قلوب الرجال ؛ لا سيما وهنّ محدّثات الليل ، كما قيل في المثل ؛ وكانت تكثر الشكوى من عائشة ، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلنَ إليها كلماتٍ عن عائشة ، ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلنَ إليها كلماتٍ عن فاطمة ، وكما كانت فاطمة تشكو إلى بعلها ، كانت عائشة تشكو إلى أبيها ، لعلمها أنَّ بعلَها لا يُشكِيها(٢) إليَ ابنته ، فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرٌ ما ، ثم تزايد تقريظُ رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام ، وتقريبه

(١) الكنة : امرأة الابن .
(٢) يقال : أشكى فلاناً ؛ إذا قبل شكواه.

واختصاصه ؛ فأحدث ذلك حسدا له وغبطة في نفس أبي بكر عنه ؛ وهو أبوهـا ، وفي نفس طلحة وهو ابن عمّها ، وهي تجلس إليهما ، وتسمع كلامهما ؛ وهما يجلسان إليها ويحادثانها ، فأعدى إليها منهما كما أعدتهما .

قال : ولست أبرّىء عليّاً عليه السلام من مثل ذلك ؛ فإنّه كان ينفَسُ عـلى أبي بكر* سكونَ النبيّ صلى الله عليه وآله إليه وثناءه عليه ، ويحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونـه ودون الناس أجمعـين ، ومن انحرف عن إنسـان انحرف عن أهله وأولاده ، فتـأكّدت البِغْضة بين هذين الفريقين . ثـم كان من أمر القذف ما كان ؛ ولم يكن عليٌّ عليه السلام من القاذفين ، ولكنّه كان من المشيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله بطلاقها ، تنزيهاً لعرضه عن أقوال الشَّنَأة والمنافقين .

قال له لما استشاره : إن هي إلاّ شِسْع نعلِك ، وقال لـه : سلِ الخـادم وخَوّفهـا وإن أقامت على الجحود فاضرِبْها ، وبلغَ عائشة هذا الكلام كلّه ، وسمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ، ونقل النساء إليها كلاماً كثيـراً عن عليّ وفـاطمة ، وأنهما قد أظهرا الشماتة جهاراً وسرّاً بوقوع هذه الحادثة لها ، فتفاقم الأمرُ وغَلُظ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالَحَها ورجع إليها ، ونزل القرآن ببراءتها ؛ فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قُهِر ، ويستظهر بعد أن غُلِب ، ويبرأ بعد أن اتُّهم ؛ من بسط اللسان ، وفَلَتاتِ القول ؛ وبلغ ذلك كلُّه عليّاً عليه السلام وفاطمة عليها السلام ، فاشتدّت الحال وغَلُظت ، وطوى كلٌّ من الفريقين قلبَه عَلَى الشنآن لصاحبه . ثـم كـان بينها وبين عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآلـه أحوال وأقـوال ؛ كلُّها تقتضي تهييج ما في النفوس ، نحو قولها له ـ وقد استدناه رسول الله ، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان : أما وجدتَ مقعداً لكذا ـ لا تكني عنه ـ إلاّ فخذِي ! ونحو ما روى أنّه سايره يوماً وأطال مناجـاته ؛ فجـاءت وهي سائـرة خلفهما حتى دخلت بينهـما ، وقالت : فيم أنتـما فقد أطلتما ! فيقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله غَضِب ذلك اليوم . وما روى من حديث الجَفْنة من الثريد التي أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها ؛ ونحو ذلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها .

ثم اتفق أنّ فاطمة وَلَدَت أولاداً كثيرة بنين وبنات ؛ ولم تلد هي ولداً ، وأنّ رسول الله

---

* ولا أدري كيف يَنفس السابق اللاحق ، وعلى ماذا ؟ وهل في قلب امير المؤمنين شيء من هذا ؟

صلى الله عليه وآله كان يُقيم بني فاطمة مقام بنيه ، ويسمّى الواحد منهما « ابني » ويقول : « دعوا لي ابني ولا تُزْرِموا[1] على ابني » ، و« ما فعل ابني ؟ » فما ظنُّك بالزوجة إذا حُرِمت الولد من البعل ، ثمّ رأت البعل يتبنّى بني ابنتِه من غيرها ، ويحنو عليهم حُنُوَّ الوالد المشفق ! هل تكون مُحِبَّةً لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم ، أم مبغِضة ! وهل تودّ دوامَ ذلك واستمرارَه ، أم زواله وانقضاءه !

ثم اتّفق أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سدّ باب أبيها إلى المسجد ، وفتح باب صهره ؛ ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ، ثم عزله عنها بصهره ، فقدح ذلك أيضاً في نفسها ، وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية ، فأظهر عليّ عليه السلام بذلك سروراً كثيراً ؛ وكان يتعصّب لمارية ، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلاً عَلَى غيرها ، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة ، فبرّأها عليّ عليه السلام منها ، وكشف بطلانها ، أو كشفه الله تعالى عَلَى يدِه ، وكان ذلك كشفاً محسّاً بالبصر ، لا يتهيّأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزّل ببراءة عائشة ، وكلّ ذلك مما كان يوغِرُ صدرَ عائشة عليه ، ويؤكّد ما في نفسها منه ، ثم مات إبراهيم فأبطنتْ شماتةً ، وإن أظهرت كآبة ، ووَجَم عليّ عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة ، وكانا يؤثران ، ويريدان أن تتميّز مارية عليها بالوَلد ، فلم يقدّر لهما ولا لمارية ذلك ؛ وبقيَت الأمور على ما هي عليه ، وفي النفوس ما فيها ، حتى مَرِض رسول الله صلى الله عليه وآله المرضَ الذي توفّي فيه ، وكانت فاطمة عليها السلام وعليّ عليه السلام يريدان أن يمرّضاه في بيتهما ، وكذلك كان أزواجه كلّهنّ ، فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبّة القلبية التي كانت لها دون نسائه ، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلَها في بيتهما ؛ فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه في بيت مَنْ يميل إليه بطبعه ، وعلم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداراة ، ونوم ويقظة وانكشاف ، وخروج حَدَث ، فكانت نفسه إلى بيته أسكَنَ منها إلى بيت صهره وبنته ، فإنه إذا تصوّر حياءهما منه استحيَا هو أيضاً منهما ؛ وكلّ أحدٍ يحبُّ أن يخلُوَ بنفسه ، ويحتشِم الصِّهر والبنت ، ولم يكن له إلى غيرها من الزّوْجات مثل ذلك الميل إليها ، فتمرّض في بيتها ، فغُبِطَت على ذلك ، ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل هذا المرض ؛ وإنما كان مرضه الشّقِيقة[2] يوماً أو بعض يوم ثم يبرأ ، فتطاولَ هذا المرضُ ؛ وكان عليّ عليه السلام لا يشكّ أنّ الأمر له ، وأنّه لا ينازعه فيه

(١) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٢٤ ، قال : « أي لا تقطعوا عليه بوله ؛ يقال : زرم الدمع والبول » .
(٢) الشقيقة : مرض يأخذ في نصف الرأس والوجه .

أحد من الناس ، ولهذا قال له عمّه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله : امْدُد يدَك أبايعك ، فيقول الناس : عمّ رسول الله صلى الله عليه و وسلم بايع ابنَ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يختلف عليك اثنان . قال : يا عمّ ، وهل يطمع فيها طامع غيري ! قال : ستعلم ، قال : فإني لا أحبّ هذا الأمر من وراء رتاج ، وأحبّ أن أُصْحِرَ به[1] . فسَكت عنه ، فلما ثقل[2] رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضِه ، أنفذ جيش أسامة ، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار ؛ فكان عليّ عليه السلام حينئذٍ بوصوله إلى الأمر ـ إن حدث برسول الله صلى الله عليه وآله حدث ـ أوثق ، وتغلّب على ظنه أنّ المدينة لو مات لخلتْ من منازع ينازعه الأمر بالكلّية ؛ فيأخذه صفواً عفواً ، وتتمّ له البيعة ، فلا يتهيّأ فسخها لو رام ضدّ منازعته عليها ، فكان ـ من عَوْدِ أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه ، وإعلامه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يموت ـ ما كان ، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف ، فنسب عليٌّ عليه السلام عائشة أنها أمرت بلالاً مولَى أبيها أنْ يأمره فليصلّ بالناس ؛ لأنّ رسول الله كما روي ، قال : « ليصلّ بهم أحدُهم » ، ولم يعيِّن ؛ وكانت صلاة الصبح ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في آخر رَمَقٍ يتهادَى بين عليّ والفضل بن العباس ؛ حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر ، ثم دخل فمات ارتفاع الضحى ، فجعل يومُ صلاته حُجَّةً في صرف الأمر إليه . وقال : أيّكم يَطيبُ نفساً أن يتقدّم قَدَمينْ قدّمهما رسول الله في الصلاة ؟ ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الصلاة لصرفه عنها ؛ بل لمحافظته على الصّلاة مهما أمكن ؛ فبويع عَلَى هذه النكتة التي اتّهمها عليّ عليه السلام على أنّها ابتدأت منها .

وكان عليّ عليه السلام يذكُر هذا لأصحابه في خَلَواته كثيراً ؛ ويقول : إنّه لم يقلْ صلى الله عليه وآله : « إنّكن لَصُوَيحبات يوسف » إلاّ إنكاراً لهذه الحال ، وغضباً منها ، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما ؛ وأنّه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب ؛ فلم يُجْدِ ذلك ، ولا أثّر ، مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهّد له قاعدة الأمر ؛ وتقرر حاله في نفوس الناس ومن اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار . ولما ساعد على ذلك من الحظ الفَلكي والأمر السماتي ؛ الذي جَمَع عليه القلوب والأهواء ، فكانت هذه الحال عند عليّ أعظم من كلّ عظيم ؛ وهي الطامّة الكبرى ، والمصيبة العظمى ؛ ولم ينسُبْها إلاّ إلى

---

(١) يقال : أصحر فلان بما في قلبه ، أي أظهره .

(٢) يقال : أصبح ثاقلاً ، أي مريضاً .

عائشة وحدَها ، ولا علّق الأمر الواقع إلاّ بها ؛ فدعا عليها في خلواتِه وبين خواصّه ، وتظلّم إلى الله منها ، وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور ؛ حتّى بايع ؛ وكان يبلغه وفاطمة عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفّيت فاطمة ، وهما صابران على مضضٍ ورَمَض[١] ، واستظهرت بولاية أبيها ، واستطالت وعَظُم شأنها ، وانخذل عليّ وفاطمة وقُهِرا ؛ وأخِذَت فَدَك ، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء ، وفي ذلك تبلّغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كلّ كلام يسوءها ، ويبلّغْنَ عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك ، إلاّ أنه شتّان ما بين الحاليْن ، وبعدما بين الفريقيْن ، هذه غالبة وهذه مغلوبة ، وهذه آمرة وهذه مأمورة ، وظهر التشفي والشماتة ، ولا شيء أعظم مرارة ومشقّة من شماتة العدوّ .

فقلت له ، رحمه الله : أفتقول أنت : إنّ عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعيّنْه ؛ فقال : أمّا أنا فلا أقول ذلك ؛ ولكن عليّاً كان يقوله ، وتكليفي غير تكليفه ، كان حاضراً ولم أكن حاضراً ، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي ، وهي تتضمن تعيين النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة ، وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها .

قال : ثم ماتت فاطمة ، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهنّ إلى بني هاشم في العزاء إلاّ عائشة ، فإنّها لم تأتِ ، وأظهرت مرضاً ، ونقل إلى عليّ عليه السلام عنها كلام يدلّ على السرور .

ثم بايع عليّ أباها فسرّت بذلك ، وأظهرت من الاستبشار بتمام البَيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا ، واستمرّتِ الأمور على هذا مُدّة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان ، والقلوب تغلي ، والأحقاد تذيب الحجارة ، وكلّما طال الزمان على عليّ تضاعفت همومه ، وباح بما في نفسه ، إلى أن قتِل عثمان وقد كانت عائشة فيها أشدّ الناس عليه تأليباً وتحريضاً ، فقالت : أبعده الله ! لمّا سمعت قتلَه ، وأمّلت أن تكون الخلافة في طلحة ، فتعود الإمْرة تيميّة كما كانت أوّلاً ، فعدل الناس عنه إلى عليّ بن أبي طالب ، فلما سمعت ذلك صرخت : واعثماناه ! قتِل عثمان مظلوماً ، وثار ما في الأنفس ، حتى تولّد من ذلك يوم الجمل وما بعده .

---

(١) الرمض : الغيظ الشديد.

هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رحمه الله*، ولم يكن يتشيّع ، وكان شديداً في الاعتزال ، إلاّ أنه في التفضيل كان بغدادياً .

فأما قوله عليه السلام : « ولو دُعِيَتْ لتنال من غيري مثل ما أتت إليّ ، لم تفعل » فإنه يعني به عمر ، يقول : لو أنّ عمر وُلِّيَ الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتِل عليه ، والوجهِ الّذي أنا وليت الخلافة عليه ، ونسِب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله ، أو يحرّض عليه ، ودعِيَتْ عائشة إلى أن تخرج عليه في عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام ، تثير فتنة وتنقض البيعة ـ لم تفعل ، وهذا حقّ ، لأنها لم تكن تَجِد على عمر ما تجد على عليّ عليه السلام ، ولا الحال الحال .

فأما قوله : « ولها ـ بعدُ ـ حُرْمتها الأولى ، والحساب على الله » ، فإنه يعني بذلك حُرْمَتها بنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله لها ، وحبه إياها ، وحسابها على الله ، لأنه غفور رحيم لا يتعاظم عفوه زلّة ، ولا يضيق عن رحمته ذنب .

فإن قلت : هذا الكلام يدلّ على توقّفه عليه السلام في أمرها ، وأنتم تقولون : إنَّها من أهل الجنّة ، فكيف تجمعون بين مذهبكم وهذا الكلام ؟

قلت : يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل أن يتواتر الخبرُ عنده بتوبتها ؛ فإنَّ أصحابنا يقولون : إنَّها تابت بعد قتل أمير المؤمنين وندمت ، وقالت : لوددْت أن لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة بنين ؛ كلّهم ماتوا ، ولم يكن يوم الجمل . وأنّها كانت بعد قتله تُثني عليه وتنشر مناقبَه ؛ مع أنهم رووا أيضاً أنها عَقِيب الجمل كانت تبكي حتى تبلّ خمارها ، وأنها استغفرت الله وندمت ؛ ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديثُ توبتها عَقِيب الجمل بلاغاً يقطع العذر ويثبت الحجة ؛ والذي شاع عنها من أمر الندم والتوبة شياعاً مستفيضاً ، إنّما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك ، والتائب مغفور له ، ويجب قبول

---

* لم نورد ما ذكره الشارح من كلام الشيخ أبي يعقوب اعتقاداً بصحة كل ما جاء فيه ، وإنما أردنا اثبات الضغن من أم المؤمنين على أمير المؤمنين ذلك لأن هناك من ينكر حتى هذا ، إذ لم يبتلِ الامام علي بخصومه بل ابتلي ايضاً بمن ينكر حتى هذه الخصومات وهو أمر مؤلم لمن وضع نفسه في ذلك الموضع ـ أي موضع الامام . هذا وإن اعتقادنا بعلي والزهراء عليهما السلام لا يستقيم معه ما اورده ابو يعقوب من حسد وتنافس صبياني هو بغيرهما اليق وعليهما محال لأنهما من الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وكذلك لانهم في الموضع الأعلى فمِمَ وعلامَ يحسدون من لا يدانيهم بفضل ، بل لا يحلم بذلك ؟

التوبة عندنا في العدل ، وقد أكّدوا وقوع التوبة ؛ منها ما روي في الأخبار المشهورة أنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الآخرة كما كانت زوجته في الدنيا ، ومثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلّف إثبات توبتها ولو لم ينقل ، فكيف والنقل لها يكاد أن يبلغ حد التواتر !

٢٥ ـ الخطبة ١٦٣

دفعه (ع) عن حقّه في الخلافة

ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه ، وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال عليه السلام :

يا أخا بَني أَسدٍ ، إنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ ؛ تُرْسِلُ في غَيْرِ سَدَدٍ ؛ ولَكَ بَعْدُ ذِمامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ؛ وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فاعْلَمْ .

أَمَّا الاسْتِبْدَادُ عَلَيْنا بِهذَا المَقامِ ، وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَالأَشَدُّونَ بالرَّسُولِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم نَوْطاً ، فَإِنَّها كانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْها نُفوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْها نُفُوسُ آخَرِينَ ؛ وَالحَكَمُ اللَّهُ ، والْمَعْوَدُ[1] إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيامَةِ .

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ   وَلَكِنْ حَدِيثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُّم الخَطْبَ في ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكائِهِ ؛ وَلاَ غَرْوَ وَاللَّهِ ؛ فَيا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ !

حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ؛ وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً ، فإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى ، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى : ﴿ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِم حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[2] .

---

(١) المعود ، بسكون العين وفتح الواو ، وكذا ضبطت في اللسان . وفي النهاية لابن الأثير : هكذا جاء « المعود » على الأصل ؛ وهو « مفعل » ، من عاد يعود ، ومن حق أمثاله أن تقلب واوه الفاً ، كالمقام والمراح ، ولكنه استعمله على الأصل .

(٢) سورة فاطر ٨.

الشرح :

الوضِين : بِطان الْقَتَب(١) ، وحزام السرج ؛ ويقال للرجل المضطرب في أموره : إنَّه لقَلِقُ الوضِين ، وذلك أنّ الوضِينَ إذا قلق ، اضطرب القَتَبُ أو الهودَجُ ، أو السَّرْج ومَنْ عَلَيه .

ويرسِل في غير سَدد ، أي يتكلّم في غير قصد وفي غير صواب ، والسَّدَدُ والاستداد : الاستقامة والصواب ، والسديد : الذي يصيب السَّدد ، وكذلك المُسِدّ . واستدّ الشيء ، أي استقام .

وذِمامة الصّهر ، بالكسر ؛ أي حرمته ، هو الذّمام ، قال ذو الرُّمة :

تَكُنْ عَوْجَةً يجزيكَها اللَّه عِنْدَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ بها الأجرَ أو تُقْضَى ذِمَامَةُ صَاحِبِ(٢)

ويروى : « ماتَّة الصِّهر » ، أيْ حرمته ووسيلته ، متّ إليه بكذا ، وإنَّما قال عليه السلام له : « ولك بعد ذِمامَة الصّهر » ؛ لأنّ زينب بنت جحش زوْج رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسَدِيّة ؛ وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صِبرة بن مرّة بن كثير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة . وأمّها أميّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهي بنت عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمصاهرة المشار إليها ، هي هذه .

ولم يفهم القطب الراونديّ ذلك ، فقال في الشرح : « كان أمير المؤمنين عليه السلام قد تزوّج في بني أسد » ولم يصِبْ ، فإنّ علياً عليه السلام لم يتزوّج في بني أسد البتّة . ونحن نذكر أولاده : أمّا الحَسَنُ والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكُبرى ، فأمّهم فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله(٣) . وأما محمّد فأمّه خَوْلة بنت إياس(٤)بن جعفر ، من بني حَنِيفة ، وأمّا أبو بكر وعبد الله ، فأمّهما ليلى بنت مسعود النَّهشليّة ، من تميم وأما عمر ورقيّة فأمهما سَبِيَّة من بني تَغْلِب ، يقال لها : الصَّهْباء ، سُبِيت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعيْنِ التمر . وأمّا يحيى وعون فأمهما أسماء بنت عُمَيْس الخثعمِيّة(٥) . وأمّا جَعفر

(١) البطان : حزام القتب ؛ وهو الذي يجعل تحت بطن الدابة ، والقتب : رحل صغير على قد السنام .

(٢) ديوانه ٥٤ .

(٣) في تاريخ الطبري : « ويذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسناً ، توفي صغيراً » .

(٤) في نسب قريش : « خولة بنت جعفر بن قيس » .

(٥) في إحدى روايات الطبري أنه أعقب منها يحيى ومحمد الأصغر .

والعباس وعبد الله وعبد الرحمن[1] فأمّهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كِلاب . وأمّا رملة وأمّ الحسن فأمّها أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفيّ ، وأما أمّ كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجُمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأمّ الكرام ونفيسة وأمّ سلَمة وأم أبيها[2] وأمامة بنت عليّ عليه السلام فهنّ لأمهات أولاد شتى ؛ فهؤلاء أولاده ، وليس فيهم أحدٌ من أسدِيّة ، ولا بلَغنا أنه تزوّج في بني أسَد ، ولم يولد له ، ولكن الراونديّ يقول ما يخطِر له ولا يحقّق .

وأما حقّ المسألة ، فلأن للسائل على المسئول حقّاً حيث أهّله لأن يستفيد منه .

والاستبداد بالشيء : التفرّد به . والنَّوْط : الالتصاق . وكانت أَثَرة ، أي استئثاراً بالأمر واستبداداً به ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله للأنصار : « ستلقوْنَ بعدي أَثَرَة » .

وشحّتْ : بخلت . وسَخَت : جادت ؛ ويعني بالنّفوس التي سَخَتْ نفسَه ، وبالنفوس التي شحّت ؛ أمّا على قولنا فإنه يعني نفوسَ أهل الشورى بعد مقتل عُمَر ، وأمّا على قول الإماميّة ، فنفوسَ أهلِ السّقيفةِ . وليس في الخبر ما يقتضي صَرْفَ ذلك إليهم*، فالأوْلَى أن يحملَ على ما ظهر عنه من تألّمه مِنْ عبد الرحمن بن عوف وميْله إلى عثمان .

ثم قال : إنّ الحكَم هو الله ، وإنّ الوقت الذي يعود النّاس كلّهم إليه هو يوم القيامة . وروى : « يومَ » بالنّصب على أنه ظرف والعامل فيه « المَعْوَد » ، على أن يكون مصدراً .

وأما البيتُ فهو لامرىء القيس بن حُجْر الكنديّ ، ورِوي أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام لم يستشهد إلاّ بصدرِه فقط وأتّمه الرواة .

ثم قال : « وهلّم الخطب » ، هذا يقوّي روايةَ منْ روى عنه أنّه عليه السلام لم يستشهد إلاّ بصدر البيت ، كأنّه قال : دع عنك ما مضى وهلمّ ما نحن الآن فيه من أمرِ معاوية ، فجعل ، « هلُمّ » ما نحن فيه من أمر معاوية قائماً مقام قول امرىء القيس .

وَلكِنْ حديثاً ما حدِيثُ الرَّواحِلِ

وهلمّ ، لفظ يستعمل لازماً ومتعدّياً ، فاللازم بمعنى « تعالَ » ، قال الخليل : أصله

---

(١) في الطبري ونسب قريش : « وعثمان » .

(٢) كذا في الأصول ، ولم نذكر في الطبري ، وزاد : « أم هانىء ورملة الصغرى » .

* وليس في الخبر كذلك ما يصرفه عنهم فَلِمَ المنافحة عن اهل السقيفة ؟ بل ان ذكر الامام لرابطته برسول الله (ص) يجعل المعنى على صرف الأمر منذ بدايته إذ أن الرابطة برسول الله (ص) تخصم اهل السقيفة كما تخصم اهل الشورى سواء بسواء.

« لمّ » من قولهم : لمّ الله شعثَه » أي جَمَعه ، كأنّه أراد « لُمّ نفسك إلينا » أي اجمعْها واقرُب مِنّا ، وجاءت « ها » للتنبيه قبلها ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وجعلت الكلمتان كلمة واحدة ؛ يستوي فيها الواحد والاثنان والجمع والمؤنث والمذكّر في لغة أهل الحجاز ، قال سبحانه : ﴿ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هلُمّ إِلَيْنَا ﴾[1] ، وأهل نجد يصرّفونها فيقولون للاثنين : « هلمّا » وللجمع : « هلمّوا » وعلى ذلك . وقد يوصل إذا كان لازماً باللام ، فيقال : هلمّ لك ، وهلمّ لكما ، كما قالوا : هَيْت لك ، وإذا قيل لك : هلُمّ إلى كذا أي تعال إليه ، قلت : لا أهَلُمّ مفتوحة الألف والهاء مضمومة الميم ، فأمّا المتعدية فهي بمعنى « هات » ، تقول : هلُمّ كذا وكذا ، قال الله تعالى : ﴿ هلُمَّ شُهَدَائَكُمْ ﴾[2] ، وتقول لمن قال لك ذلك : لا أهلّمه ، أي لا أعطيكه ، يأتي بالهاء ضمير المفعول ليتميّز من الأولى .

يقول عليه السلام : ولكن هات ذكر الخطب ، فحذف المضاف . والخطْب : الحادث الجليل : يعني الأحوال التي أدّت إلى أن صار معاوية منازعاً في الرياسة ، قائماً عند كثير من النّاس مقامه ، صالحاً لأنْ يقع في مقابلته ، وأن يكون ندّاً له .

ثم قال : « فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه » ، يشير إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدم مَنْ سلف عليه*، فلم يقنع الدّهر له بذلك، حتى جعل معاوية نظيراً له؛ فضحك عليه السّلام مما تحكُم به الأوقات ، ويقتضيه تصرّف الدّهر وتقلّبه ؛ وذلك ضَحِك تعجُّب واعتبار .

ثم قال : « ولا غَرْوَ والله » ، أي ولا عَجَب والله .

ثم فسَّرَ ذلك فقال : ياله خطباً يستفرغُ العجب ! أي يستنفده ويفنيه ، يقول : قد صار العجبُ لا عجبَ لأنّ هذا الخَطْب استغرق التعجّبَ ؛ فلم يبق منه ما يطلَق عليه لفظ التعجُّب ؛ وهذا مَن باب الإغراق والمبالغة في المبالغة ، كما قال أبو الطيب :

أسَفِي على أسفِي الّذي دَلَّهتِني عن علمه فَبِهِ عليّ خفاء[3]

---

(١) سورة الأحزاب ١٨ .

(٢) سورة الأنعام ١٥٠ .

* إن صدر البيت يسمي صرف الخلافة عنه نهباً وهي نفس الكلمة الواردة في الشقشقية (أرى تراثي نهباً) مما يجعل كلامه (ع) عاماً لكل من سبق كما قلنا أعلاه .

(٣) ديوانه ١ : ١٤ .

وشَكِيَّتِي فَقْدُ السقام لأنَّـهُ قد كَانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

وقال ابن هاني المغربيّ :

قَدْ سِرْتُ في الميدان يوم طِرَادِهِمْ فعجبتُ حَتى كدْتُ ألاَّ أعْجَبَا[1]

والأوَد : العوَج .

ثم ذكر تمالؤ قريش عليه ، فقال : حاول القوْمُ إطفاء نور الله من مصباحـه ، يعني ما تقدّم من منابذة طَلْحة والزبير وأصحابهما له ، وما شفع ذلك من معاوية وعمـرو وشيعتهما . وفوّار اليَنْبوع : ثقب البئر .

قوله : « وجدحوا بيني وبينهم شِرْباً »[2] ، أي خلطوه ومزجوه وأفسدوه .

والوبيء : ذو الوباء والمرض ؛ وهذا استعارة كأنّه جعل الحال التي كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم ، وجعلوها مَظِنّة الوباء والسَّقَم ، كالشرب الذي يخلط بالسمّ أو بالصَّبِر فيفسد ويوبىء .

ثم قـال : فـإن كشف الله تعـالى هـذه المِحَن التي يحصـل منهـا ابتـلاء الصـابـرين والمجـاهدين ، وحصـل لي التمكّن من الأمر ، حملتُهمْ عـلى الحقّ المحض الذي لا يمـازجُـه بـاطل ، كـاللبن المحْض الذي لا يخـالطه شيء من المـاء ، وإن تكُن الأخـرى ، أي وإنْ لم يكشف الله تعـالى هذه الغمّـة ومتّ أو قتلت ـ والأمور عـلى مـا هي عليـه من الفتنـة ودولـة الضلال ـ فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات ؛ والآية من القرآن العزيز[3] .

وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلويّ نقيب البصرة ، وقت قراءتي عليه ، عن هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العَلَويّـة منصفاً وافـر العقل ، فقلت له : مَنْ يعني عليه السلام بقولـه : « كانت أثَـرة شحَّت عليها نفـوس قوم ، وسَخَت عنهـا نفوس آخرين ؟ » ومَن القومُ الّذين عناهـم الأسديّ بقوله : « كيف دفعكم قـومكم عن هذا المقـام وأنتم أحقّ به » ؟ هـل المرادُ يـوم السقيفة أو يـوم الشورى ؟ فقـال : يوم السقيفـة ؟ فقلت : إنَّ نفسي لا تسامحني أن أنسُب إلى الصحابة عصيان رسـول الله صلى الله عليـه وآله ودفع النصّ. فقال : وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله إلى

(١) ديوانه ٨١ (طبعة المعارف) .

(٢) الشرب : النصيب من الماء .

(٣) سورة فاطر ٨.

إهمال أمر الإمامة ، وأنْ يتركَ النّاس فوضى سُدىً مهمَلين ؛ وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلاّ ويؤمِّر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها ، فكيف لا يؤمِّر وهو ميّت لا يقدر على استدراك ما يحدث !

ثم قال : ليس يشكّ أحدٌ من الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلاً كامل العقل ، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ؛ وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تامّ الحكمة ، سديد الرأي ، أقام ملّةَ ، وشرعَ شريعة ، فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره ؛ وهذا الرّجل العاقل الكامل يعرفُ طباع العرب وغرائزهم وطلبَهم بالثارات والذُّحول ؛ ولو بعد الأزمان المتطاولة . ويقتُل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر ، فلا يزال أهلُ ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه ؛ حتى يدركوا ثأرهم منه ؛ فإن لم يظفروا به قَتَلُوا بعضَ أقاربه وأهله ، فإنْ لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنينْ . والإسلام لم يُحِلْ طبائعهم ، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم ، والغرائز بحالها ، فكيف يتوهّم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وتَرَ العرب ، وعلى الخصوص قريشاً ، وساعدَهُ على سَفْك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابنُ عمِّه الأدنى وصهرُه ، وهو يعلم أنّه سيموت كما يموت الناس ، ويتركه بعدَه وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عندَه مَجْرى ابنيْن من ظَهْر ه حُنوّاً عليهما ، ومحبّةً لهما ، ويعدل عنه في الأمر بعده ، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه ، فيحقِنُ دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه ! ألا يعلمُ هذا العاقل الكامل ؛ أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهلَه سُوقَةً ورعيّة ؛ فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده ، بل يَكونُ هو عليه السلام هو الذي قتله ، وأشاط[1] بدمائهم ، لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم ؛ وإنّما يكونون مضغةً للآكل ، وفريسةً للمفترِس ، يتخطّفهم الناس ، وتبلُغ فيهم الأغراض ! فأمّا إذاجَعَل السلطان فيهم ، والأمر إليهم ؛ فإنّه يكون قد عَصَمهم وحَقَن دماءهم بالرّياسة التي يَصُولون بها ، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها . ومثل هذا معلوم بالتجرِبة . ألا ترى أنّ ملِك بغداد أو غيرها من البلاد لو قَتَل النّاس ووتَرَهم ، وأبقَى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ، ثم أهمل أمر ولده وذرّيته من بعده ، وفَسَح للنّاس أن يقيموا مَلِكاً من عُرْضِهم ، وواحداً منهم ، وجعل بنيه سوقَةً كبعض العامّة ، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم ، سريعاً هلاكهم ، ولَوثَب عليهم الناس ذوو الأحقاد والتِّرات من كلِّ جهة ،

(١) أشاط بدمائهم : أهدرها أو عمل أعلى هلاكها .

يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرَّد . ولو أنّه عَيّنَ ولداً من أولاده للملك ، وقام خواصّه وخدمه وخَوَلُه بأمره بعده ، لحُقنت دماء أهل بيته ، ولم تطلْ أحد من الناس إليهم لناموس الملك ، وأبّهة السلطنة ، وقوة الرياسة ، وحرمة الإمارة !

أفترى ذهب عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى ؛ أم أحبّ أن يُستأصل أهله وذرّيته من بعده ! وأين موضعُ الشَّفَقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة إلى قلبه !

أتقول : إنَّه أحبّ أن يجعلها كواحدةٍ من فقراء المدينة ، تتكفّفُ النـاس ، وأن يجعل عليّاً ، المكرّم المعظَّم عنده ، الذي كانت حاله معه معلومةً ، كأبي هريـرة الدَّوْسيّ وأنس بن مالك الأنصاريّ ، يحكِّم الأمراء في دمه وعرْضِه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع ، وعلى رأسه مائـة ألف سيف مسلول ؛ تتلظّى أكباد أصحـابها عليـه ، ويـودُّون أن يشـربُـوا دمـه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ؛ قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامَهم ، والعهدُ لم يُطلْ ، والقروح لم تتقرّف[1] ، والجروح لم تندمل !

فقلت له : لقد أحسنتَ فيما قلت ، إلاّ أن لفظه عليه السلام يدلّ على أنه لم يكن نصّ عليـه ، ألا تراه يقـول : « ونحنُ الأعلَون نسباً ، والأشَـدُّون بالـرسـول نَـوْطـاً » ، فجعـل الاحتجاج بالنَّسَب وشدّة القرْب ؛ فلو كان عليه نصّ ، لقال عِوَض ذلك : « وأنا المنصوص عليّ ، المخطوب باسمي » .

فقال رحمه الله : إنما أتاه من حيثُ يعلم ، لا من حيث يجهل ؛ ألا ترى أنـه سألـه ، فقال : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحقّ به ؟ فهو إنما سأل عن دفعهم عنه ؛ وهم أحقّ به من جهة اللُّحمة والعِتْرة ؛ ولم يكن الأسديُّ يتصوّر النّصّ ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لأنّه لو كان هذا في نفسه ، لقال له : لم دَفَعك النّاس عن هذا المقام ، وقد نصّ عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ولم يَقُل له هذا ، وإنما قال كلاماً عامّاً لبني هاشم كافّة : كيف دفعكم قومُكم عن هذا وأنتم أحقّ به ! أي باعتبار الهاشميّة والقربَى . فأجابه بجوابٍ أعـاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسدي بعينه ؛ تمهيداً للجواب ، فقال : إنّما فعلوا ذلـك مع أنّـا أقربُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنـا لأنّهم استأثـروا علينا ، ولـو قال لـه : أنا المنصوص عليّ ، والمخـطوب باسمِي في حيـاة رسول الله صـلى الله عليه وآلـه ، لما كـان قد أجابه ، لأنّه ما سأله : هل أنت منصوص عليـك أم لا ؟ ولا هل نصّ رسـول الله صلى الله

(١) تقرف الجرح : طلعت فوقه قشرة . أي شارف البرء

عليه وآله بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنّما قال : لم دَفَعكم قومُكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم ؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً ، فلو أخذ يصرّح له بالنص ، ويعرّفه بتفاصيل باطن الأمر لنَفَر عنه ، واتّهمه ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب إلى تصديقه ؛ فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس ؛ أن يجيب بما لا نُفْرة منه ، ولا مطعن عليه فيه .

٣٦ ـ الخطبة ١٧٣

حقّه في الخلافة ودعاؤه على قريش

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لاَ تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً .

منها :

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ يابْنَ أَبي طالِبٍ لَحَرِيص ؛ فَقُلتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ؛ وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ ؛ فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالحُجَّةِ فِي المَلإِ الحَاضِرِينَ ، هَبَّ كأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ؛ وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ، ثُمَّ قَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

الشرح :

هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جَرى يوم الشورى بعد مقتَل عمر . والذي قال له : « إنك على هذا الأمر لحريص » سَعْد بن أبي وقاص ، مع روايته فيه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ، وهذا عجب ؛ فقال لهم : بل أنتم والله أحرصُ وأبعد . . . الكلام المذكور . وقد رواه الناس كافة .

وقال الإماميّة : هذا الكلام يوم السقيفة ، والذي قال له : إنّك على هذا الأمر

لحريص ، أبو عبيدة بن الجراح ؛ والرواية الأولى أظهر وأشهر*.

وروى : « فلما قَرَعته » بالتخفيف ، أي صدمته بها .

وروى : « هبّ لا يدري ما يجيبني » ، كما تقول : استيقظ وانتبه ، كأنّـه كان غـافلاً ذاهلاً عن الحجة فهبّ لمّا ذكرتُها .

أستعديك : أطلب أن تُعْدِيَني عليهم وأنْ تنتصف لي منهم .

قطعوا رحِمي : لم يرعَوْا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وصغّروا عظيم منزلتي : لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه .

وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ، أي بالأفضليـة أنا أحقّ بـه منهم ؛ هكذا ينبغي أن يُتأوّل كلامه .

وكـذلك قـوله : « إنمـا أطلب حقّاً لي وأنتم تحـولون بيني وبينـه ، وتضـربـون وجهي دونه » .

قـال : « ثم قالـوا : ألاَ إنّ في الحقّ أن تأخُـذَه ، وفي الحقّ أن تتـركـه » ، قـال : لم يقتصروا على أخذِ حَقّي ساكتين عن الدَّعْـوى ، ولكنهم أخذوه وادّعُـوا أنّ الحقّ لهم . وأنه يجبُ عليّ أن أترك المنازعة فيه ؛ فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقّي ، فكانت المصيبة به أخفّ وأهون .

واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحوٍ من هذا القول ، نحو قوله : « ما زلتُ مظلوماً منذ قبضَ الله رسولَه حتى يوم النّاس هذا » .

وقوله : « اللهمّ أخزِ قريشاً فإنها منعتْني حقّي وغصبتْني أمري » .

وقوله : « فجزى قريشاً عنّي الجوازي ، فإنهم ظلموني حقّي ، واغتصبوني سلطان ابن امّي » .

وقوله : وقد سمع صارخاً ينادي : أنا مظلوم ، فقال : « هلمّ لنصرُخْ معاً ، فـإني ما زلتُ مظلوماً » .

وقوله : « وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى » .

وقوله : « أرى تراثي نهباً » .

---

* وقول الإماميّة أصح بدليل قوله (استعديك على قريش ومن أعانهم) ولم يكن ذلك العون إلاّ في السقيفة إذا اعانت الأنصار أبي بكر وحزبه . أما في الشورى فلم يكن فيها غير قريش .

وقوله : « أصغيا بإنائنا ، وحَمَلا الناس على رقابنا » .

وقوله : « إنّ لنا حقاً إن نُعْطَه نأخذه ، وإن نمنعَه نركب أعجاز الإبل ؛ وإن طال السُّرَى » .

وقوله : « ما زلت مستأثَراً عليّ ، مدفوعاً عمّا أستحقه وأستوجبه » .

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقّية ؛ وهو الحقّ والصواب ؛ فإنْ حمله على الاستحقاق بالنصّ تكفيرٌ أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار ؛ ولكنّ الإماميَّة والزيديّة حملوا هذه الأقوال على ظواهرها ، وارتكبوا بها مركباً صعباً . ولعمري إنَّ هذه الألفاظ مُوهِمةٌ مغلّبة على الظن ما يقوله القوم ؛ ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ*؛ ويدرأ ذلك الوهم ، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لا يجوز على الباريء ، فإنه لا نعمل بها ، ولا نعوّل على ظواهرها ، لأنّا لما تصفّحنا أدلّة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ ، وأن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب وحدثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية ، من ساكني قَطُفْتا[1] بالجانب الغربيّ من بغداد ، وأحد الشهود المعدّلين بها ، قال : كنت حاضراً مجلس الفخر إسماعيل بن عليّ الحنبليّ الفقيه المعروف بغلام ابن المنى ، وكان الفخر إسماعيل بن علي هذا ، مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف ؛ ويشتغل بشيء في علم المنطق ، وكانَ حُلْوَ العبارة ، وقد رأيته أنا وحضرت عنده ، وسمعت كلامه ، وتوفي سنة عشر وستمائة .

قال ابن عالية : ونحن عنده نتحدّث ؛ إذ دخل شخص من الحنابلة ، قد كان له دَيْن على بعض أهل الكوفة ، فانحدر إليه يطالبه به ، واتفق أن حضر زيارة يوم الغدير ، والحنبليّ

---

* ولا أدري اية احوال هذه التي عندما نتصفّحها نخرج من هذه النصوص الجليّة التي يفهمها الطفل الصغير ، ونتأولها تأويلات بعيدة الى غير ما اراد منها قائلها ، افنعذر الظالم ونتولّى المظلوم في آنٍ واحد انعذر الغاصب ونتولّى المغصوب في آنٍ واحد وهل عملوا ما عملوا جهلاً أو اجتهاداً ، كيف ذاك والامام يقول (انه ليعلم أن محلّي منها . . .) فهل العمل بغير ما تعلم اجتهاداً ام مخالفة ،ثم كيف يكون الإجتهاد نهباً كما يسميه الامام ، وهل النهب إلاّ مع سبق الاصرار . على انّ الأمر هو ان الشارح ومن على رأيه يتعبّدون بولاية الصحابة وإن خالفت الواضحات ومن هنا أُتي الرجل وامثاله . ذلك أن منهجهم لم يكن كما اوصىٰ امير المؤمنين ذلك الرجل الذي سأله عمن يتّبع يوم الجمل . فقال له (اعرف الحق تعرف أهله) وهو المنهج الحق .

(١) قطفتا ، بالفتح ثم الضم والفاء ساكنة وتاء مثناة والقصر : محلة بالجانب الغربي من بغداد ، بينها وبين دجلة أقل من ميل (مراصد الاطلاع) .

المذكور بالكوفة ؛ وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جُمُوعٌ عظيمة ؛ تتجاوز حدّ الإحصاء .

قال ابن عالية : فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص : ما فعلت ؟ ما رأيت ؟ هل وصل مالُكَ إليك ؟ هل بقيَ لك منه بقية عند غريمك ؟ وذلك يجاوبه ؛ حتى قال له : يا سيّدي لو شاهدتَ يوم الزيارة يوم الغدير ، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جِهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة ! فقال إسماعيل : أيّ ذنب لهم ! والله ما جرّأهم على ذلك ، ولا فَتح لهم هذا الباب إلاَّ صاحب ذلك القبر . فقال ذلك الشخص : وَمَنْ صاحب القبر ؟ قال : عليّ بن أبي طالب ! قال : يا سيدي ، هو الذي سنّ لهم ذلك ، وعلّمهم إياه وطرّقهم إليه ! قال : نعم والله ، قال : يا سيِّدي فإن كان محقاً فمالنا أن نتولّى فلاناً وفلاناً ! وإن كان مبطلاً فمالنا نتولاه ! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما .

قال ابن عالية : فقام إسماعيل مسرعاً ، فلبس نعليْه ، وقال : لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ، ودخل دار حرمه ، وقمنا نحن وانصرفنا .

٣٧ - الخطبة ١٧٦
معرفته (ع) بالأمور الغيبية

منْ خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاس غَيْرُ الْمَغْفُول عَنْهمْ، وَالتَّارِكُونَ ، وَالمَأخُوذُ مِنْهُمْ . . .

منها :

وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أن أُخبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بمَخْرَجِهِ وَمَوْلجِهِ وَجَمِيع شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ؛ وَلَكِن أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فيَّ برَسُولِ اللَّهِ صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . ألاَ وَإِنّي مُفْضِيهِ إِلى الخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، واصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إلاَّ صَادِقاً ؛ وَلَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلّهِ وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجى مَنْ يَنْجُو ، وَمَآل هَذَا الأَمْرِ ؛ وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأسِي إلاّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ .

الشرح :

ثم خرج عليه السلام من هذا الفنّ* إلى فنّ آخر ، فأقسم أنّه لو شاء أن يخبر كلّ واحد منهم من أين خرج ، وكيفية خروجه من منزله ، وأين يلج ، وكيفيّة ولوجه ؛ وجميع شأنه من مطعمه ومشربه ، وما عزم عليه من أفعاله ، وما أكله ، وما ادّخره في بيته ، وغير ذلك من شؤونه وأحواله ، لفعل .

وهذا كقول المسيح عليه السلام : ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[1] .

قال : إلّا أني أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ أيْ أخاف عليكم الغلوّ في أمري ، وأن تُفَضِّلُوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بل أخاف عليكم أن تدّعوا فيّ الإلّهية ، كما ادّعت النصارى ذلك في المسيح لمّا أخبرهم بالأمور الغائبة .

ثم قال : « ألاَ وإنّي مُفْضِيه إلى الخاصّة » أي مفض به ومودعٌ إياه خواصَّ أصحابي وثقاتي الذين آمنُ منهم الغلوّ ، وأعلم أنّهم لا يكفرون فيّ بالرسول صلى الله عليه وسلم لعلمهم أنَّ ذلك من إعلام نبوّته ، إذ يكون تابع من أتباعه ، وصاحب من أصحابه بلغ إلى هذه المنزلة الجليلة .

ثم أقسم قَسماً ثانياً أنَّه ما ينطق إلَّا صادقاً ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد بذلك كلّه إليه ، وأخبره بمهلِك مَنْ يهلِك من الصحابة وغيرهم من الناس ؛ وبنجاةِ مَنْ ينجو ، وبمآلِ هذا الأمر - يعني ما يفضي إليه أمر الإسلام وأمر الدولة والخلافة - وأنّه ما ترك شيئاً يمرّ على رأسه عليه السلام إلَّا وأخبره به وأسرّه إليه .

فصل في ذكر بعض أقوال الغلاة في عليّ

واعلم أنه غيرُ مستحيل أن تكون بعض الأنفُس مختصّةً بخاصيّة تدرِك بها المغيّبات ؛ وقد تقدّم من الكلام في ذلك ما فيه كفاية ، ولكنْ لا يمكنُ أن تكون نفس تدرك كلّ المغيّبات ؛ لأنّ القوة المتناهية لا تحيط بأمورٍ غير متناهية ؛ وكلّ قوّة في نفس حادثة فهي متناهية ؛ فوجب أن يحمَلَ كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ، لا على أن يريد به عموم العالِميّة

---

* ويقصد ما تقدّم من الخطبة .

(١) سورة آل عمران ٤٩ .

بل بعلم أموراً محدودة من المغيّبات ؛ مما اقتضت حكمة الباريء سبحانه أن يؤهّله لعلمه ، وكذلك القول في رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه إنّما كان يعلم أموراً معدودة لا أموراً غير متناهِية ؛ ومع أنّه عليه السلام قد كَتم ما علِمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد كفر كثير منهم ، وادّعوا فيه النبوّة ، وادّعوْا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة ، وادعوا فيه أنّه هو كان الرسول ؛ ولكنّ المَلَك غلط فيه ؛ وادّعوا أنه هو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى الناس ، وادّعَوا فيه الحلول ، وادّعوا فيه الاتحاد ، ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلالة فيه إلاّ وقالوه واعتقدوه*.

جملة من إخبار علي بالأمور الغيبية

وقد ذكرنا فيما تقدّم من إخباره عليه السلام عن الغيوب طرفاً صالحاً ، ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قولُه في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم ، وهو يشير إلى القَرامطة[1] :

« ينتحلُون لنا الحُبّ والهوى ، ويضمِرُون لنا البغضَ والقِلى . وآية ذلك قتلهم ورّاثنا ، وهجرهم أحداثنا » .

وصحّ ما أخبَر به ؛ لأن القرامِطة قتلتْ مِن آل أبي طالب عليه السلام خلْقاً كثيراً ؛ وأسماؤهم مذكورة في كتاب « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهانيّ .

ومر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابيّ في جيشه بالغَرِيّ[2] وبالحاير[3] ؛ فلم يعرّج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف .

وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة : كأنّي

---

* ثم ذكر الشارح أبيات شعرية لبعض شعراء هؤلاء الكافرين امتنعنا من ذكرها لأنها كفر صراح تقشعر منه الأبدان فلعنة الله عليهم .

(1) يرجع مذهب القرامطة الى كبيرهم الحسن بن بهرام الجنابي أبو سعيد ؛ كان دقاقاً من أهل جنابة بفارس ، ونفى منها ، فأقام في البحرين تاجراً ، وجعل يدعو العرب إلى نحلته ، فعظم أمره ؛ فحاربه الخليفة مظفر الحسن وصافاه المقتدر العباسيّ ؛ وكان أصحابه يسمونه السيد . استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين ؛ وكان شجاعاً ؛ داهية ، قتله خادم له صقلي في الحمام بهجر ، مات سنة ٣٠١ وانظر تاريخ ابن الأثير .

(٢) الغري ، واحد الغريين ؛ وهما بناءان كالصومعتين ؛ كانا بظهر الكوفة ، قرب قبر علي عليه السلام (مراصد الاطلاع).

(٣) الحاير ، بعد الألف ياء مكسورة ؛ موضع قبر الحسين عليه السلام . ذكره ياقوت .

بـالحجر الأسـود منصوبـاً هاهنـا . ويْحَهم . إن فضيلتَه ليست في نفسـه ، بل في مـوضعـه وأسُسه ، يمكث هاهنا برهة ، ثم هاهنا برهة ـ وأشار إلى البحرين ـ ثم يعود إلى مأواه ، وأمّ مثواه .

ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام .

وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم ، فوجدتها تشتمل عـلى ما يجـوز أن ينسب إليه وما لا يجوز أن ينسب إليه ، ووجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً ؛ وهذه المواضع التي أنقلهـا ليست من تلك الخطب المضـطربة ، بـل من كلامٍ لـه وجدتُـه متفرّقـاً في كتب مختلفة ؛ ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه ، وهو يخطب عـلى المنبر ويقول : « سلوني قبل أن تفقدوني ؛ فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة ، أو تهدى مائة إلّا نبّأتكم بناعقها وسائقهـا ، ولو شئت لأخبـرتُ كلّ واحـدٍ منكم بمخرجـه ومدخله وجمـع شأنه » . فقال : فكم في رأسي طاقة شعر ؟ فقال له : أما والله إنّي لأعلم ذلك ؛ ولكن أين برهانه لو أخبرتك به ! ولقد أخبرتك بقيامك ومقالِكَ . وقيل لي إنّ على كلّ شعرة من شعر رأسك ملكاً يعلنك وشيطاناً يستفزّك ، وآيةُ ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ويحضّ على قتله .

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام ، كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع اللّبن ، ثم عاش إلى أن صار على شُرْطـة عبيد الله بن زيـاد ، وأخرجـه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليـه السلام ويتـوعّده عـلى لسانـه إن أرجأ ذلك ، فقتِل عليه السلام صَبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته .

ومن ذلك قوله عليه السلام للبَراء بن عازب يوماً : يا براء ، أيقْتَل الحسين وأنت حيّ فلا تنصره ! فقال البَرَاء : لا كان ذلك يا أمير المؤمنين !
فلما قتِل الحسين عليه السلام كان البَراء يذكر ذلك ؛ ويقول : أعظِم بها حَسْرة ! إذْ لم أشهده وأقتل دونه !

وسنذكر من هذا النَّمَط ـ فيما بعد إذا مررنا بما يقتضي ذكره ـ ما يحضرنا إن شاء الله*.

---

* راجع بعض ما أخبر به أمير المؤمنين من الملاحم في شرح الخطبة رقم ٩٢ التي اوردناها بتسلسل ١٥ .

٢٨ ـ الخطبة ١٧٧

موضعه (ع) في الأمة

قال عليه السلام :

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ؛ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ الله . . .

منها :

أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ . أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِي قَدْ تَوَرَّدَ .

الشرح :

ثم ذكر أنّه شاهد لهم ، ومحاجّ يوم القيامة عنهم ؛ وهذا إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[1] .

وحجيج : فعيل بمعنى « فاعل » ، وإنّما سمّى نفسه حجيجاً عنهم ؛ وإن لم يكن ذلك الموقف موقف مخاصمة ؛ لأنّه إذا شهد لهم ، فكأنّه أثبت لهم الحجّة ، فصار محاجّاً عنهم .

قوله عليه السلام : « ألَا وإنَّ القَدَر السابق قد وقع » ، يشير به إلى خلافته .

وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد قتل عثمان ؛ وفي هذا إشارة إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبره أنّ الأمر سيُفضي إليه منتهى عمره ، وعند انقضاء أجله .

٢٩ ـ الخطبة ١٨٣

اثبات الوصيّة

ومن خطبة له عليه السلام :

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِيِّ ، قالَ خَطَبَنا . . .

فقالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إلَيْهِ مَصائِرُ الْخَلْقِ . . .

منها :

---

(١) سورة الاسراء ٧١.

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ .

الشرح :

بثثتُ لكم المواعظ : فرّقتُها ونشرتُها . والأوصياء : الذين يأتمنُهم الأنبياء على الأسرار الإلٓهية ؛ وقد يمكن ألّا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة والولاية ، فإنّ مرتبتهم أعْلَى من مراتب الخلفاء*.

٣٠ ـ الخطبة ١٩٥

هضم القوم حق الزهراء (ع)

ومن كلام له عليه السلام :

روى عنه أنه قاله عند دفن سيِّدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي بِه رسول الله صلى الله عليه وسلّم عند قبرِهِ .

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي ، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ . .

منها :

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِها . فأحْفِها السُّؤَالَ ، وَاسْتَخْبِرْها الحالَ هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ .

الشرح :

أما قول الرضى رحمه الله : « عند دفن سيدة النساء » ، فلأنه قد تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : « فاطمة سيدة نساء العالمين » إمَّا هذا اللفظ بعينه ، أو لفظ يؤدّي هذا المعنى ، روى أنه قال وقد رآها تبكي عند موته : « ألا ترضينْ أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمة ! » . وروى أنه قال : « سادات نساء العالمين أربع : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران » .

قوله عليه السلام : « وستنبئك ابنتُك » ، أي ستعلمك .

---

* بل هم الخلفاء إذ ان وصيّ الانسان هو الذي يقوم بأموره اي بما أوصى إليه به بعد موته ، وهل هناك اعظم خطراً من الخلافة والأمرة والحكم لكي تصرف عن الوصي ؟ أما قول الشارح بان مرتبة الأوصياء أعلى من مرتبة الخلفاء فهو ادّعاء بلا برهان . وعلى اية حال فقد تم ذكر قضية الوصية الى علي (ع) فلتراجع .

فأحفها السؤال ، أي اسْتقص في مسألتها ، واستخبرها الحال ، أحفيت إحفاءً في السؤال : استقصيت ، وكذلك في الحجاج والمنازعة ، قال الحارث بن حِلّزة :

إنّ إخـوانـنـا الأراقم يَغْلُو   ن علينا في قِيلهمْ إحفاءُ(١)

ورجل حفيّ ، أي مستقص في السؤال .

واستخبِرْها الحال ؛ أي عن الحال ، فحذف الجار ، كقولك : اخترت الرجال زيداً أي من الرجال ، أي سَلْها عمّا جرى بعدك من الاستبداد بعقد الأمر دون مشاورتنا ولا يدلّ هذا على وجود النصّ ، لأنه يجوز أن تكون الشكوى والتألّم من اطّراحهم وترك إدخالهم في المشاورة ، فإنّ ذلك ممّا تكرهه النفوس وتتألّم منه ، وهجا الشاعر قوماً ، فقال :

وَيُقْضَى الأمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ   وَلاَ يُسْتـأذَنُونَ وَهُمْ شُهُـود(٢)

قوله : « هذا ولم يَطُل العهد ، ولم يخلُق الذّكر » أي لم ينس .

فإن قلت : فما هذا الأمر الذي لم ينسَ ولم يخلُق ، إن لم يكن هناك نصّ ؟

قلت : قوله صلى الله عليه وآله : « إنّي مخلّف فيكم الثّقلين » ، وقوله : « اللّهمّ أدِر الحقّ معه حيث دار » ، وأمثال ذلك من النصوص الدالّة على تعظيمه وتبجيله ومنزلته في الإسلام ، فهو عليه السلام كان يريد أن يؤخّر عَقْد البيعة إلى أن يحضر ويُستشار ، ويقع الوفاق بينه وبينهم ، على أن يكون العَقْد لواحدٍ من المسلمين بموجبه ، إمّا له أو لأبي بكر ، أو لغيرهما ، ولم يكن ليليقَ أن يبرم الأمر وهو غير حاضر له ، مع جلالته في الإسلام ، وعظيم أثره ، وما ورد في حقّه من وجوب موالاته والرجوع إلى قوله وفعله ، فهذا هو الذي كان ينقِم عليه السلام*، ومنه كان يتألّم ويُطِيل الشّكوى ، وكان ذلك في موضعه . وما أنكَر إلاّ منكَراً . فأمّا النصّ فإنّه لم يذكره عليه السلام ، ولا احتجّ به ، ولما طال الزمان صَفَح عن ذلك الاستبداد الّذي وقع منهم ، وحضر عندهم فبايعهم ، وزال ما كان في نفسه**

---

(١) المعلقات بشرح التبريزي ٢٤٥ . يغلون ؛ أي يرتفعون ، والإحفاء : الاستقصاء .

(٢) لجرير ، من قصيدة له في ديوانه ١٦٠ ـ ١٦٦ ، يهجو فيها التيم ، قبيل عمر بن لجأ . وشهود ، أي حاضرون .

* وهذا لوحده اي عدم انعقاد أي امر مهما كان بلا رضا الامام والرجوع إليه ينقض كل ما شادوه .

** لا أدري بماذا أستنتج الشارح زوال ما كان في نفس الامام من بيعتهم الفلتة التي ما وقى الله شرها ، ابخطبته الشقشقية أم بتذكيره الناس ببيعة الغدير يوم الرحبة في الكوفة ام بغيرها من الكثير الكثير من الكلام والرسائل التي ينظلم فيها ويشتكي منها الخطبة التالية .

فإن قلت : فهل كان يسوغُ لأبي بكر ، وقد رأى وثوبَ الأنصار على الأمر أن يؤخّر إلى أن يخرج عليه السلام ويحضر المشورة ؟

قلت : إنّه لم يلمْ أبا بكر بعينه ، وإنّما تألّم من اسْتبداد الصّحابة بالأمر دون حضوره ومشاورته . ويجوز أن يكون أكثر تألّمه وعتابه مصروفاً إلى الأنصار الذين فتحوا باب الاستبداد ، والتغلّب .

٣١ - الخطبة ٢١١
مع قريش عندما صرفوا الأمر عنه وهو احق به

ومن كلام له عليه السلام :

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ؛ وَأَكْفَئُوا إنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلاَ إنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .

فَنَظَرْتُ فَإذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ ، إلاَّ أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ .

قَالَ الرَّضِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَدْ مَضَى هذا الْكَلاَمُ في أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، إلاَّ أَنّي ذَكَرْتُهُ هاهنا لاخْتلاف الرِّوَايَتَيْن .

الشرح :

العدوى : طلبك إلى والٍ ليُعدبك على مَنْ ظلمك ، اي ينتقم لك منه ، يقال : استعديتُ الأميرَ على فلان فأعداني ، أي استعنت به عليه فأعانني .

وقطعوا رحمي . وقطعوا قرابتي ، أي أجروني مجرى الأجانب ويجوز أن يُريد أنّهم عدّوني

كالأجنبيّ من رسول الله صلى الله عليه وآله . ويجوز أن يريد أنّهم جعلوني كالأجنبيّ منهم ؛ لا ينصرونه ، ولا يقومون بأمره .

واكفئوا إنائي : قلبوه وكبّوه ، وحذْف الهمزة من أوّل الكلمة أفصح وأكثر ، وقد روى كذلك ، ويقال لمن قد أضيعت حقوقه : قد أكفأنا إناءَهُ ؛ تشبيهاً بإضاعة اللبن من الإناء .

وقد اختلفت الرواية في قوله : « ألا إنَّ في الحقّ أن تأخذه » ، فرواها قوم بالنون ، وقوم بالتاء . وقال الراوندي : إنها في خطّ الرضيّ بالتاء . ومعنى ذلك أنّك إن وليت أنت كانت ولايتُك حقّاً ، وإن وُلِّي غيرُك كانت ولايته حقاً ، على مذهب أهل الاجتهاد . ومن رواها بالنون ، فالمعنى ظاهر .

والرافدين : المعين . والذابّ : الناصر .
وضننت بهم : بخلت بهم . وأغضيت على كذا : صَبَرت .
وجرِعت بالكسر . والشّجا : ما يعترض في الحلْق .
والوخز : الطعن الخفيف ، وروى « من حزّ الشفار » والحزّ : القطع .
والشِّفار : جمع شفْرة ، وهي حدّ السيف والسكّين .

واعلم أن هذا الكلام قد نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه ، ويجري مجراه ، ولم يؤرَّخ الوقت الذي قاله فيه ، ولا الحال التي عَناها به ، وأصحابنا يحملون ذلك على أنّه عليه السلام قاله عَقِيب الشّورى وبيعة عثمان*، فإنه ليس يرتاب أحدٌ من أصحابنا عَلَى أنّه تظلّم وتألّم حينئذٍ .

ويكره أكثر أصحابنا حملَ أمثال هذا الكلام على التألّم من يوم السقيفة .

ولقائل أن يقول لهم : أتقولون إنَّ بيعة عثمان لم تكن صحيحة ؟ فيقولون : لا ، فيقال لهم : فعلَى ماذا تحملون كلامه عليه السلام ، مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله ؟ فيقولون : نحملُ ذلك على تألّمه وتظلّمه منهم إذ تركوا الأوْلَى والأفضل . فيقال لهم : فلا تكرهوا قولَ مَنْ يقولُ من الشّيعة وغيرهم : إنَّ هذا الكلام وأمثاله صدرَ عنه عقِيب السقيفة ، وحملوه على أنّه تألم وتظلّم من كونهم تركوا الأوْلى والأفضل ، فإنكم لستم تنكرون أنّه كان الأفضلَ والأحقّ بالأمر ، بل تعترفون بذلك ، وتقولون : ساغت إمامة غيره ، وصحّت لمانع

* بل هو بعد السقيفة أو عنى به السقيفة ، وقد ناقشنا ذلك فيما تقدم .

كان فيه عليه السلام ، وهو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لا تطيعه ، فإنه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن وليَ الخلافة لأسباب يذكرونها ، ويعدُّونها ، وقد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السّقيفة تألّم وتظلّم ، واستنجد واستصرخ ، حيث ساموه الحضور والبيْعة ، وأنّه قال وهو يشير إلى القبر : ﴿ يَـٰابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾[1] وأنّه قال : واجعفراه ! ولا جعفر لي اليوم ! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم !

وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدّم ، وكلّ ذلك محمول عندنا على أنّه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة ، وليس بدالٍّ عندنا على وجود النصّ* ، لأنه لو كان هناك نصّ لكان أقلّ كلفةً وأسهلَ طريقاً ، وأيسرَ لِمَا يريد تناولاً أن يقول : يا هؤلاء إنَّ العهد لم يَطُلْ ، وإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أمرَكم بطاعتي ؛ واستخلفني عليكم بعده ، ولم يقع منه عليه السلام بعدما علمتموه ونصّ ينسخ ذلك ، ولا يرفعه ، فما الموجب لتركي ، والعدول عني !

فإن قالت الإمامية : كان يخاف القتل لو ذكر ذلك ، قيل لهم : فهلا يخاف القتل وهو يعتلّ ويدفع ليبايع ، وهو يمتنع ، ويستصرخ تارة بقبر رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وتارة بعمّه حمزة وأخيه جعفر ـ وهما ميتان ـ وتارة بالأنصار ، وتارة ببني عبد مناف ، ويجمع الجموع في داره ، ويبثّ الرسل والدّعاة ليلاً ونهاراً إلى الناس ، يذكّرهم فضله وقرابته ، ويقول للمهاجرين : خَصَمْتُمْ[2] الأنصار بكونكم أقربَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأنا أخصِمكم بما خَصَمْتُم به الأنصار ، لأنّ القرابة إن كانت هي المعتبرة ، فأنا أقربُ منكم .

وهلَّا خاف من هذا الامتناع ، ومن هذا الاحتجاج ، ومن الخلوة في داره بأصحابه ، ومِنْ تنفير الناس عن البيعة التي عقدت حينئذٍ لمن عقدت له !

وكلّ هذا إذا تأمّله المنصِف علم أنّ الشيعة أصابتْ في أمرٍ ، وأخطأت في أمرٍ ، أمّا الأمرُ الذي أصابت فيه فقولها : إنه امتنع وتلكّأ ، وأراد الأمر لنفسه ، وأمّا الأمرُ الذي أخطأت فيه ، فقولُها : إنه كان منصوصاً عليه نصّاً جليّاً بالخلافة ، تعلمُه الصّحابة كلّها أو أكثرها ، وإنّ ذلك النّصّ خولف طلباً للرئاسة الدنيويّة ، وإيثاراً للعاجلة . وإنّ حال

(١) سورة الأعراف ١٥٠ .

* وقد ناقشناه فيما تقدم من هامش الخطبة ١٧٣ .

(٢) خصمكم الأنصار : غلبوكم .

المخالفين للنصّ لا تعدُو أحدَ أمرين : إمّا الكفر أو الفسق ، فإنَّ قرائن الأحوال وأماراتها لا تدلّ على ذلك ، وإنّما تدلّ وتشهد بخلافه ، وهذا يقتضي أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الأمر يظنّ أن العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة ، وأنّه لم يقصَدْ به إلاّ صرفُ الأمرِ عنه ، والاستئثار عليه ، فظهر منه ما ظهر من الامتناع والقعود في بيته ، إلى أن صحَّ عنده ، وثبت في نفسه ، أنهم أصابوا فيا فعلوه*، وأنّهم لم يميلوا إلى هوىً ، ولا أرادوا الدنيا ، وإنّما فعلوا الأصلح في ظُنونهم ، لأنه رأى من بغض الناس له ، وانحرافِهم عنه ، وميلهم عليه ، وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم ، واحتدام النيران التي كانتْ في قلوبهم ، وتذكّروا الترات التي وَتَرَهم فيما قبل بها ، والدماء التي سفكها منهم ، وأراقها .

وتعلّل طائفة أخرى منهم للعدول عنه بصغَر سنّه ، واستهجانهم تقديمَ الشّباب على الكهُول والشيوخ .

وتعلّل طائفة أخرى منهم بكراهيَة الجمع بين النبوّة والخلافة في بيت واحد ، فيجفَخُون(١) على الناس كما قاله من قاله . واستصعاب قوم منهم شكيمته وخوفهم تعدّيه وشدته ، وعلمهم بأنّه لا يداجِي ولا يحابي ، ولا يراقب ولا يجامل في الدّين ، وأن الخلافة تحتاج إلى مَنْ يجتهد برأيه ، ويعمل بموجب استصلاحه ، وانحراف قوم آخرين عنه ،للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لشدة اختصاصه له ، وتعظيمه إياه ، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالّة على رفعة شأنه وعلو مكانه ، وما اختصّ به من مصا هرته وأخوّته ، ونحو ذلك من أحواله معه ، وتنكّرُ قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجْب والتيه ، كما زعموا ، واحتقاره العرب ، واستصغاره الناس كما عددوه عليه ، وإن كانوا عندنا كاذبين ، ولكنّه قولٌ قيل ، وأمر ذكر ، وحال نسبت إليه ، وأعانهم عليها ما كان يصدرُ عنه من أقوال تُوهم مثل هذا ، نحو قوله : « فإنا صنائعُ ربّنا ، والناس بعد صنائع لنا » ، وما صحّ به عنده أنّ الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً ، ولا ينتظم ولا يعمّر ، وأنه لو ولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقاً يكون فيه استئصال شأفة الإسلام وهدم أركانه ، فأذعن بالبَيْعة ، وجنحَ إلى الطاعة وأمسك عن طلب الإمْرة ، وإن كان على مَضَض ورَمَض .

وقد روى عنه عليه السلام أنّ فاطمةَ عليها السلام حَرّضته يوماً على النهوض والوثوب فسمع صوتَ المؤذّن : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، فقال لها : أيسرّك زوال هذا النداء من

* وهذا كلام بلا بيّنة ولا برهان .

(١) يجفخون : يفخرون ويتكبرون .

الأرض ! قالت : لا ، قال : فإنَّه ما أقول لك*.

وهذا المذهب هـو أقصَدُ المـذاهب وأصحّها ، وإليـه يذهب أصحـابنا المتـأخّرون من البغداديين ، وبه نقول .

واعلم أنّ حال عليّ عليه السلام في هذا المعنى أشهرُ من أن يحتاج في الدّلالة عليها إلى الإسهاب والإطناب ، فقد رأيت انتقاضَ العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخـلافة بعـد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسٍ وعشرين سنة ، وفي دون هذه المدّة تُنسَى الأحقاد ، وتموت التّرات ، وتبرُد الأكباد الحامية ، وتسلُو القلوب الواجدة ، ويعدَم قرْنٌ من النـاس ، ويوجد قَرْن ، ولا يبقى من أرباب تلك الشّحناء والبغـضاءَ إلاَّ الأقلّ ، فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليـه يوم وفـاة ابنِ عمّه صـلى الله عليه وآله ، من إظهار ما في النفوس ، وهَيَجـان ما في القلوب ، حتى إنَّ الأخـلافَ من قريش ، والأحداث والفتيان الّذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أ سـلافهم وآبائهم ، فعلوا بـه ما لـو كانت الأسلاف أحياء لقصّرت عن فعله ، وتقاعست عن بلوغ شأوِه ، فكيف كـانت تكُون حاله لو جلس على مِنْبَر الخلافة ، وسيفه بعد يقطُر دماً من مهج العرب ، لا سيما قريش الذين بهم كـان ينبغي ـ لو دهمـه خطب ـ أن يعتضـد ، وعليهم كان يجب أن يعتمـد ! إذن كانت تدرُس أعلام الملّة وتنعفِي رسومُ الشريعة ، وتعود الجاهليّة الجهلاء على حـالها ، ويفسُـد ما أصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد ، فكان من عناية الله تعالى بهذا الدّين أنْ ألهم الصحابة ما فعلوه ، والله مُتمّ نوره ولو كره المشركون** .

---

* وفي هذا الحديث جلاء للأمر ، لمن امعن النظر .

** يحق للمرء هنا أن يعجب وأي عجب ، أن يصبح الأمر ونقيضه الهام من الله ، كل ذلك لنخرج المسؤولين عنه من تبعته ، فإذا كان ذلك هو الحال ، فَلِمَ لا نرجع كل شيء إليه سبحانه وننتهي من النقاش ؟ ثم لماذا يفضل الله تعالى إنساناً ويقدمه على الأمّة ثم يلهم الآخرين بأن يضربوا بأفضليته عرض الحائط ، لِمَ لا يمكن الله تعالى ، هذا الفاضل وهو القادر على كل شيء ؟ هذا إن قلنا بالأفضلية ولم نقل بوجود نص على أن الحال كمـا رواه الشارح من حقد وحسد وإحَن وتِرات ، ولكن بيعتهم ليست على ما حكاها من كونها الهام من الله بزعمه ذلك لأن الملْهَمِين هم انفسهم اصحاب الحسد والإحن وغير ذلك مما رواه الشارح نفسه كما في محاورة عمر وابن عباس وكما في كلام الشيخ اليعقوبي للشارح حـول حالـة الحسد التي كـانت لآل عائشـة على امير المؤمنين والزهراء وغير ذلك كثير . أما ان يسالم امير المؤمنين ويـذعن فما ذلـك إلاّ لأنه اهـون الشرّين ولخـوفه على اندراس الاسلام كما قال الشارح نفسه .

٣٢ - الخطبة ٢٣٣

في ذكر الأئمة (ع)

ومن خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم :

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ ! أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّماءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ، أَلا فَتَوَقَّعُوا ما يَكُونُ مِنْ إِدبارِ أُمُورِكُمْ ، وانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ.

ومنها :

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ في الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَها .

الشرح :

الإمامية تقول : هذه العدّة هم الأئمة الأحد عشر من ولده عليه السلام . وغيرهم يقول : إنه عَنَى الأبدال الذين هم أولياء الله في الأرض ، وقد تقدَّم منّا ذكر القطب والأبدال، وأوضحنا ذلك إيضاحاً جليّاً .

قوله عليه السلام : « أسماؤهم في السماء معروفة » ، أي تعرفها الملائكة المعصومون ، أعلمهم الله تعالى بأسمائهم .

وفي الأرض مجهولة ، أي عند الأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشَر .

ثم خرج إلى مخاطبة أصحابه على عادته في ذكر الملاحم والفتن الكائنة في آخر زمان الدنيا ، فقال لهم : توقّعوا ما يكون من إدبار أموركم ، وانقطاع وُصَلكم - جمع وُصْلة - واستعمال صغاركم ، أي يتقدّم الصغار على الكبار ، وهو من علامات الساعة*.

ثم ذكر أن مثله فيهم كالسُّرُج يستضيء بها من وَلَجها ؛ أي دخل في ضوئها .

* كما انه من الممكن ان يعني بأنكم انتظروا الايام النحسات مع ما فيها من ظلم واثرة بسبب استعمالكم صِغَاركم ونقلكم الأمر اليهم من هؤلاء الذين هم اسماؤهم في السماء معلومة وفي الأرض مجهولة وهم الأئمة وبذلك يصبح ما ذهبت إليه الامامية في معنى الخطبة اقرب .

٣٣ ـ الخطبة ٢٣٥
مشقة ولايتهم (ع)
ومعرفته بالأمور الغيبية

ومن خطبة له عليه السلام :

فَمِنَ الأَيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ . . .

منها :

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلهُ إلاَّ عَبْدٌ مُؤمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ . سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ ؛ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِها فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا .

الشرح :

قوله عليه السلام : « إنَّ أمرَنا هذا صعب مستصعَب » ويروى : « مستصعِب ـ بكسر العين ـ لا يحتمله إلاَّ عبد امتحن الله تعالى قلبَه للإيمان » ، هذه من ألفاظ القرآن العزيز ، قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾[1] ، وهو من قولك : امتُحِن فلان لأمر كذا وجُرّب ودُرِّب للنهوض به ، فهو مضطلع به غير وانٍ عنه ، والمعنى أنهم صُبَّرٌ على التقوى أقوياء على احتمال مشاقّها ، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة ، لأنَّ تحققك الشيء إنما يكون باختباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة ، فكأنه قيل : عرف الله قلوبَهم للتّقوى ، فتتعلّق اللام بمحذوف ، أي كائنة له ، وهي اللام التي في قولك : أنت لهذاالأمر ، أي مختصٌّ به كقوله :

أعداء مَنْ لليعمَلات على الوَجَا

وتكون مع معمولها منصوبة على الحال ، ويجوز أن يكون المعنى : ضرب الله قلوبَهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى ، أي لتثبت فيظهر تقواها ، ويعلم أنهم متّقون ، لأن حقيقة التّقوى لا تعلَم إلاَّ عند المحن والشدائد والاصطبار عليها . ويجوز أن

---

(١) سورة الحجرات ٣ .

يكـون المعنى أنه أخلصَ قلوبهم للتقـوى ، من قولهم : امتحن الـذّهب ، إذا أذابه فخلّص إبريزه من خَبَثه ونَقّاه .

وهذه الكلمة قد قالها عليه السـلام مراراً ، ووقفت في بعض الكتب عـلى خُطبـة من جملتهـا : إن قـريشـاً طلبت السعـادة فشقِيتْ ، وطلبت النجـاة فهلكَت ، وطلبت الهـدَى فضلّت ، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(1) ؟ فأين المعدَل والمنزع عن ذرّية الرسول ، الذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم ، وأعلى رءوسهم فوق رءوسهم ، واختارهم عليهم*! ألا إنَّ الذرّيّة أفنانٌ أنا شجرتها ، ودوحةٌ أنا ساقها ، وإنّي مِن أحمَدَ بمنزلة الضّوء من الضّوء ، كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر ، وقبل خلق الطِّينة التي كان منها البشر ، أشباحاً عالية ، لا أجساماً نامية ، إنَّ أمرنـا صعب مستصعَب ، لا يعرِف كنهه إلاّ ثلاثة : ملَك مقرّب ، أو نبيٌّ مرسَل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فإذا انكشف لكم سرٌّ أو وضح لكم أمر فاقبلوه ، وإلاّ فـاسكُتوا تسلمـوا ، وردُّوا علمَنا إلى الله فإنّكم في أوسع مما بين السماء والأرض .

وخامسها : قوله : « سلُوني قبل أن تفقِدوني » ، أجمع النّاس كلُّهم على أنه لم يقلْ أحد من الصحابة ، ولا أحد من العلماء : « سلوني » غير عليّ بن أبي طالب عليـه السلام ، ذكـر ذلك ابن عبد البر المحدّث في كتاب « الاستيعاب » .

والمراد بقوله : « فلأنا أعلم بطرُق السماء منّي بطرق الأرض » ، ما اختصّ به من العلـم بمستقبل الأمور ، ولا سيّما في الملاحم والدّول ، وقد صدّق هذا القولَ عنه ما تواتـر عنه من الإخبار بالْغيوب المتكرّرة ، لا مرة ولا مائة مرة ، حتى زال الشكّ والرّيب في أنـه إخبار عن علم ، وأنه ليس على طريق الاتفاق ، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب .

وقد تأوّله قوم على وجْه آخر قالوا : أراد أنا بالأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهية أعلـمُ منّي بالأمور الدنيويّة ، فعبّر عن تلك بطرق السماء ، لأنها أحكام إلٓهيّة ، وعبّر عن هذه بطرق

(1) سورة الطور 21 .

* بلا ريب ، كان الشارح سيتأول قول الامام (واختارهم عليهم) بأنه طالما لم يكن هناك نص ، فهذه الجملة لـم يعرفها الصحابة ، أي لم يعرفوا اختيار آل البيت للخلافة ، كنا سنسأل الشارح عندئذٍ لماذا إذاً يذمّ الامام قريشاً على تركِ امرٍ لا تعلم به ؟!

الأرض لأنها من الأمور الأرضيّة . والأوّل أظهـر ، لأنَّ فحوى الكـلام وأوّله يـدلّ على أنـه المراد .

٣٤ ـ الخطبة ٢٣٦

ومن خطبة له عليه السلام :

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِـهِ ، عَزِيـزَ ٱلْجُنْدِ ، فَـإِنَّهُ مَنْ مَـاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِه وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِـهِ ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

الشرح :

والإِصلات بالسيف : مصدر أصلت ، أي سلّ*

٣٥ ـ الخطبة ٢٣٨

اختصاصه بالنبي (ص) وحديث الشجرة بين النبي (ص) وكفار قريش

قال عليه السلام في خطبته القاصعة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ ؛ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِه . . .

منها :

عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ بِـالْقَرَابَـةِ الْقَرِيبَـةِ ، وَالْمَنْزِلَـةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ ، وَأَنَـا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَـدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِـهِ ،

* لا تحتاج هذه القطعة من الخطبة إلى شرح لوضوحها . ولكن ظنّي ورب ظنٍّ يقين ، أن الشارح هرب من الكـلام فيها لأنها مما لا يدفع بمنـاورة كلام ولا تـأويل ، ذلـك لأنه لـو قال فيهـا أن حقّ أهل البيت هـو فضلهم وتقدمهم وليس وجوب البيعة لهم قلنا له فما بال الإمام يجعل الميت عـلى فراشـه شهيداً إذا اعتقـد بذلـك ؟؟ أعني لا يترتب على هكذا قضية مثل هذا الجزاء العظيم الذي لا يناله إلاّ السعيد . بل إن ذلك ليشعر بقلّة هؤلاء العـارفين بحق أهل بيت النبي (ص) مما يجعلهم كالغريب المتمسك بأصـوله رغم غـربته فيستحق إذ ذاك جـزاء غير عـادي لأنه متمسك بأمر يستنكره الكثيرون بل الأكثرون . وهذا يشابه إلى حـد بعيد مـا روي عن النبي (ص) (يأتي زمـان على أمتي يكون المتمسك بدينه كالقابض على الجمر أو أشد ، وله أجر خمسين منكم) فرتب الجـزاء الكبير لقضيـة عادية في وقت ولكنها غير عادية في وقت آخر وظروف أخرى .

وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ ؛ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ .

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ*.

وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ[١] أَثَرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً ، وَيَأْمُرُنِي بِالإِقْتِدَاءِ بِهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ ، وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ واحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيْجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّيْطَانُ ، قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرى مَا أَرَى ، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ .

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ، وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ ؛ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا ، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ! قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وَأَنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يٰأَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ؛ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ؛ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ

---

* وهذا يدل على ما ذهبت اليه الاماميّة من عصمة الأنبياء قبل وبعد البعثة .

[١] الفصيل : ولد الناقة .

أَجْنِحَـةِ الطَّيْـرِ ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ مُرَفْـرِفَةً ؛ وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ؛ وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ ، قَالُـوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً : فَمُـرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُها ؛ وَيَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا فَأَقْبَـلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَـا كَأَعْجَبِ إِقْبَـالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّـاً ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ ، فَقَالُـوا كُفْراً وَعُتُـوّاً : فَمُرْ هَـذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؛ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِك ؛ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْـرِ خَفِيفٌ فِيهِ ؛ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هَذَا ؛! يَعْنُونَنِي ، وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ ؛ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّـدِّيقِينَ ، وَكَلامُهُمْ كَـلاَمُ الأَبْرَارِ ؛ عُمَّـارُ اللَّيلِ ، وَمَنارُ النَّهَارِ ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ ؛ وَلاَ يَغُلّونَ[1] وَلاَ يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ .

الشرح :

والعَرْف بالفتح : الرّيح الطيّبة ، ومضَغ الشيء يمضَغه بفتح الضاد .

والخطْلة في الفعل : الخطأ فيه ، وإيقاعه على غير وجهه .

وحِراء : اسم جبل بمكّة معروف .

والرّنّة : الصوت .

ذكر ما كان من صلة علي برسول الله في صغره

والقرابة القريبة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره من الأعمام ، كونه ربّاه في حِجْره ، ثم حامَى عنه ونصَره عند إظهار الدّعوة دونَ غيره من بني هاشم . ثمّ ما كان بينهما من المَصاهرة التي أفضتْ إلى النّسل الأطْهر دون غيره من الأصهار . ونحن نذكر ما ذكره أرباب السِّيَر من معاني هذا الفصل .

روى الطبريّ في تاريخه ، قال : حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني

(١) يغلون : يخونون .

محمد بن إسحاق قال : حدثني عبدُ الله بن نَجيح ، عن مجاهد ، قال : كان من نعمة الله عزّ وجلَّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما صنع الله له ، وأراده به من الخير ، أنَّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله للعبّاس ـ وكان من أيسر بني هاشم : يا عبّاس ، إنَّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد ترى ما أصاب الناسَ من هذه الأزمة ، فانطلق بنا ، فلنخفّف عنه من عِياله ، آخذُ من بيته واحداً ، وتأخذ واحداً . فنكفِيهما عنه . فقال العبّاس : نعم ، فانطلقا حتى أتَيا أبا طالب ، فقالا له : إنَّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشفَ عن النَّاس ما هم فيه ، فقال لهما : إنْ تركتما لي عَقِيلاً فاصنعا ما شئتما . فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله عليّاً فضمّه إليه ، وأخذ العباس جعفراً رضي الله عنه ، فضمّه إليه ، فلم يزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله حتَّى بعثه الله نبيّاً ، فاتّبعه عليٌّ عليه السلام ، فأقرّ به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبَّاس حتى أسلم واستغنى عنه[1] .

قال الطبريّ : وحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إذا حضرت الصَّلاة خرَج إلى شعاب مكّة ، وخرج معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مستخفياً من عمّه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصّلوات فيها ، فإذا أمسيَا رجَعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكُثها .

ثم إنَّ أبا طالب عثر عليهما وهُما يصلّيان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله : يابنَ أخي ، ما هذا الذي أراك تدين به ؟ قال : يا عمّ هذا دينُ الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوتُه إلى الهدى ، وأحقّ مَنْ أجابني إليه ، وأعانني عليه ـ أو كما قال ـ فقال أبُو طالب : يابن أخي ، إنّي لا أستطيع أن أفارقَ ديني ودين آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلُص إليك شيء تكرهُه ما بقيتُ .

قال الطبريّ : وقد روى هؤلاء المذكورون أنّ أبا طالب قال لعليّ عليه السلام : يا بني ما هذا الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، إنّي آمنتُ بالله وبرسوله ، وصدّقته بما جاء به ،

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٣ (طبعة المعارف) .

وصلّيت معه ، قال : فزعموا* أنه قال له : أمَا إنَّه لا يدعُو إلاَّ إلى خير ، فالزمه(١) .

وروى الطّبرِيّ في تاريخه أيضاً ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحسين التِّرمِذِيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا العَلاء ، عن المِنهال بن عمر ، وعن عبد الله بن عبد الله ، قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام ، يقول : أنا عبدُ الله ، وأخو رسوله ، وأنا الصِّديق الأكبر ، لا يقولُها بعدي إلاَّ كاذب مُفْتَرٍ ؛ صَلَّيْتُ قَبْلَ الناس بِسَبْع سنين(٢) .

وفي غير رواية الطبريّ : أنا الصِّدّيق الأكبر وأنا الفاروق الأوَّل ، أسلمت قبل إسلام أبي بكر ، وصلّيت قبل صلاته بسبع سنين . كأنّه عليه السلام لم يرتَضِ أنْ يذكر عمر ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه ؛ وذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخّراً .

وروى الفضلُ بن عبّاس رحمه الله ، قال : سألتُ أبي عن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله الذُّكور ، أيّهم كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله له أشدَّ حبّاً ؟ فقال : عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقلت له : سألتُك عن بَنِيه ، فقال : إنه كان أحبَّ إليه من بنيه جميعاً وأرأفَ ، ما رأيناه زايلَه يوماً من الدّهر منذ كان طِفْلاً ، إلاَّ أنْ يكون في سفر لخديجة ، وما رأينا أباً أبرَّ بابنٍ منه لعليّ ، ولا ابناً أطوع لأبٍ من عليٍّ له .

وروى الحُسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ، قال : سمعتُ زيداً أبي عليه السلام يقول : كان رسول الله يمضغ اللَّحْمة والتّمرة حتى تلِين ، ويجعلهما في فم عليّ عليه السلام وهو صغير في حِجْره ؛ وكذلك كان أبي عليّ بنُ الحسين عليه السلام يفعل بي ؛ ولقد كان يأخذ الشيء من الورك وهو شديد الحرارة ، فيبرّده في الهواء ، أو ينفخ عليه حتى يبرد ، ثم يُلْقِمنيه ؛ أفيشفقُ عليّ من حرارة لقمة ولا يشفق عليّ من النار ! لو كان أخي* إماماً بالوصيّة كما يزعم هؤلاء ، لكان أبي أفضَى بذلك إليَّ وَوَقاني من حرّ جهنم .

وروى جبير بن مُطْعِم ، قال : قال أبي مُطْعم بن عديّ لنا ونحن صبيان بمكة : ألا

---

* يظن الطبري انه بكلمة (زعموا) يثير الشكوك حول اسلام أبي طالب ، ولكن هيهات وأنّى دلك وهو القائل :

الـم تعلمـوا انـا وجـدنـا محـمـداً   نبيـاً كـمـوسى خُطَّ فـي أول الكـتـب

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٤ (المعارف) .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٠ (المعارف) .

* يعني محمد الباقر عليه السلام خامس ائمة اهل البيت الأثنى عشر كما اخبر النبي عن عددهم وانهم من قريش ـ لا في غيرها كما جاء في الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما . ولا يهم بعد ذلك ما يخالفه بل يضرب به عرض الحائط .

ترون حبّ هذا الغلام ـ يعني عليّاً ـ لمحمد واتّباعه له دون أبيه ! واللّات والعُزّى ، لوددتُ أنّ ابني بفتيان بني نوفل جميعاً !

وروى سَعِيد بن جُبير ، قال : سألت أنسَ بن مالك ، فقلت : أرأيتَ قولَ عمر عن الستّة : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راضٍ ؟ ألم يكن راضياً عن غيرهم من أصحابه ؟ فقال : بلَى ، مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله وهو راضٍ عن كثير من المسلمين ، ولكن كان عن هؤلاء أكثر رضاً ، فقلت له : فأيّ الصّحابة كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله له أحمَد ؟ أو كما قال ـ قال : ما فيهم أحدٌ إلاَّ وقد سخط منه فعلاً ، وأنكر عليه أمراً ، إلاَّ اثنان : عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة ، فإنهما لم يقترفا منذ أتى الله بالإسلام أمراً أسخطا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما حديث أنّ الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحدٌ يومئذٍ إلاَّ النبيّ وهو ـ عليهما السلام ـ وخديجة ، فخبر عفيف الكنديّ مشهور ، وقد ذكرناه من قبل ، وأنّ أبا طالب قال له : أتدري من هذا ؟ قال : لا قال : هذا ابنُ أخي محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ؛ وهذا ابني عليّ بن أبي طالب ، وهذه المرأة خَلْفهما خديجة بنت خويلد ؛ زوجة محمد ابن أخي ، وايمُ الله ما أعلم على الأرض كلِّها أحداً على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة .

وأمَّا رنّة الشيطان ، فروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مُسندَه ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : كنتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله صبيحةَ اللَّيلة التي أسريَ به فيها ، وهو بالحجْر يصلّي ، فلما قَضى صلاتَه ، وقضيتُ صلاتي ، سمعت رَنَّةً شديدةً ، فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الرنّة ؟ قال : ألا تعلم ! هذه رنّة الشيطان ، علم أنِّي اسري بي الليلة إلى السماء، فأيس من أن يُعْبَد في هذه الأرض .

وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله ما يشابه هذا ، لمّا بايعه الأنصار السّبْعون ليلة العقبة سُمع من العقبة صوتٌ عالٍ في جوف الليل : يا أهلَ مكّة ، هذا مذمّم والصباة معه قد أجمعوا على حربكم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله للأنصار : ألا تسمعون ما يقول ! هذا أزَبُّ العقبة ـ يعني شيطانها ، وقد روى : « أزبب العقبة » . ثم التفت إليه ، فقال[1] :

---

(١) في اللسان : « كانت العرب تسمى النبي (ص) الصابيء لأنه خرج من دين قريش إلى الاسلام ، ويسمون من دخل في دين الإسلام مصبوا ، لأنهم كانوا لا يهمزون ، فأبدلوا من الهمزة واواً . يسمون المسلمين الصباة بغير همز ، كانه جمع الصابيء » .

استمع يا عدوَّ الله ، أما والله لأفرغنّ لك .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، قال : كان عليٌّ عليه السلام يَرَى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله قبلَ الرسالة الضَّوْء ويسمع الصوت ، وقال له صلى الله عليه وآله : « لو لا أني خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبـوّة ، فإن لا تكن نبيّاً فإنّـك وصيّ نبيّ ووارثه ، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء » .

وأما خبر الوزارة ، فقد ذكره الطبريّ في تاريخه ، عن عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال لما أنزلت هـذه الآية : ﴿ وَأَنْـذِرْ عَشِيْرَتَـكَ الأَقْرَبِـينَ ﴾[1] ؛ عَلَى رسـول الله صلى الله عليـه وآله دعـاني ، فقال : يـا عليّ ، إنَّ الله أمـرني أن أنذر عشيـرتك الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعلمت أنيّ متى أنادهم بهذا الأمر أرَ منهم ما أكره ، فصمتُّ حتى جاءني جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمّد ، إنَّك إن لم تفعل مـا أُمِرْتَ بـه يعذّبـك ربُّك ؛ فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رِجْلَ شاة ، واملأ لنـا عُسًّاً من لَبَن ، ثم اجمع بني عبد المطلب حتى أكلّمهم ، وأبلِّغهم ما أمرت به . ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم وهم يومئذٍ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، وفيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب ؛ فلمّا اجتمعوا إليه دعا بالـطّعام الَّـذي صنعت لهم ، فجئت به ، فلمّا وضعتُه تناول رسولُ الله صلى الله عليه وآله بَضْعةً[2] من اللَّحم فشقّها بأسنانه ، ثم ألقاها في نَواحي الصَّحْفة ، ثم قال : كلُوا باسم الله ، فأكلوا حتّى ماهم إلى شيء من حاجة ، وايمُ الله الَّذي نفس عليّ بيده ، إن كان الرّجُل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم ، ثم قال : اسقِ القومَ يا عليّ ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه ، حتى رووا جميعاً ، وايمُ الله إنْ كان الرجل منهم ليَشـرب مثله ، فلمّا أراد رسولُ الله صـلّى الله عليه وآلـه أن يكلّمهم بدَره أبـو لهب إلى الكلام ، فقال : لَشَدَّ ما سحرَكم صاحبُكم ! فتفرّق القومُ ، ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال من الغد : يا عليّ ، إنَّ هذا الرّجل قد سبقني إلى مـا سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمَهم ، فعُد لنا اليوم إلى مثل ما صنعت بـالأمس ، ثم اجمعهم لي . ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعاني بالطّعام ، فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ماهم بشيء حاجة ، ثم قال : اسقِهم ، فجئتهم بـذلك العُسّ ، فشـربوا منـه جميعاً ، حتى رووا ، ثم تكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا بني عبدِ المطلب ، إنّي والله ما أعلمُ

(١) سورة الشعراء ٢١٤ .

(٢) البضعة بالفتح ، وقد تكسر : القطعة من اللحم .

أنَّ شاباً في العَرَب جاء قومه بأفضل مِمَّا جئتكم به ، إنِّي قد جئتكم بخير الدُّنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوَكم إليه ، فأيّكم يوازرني على هذا الأمر ، عَلَى أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت أنا ـ وإنِّ لأحْدَثهم سِنّاً وأرمصُهم[1] عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحَمْشُهم[2] ساقاً أنا يا رسول الله أكونُ وزيرَك عليه ، فأعاد القول ، فأمسكوا وأعدت ما قلت ، فأخذ برقبتي ، ثم قال لهم : هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[3] .

ويدلّ على أنّه وزيرُ رسول الله صلّى الله عليه وآله من نصّ الكتاب والسنة قول الله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[4] . وقال النبي صلى الله عليه وآله في الخبر المجمع عَلَى روايته بين سائرِ فرَق الإسلام : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبيّ بعدي » ، فأثبت له جميع مراتب هارون عن موسى ، فإذن هو وزير رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشادّ أزره ، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره* .

وروى أبو جعفر الطبري أيضاً في « التاريخ » ؛ أنَّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام : يا أميرَ المؤمنين ، بم ورثْت ابن عمّك دون عَمّك ؟ فقال عليّ عليه السلام : هاؤم ثلاث مرات ، حتى اشرأبّ الناس ، ونَشَرُوا آذانهم ، ثم قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب بمكّة ، وهم رهطه كلهم ، يأكل الجَذْعَة ، ويشرب الفِرْق[1] ، فصنع مُدّاً من طعام ، حتى أكلوا وشبِعوا وبقِيَ الطعام كما هو ، كأنه لم يمسّ ، ثم دعا بغُمَر[2] ، فشربوا ورَووا ، وبقي الشراب كأنه لم يشرب ، ثم قال : يا بني عبد المطّلب ، إنِّي بُعثت إليكم خاصّة ، وإلى النّاس عامّة ، فأيكم يبايُعني على أن يكون أخي وصاحبي ، ووارثي ؟ فلم يقُمْ

---

(١) الرمص في العين : كالغمس ، وهو قذى تلفظ به ؛ كناية عن صغر سنه .
(٢) حمش الساقين : رفيعهما .
(٣) تاريخ الطبري ٢ : ٣١٩ ـ ٣٢١ (المعارف) ، وتفسير الطبري ١٩ : ٧٤، ٧٥ (بولاق) .
(٤) سورة طه ٢٩ ـ ٣١.
* اقول : اقرأ واعجب ممن يفضل غيره عليه .
(١) الفرق ، بكسر الفاء ، وبعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .
(٢) الغمر : القدح الصغير .

إليـه أحدٌ ، فقمت إليـه ، وكنت مِنْ أصغر القـوم ، فقال : اجلس ، ثم قـال ذلك ثـلاث مرات ، كلّ ذلـك أقومِ إليـه ، فيقول : اجلس ؛ حتى كـان في الثالثـة ، فضرب بيـده على يدي ، فعند ذلك ورثتُ ابنَ عَمّي دون عمّي[1] .

الملأ الجماعة . ولا تفيئون : لا ترجعون . ومن يُطْرح في القَليب ، كعُتْبة وشيبة ابني ربيعة بن عبد شمس وعمرو بن هشام بن المغيرة ، المكنّى أبا جهل وغيرهم ، طرحوا في قَليب بدر بَعد انقضاء الحرْب ، ومن يحزّب الأحزاب ، أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّةِ والقَصْف والقصيف : الصوت . وسيماهم : علامتهم ، ومثله « سيمياء » .

ومعنى قوله عليه السلام : « قلوبهم في الجنان ، وأجسادهم في العمـل » ، أنَّ قلوبهم ملتذّة بمعرفة الله تعالى وأجسادهم نصِبة بالعبادةِ .

وأما أمرُ الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فالحديث الوارد فيها كثير ، مستفيض ، قد ذكره المحدّثون في كتبهم ، وذكره المتكلّمون في معجـزات الرسـول صلى الله عليه وآله ، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوَضْع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين ، ومنهم من يروي ذلك مختصراً أنّه دعا شجرة فأقبلت تخُدّ إليه الأرض خَدّاً .

وقد ذكر البيهقي في كتـاب « دلائل النبـوة » حديث الشجـرة ، ورواه أيضاً محمـد بن إسحاق بن يسار في كتـاب السيرة والمغـازي على وجْـه آخر ، قـال محمد بن إسحـاق : كان رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبـد مناف أشـدّ قريش كلّهـا ، فخلا يـوماً برسول الله صلى الله عليه وآله في بعض شِعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يـا رُكانـة ، ألا تتقي الله ، وتقبل مـا أدعـوك إليـه ؟ قـال : لـو أعلم أنَّ الـذي تقـول حقٌّ لاتّبعتك ، قال : أفرأيت إن صرعتُك ؛ أتعلم أنّ ما أقول لك حقّ ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعَك ، فقام رُكانة ، فلمّا بطش به رسولُ الله صلى الله عليه وآله أضْجَعه لا يملك مِنْ نفسه شيئاً ، فقال * عُدْ يا محمد ، فعادَ فصرعه ، فقال : يـا محمّد ، إنَّ هـذا لعجبٌ حينَ تصرعُني ، فقال رسـول الله صلى الله عليـه وآله : وأعجب من ذلـك إن شئت أريتُكَه ، إن اتقيتَ الله ، واتبعت أمري ، قال : مـا هو؟ قـال : أدعو لـك هذه الشجـرة التي تراهـا ، فتأتي ، قال فادْعُها ؛ فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٣٢١، ٣٢٢.

* وهو عجيب ، إذ تصبح الصرعة دليلاً على النبوة ، ولعل هذا حديث موضوع .

ثم قال : ارجعي إلى مكانك ، فرجعتْ إلى مكانها ، فرجع رُكانة إلى قومه ، وقال : يا بني عبد مناف ، ساحِروا[1] بصاحبكم أهلَ الأرض ! فما رأيت أسحرَ منه قطّ ، ثم أخبرهم بالذي رأى ، والذي صنع[2] .

٣٦ ـ الخطبة ٢٤٣

وصف ال محمد (ص)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله :

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ ، يخبركُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حُكْمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ ، وَوَلَائِجُ الاعْتِصَامِ ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ، وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ ورواية ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كثير ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ .

الشرح :

يقول : بهم يحيا العلم ويموت الجهل ؛ فسمّاهم حياة ذاك ، وموت هذا ، نظراً إلى السببيّة ؛ يدلّكم حلمهم وصفحهم عن الذنوب على علمهم وفضائلهم ، ويدلّكُمْ ما ظهر منهم من الأفعال الحسنة على ما بطن من إخلاصهم ، ويدلّكم صمتهم وسكوتهم عمّا لا يعنيهم ، عن حكمة منطقهم .

ويروى : « ويدلّكم صمتُهم على منطقهم » ؛ وليس في هذه الرواية لفظة « حكم » .

لا يخالفون الحقّ : لا يعدلون عنه ، ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب ؛ فمنهم من له في المسألة قولان وأكثر ، ومنهم من يقول قولاً ثم يرجع عنه ، ومنهم من يرى في أصول الدين رأياً ثم ينفيه ويتركه .

ودعائم الإسلام : أركانه .

والولائج : جمع وَليجة ، وهي الموضع يدخل إليه ويستَتر فيه ، ويعتصم به .

---

(١) ساحروا : أي غالبوهم بالسحر .

(٢) سيرة ابن هشام ١ :٤١٨ (نشرة المكتبة النجارية) .

وعاد الحق إلى نصابه[1] : رجع إلى مستقرّه وموضعه : وانزاح الباطل : زال . وانقطع لسانه : انقطعت حجّته .

عقلوا الدين عقل رعـاية ، أي عـرفوا الـدين وعلموه معـرفة مَن وعى الشيء وفهمه وأتقنه . ووعايـة ، أي وعوا الـدين وحفظوه وحـاطوه ، ليس كـما يعقله غيرهم عن سمـاع وروايةٍ ، فإن من يروي العلم ويسنده إلى الرجال ويأخذه من أفواه الناس كثير ، ومن يحفظ العلم حفظ فهم وإدْرَاكٍ ، أصالَةً لا تقليداً قليل .

---

[1] نصاب الحق : أصله ، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه ويعود إليه .

المختار
من كتب
أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب

٣٧ - الكتاب رقم ٩
تفضيله على الأمّة قاطبة

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ . .

منه :

فَيَا عَجَبَا لِلدَّهْرِ ! إذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لاَ يُدْلِي أَحَدُ بِمِثْلِهَا ، إلاَّ أَنْ يَدَّعِي مُدَّعٍ مَالاَ أَعْرِفُهُ ، وَلاَ أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

الشرح :

قوله : « إذ صرتُ يقرَنُ بي مَنْ لم يَسْعَ بقدمي » إشارة إلى معاوية في الظّاهر ، وإلى مَنْ تَقدّم عليه من الخلفاء في الباطن ، والدليل عليه قوله : « التي لا يُدْلِي أحد بمثلها » ، فأطلق القول إطلاقاً عامّاً مستغرقاً لكلّ الناس أجمعين .

ثم قال : « إلاّ أنْ يَدّعِيَ مدّعٍ مالا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه » ، أي كلّ من ادّعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب ، لأنه لو كان صادقاً لكان عليّ عليه السلام يعرفه لا محالة ، فإذا قال عن نفسه : إنَّ كل دعوة تخالف ما ذكرت فإنِّي لا أعرف صحّتها ، فمعناه أنها باطلة .

وقوله : « ولا أظنّ الله يعرفه » ، فالظنّ ها هنا بمعنى العلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى

الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾(١) ، وأخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾(٢) ، وليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب ، كذلك ليس مراده عليه السلام سَلْبَ الظّن الذي هو بمعنى العلم ، بل ظن السلب ، أي علم السلب ، أي وأعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه ، وكلّ ما يعلم اللّهُ انتفاءه فليس بثابت .

٣٨ ـ الكتاب ٢٨

فضل بني هاشم ومظلوميته مع من سبقوه من الخلفاء

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدَه إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً .

منه :

أَلاَ تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ؛ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ الله تَعَالى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ : سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ !

أَوَ لاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ : الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ !

وَلَوْلاَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلاَ تَمُجُّها آذَانُ السَّامِعِينَ .

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا(٣) ، لَم

---

(١) سورة الكهف ٥٣ .

(٢) سورة يونس ١٨ .

[٣] آل النبي اسراء احسان الله عليهم والناس اسراء فضلهم بعد ذلك . وأصل الصنيع من تصنعه لنفسك بالاحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك .

يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ، وَلاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِـأَنْفُسِنَا ؛ فَنَكَحْنَـا وَأَنْكَحْنَا ؛ فِعْلَ الأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ . وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلاَفِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعالَمِينَ ، وَمِنْكُم حَمَّالَةُ الْحَطَبِ[١] ؛ في كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ[٢]!

فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ ، وَجاهِلِيَّتُنا لاَ تُدْفَعُ[٣] ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[٤] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥] ، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ .

وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلىٰ الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَـإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِـهِ فَـالْحَقُّ لَنَـا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْـرِهِ فَـالأَنْصَـارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ[٦] .

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُـلِّ الْخَلَفاءِ حَسَـدْتُ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِـكَ كَذَلِـكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ .

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[٧]

---

[١] المكذب أبو جهل . وأسد الله حمزة . وأسد الأحلاف أبو سفيان لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي في غزوة الخندق . وسيد شباب أهل الجنة : الحسن والحسين بنص قول الرسول . وصبية النار قيل هم أولاد مروان بن الحكم أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومرقوا عن الدين في كبرهم . وخير النساء فاطمة . وحمالة الحطب أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب .

[٢] أي هذه الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليل في كثير مما لنا وعليكم .

[٣] شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد .

(٤) سورة الأنفال ٧٥ .

(٥) سورة آل عمران ٦٨ .

[٦] يوم السقيفة يوم اجتمع نفر من المهاجرين والأنصار ليؤمروا أحدهم بعد وفاة رسول الله (ص) وقد ورد الكلام في دلك مسبقاً ، بقول الامام ان المهاجرين غلبوا الأنصار بدعوى انهم اقرب الى رسول الله (ص)فإن كانت الحجة تقوم بذلك فأنا اقرب اليه منك ومن غيرك ، وأما إن كانت هذه ليست بحجة فدعوى الأنصار قائمة غير مردودة .

[٧] شكاة ـ بالفتح ـ أي نقيصة وأصلها المرض . وظاهر من ظهر إذا صار ظهراً أي خلفاً أي بعيد . والشطرة لأبي ذؤيب . وأول البيت * وعيرها الواشون أني أحبها *

وَقُلْتَ : إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ[1] ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ؛ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ[2] فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ !

وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ[3] مِنْ ذِكْرِهَا*.

الشرح : **كتاب لمعاوية إلى عليّ**

سألتُ النقيبَ أبا جعفر يحيى بن أبي زيد ؛ فقلتُ : أرَى هذا الجوابَ مُنطبقاً على كتابِ معاوية الذي بعثه مع أبي مُسلِم الخَوْلانيّ إلى عليّ عليه السلام ؛ فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الَّذي ذَكَره أرباب السِّيرة وأورَدَه نصرُ بن مُزاحم في كتاب صِفّين إذن غير صحيح ، وإن كان ذلك الجواب ، فهذا الجواب إذنْ غيرُ صحيح ولا ثابت ، فقال لي : بل كلاهما ثابت مرْويّ ، وكلاهما كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام وألفاظُه ، ثم أمرَني أن أكتب ما عليه عليّ عليه السلام ، فكتبته ، قال رحمه الله :

كان معاويةُ يتسقّط[4] عليّاً ويَنعَى عليه ما عساه يَذكُره من حالِ أبي بكر وعمر ، وأنهما غَصَباه حقَّه ، ولا يزَال يكيدُه بالكتاب يكتُبه ، والرّسالة يَبعثُها يطلب غِرّته ؛ ليَنْفث بما في صَدْرِهِ من حالِ أبي بكر وعمر ، إمَّا مكاتبةً أو مُراسَلة ، فَيَجعل ذلك حجّةً عليه عند أهل الشام ، ويضيفه إلى ما قرّره في أنفسهم من ذُنوبه كما زعم ، فقد كان غَمصه[5] عندهم بأنَّه

---

(١) الخشاش ـ ككتاب ـ ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد . وخششت البعير : جعلت في أنفه الخشاش ، طعن معاوية على الامام بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء .

(٢) الغضاضة : النقص.

(٣) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ، أما معاوية فهو منقطع عن جرثومة الأمر فلا حاجة للاحتجاج عليه . وسنح أي ظهر وعرض .

* هذا الكلام ، أعني (وهذه حجتي إلى غيرك قصدها) تشير الى قوله (وأنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ) ذلك لأن الشارح لم يذكر شيئاً فيه وكذلك في شرح الشيخ محمد عبده ، كما انها لغير واضحة تلك الفضيحة التي يقصدها الامام ، اللهم إلاّ أن تكون كشف الأمر على حقيقته وهو اني لم ابايع لأبي بكر إلاّ مكرها (أقاد كالجمل المخشوش) . فمعاوية اراد فضح الامام لدى أهل الشام بأنه أُخذ لبيعة ابي بكر ـ التي يؤمن بها اهل الشام ـ بالاكراه فأجابه الامام بأن ذلك تزكية له وفضح لغيره اذ بويع بالقوة لا بالرضا هذا الغير المذكور في (وهذه حجتي إلى غيرك قصدها) .

(٤) يتسقطه : يتنقصه .

(٥) غمصه : اتهمهٌ .

قتل عثمانَ ومـالأ على قتله ، وأنـه قتل طلحـةَ والزّبـير ، وأسَرَ عائشـة ، وأراق دماءَ أهـلِ البَصْرة . وبقيتْ خَصلةٌ واحدة ، وهو أن يثبت عندهم أنه يتبرّأ من أبي بكر وعمر ، ويَنسبُهما إلى الظُّلمْ ومخالفةِ الرّسول في أمر الخلافة ، وأنهما وَثَبا عليها غَلَبةً ، وغَصَباه إيّاها ؛ فكـانت هذه الطامّة الكبرى ليست مقتصرةً عَلَى فساد أهل الشام عليه ، بل وأهلِ العراق الّذين هم جُندُه وبطانتُه وأنصارُه ؛ لأنهم كانوا يعتقدون إمامةَ الشَّيخَين ؛ إلّا القليل الشاذّ من خواصّ الشِّيعة ، فلما كَتَب ذلك الكتابَ مع أبي مسلم الخَوْلاني قصد أن يُغضِب عليّاً ويُحرِجَه ويحْوجَه إذا قرأ ذكر أبي بكر ، وأنه أفضل المسلمين ، إلى أن يَخلِط خطه في الجواب بكلمةٍ تقتضي طَعْناً في أبي بكر ، فكان الجواب مُجَمْجَماً[1] غيرَ بيّن ، ليس فيه تصريح بالتّظليم لهما ، ولا التّصريحُ ببراءتهما، وتارةً يترحّم عليهما ، وتارةً يقول : أخَذَا حقّي وقد تركتُه لهما ، فـأشار عَمـرو بنُ العاص عَلَى معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسِباً للكتاب الأوّل ليستفزّا فيـه عليّاً عليـه السلام ويستخِفّاه ، ويَحمِله الغَضَب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به في تقبيح حالِه وتَهْجين مذهبه . وقال له عمرو : إنَّ عليّاً عليه السلام رجل نَزِق تَيّاه ، وما استطعَمت منه الكلامَ بمثل تقريظ أبي بكر وعمر ، فاكتب . فكتب كتاباً أنفَذَه إليه مع أبي أُمامة الباهليّ ، وهو من الصحابة ، بعد أن عزم على بِعثته مع أبي الدَّرْداء . ونسخةُ الكتاب : مِن عبدِ الله معاوية بن أبي سُفْيان إلى عليّ بن أبي طالب .

أما بعد ، فإنَّ الله تعالى جَدُّه اصطَفى محمداً عليه السلام لرسالته ، واختَصّـه بوَحْيـه وتأديةِ شَرِيعته ، فأنقَذ به من العَماية ، وهَدَى به من الغَواية ، ثم قَبَضه إليه رشيداً حميداً ، قد بَلَّغ الشَّرع ، ومَحَقَ الشِّرْك ، وأَخْمَدَ نار الإفْك ، فأحسن الله جزاءَه ، وضاعَفَ عليه نِعَمَه وآلاءه . ثم إنَّ الله سبحانه اختصَّ محمداً عليه السلام بأَصحابٍ أيّدوه وآزَروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[2] ؛ فكان أفضلَهم مرتبة ، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة ؛ الخليفة الأوّل ، الَّذي جَمَع الكلمة ، ولمَّ الدَّعوة ، وقاتَلَ أهلَ الرِّدّة ، ثم الخليفة الثاني الَّذي فَتح الفتوح ، ومَصَّر الأمصار وأذَلّ رِقابَ المشركين . ثم الخليفة الثالث المظلوم الَّذي نَشَر الملّة ، وطَبّق الآفاق بالكلمة الحنيفيّة

فلما اسْتَوْثَقَ الإسلام وضرَبَ بجِرانه عدوتَ عليه فَبَغَيْتَه الغوائل ، ونَصبتَ له المكايد ،

---

(١) مجمجماً : غير واضح .

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

وضربتَ له بطنَ الأَمْر وظهرَه ، ودسَسْت عليه ، وأغريْتَ به ، وقعدتَ حيثُ استنصَرَك عن نصرِه ، وسألك أن تُدرِكه قبل أن يمزَّق فما أدركتَه ، وما يومُ المسلمين منك بواحد !

لقـد حسدتَ أبـا بكـر والْتَـويْتَ عليـه ، ورُمْت إفسـادَ أمـره ، وقعـدتَ في بَيْتِـك ، واستْغْـوَيْت عِصابـةً من الناس حتّى تـأخّروا عن بَيْعتـه ، ثم كرهتَ خـلافةَ عمـرَ وحَسَدْتَـه واستطَلْتَ مُدّته ، وسُررتَ بقَتْله ، وأظهرتَ الشّماتة بمُصابِهِ ؛ حتّى إنَّك حـاولتَ قتل وَلَـدِه لأنّه قَتَل قاتلَ أبيه*، ثم لم تكن أشدَّ منـك حَسداً لابن عَمّـك عثمان ؛ نشـرت مَقابِحَـه ، وطوَيت مَحاسِنه ، وطعنتَ في فِقهه ، ثم في دِينه ، ثم في سيرته ، ثم في عَقْله ؛ وأغرَيْتَ به السفهاءَ من أصحابك وشِيعتِك ، حتّى قتلوه بمَحضَر منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يدٍ ؛ وما من هؤلاء إلاَّ مَنْ بَغَيتَ عليه ،وتلكّأتَ بَيْعته ؛ حتّى حُملتَ إليه قَهْراً ، تُسَاقُ بخزائم الاقْتسار كما يُساقُ الفحـل المخشوش ، ثم نهضتَ الآن تـطلب الخلافـة ، وقتلَةُ عثـمانَ خلصـاؤك وسُجرَاؤك والمحدِقون بك ، وتلك من أمانيّ النّفوس ، وضلالاتِ الأهواء .

فدَعِ اللَّجاجَ والعبث جانباً ، وادفع إلينا قَتَلَة عثمان ، وأَعِدَّ الأَمرَ شُورَى بين المسلمين ليتّفِقوا على مَنْ هو لِلّهِ رِضاً . فلا بيعةَ لك في أعناقنا ، ولا طاعةَ لك علينا ، ولا عُتبَى لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك عندي إلاَّ السّيف . والَّذي لا إلَه إلاَّ هو لأَطْلُبن قَتَلَة عثمانَ أين كانوا ، وحيث كانوا ؛ حتّى أقتُلهم أو تَلتحِقَ رُوحي بالله .

فأمّا ما لا تزال تمنّ به من سابِقَتِك وجهادك فإنّي وجدتُ الله سبحانه يقول : ﴿ **يَمُنّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1] . ولو نظرتَ في حالِ نفسك لوجدتَها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعَمَلهـا ؛ وإذا كان الامتنان على السائل يُبطِل أجرَ الصدقة ، فالامتنـان على الله يُبـطِل أجر الجهـاد ، ويجعله ﴿ **كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّـا كَسَبُوا**

---

* الحقيقة التي حرَّفها هذا الطاغية هي ان امير المؤمنين طلب من عثمان قتل عبيد الله بن عمر لأنه كان مسرفاً في القتل حيث لم يكتفِ بقتل قاتل ابيه بل وقتل الهرمزان وقد اسلم وغيره ، إلاَّ أن عثمان رفض ذلك ودفع ديـة القتلى وهكذا حذر رسول الله (ص) (انما أهلك من كان قبلكم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحدّ) . وبعد تولي الامام للخلافة خاف عبيد الله بن عمران يقتص منه الامام لأن الحق عنده قديم ، ففرَّ إلى معاوية وصار احد قواده .

(١) سورة الحجرات ١٧ .

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[1]*.

قال النّقيب أبو جعفر : فلما وصل هـذا الكتابُ إلى علـيّ عليه السـلام مع أبي أُمـامة الباهِليّ ، كلّم أبا أُمامة بنحوٍ ممَّا كلَّم به أبا مُسلم الخَوْلانيّ ، وكتب معه هذا الجواب .

قال النقيب : وفي كتابِ معاويةَ هذا ذِكرُ لفظ الجمل المخشوش أو الفَحْل المخشوش ، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم ، وليس في ذلك هذه اللّفـظة ، وإنَّما فيـه : « حسدتَ الخلفـاءَ وبَغيتَ عليهم ، عَرَفْنـا ذلـك من نـظرِك الشَّـزْر[2] ، وقـولـك الهُجْـر[3] وتنفُّسـك الصُّعَداء ، وإبطائك عن الخُلَفاء » .

قال : وإنما كثيرٌ من الناس لا يَعرفون الكتـابين ؛ والمشهـور عندهم كتـابُ أبي مسلم فَيجعلون هذه اللّفظةَ فيه ، والصحيح أنّها في كتاب أبي أُمامة ، ألا تراها عادت في جوابه ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادتْ في جوابه !

انتهى كلامُ النّقيب أبي جعفر .

ثم قال : « ألاَ تَرَى غير مخبِر لك ، ولكن بنعمة اللّهِ أحدِّث » ، أي لستَ عندي أهلاً لأن أُخبرك بذلك أيضاً ، فإنَّك تَعلمه ، ومن يَعلم الشيء لا يَجوزُ أن يُخبَر به ؛ ولكنّ أذكـرُ ذلك لأنَّه تحدُّثُ بنعمةِ الله علينا ، وقد أمِرْنا بأن نحدِّث بنعمتِه سبحانه .

قولُه عليه السلام : « إنَّ قوماً استُشهدوا في سبيل الله » ، المراد هاهنا ، سيّد الشُّهداء حَمْزة رضي الله عنه،وينبغي أن يحمَل قولُ النبيّ صلَّى الله عليه وآله فيه إنَّه سيّد الشهداء على أنَّه سيّد الشهداء في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لأنَّ عليّاً عليه السلام مات شهيداً ، ولا يجوز أن يقال : حمزة سيّده ، بل هو سيّد المسلمين كلِّهم ، ولا خلافَ بين أصحابنا رحمهم الله أنَّه أفضل من حمزةَ وجعفر رضي الله عنهما ، قوله عليه السلام : « ولكلٍّ فَضْل » ، أيّ ولكلّ واحد من هؤلاء فَضْل لا يُجْحَد .

---

(١) سورة البقرة ٢٦٤ .

* وهنا أمران ، الأول هو ان الطاغية معاوية لمَّا لم يكن لديه ما يجيب به الامام بأن يذكر فضائل اهله وأنّى لـه أن يجـد ، أو مخازي بني هـاشم وأنّى له ان يجـد ، شرع في اتهـام الامام بـأنه يفخـر ويتبجج ويمتنّ على الله باسلامه . كل ذلك ليثير عليه طغام أهل الشام بل وغيرهم ممن لم تكن له بصيرة بمنزلة امير المؤمنين العظيمة وخصائصه الفريدة . أما الأمر الثاني فهو ان الامام لم يكن ليذكر جهاده ولا بلاءه في الاسلام إلّا لينبه الغافل عنه الى حقيقة منزلته فكان قوله نفثة مصدور كما قال الشارح في مكان آخر من شرحه .

(٢) يقال شزره وإليه : نظر إليه بأحد شقيه ؛ أو هو نظر فيه إعراض .

(٣) الهجر (بضم فسكون) : القبيح من الكلام .

قوله : « أولا ترى أنّ قوماً قُطِعت أيديهم » ، هذا إشارة إلى جعفر .
قوله : « ولولا ما نهى الله عنه » ، هذا إشارة إلى نفسِه عليه السلام .
قوله : « ولا تمجُّها آذانُ السامعين » أي لا تقذِفها ، يقالُ : مَجَّ الرَّجلَ مِن فيه ، أي قذفه .

قوله عليه السلام : « فدع عنك من مالت به الرَّمِيّة » ، يقال للصيد : يرمي هذه الرمْيَة ، وهي « فعيلة » بمعنى مفْعولة ، والأصل في مِثلِها ألَّا تلحَقها الهاء ، نحو كفّ خضيب ، وعين كحِيل ، إلاَّ أنّهم أجْرَوها مَجرى الأسماء لا النّعوت ، كالقَصيدة والقَطيعة .
والمعنى : دَعْ ذكرَ من مَالَ إلى الدنيا ومالتْ به ، أي أمالتْه إليها .
فإن قلتَ : فهل هذا إشارة إلى أبي بكر وعمرَ ؟ قلت : يَنبغي أن ينـزَّه أميرُ المؤمنين عليه السلام عن ذلك ، وأن تُصرَف هذه الكلمة إلى عثمانَ ، لأنَّ معاويةَ ذكرَه في كتابه وقد أورَدْناه ، وإذا أنصف الإنسانُ من نفسِه علِم أنه عليه السلام لم يكن يذكرهما بما يذكر به عثمان ، فإنّ الحال بينه وبين عثمانَ كانت مضطربةً جدّاً* .

قال عليه السلام : « فإن صنائع ربِّنا ، والناسُ بعدُ صنائعُ لنا » ، هذا كلام عظيم ، عالٍ على الكلام ، ومعناه عالٍ على المعاني ، وصَنيعةُ الملِك من يصطنِعهُ الملك ويرفع قدرَه . يقول : ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل اللَّهُ تعالى هو الذي أنعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والناس بأسرهم صنائعنا ؛ فنحن الواسطةُ بينهم وبين الله تعالى ، وهذا مقامٌ جليل ظاهره ما سمعت ، وباطنه أنهم عبيدُ الله ، وأنَّ الناس عبيدهم .

ثم قال : « لم يمنعْنا قديم عزِّنا ، وعاديّ طوْلنا » ؛ الطوْل : الفَضْل . وعادِيّ أي قديم ، بئرٌ عاديّة .

قوله : « على قومِك أن خلَطْناهم بأنفسِنا فنَكَحنا وأَنكَحْنا فعل الأكْفاء ، ولستم هناك » ؛ يقول : تزوَّجْنا فيكم وتزوّجتم فينا كما يَفعَل الأكفاء ، ولستم أكفاءنا . وينبغي أن يُحمل قوله : « قديم وعادِيّ » على مَجازه لا على حقيقته ، لأن بني هاشم وبني أميّة لم يَفترقا في الشرف إلاَّ مذ نشأ هاشم بُن عبد مناف وعرف بأفعاله ومكارمه ، ونشأ حينئذٍ أخوه عبد

* وهذا ادّعاء اخر بلا برهان ، بل ان المتبادر إلى الذهن جميع من سبقوه ذلك لأن معاوية ذكرهم جميعاً في كتابه ، ولمَّا كان هذا جواب ذلك الكتاب علمنا أنه من غير المستعد أنه أرادهم جميعاً هذا إن لم يكن هو الأقرب ، لأن تخصيص الشارح بلا محصص .

شمس وعُرف بمثل ذلك ، وصار لهذا بنُون ولهذا بنون ، وادّعى كلٌّ من الفريقين أنه أشرف بالفِعال من الآخر ، ثم لم تكن المدةّ بين نَشْء هاشم وإظهار محمّد صلّى الله عليه وآله الدّعوة إلّا نحو تسعين سنة ، ومثل هذه المدّة القصيرة لا يقال فيها : « قديمُ عزّنا وعادِيّ طَوْلنا » ، فيجب أن يُحمَل اللّفظُ على مَجَازِه ، لأنَّ الأفعال الجميلة كما تكون عـاديّةً بـطُول المدّة تكـون بكثرة المناقب والمآثِر والمفاخر ، وإن كانت المدّة قصيـرة . ولفظةُ قـديم تَرِد ولا يُـراد بها قِـدَم الزّمان ، بل من قولهم : لفلانٍ قَدَمُ صدْق وقديمُ أثَر ، أيْ سابقة حَسَنة .

٣٩ ـ الكتاب ٣٦

دعاؤه على قريش إذ سلبوه حقه

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء ، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل :

فَسَرَّحْتُ إلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً . . .

منه :

فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّـلَالِ ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَـاقِ ، وَجِماحَهُمْ فِي التِّيهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْماعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي ؛ فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ؛ وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي .

الشرح :

قوله : « فدع عنك قريشاً » إلى قوله : « على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله » ، هذا الكلام حقّ ، فإنَّ قريشاً اجتمعت على حـربه منـذ يوم بـويع بغضـاً له وحسـداً وحقداً عليه ، فأصفقوا كلّهم يداً واحدة على شقاقه وحَرْبه ، كما كانت حالهم في ابتداء الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم تخرم حاله من حاله أبداً إلاّ أن ذاك عصمه الله من القتل ، فمات موتاً طبيعياً ، وهذا اغتاله إنسان فقتله .

قـوله : « فجـزت قريشـاً عنّي الجوازي ، فقـد قطعـوا رحمي ، وسلبـوني سلطانَ ابن أمّي » ، هذه كلمة تجـري مجرى المثـل ، تقول لمن يسيء إليـك وتدعـو عليه : جـزتك عني الجوازي ! يقال جزاه الله بما صنـع ، وجازاه الله بمـا صنع ! ومصـدر الأول جزاء ، والثـاني مجازاة ، وأصل الكلمة أن الجوازي جمع جازية كالجواري جمع جارية ، فكأنه يقول : جَزَتْ

قريشاً عنّي بما صنعت لي كل خصلة من نكبة أو شدة أو مصيبة أو جائحة ، أي جعل الله هذه الدواهي كلّها جزاء قريش بما صنعت بي . وسلطان ابن أمّي ، يعني به الخلافة ، وابن أمّه هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ، أمّ عبد الله وأبي طالب ، ولم يقل سلطان ابن أبي ؛ لأنَّ غير أبي طالب من الأعمام يشرَكه في النسب إلى عبد المطلب .

قال الراونديّ : الجوازي : جمعُ جازية ، وهي النفس التي تجزى ، أي جزاهم وفعل بهم ما يستحقون عساكر لأجلي وفي نيابتي ، وكافأهم سريّة تنهض إليهم ؛ وهذا إشارة إلى بني أميّة يهلكون من بعده . وهذا تفسير غريب طريف .

٤٠ ـ الكتاب ٤٥

فدك المغصوبة وصفته (ع)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ ـ وكان عامله على البصرة ، وقد بلغه أنه دعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها ـ قوله :

أَمَّا بَعْدُ يَـابْنَ حُنَيْفٍ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُـلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْـلِ الْبَصْرَةِ دَعَـاكَ إِلَى مَأْدُبَـةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا . . .

منها :

بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ مِنْ كُـلِّ مَا أَظَلَّتْـهُ السَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَـا نُفُوسُ قَـوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَنِعْمَ الحَكَمُ اللَّهُ .

الشرح :

يقول : وإنّما كانت في أيدينا فَدَك فشحّت عليها نفوسُ قوم ، أي بخلتْ وسختْ عنها نفوسُ آخرين ، أي سامحت وأغْضَتْ . وليس يعني ها هنا بالسخاء إلَّا هذا ، لا السخاء الحقيقيّ ، لأنّه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفَدَك إلَّا غصباً وقَسْراً ؛ وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدّم ، وهو يعني الخلافة بعد وفاةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله .

ثم قال : « ونعم الحَكَم الله » ، الحَكَم : الحاكم ، وهذا الكلام كلامُ شاكٍ متظلّم .

ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فدك

فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم ، لا من كُتب الشيعة

ورجالهم ، لأنّا مشترطون على أنفسنا ألاّ نحفل بذلك ، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في السقيفة وفَدَك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عَقِب وفاةِ النبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ وأبو بكر الجوهريّ هذا عالم مُحدِّث كثير الأدب ، ثقة وَرِع ، أثنَى عليه المحدّثون وَرَوَوْا عنه مصنّفاته .

قال أبو بكر : حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال : حدّثنا حيّان بن بشر ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبَرَنا ابن أبي زائدة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزّهري قال : بقيت بقيّةٌ من أهل خيبر تحصّنوا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يَحقِن دماءهم فيُسيِّرهم ، ففعل ، فسمع ذلك أهلُ فَدَك[1] فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت للنبيّ صلّى الله عليه وآله خاصّة ، لأنّه لم يُوجِف عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

قال أبو بكر : وَرَوَى محمّد بن إسحاق أيضاً ؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فرغ من خيبرَ قذف الله الرعبَ في قلوب أهلِ فَدَك ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فصالحوه على النِّصف من فَدَك ، فَقَدِمَتْ عليه رسلُهم بخيبر أو بالطريق ، أو بعد ما أقام بالمدينة ، فقبل ذلك منهم ، وكانت فَدَكْ لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصةً له ، لأنّه لم يوجِف عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

قال : وقد روى أنّه صالَحهم عليها كلَّها ، الله أعلم أيُّ الأمرين كان .

قال أبو بكر : فحدّثني محمّد بن زكريا قال : حدّثني جعفر بن محمد بن عُمارة الكنديّ قال : حدثني أبي ، عن الحسين بن صالح بن حيّ ، قال : حدثني رجلان من بني هاشم ، عن زينبَ بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال : وقال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر : وحدّثني عثمان بن عمران العجيفيّ ، عن نائل بن نَجِيح بن عمير بن شَمِر ، عن جابر الجُعفيّ ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام . قال أبو بكر : وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن حسن بن الحسن . قالوا جميعاً : لمّا بلغ فاطمةَ عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فَدَك ، لاثتْ خِمَارَها ، وأقبلت في لُمّةٍ من حَفَدَتِها ونساء قومها ، تطأ في ذيولها ، ما تخرم

---

(١) فدك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يومان* .

* ورد عن الامام الكاظم موسى بن جعفر بأن المعنى الرمزي لفدك هو أن حدودها هي عدن وسمرقند وافريقية وسيف البحر مما يلي الجزر وارمينية ، ويقصد كل الأرض الاسلامية عن كتاب فدك لمحمد باقر الصدر ص ٢٥ .

* شرح النهج : الجزء ١٦ ص ٢١١ .

مِشْيتها مِشْية رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، حتّى دخلتْ على أبي بكر وقد حشَد الناس من المهاجرين والأنصار ، فضرب بينها وبينهم رَيْطةً بيضاء ـ وقال بعضهم : قِبْطيّة ، وقالوا : قُبْطية بالكسر والضمّ ـ ثم أنّت أنّةً أجْهَش لها القوم بالبكاء ، ثمّ أمهلتْ طويلاً حتى سكنوا من فَوْرتهم ، ثمّ قالت : ابتدىءُ بحَمْد مَن هو أولى بالحمد والطَّوْل والمجد ، الحمد لله على ما أنعَم وله الشكر بما ألهَمَ . وذكر خطبةً طويلةً جيّدة قالت في آخرها : « فاتّقوا الله حقّ تُقاتِه ، وأطيعوه فيما أمرَكم به ، فإنَّما يَخشَى الله من عباده العلماء ، واحْمدوا اللّهَ الّـذي لعظمته ونوره يَبتغِي مَن في السموات والأرض إليه الوسيلة ، ونحن وسيلتُه في خلقه ، ونحن خاصّته ، ومحلّ قدسه ، ونحن حجّته في غيبه ، ونحن ورثة أنبيائه ، ثم قالت : أنا فاطمة ابنة محمّد ، أقول عَوْداً على بدء ، وما أقول ذلك سَرَفاً ولا شَطَطاً ، فاسمعوا بأسماع واعية ، وقلوب راعية ، ثم قالت : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾(١) فإن تَعْزُوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأخا ابن عمّي دون رجالكم ، ثم ذكرتُ كلاماً طويلاً سنذكره فيها بعد في الفصل الثاني ، تقول في آخره : ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرثَ لي ؛ ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾(٢) أيهاً معاشرَ المسلمين ، ابتُزّ إرث أبي ! أبَى اللَّهُ أن تَرِث يابن أبي قُحافة أباك ولا أرث أبي ، لقد جئتَ شيئاً فَرِيّاً ! فدونَكَها مخطومةً مَرْحولةً تلقاك يومَ حشرِك ، فنعم الحَكَم الله ، والزعيم محمّد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يَخسَر المُبطِلون ، ولكل نبإ مستقرٌّ وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم ! ثم التفتتْ إلى قبرِ أبيها فتمثّلت بقول هندٍ بنت أثاثة :

قد كان بعدَك أنباءُ وَهَيْنمةٌ لو كنتَ شاهدَها لم تكثُرِ الخطبُ(٣)
أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورِهمُ لمّا قضيتَ وحالتَ دونَكَ الكُتُبُ
تجهّمْتنا رجالٌ واستُخِفَّ بنا إذا غبتَ عنّا فنحن اليومَ نُغتصَبُ

قال : ولم ير الناسُ أكثر باك ولا باكيةٌ منهم يومئذٍ . ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يا معشر البقيّة ، وأعضاد الملّة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الفَتْرة عن نُصْرتي ، والوَنْية عن معونتي ، والغمزة في حقّي ، والسِّنة عن ظُلَامتي ! أما كان رسول الله صلى الله

---

(١) سورة التوبة ١٢٨ و ١٢٩ .

(٢) سورة المائدة : ٥٠ .

(٣) الهينمة : الصوت الخفي ، وانظر اللسان .

عليه وآله يقول : « المرء يُحفظ في ولده » ! سرعانَ ما أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم . ألأنْ مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمَتُّمْ دينه ! ها إنَّ موته لَعمري خطبٌ جليل استوسع وَهنُه ، واستبهم فتقُه ، وفُقِدَ راتقُـه ، وأظلمتْ الأرض له ، وخَشَعت الجبـال ، وأكْدَت الآمـال . أُضيع بَعدَه الحريم ، وهُتِكت الحرمة ، وأُذيلت المصونة ، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته ، وأنبأكم بها قبل وفاته ، فقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) أيها بني قَيْلة ! اهتضم تُراث أبي ، وأنتم بمرأى ومَسمَع ، تبلغكم الـدعوة ، ويشملكم الصوت ، وفيكم العُدَّة والعدد ، ولكم الدار والجنَن وأنتم نُخبة الله الَّتي انتَخب ، وخِيرته الَّتي اختار ! باديتم العَرَب ، وبادهتم الأمور ، وكافحتم البهم حتى دارت بكم رَحَى الإسلام ، ودرّ حلبه ، وخَبَتْ نيران الحرب ، وسكنتْ فَورة الشّرك ، وهدأتْ دعوة الهَرَج ، واستـوثق نـظام الـدّين ، أفتـأخّـرتم بعـد الإقـدام ، ونَكَصْتم بعـد الشّـدة ، وجُبنتم بعـد الشجاعة ، عن قومٍ نَكَثُوا أيمانَهم من بعدِ عهدِهم وطَعنوا في دينِكم ! فقاتلوا أئمّة الكُفْر إنَّهم لا أيمانَ لهم لعلّهم ينتهون . ألاَ وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، ورَكَنْتم إلى الدّعة ، فجحدتم الّذي وعيتم ، وسُغْتم الذي سوّغتم ، وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ، ألاَ وقد قلتُ لكم ما قلت على معربفة منّي بالخذلـة التي خامـرتكم ، وخَوَر القناة ، وضعف اليقين ، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ، ناقبة الخفّ ، بـاقية العـار ، موسومة الشعار ، موصولة بنار الله الموقدة ، الَّتي تطّلع على الأفئـدة ، فبعين الله مـا تعملون ﴿ وسيعلم الَّذي ظَلَموا أيَّ منقَلب ينقلبون ﴾ .

قال : وحدّثني محمد بن زكريا قال : حدثنا محمد بن الضحّاك قال : حدّثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحَكَم قال : لمَّا كلَّمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلَّمته به حَمِد أبو بكرٍ اللَّهَ وأثنَى عليه وصلّى على رسوله ثم قال : يَا خَيْرَ النساء ، وابنـة خير الآبـاء ، واللَّهِ ما عدوتُ رأيَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، وما عملتُ إلاَّ بـأمره ، وإنَّ الـرائد لا يَكـذِب أهلَه ، وقد قلتِ فأبلغتِ ، وأغلظتِ فأهجرتِ ، فغَفَر الله لنا ولك . أمَّا بعد ، فقد دفعت آلةَ رسول الله ودابّته وحذاءَه إلى عليّ عليه السلام ، وأمّا ما سوى ذلك فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « إنَّا معاشرَ الأنبياء لا نُورِث ذهباً ولا فضّة ولا أرضاً ولا عَقاراً ولا

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

داراً ، ولكنّا نورث الإيمانَ والحكمةَ والعِلم والسنّة » ، فقد عملت بما أمرني ، ونصحت له ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

قال أبو بكر : وروى هشام بن محمد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أعطاني فدَك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله خلْقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ، ولودِدْتُ أنَّ السماء وقعت على الأرض يومَ مات أبوكِ ، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري ، أتراني أعطى الأحمر والأبيض حقّه واظلمك حقّك ، وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال ، وينفقه في سبيل الله ، فلما توفّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وليته كما كان يليه . قالت : والله لا كلّمتك أبداً ! قال : والله لا هجرتك أبداً ؛ قالت : والله لأدعونّ الله عليك ؛ قال : والله لأدعونّ الله لك ، فلما حضرتْها الوفاةُ أوصتْ ألاّ يصليَّ عليها ، فدفنتْ ليلاً ، وصلى عليها عباسُ بن عبد المطلب ، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة .

قال أبو بكر : وحدّثني محمد بن زكريا ، قال : حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال : فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها فصعد المنبر وقال : أيّها الناس ، ما هذه الرِّعة إلى كلّ قالة ! أين كانت هذه الأمانيّ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلّم ، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه ، مُرِبٌّ لكلّ فتنة ، هو الذي يقول : كرّوها جذعة بعدما هرمت ، يستعينون بالضعفة ، ويستنصرون بالنساء ، كأمّ طِحال أحبّ أهلها إليها البغي . ألا إني لو أشاء أن أقول لقُلتُ ولو قلتُ لبحتُ ، إني ساكت ما تركت . ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنتم . فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولا لساناً على مَنْ لم يستحقّ ذلك منّا .

ثم نزل ؛ فانصرفتْ فاطمة عليها السلام إلى منزلها*.

---

* علق السيد محمد باقر الصدر على هذا الكلام في كتابه فدك ص ٥١ فقال :

وهذا الكلام يكشف لنا عن جانب من شخصية الخليفة ، ويلقي ضوءاً على منازعة الزهراء له ، والذي يهمنا الآن ما يوضحه من أمر هذه المنازعة وانطباعات الخليفة عنها ، فإنه فهم حق الفهم ان احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أوالنحلة ، وإنما كان حرباً سياسية كما نسميها اليوم وتظلما لقرينها العظيم الذي شاء الخليفة وأصحابه أن يبعدوه عن المقام الطبيعي له في دنيا الاسلام ، فلم يتكلم إلاّ عن علي فوصفه بانه ثعالة وانه مرب لكل فتنة وانه كام طحال وان فاطمة ذنبه التابع له ، ولم يذكر عن الميراث قليلاً أو كثيراً .

قلت : قرأتُ هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصريّ وقلت له : بمن يعرّض ؟ فقال : بل يصرّح . قلتُ : لو صرّح لم أسألك . فضحك وقال : بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قلت : هذا الكلام كله لعليّ يقوله ! قال : نعم ، إنه المُلْك يابني ، قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بذكر عليٍّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم . فسألته عن غريبه ، فقال : أما الرِّعة بالتخفيف ، أي الاستماع والإصغاء ؛ والقالة : القول ، وثُعالة : اسم الثعلب علم غيرُ مصروف ، ومثل ذُؤالة للذئب ، وشهيده ذنبه ، أي لا شاهد له على ما يدَّعي إلاَّ بعضه وجزء منه ، وأصله مثل ، قالوا : إنَّ الثعلب أراد أن يُغريَ الأسد بالذئب ، فقال : إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك ، وكنت حاضراً ، قال : فمن يشهد لك بذلك ؟ فرفع ذنبه وعليه دم ، وكان الأسد قد افتقد الشاة . فقبل شهادته ، وقتل الذئب ، ومُرِبّ : ملازم ، أرِبَّ بالمكان . وكرّوها جَذَعة : أعيدوها إلى الحال الأولى ، يعني الفتنة والهرْج . وأمّ طِحال : امرأةٌ بغيٌّ في الجاهلية ، ويضرب بها المثل فيقال : أزنى من أمّ طِحال .

قال أبو بكر : وحدّثني محمد بن زكريّا قال : حدّثني ابن عائشة ، قال : حدّثني أبي ، عن عمّه قال : لمّا كلمت فاطمة أبا بكر بكى ، ثم قال : يابنةَ رسول الله ، والله ما ورّث أبوك ديناراً ولا درهماً ، وإنّه قال : إنَّ الأنبياء لا يورثون ، فقالت : إنَّ فَدَك وَهَبها لي رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله ، قال : فمن يشهد بذلك*؟ فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشهد ،

* توسع السيد الصدر في مناقشة هذه القضية وهي النحلة من كتابه فدك ونحن نلخص هنا ما جاء في الصفحات ١٤٣ الى ١٥٢ من ملاحظات حول هذا الموضوع .

الملاحظة الأولى : هي وقوف الصديق موقف الحاكم مع ان خلافته لم تكتسب لوناً شرعياً إلى ذلك الحين على اقل تقدير .

الملاحظة الثانية : هي أن فدكاً إذا كانت بيد الزهراء عليها السلام فلا حاجة لها إلى البينة ، وكانت الحيازة دليل على الملكية فلماذا لم تحتج بذلك ولماذا استدلت بآيات الميراث ؟ وجواب ذلك هو أن فدكاً كانت ارضاً مترامية الأطراف ، وليست من الأمور التي يسهل معرفة حيازتها كما أنها كانت تبعد عن المدينة أياماً إضافة إلى كونها ارض يهودية خارج المحيط الاسلامي ، وعلى هذا فما الذي كان يمنع الخليفة من مطالبته الزهراء بالبينة اذا ما ادعت ملكيتها .

الملاحظة الثالثة : هل كان الصديق يعتقد بعصمة الزهراء ويؤمن بآية التطهير التي نفت الرجس عن جماعة منهم فاطمة ؟ وجواب ذلك هو نعم قطعاً لأن سبب علمه ليس من الأسباب التي تنتج توهماً خاطئاً وجهلاً مركباً وإنما هو قرآن كريم دل على عصمة المدعية . وعلى هذا فإن صدق المدعية اطلاقاً بشهادة الله تعالى في كتابه المجيد له من الخاصية ما يفوق البينة التي قد تخطأ في المجالات القضائية .

وجاءت أمّ أيمنَ فشهدتْ أيضاً ، فجاء عمر بُن الخطّاب وعبدُ الرحمن بن عوف فشهد أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يقسمها ، قال أبو بكر : صدقت يا ابنةَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وصدق عليّ ، وصدقتْ أمَّ أيمنَ ، وصدق عمر ، وصَدَق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك أنْ مالك لأبيك ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يأخذ من فَدَك قوتكم ، ويقسم الباقي ، ويحمل منه في سبيل الله ، فما تصنعين بها ؟ قالت : أصنع بها كما يصنع بها أبي ؛ قال : فلك عليّ الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك ، قالت : اللّه لتفعلنّ ! قال : الله لأفعلنّ ، قالت : اللهمّ أشهد ؛ وكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ، ويقسم الباقي ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان عليّ كذلك* ؛ فلمّا ولي

الملاحظة الرابعة : وهي ان احداً من المسلمين لم يشك في صدق الزهراء وإنما قام النزاع بين المتنازعين في ان العلم بصواب الدعوى هل يكفي مدركاً للحكم على وفقها ام لا . . . فإذا وضعنا آية التطهير جانباً وفرضنا ان الخليفة كان موقفه كأحد هؤلاء المسلمين الذين صدَّقوا الزهراء فيما تدعيه فإنه وعلى هذا الفرض كان عليه ان يحكم وفق علمه لجواز ذلك للحاكم أولاً ولأن البينة التي طالب الزهراء بها لم يكن لتحسن من ادعاء الزهراء لأن البينة هي شهادة اناس آخرين لهم العلم الذي يحتمل فيه الخطأ والاشتباه على أن الخليفة كان يكتفي كثيراً بالدعوى المجردة عن البينة فقد جاء عنه في صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨ أن النبي (ص) لما مات جاء لأبي بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي فقال من كان له عليَّ دين أو كانت قبله عدة فليأتنا قال جابر : وعدني رسول الله (ص) أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا فبسط يده ثلاث مرات فعد في يدي خمسمأة ثم خمسمأة وروي في الطبقات ج ٤ ص ١٣٤ عن ابي سعيد الخدري أنه قال : سمعت منادي ابي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين : من كانت له عدة عند رسول الله (ص) فليأت ؟ فيأتيه رجال فيعطيهم فجاء أبو بشير المازني فقال : إن رسول الله (ص) قال يا ابا بشير إذا جاءنا شيء فأتنا ، فاعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً فوجدوها الفاً وأربعمائة درهم . فلماذا يا ترى طالب الخليفة الزهراء بالبينة في حين لم يطالب أحداً من الصحابة الذين ادعوا وعد النبي (ص) لهم بالمال أو الدين ؟ فإذا كان العلم بصدق المدعى مجوزاً لاعطائه ما يدعيه فلا ريب أن الذي لا يتّهم جابراً أو أبا بشير بالكذب يرتفع بالزهراء عن ذلك ايضاً (يشير بذلك إلى ما سيأتي في الملاحظة الخامسة من مطالبة بعض الصحابة بديون وعدات) .

الملاحظة الخامسة : إذا وضعنا جانباً النتيجة التي وصلنا اليها في الملاحظة الرابعة وقد فرضنا ان البينة لا بد منها للخليفة لكي يحكم للزهراء ، فما الذي منعه من الشهادة لها إذا كان عالماً بصدقها ويضم بذلك شهادته الى شهادة علي فتكتمل البينة بالشاهدين ويثبت الحق ، والنتيجة هي ان الخليفة إذا كان يعلم بملكية الزهراء لفدك فالواجب عليه أن لا يتصرف فيها بما تكرهه ولا ينزعها منها سواء جاز له أن يحكم بعلمه أم لا خصوصاً وانه لم يكن هناك جهة اخرى تطالب بفدك .

* علق السيد الصدر على ذلك في كتابه فدك ص ٢٧ قال : امنع أن يكون امير المؤمنين قد سار على طريقة الصديق ، فان التأريخ لم يصرح بشيء من ذلك بل صرح بأن أمير المؤمنين كان يرى فدكاً لأهل البيت ، وقد سجل هذا الرأي بوضوح في رسالته الى عثمان بن حنيف كما سيأتي (وهي الرسالة التي نحن بصدد شرحها) فمن الممكن انه كان يخص ورثة الزهراء وهم اولادها وزوجها بحاصلات فدك . وليس في هذا التخصيص ما =

الأمرَ معاوية بن أبي سُفْيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عَمرو بنَ عثمان بن عفـان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن عـليّ عليه السـلام ؛ فلم يزالوا يتداوَلُونها حتّى خَلَصتْ كلّها لمروان بن الحكم أيَّام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز ابنِه ، فوهَبَها عبدُ العزيز لابنه عمرَ بن عبد العزيز ، فلمّا ولِيَ عمر بن العزيز الخلافـة ، كانت أوّل ظُلامة ردّهـا ، دعا حسنَ بنَ الحسن بن عـليّ بن أبي طالب عليـه السلام ـ وقيـل : بل دعـا عليّ بن الحسين عليه السلام ـ فردّها عليه ، وكانت بَيدِ أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز ، فلمّا ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم ، فصارت في أيدي بني مَرْوان كما كـانت يتداولـونها ، حتّى انتقلت الخلافـة عنهم ، فلمّا ولى أبو العبّـاس السفّـاح ردّهـا عـلى عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر لمّا حدث من بني حسن ما حدث ، ثم ردَّها المهديّ ابنه على ولد فاطمة عليها السلام ، ثمّ قبضها موسى بن المهديّ وهارون أخوه ، فلم تزل في أيديهم حتّى ولى المأمون ، فردّها على الفاطميّين .

قال أبو بكر : حدّثني محمّد بن زكريا قال : حـدثني مهديّ بن سـابق ، قال : جلس المأمون للمظالم ، فأوّل رُقعة وقعتْ في يده نظر فيها وبكى ، وقال للّذي على رأسه : نادِ أين وكيلُ فاطمة ؟ فقام شيخ عليه دُرّاعة وعمامة وخُفّ تَعِزّى ، فتقـدم فجعل ينـاظره في فَـدَك والمأمون يحتجّ عليه وهو يحتجّ على المأمون ، ثم أمر أن يسجّل لهم بها ، فكتب السجلّ وقرىء عليه ، فأنفذه ، فقام دِعْبل إلى المأمون فأنشده الأبيات الّتي أوّلها :

أصبَحَ وجهُ الزّمان قد ضَحِكا   بردّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكا[1]

فلم تزل في أيديهم حتّى كان في أيّام المتوكّل ، فأقطعها عبدَ الله بن عمر البازيار ، وكان فيهـا إحدى عشرة نخلةً غَرَسها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيَده ، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها . فإذا قدم الحُجّاج أهدوْا لهم من ذلك التمر فَيصِلونهم ، فيصير إليهم من ذلك مـال جـزيل جليـل ، فصرم[2] عبـد الله بن عمر البـازيار ذلـك التمر ، ووجّـه رجلاً يقـال لـه بشران بن أبي أميّة الثقفي إلى المدينة فصَرَمه ، ثم عاد إلى البَصرة ففُلِج .

= يوجب اشاعة الخبر لأن المال كان عنده وأهله الشرعيون هو وأولاده كما يحتمل انه كان ينفق غلاتها في مصالح المسلمين برضىً منه ومن اولاده عليهم الصلاة والسلام بل لعلهم أوقفوها وجعلوها من الصدقات العامة .

(١) ديوانه ١١٩ ، معجم البلدان (فدك) .

(٢) صرم النخل : جذاه وقطعه .

قال أبو بكر : أخبرَنا أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا : حدّثنا الوليد بن محمّد ، عن الزّهريّ ، عن عروة ، عن عائشة أنَّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وآله ، وهي حينئذٍ تطلب ما كان لرسول الله صلَّى الله عليه وآله بالمدينة وفَدَك ، وما بقي من خُمس خيبر ، فقال أبو بكر : إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قال : « لا نُورَث ، ما تركْنا صَدَقة » ، إنَّما يأكل آلُ محمّد من هذا المال ، وإنِّي والله لا أغيّر شيئاً من صَدَقات رسول الله صلَّى الله عليه وسلم عن حالها الَّتي كانت عليها في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ولأعملنَّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجِدَتْ من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تكلِّمه حتى توفّيت ، وعاشتّ بعد أبيها ستّة أشهر ، فلمّا توفّيت دفنَها عليّ عليه السلام ليلاً ، ولم يُؤْذِن بها أبا بكر .

ثم ذكر الشارح الحديث مخرجاً بطرق أخرى عن أبي بكر الجوهري .

قال أبو بكر : وأخبَرَنا أبو زيد قال :حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة قال : حدّثنا محمّد بن الفضل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : أرسلتْ فاطمة إلى أبي بكر أنتَ ورثتَ رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهلُه ؛ قالت : فما بالُ سهم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : إنِّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ الله أطعم نبيّه طعمة » ، ثم قبضه ، وجعله للَّذي يقوم بعده ، فوليت أنا بعده ، على أن أرده على المسلمين ، قالت : أنتَ وما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم .

قلت : في هذا الحديث عجب ، لأنها قالت له : أنت ورثتَ رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال : بل أهلُه ؛ وهذا تصريح بأنه صلّى الله عليه وآله مَورُوث يرثه أهله ، وهو خلاف قوله : « لا نورَث » وأيضاً فإنَّه يدلّ على أنّ أبا بكر استَنبط من قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّ الله أطعم نبيّاً طعمة أن يُجرَيَ رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبي صلَّى الله عليه وآله ، أو يكون قد فهم أنَّه عنى بذلك النّبي المنكر لفظاً نفسه ، كما فهم من قوله في خطبته ، إنَّ عبداً خيّره الله بين الدنيا وما عند ربّه ، فاختار ما عند ربه ، فقال أبو بكر: بل نفديك بأنفسنا .

ثم ذكر الشارح الحديث مخرجاً بطرق أخرى عن أبي بكر الجوهري ، قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن نافع والقعنبيّ ، عن مالك عن الزهريّ ، عن

عروة ، عن عائشة أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله أردْنا لما توفِّيَ أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكرٍ يسألنه ميراثهنّ ـ أو قال ثمَنهنّ ـ قالت : فقلت لهنّ : أليس قد قال النبيّ صلى الله عليه وآله : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » .

قال أبو بكـر : وأخبرنـا أبو زيـد ، قال : حـدّثنا عبـدالله بن نافـع القعنبي وبشر بن عمـر ، عن مالـك ، عن أبي الزّنـاد ، عن الأعرج ، عن أبي هـريرة ، عن النبي صـلى الله عليه وآله . قـال : « لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهمـاً ، ما تـركتُ بعدَ نفقـة نسائي ومئـونة عيالي فهو صدقة » .

قلت : هذا حديث غريب ، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلاّ أبـو بكر وحده .

وقال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد ، عن الحزامي ، عن ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « والّذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئاً ، ما تركت صدقـة » ، قال : وكـانت هذه الصَّدقة بيدِ عليٍّ عليه السلام ، غلب عليها العّباس ، وكانت فيها خصومتهما ، فأبى عمرُ أن يقسمها بينهما حتى أعرض عنها العبَّاس وغلب عليها عليه السلام ، ثم كـانت بيدِ حسن وحسـين ابنيّ عليٍّ عليـه السلام ، ثم كـانت بيَدِ عـليّ بن الحسـين عليـه السـلام والحسنْ بن الحسن ، كلاهما يتداولانها ، ثم بيد زيدْ بن عليّ عليه السلام* .

---

* ناقش السيد محمد باقر الصدر في كتابه فدك احتجاج الخليفة بحديث (لانُورث) وها نحن نلخص ما جاء في الصفحات ١١٢ الى ١١٥ فنقول أولاً : نلاحظ ان الخليفة لم يكن متأكداً من صحة هذا الحديث وإلاّ لما كتب للزهراء كتاباً بميراثها من أبيها ، هذا الكتاب الذي شقه عمر عندما رآه على ما تقول الرواية في السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١، وقد تحفظ السيد الصدر على الرواية على اساس عدم استعداد الخليفـة للتراجـع وإلاّ لتراجـع بعدما أنبته الزهراء في خطبتها بالمسجد ، إلاّ أنه في ذات الوقت لم يستبعدها على اساس ان كـل شيء كان يشجع على عدم حكايتها . ثانياً : ندم الخليفة ساعة وفاته على عدم تسليم فدك للزهراء مما يـدل على قلق عـظيم في نفسه لشعـوره بالنقص المـادي في حكمه على فـاطمة . ثـالثاً : ان وصيتـه بان يـدفن الى جـوار النبي (ص) تدل على انه عدل عن اعتبار روايته مدركاً قانونياً في الموضوع واستأذن ابنته في ان يدفن فيما ورثته من ارض الحجرة ـ إذا كان للزوجة نصيب في الأرض وكان نصيب عائشة يسع ذلك ـ أما لو كان يرى ان تركة النبي (ص) صدقة مشتركة بين المسلمين عامة للزمه الاستئذان منهم ، ولو استأذن البالغين فكيف بالقاصرين ؟ رابعاً : ما السبب في التفريق بين قضية فدك ومساكن زوجات النبي (ص) حتى تنتزع فدك من الزهراء في حين لا تنتزع البيوت من زوجاته (ص) ؟

خامساً : هل الحكم بعدم توريث الأنبياء مما اختص الله به خاتم الأنبياء (ص) دون غيره لكي يتم اجراءه على

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا يونس ، عن الزهريّ ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، أنَّ عمر بن الخطَّاب دعاه يوماً بعدما ارتفع النهار ، قال : فدخلتُ عليه وهو جالس على سريرُ رمال ليس بينه وبين الرمال فراش ، على وسادة أَدَم ، فقال : يا مالك ، إنه قد قدم من قومك أهلُ أبيات حضروا المدينة ، وقد أمرت لهم برضخ[1] فاقسمه ا بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، مُرْ بذلك غيري ، قال : اقسم أيها المرء .

قال : فبينا نحن على ذلك إذ دخل يرفأ ، فقال : هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، قال : ثم لبث قليلاً ، ثم جاء فقال : هل لك في عليّ والعباس يستأذنان عليك ؟ قال : ائذن لهما ، فلما دخلا ، قال عباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا ـ يعني علياً ـ وهما يختصمان في الصوافي[2] التي أفاء الله س على رسوله من أموال بني النضير ، قال : فاستبّ عليّ والعباس عند عمر ، فقال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين : اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر ، فقال عمر : أنشدكم الله الذي تقوم بإذنه السموات والأرض ، هل تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا نُورَث ، ما تركناه صدقة » ، يعني نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك ، فأقبل على العباس وعليّ فقال : أنشدكما الله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم . قال عمر : فإني أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله تبارك وتعالى خصَّ رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يُعطه غيره ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[3] ، وكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما اختارها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكُمُوها وثبتها فيكم حتى بقي منها هذا المال ، وكان ينفق منه على أهله سنتهم ، ثمَّ يأخذ ما بقي فيجعله فيما يجعل مال الله عزَّ

= الصديقة الزهراء دون سائر ورثة الأنبياء ام ان الرسل السابقين لم يبلغوا ذلك اهمالاً وذلك طمعاً بالمادة الزائفة ليورثونها أولادهم أم أن السياسة السائدة هي التي أوجدت هذا الحكم ؟.

سادساً : هل يعقل ان النبي (ص) لا يوضح هذه الحقيقة لبضعته وصفيته سيدة النساء فيدفع عنها هذه المحن وان تقف هذا الموقف والذي يؤدي الى اداة اختلاف بين المسلمين ثم لا يعلم به الا ابا بكر ؟

(١) الرضخ : المال .

(٢) الصوافي : الأملاك الواسعة ، والخبر في اللسان (صفا) .

(٣) سورة الحشر ٦.

وجلَّ ، فعل ذلك في حياته ثم توفّي ، فقال أبو بكر : أنا وليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضه الله ، وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتما حينئذٍ ، والتفت إلى عليّ والعباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارٌّ راشد ، تابع للحق ، ثم توفّى الله أبا بكر ، فقلت : أنا أَوْلى الناس بأبي بكر وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضتها سنتين ـ أو قال سنين من إمارتي ـ أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم قال : وأنتما ـ وأقبل على العباس وعليّ ـ تزعمان أني فيها ظالم فاجر ، والله يعلم أني فيها بارّ راشد ، تابع للحق ثم جئتماني وكلمتكما واحدةً ، وأمركما جميع ، فجئتني ـ يعني العباس ـ تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا ـ يعني عليّاً ـ يسألني نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، فلما بدا لي أن أدفعها إليكما قلت : أدفعها على أنّ عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وبما عملتُ به فيها ، وإلاَّ فلا تكلِّماني ! فقلتما : ادفعها إلينا بذلك ، فدفعتُها إليكما بذلك ، أفتلتمسان منّي قضاء غير ذلك ! والله الذي تقوم بإذنه السّموات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة . فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ فأنا أكفيكماها* .

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد قال : حدّثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنا

---

* علق السيد الصدر على موقف عمر في ص ٥١ من كتابه فدك بقوله ·
فقد نفهم من هذا الحديث اذا كان صحيحاً ان حكم الخليفة كان سياسياً موقتاً وان موقفه كان ضرورة من ضرورات الحكم في تلك الساعة الحرجة وإلاَّ فلم أهمل عمر بن الخطاب رواية الخليفة وطرحها جانباً وسلم فدكاً إلى العباس وعلي وموقفه منهما يدل على أنه سلم فدكاً إليهما على أساس أنها ميراث رسول الله لا على وجه التوكيل ، إذ لو كان على هذا الوحه لما صح لعلي والعباس ان يتنازعا في ان فدكاً هل هي نحلة من رسول الله لفاطمة أو تركة من تركاته التي يستحقها ورثته وما اثر هذا النزاع ولو فرض انها في رأي الخليفة مال للمسلمين وقد وكلهما في القيام عليه ، ولفض عمر النزاع وعرفهماأنه لا يرى فدكاً مالاً موروثاً ولا من املاك فاطمة وانما أوكل امرها اليهما لينوبا عنه برعايتها وتعاهدها كما ان عدم حكمه بفدك لعلي وحده معناه أنه لم يكن واثقاً بنحلة رسول الله (ص) فدكاً لفاطمة فليس من وجه لتسليمها الى علي والعباس إلاَّ الإرث .
وإذن ففي المسألة تقديران (احدهما) ان عمر كان يتهم الخليفة بوضع الحديث في نفي الارث (والآحر) أنه تأوله وفهم منه معنى لا ينفي التوريث ولكن لم يذكر تأويله ولم يناقش به أبا بكر حينما حدث به وسواء اصبح هذا أو ذاك ، فالجانب السياسي في المسألة ظاهر وإلاَّ فلماذا يتهم عمر الخليفة بوضع الحديث إذا لم يكن في ذلك ما يتصل بسياسة الحكم ، يومئذٍ ، ولماذا يخفي تأويله وتفسيره ، وهو الذي لم يتحرج عن ابداء مخالفته للنبي أو الخليفة الأول فيما اعترضهما من مسائل .

عبد الله بن المبارك قال : حدّثني يونس ، عن الزّهريّ قال : حدثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه ؛ قال فذكرت ذلك لعروة فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة تقول : أرسل أزواجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأل لهن ميراثهنّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه حتى كنت أردّهنّ عن ذلك ، فقلت : ألا تتقين الله ، ألم تعلمْن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا نورَث ، ما تركناه صدقة » ، يريد بذلك نفسه ؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، فانتهى أزواج النبيّ صلَّى الله عليه وآله إلى ما أمرتهنّ به .

قلت : هذا مشكل ، لأن الحديث الأول يتضمن أنَّ عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان ، فقال : أنشدتكم الله ، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » ، يعني نفسه ! فقالوا : نعم ، ومن جملتهم عثمان ، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسّلاً لأزواج النّبي صلى الله عليه وآله : يسأله أن يعطيهنّ الميراث ! اللهمَّ إلَّا أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير صدّقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحُسْنِ الظنّ ، وسمّوا ذلك عِلْماً ، لأنه قد يطلق على الظنّ اسم العلم .

فإن قال قائل : فهلّا حسن ظنّ عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولاً لزوجات النبيّ صلى الله عليه وآله في طلب الميراث ؟ .

قيل له : يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكّاً*، ثمَّ يغلب على ظنه صِدْقه لأمارات اقتضت تصديقه ، وكلّ الناس يقع لهم مثل ذلك .

وها هنا إشكال آخر ، وهو أنَّ عمر ناشد عليّاً والعبّاس : هل تَعلمان ذلك ؟ فقالا : نعم ، فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العبّاس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر ، وقد أوردناه نحن ! وهل يجوز أن يقال : كان العبّاس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الّذي لا يستحقّه ؟ وهل يجوز أن يقال : إنَّ عليّاً كان يعلم ذلك ويمكّن زوجته أن تطلب مالاً تستحقّه ، خرجت من دارها إلى المسجد ، ونازعت أبا بكر ، وكلّمته بما كلّمته إلّا بقوله وإذنه ورأيه . وأيضاً فإنه إذا كان صلّى الله عليه وآله لا يُورَث ، فقد أشكل دفع آلته ودابّته وحذائه إلى عليّ عليه السلام ، لأنَّه غير وارث في الأصل ، وإن كان أعطاه

* لا والله لم يكن شاكّاً وانما علم بأن الحديث كان ابن ساعته .

ذلك لأنّ زوجته بعُرْضة أن تَرث ، لولا الخبر ، فهو أيضاً غير جائز ، لأنَّ الخبر قد مَنَع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً .

ثم أورد الشارح* إشكالاً على الخبر الثاني الذي رواه هشام بن محمد الكلبي عن أبيه وهو أن الزهراء طلبت فَدَك وقالت : إن أبي أعطانيها وأن أم أيمن تشهد لي بذلك فقال لها أبو بكر : إن هذا المال لم يكن للنبي (ص) وإنما للمسلمين يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وهذا ليس بجواب صحيح إذ كان عليه أن يقول في الجواب بأن شهادة أم أيمن غير مقبولة .

ثم أورد الشارح* إشكالاً على الخبر الذي رواه محمد بن زكريا عن عائشة وهو أنه إذا شهد علي عليه السلام وأم أيمن بأن النبي (ص) قد وهب للزهراء فدكاً ، لم يصحّ اجتماع صدقها وصدق عبد الرحمن ولا ما تكلفه أبو بكر من تأويل ذلك يستقيم لأن كونها هبة لها يمنع من قوله : (كان يأخذ منها قُوتكم ويقسم الباقي ، ويحمل منه في سبيل الله) .

وأورد اشكالاً آخر ، وهو قول عمر لعلّي عليه السلام والعبّاس : وأنتما حينئذٍ تزعمان أنَّ أبا بكر فيها ظالم فاجر ، ثمَّ قال لّما ذكر نفسه : وأنتما تزعمان أنّي فيها ظالم فاجر ، فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزَّعم مع كونهما يعلمان أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال : « لا أورَث » ! إن هذا لمن أعجب العجائب ، ولولا أنَّ هذا الحديث ـ أعني حديث خصومة العبّاس وعليّ عند عمر ـ مذكورٌ في الصحاح المجمع عليها لما أطلت العجب من مضمونه ، إذ لو كان غير مذكور في الصّحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحّته ؛ وإنما الحديث في الصّحاح لا ريب في ذلك .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا ابن أبي شَيْبة ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّة ، عن أيّوب ، عن عكرمة ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال : جاء العبّاس وعليّ إلى عمر ، فقال العباس : اقضِ بيني وبين هذا الكذا وكذا ، أي يشتمه** ، فقال الناس : افصل بينهما ، فقال لا أفصل بينهما ، قد علما أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « لا نُورَث ، ما تركناه صدقة » .

---

* شرح النهج الجزء ١٦ ص ٢٢٥ بتصرف واختصار .

** انظر كيف نزلوا بالعباس وعلي إلى درجة سافلة جداً ، وهي أن يذهبا إلى الخليفة الذي لا يعترفان بامامته للخصومة ثم يشتم أحدهما الآخر ولكن لا ضرر إذا كان الراوي مالك بن أوس بن الحدثان الذي تجده يعاضد رواية (لا نورث) التي أشكلت على الناس والتي وضح لكل ذي عينين بأنها بنت ساعتها .

قلت : وهذا أيضاً مُشكل ، لأنّهما حضرا يتنازعان لا في الميراث ، بل في ولاية صدقة رسول الله صلّى الله عليه وآله أيّهما يتولاّها ولايةً لا إرثاً ! وعلى هذا كانت الخصومة ، فهل يكون جواب ذلك علماً أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله قال : « لا نُورَث » !

ثم أورد الشارح* الحديث بطريق آخر ذكره أبو بكر الجوهري ؛ وبعدها قال بأن هذا مشكلٌ أيضاً لأن المشهور هو أن أبا بكر هو الوحيد الذي روى حديث (نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث) حتى أن بعض أصحاب أبي علي أحد شيوخ الشارح تكلفوا جواباً لذلك لأن أبا علي كان لا يقبل الرواية إلاَّ من اثنين كالشهادة ، فرووا بأن مالك ابن أوس بن الحدثان أدعى أنه سمع الحديث من النبي (ص) . والحديث المشكل ينطق بأن أبا بكر استشهد عمر وغيره فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر ، والتي ما نقل منها أحد شيئاً .

قال أبو بكر** : وحدّثنا أبو زيد قال : حدّثنا عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي البَختريّ ، قال : قال لها أبو بكر لَمَّا طلبتْ فَدَك : بأبي أنتِ وأمّي ! أنت عندي الصادقة الأمينة ، إن كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم عَهِد إليك في ذلك عهداً ، أو وَعَدَكِ به وعداً ، صدَّقْتُكِ ، وسلَّمتُ إليك ! فقالت : لم يعهد إليَّ في ذلك بشيء ، ولكنّ الله تعالى يقول : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾(1) ، فقال : أشهد لقد سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : « إنَّا معاشر الأنبياء لا نُورَث » .

قلت : وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر ، لأنّها قد ادّعت أنه عَهِد إليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله في ذلك أعظم العهد ، وهو النِّحْلة ، فكيف سكتت عن ذكر هذا لَمّا سألها أبو بكر ! وهذا أعجبُ من العجب .

واعلم*** أنّ الناس يظنّون أنَّ نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين : في الميراث والنِّحلة ، وقد وجدتُ في الحديث أنَّها نازعتْ في أمر ثالث ، ومَنعها أبو بكر إياه أيضاً ، وهو سهم ذوي القربى .

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ : أخبرني أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : حدّثني هارون بن عمير ، قال : حدّثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدّثني صدقة أبو معاوية ،

* شرح النهج جزء ١٦ ص ٢٢٧ .

** شرح النهج جزء ١٦ ص ٢٢٨ .

(١) سورة النساء ١١ .

*** شرح النهج جزء ١٦ ص ٢٣٠

عن محمّد بن عبد الله ، عن محمّـد بن عبد الـرّحمن بن أبي بكر ، عن يـزيد الـرُّقاشيّ ، عن أنس بن مالك ، أنَّ فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت : لقد علمت الَّذي ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات ، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذَوِي القربى ! ثم قرأتْ عليه قولَه تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ . . . ﴾[1] الآية ، فقال لها أبو بكر : بأبي أنت وأمّي ووالدٍ وَلَدكِ ! السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وحقّ قرابته ، وأنا أقرأ من كتاب الله الَّذي تقرئين منه ، ولم يبلغ علمي منه أنَّ هـذا السّهم من الخمس يسلَّم إليكم كامـلاً ؛ قالت : أفلك هو ولأقربائك ؟ قال : لا ، بل أُنفِق عليكم منه ، وأُصرِف الباقي في مصالح المسلمين قالت : ليس هذا حكم الله تعالى ؛ قال : هذا حكم الله ، فإن كان رسولُ الله عَهِدَ إليك في هذا عهداً أو أَوجَبه لكم حقاً صدّقتكِ وسلّمته كلّه إليك وإلى أهلك ؛ قالت : إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يَعهَد إليّ في ذلك بشيء ، إلاَّ أنّي سمعته يقول لما أنـزلت هذه الآيـة : « أبشِروا آلَ محمّد فقد جاءكم الغِنَى » ؛ قال أبو بكر : لم يبلغ علمي من هذه الآية أن أسلّم إليكم هـذا السّهم كلّه كامـلاً ، ولكنْ لكم الغنى الّـذي يُغنيكم ، ويفضـل عنكم ، وهـذا عمر بن الخطّاب ، وأبو عبيدة بن الجرّاح فاسأليهم عن ذلك ، وانظري هل يوافِقُك عـلى ما طلبتِ أحد منهم ! فانصرفت إلى عمر فقالت له مِثل ما قالت لأبي بكر ، فقال لها مثل ما قاله لها أبو بكر ، فعجبتْ فاطمـة عليها السـلام من ذلك ، وتـظنّت أنَّهما كانـا قد تـذَاكَرا ذلـك واجتمعا عليه .

قال أبو بكر : وأخبَرَنا أبو زيد قال : حدثنا هارون بن عمير ، قال : حدّثنا الوليـد ، عن ابن أبي لهِيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أرادت فاطمةُ أبا بكر على فَدَك وسهم ذوي القربى ، فأبى عليها ، وجعلهما في مال الله تعالى .

ثم أورد الشارح الحديث مخرجاً بطرق أخرى والفاظ متشابهة رواها ابو بكر الجوهري .

قال أبو بكر : وحدّثني المؤمّل بن جعفر ، قال : حدّثني محمّد بن ميمون ، عن داود بن المبارك ، قال : أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن ونحن راجعـون من الحج في جماعة ، فسألناه عن مسائل ، وكنت أحدَ مَنْ سـأله ، فسـألتُه عن أبي بكـر وعمَر ، فقال : سئل جدّي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال : كانت أمّي صدّيقة

---

(١) سورة الأنفال ٤١ .

بنت نبيّ مرسل ، فماتت وهي غَضْبى على إنسان ، فنحن غِضابٌ لغضبهـا ، وإذا رضيتْ رَضِينا .

ثم أورد الشارح ما ذكره أبو بكر الجوهري في خطبة فاطمة الزهـراء بنساء المهـاجرين والأنصار لما اشتدَّ بها الوجع . وقد أثبتنا ذلك في بحث السقيفة لأن لا علاقة له بفَدَك ، اللهم إلاَّ بغضبها على أبي بكر وعمر وغيرها . يدل على ذلك قولها في هذه الخطبة (والله أصبحت عائفةً[1] لدُنْياكم ، قـالِيَةً لرجالكـم ، لفـظُتهم بعد أن عَجْمُتهم[2] ، وشنِئتهم[3] بعـد أن سَبَرْتهم)[4].

تكلم الشارح* عن الخبـر الذي يقـول بأن أبـا بكر رقَّ للزهـراء حيث لم يكن عمر حاضراً فكتب لها بفدك كتاباً ، فلما رآه عمر أخذ الصحيفة ومزقها بعد أن تفل فيها فمحاها وأورد أبياتاً لبعض الشيعة في هذه الحادثة** :

يـا آبنـةَ الـطَّاهِرِ كَمْ تُـوْ رَعُ بـالـظّلم عَـصـاكِ

منها :

ولـقـد أخـبَـرَهـم أنّ رضـاه فـي رِضـاكِ
دفـعـا النصّ عـلى إر ثـك لـمَّـا دَفَـعـاكِ

أخـبرَنا*** أبـوعُبيدالله محمـد بن عمران المَـرْزُبانيّ قـال : حدّثني محمّـد بن أحمـد الكـاتب ، قال : حدّثنا أحمد بن عبيـد بن ناصِح النحويّ ، قـال : حدَّثني الـزّياديّ ، قـال : حدّثنـا الشرقيّ بن القُطاميّ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما بلغ فاطمة إجماعُ أبي بكر على منعِها فَدَكَ لاثتْ خِمارَها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلتْ في لُمَّة[5] من حَفَدِتها . . .

---

(١) عائفة لدنياكم ، أي قالية لها كارهة .
(٢) عجمتهم : بلوتهم وخبرتهم .
(٣) شنئتهم . أبغضتهم.
(٤) سبرتهم : علمت أمورهم .
* ص ٢٣٤ .
** ذكرنا تعليق السيد الصدر في كتابه فدك على هذا الحديث فيما تقدم فليراجع .
*** شرح النهج جزء ١٦ ص ٢٤٩ .
(٥) اللمة ، بالضم والتشديد : الرفعة والجماعة .

قال المرتضى : وأخبرا المرزبانيّ قال : حدّثنا أبو بكر أحمد بن محمّد المكّي قال : حدّثنا أبو العيناء بن القاسم اليمانيّ قال : حدّثنا ابن عائشة ، قال : لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلتْ فاطمة إلى أبي بكر في لُمّة من حَفَدتها . ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا . . . ونساء قومها تطأ ذُيولها ما تخرم مِشيتُها مِشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنِيطت[1] دونَها مُلاءة ، ثم أنَّت أنّةً أجْهش لها القومُ بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نَشيجُ القوم وهدأت فَوْرَتهم ، افتتحت كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قالت : ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2] ، فإن تَعزُوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة ، مائلاً عن سَنن المشركين ، ضارباً ثَبَجهم ، يدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكظام[3] المشركين ؛ يهشم الأصنام ، ويفلّق الهام ، حتى انهزم الجمع وولّوا الدُّبُر ، وحتّى تفرّى[4] الليلُ عن صُبْحِه ، وأسفر الحقّ عن محضه ، ونطق زعيم الدّين ، وخرست شقائق الشياطين ، وتمّت كلمةُ الإخلاص ، وكنتم على شَفَا حفرةٍ من النار ، نُهزة الطامع ، ومذْقَة الشارب ، وقبْسة العجلان ، وموطأ الأقدام ، تشربون الطَّرْق[5] ، وتقتاتون القِدّ ؛ أذلّة خاسئين ، يختطفكم الناس من حولكم ، حتّى أنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللّتيّا والّتي ، وبعد أن مُني بهم الرجال وذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب ، و : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾[6] ، أو نجم قرن الشيطان ، أو فغرت فاغرة[7] قذف أخاه في لهواتها . ولا ينكفي حتى يطأ صِماخها بإخمصه ويطفىء عادية لَهَبها بسيفه ـ أو قالت : يخمد لهبها بحدّه ـ مكدوداً في ذات الله ، وأنتم في رفاهية فَكِهُون آمنون وادِعون .

إلى هنا انتهى خبرُ أبي العيناء عن ابن عائشة . وأما عروة عن عائشة ، فزاد بعدها

---

(١) نيطت : أي وصلت وعلقت .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس من الحلق .

(٤) تعزى : انشق .

(٥) الطرق : الماء الذي بالت الإبل فيه .

(٦) سورة المائدة ٦٤ . (٧) فغرت فاغرة : أي فتحت فاها .

هذا : حتّى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، ظهرتْ حسيكةُ النفاق ، وشمل جلباب الدّين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغَ خامل الآفكين ، وهَدَر فنيق المُبطلين ، فخطر في عَـرَصاتِكم ، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ؛ ولقربه متلاحظين . ثم استنهَضَكم فوجدكم خِفافاً ، وأحْمَشكم فألقاكم غِضاباً ، فَوَسَمتهم غيرَ إبلكم ، ووردْتُم غيرَ شِرْبكم ، هذا والعهد قريب ، والكَلْم رحيب[1] والجرح لمَّا يندمِل ، إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ، ﴿ **ألا في الفتنةِ سقطوا وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين** ﴾[2] ، ، فهيهات ! وأنّىٰ بكم وأنّىٰ تؤفكون ، وكتاب الله بين أظهركم ، زواجره بيّنة ، وشواهده لائحة ، وأوامره واضحة . أرغبةً عنه تريدون ، أم لغيره تحكمون ؛ بئس للظالمين بدلاً ! ومن يتبع غيرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهو في الآخرةِ منَ الخاسرين . ثم لم تلبثوا إلاَّ رَيث أن تسكن نَفْرتها ، تُسرّون حِسْواً في ارتغاء ، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المُدَى ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، ﴿ **أَفَحُكْمَ الجَّاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّـهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[3] . يابن أبي قحافة ، أترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فَرِيّاً* ! فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشْرِك ، فنعم الحكم الله ، والزعيمُ محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ! ثم انكفأت إلى قبر أبيها عليها السلام ، فقالت :

قد كان بعدَكَ أنباءٌ وهنبثةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخُطَبُ

إنا فقدناك فقد الأرض وابِلَها ... واختل قومُك فاشهدهم ولا تَغِب

وَرَوى حرميّ بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً :

فليتَ بعدَكَ كان الموت صادَفنا ... لما قضيت وحالت دونَكَ الكُتُبُ

قال : فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : يا

---

(١) رحيب ، أي واسع .

(٢) سورة التوبة ٤٩ .

(٣) سورة المائدة ٥٠ .

* هناك تتمة للخطبة نثبتها هنا نقلاً عن كتاب فدك للسيد محمد باقر الصدر ص ١٢٥ :

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول وورث سليمان داود ، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (الوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) افخصُكم الله بآية اخرج منها أبي ؟ أم هل تقولون : أهل ملتين لا يتوارثان ؟! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ؟ أم أنتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟!

خَيْرَ النساء ، وابنة خير الآباء ، والله ما عـدوتُ رأي رسول الله صـلى الله عليه وسلّم ، ولا عملتُ إلاَّ بـإذنه ، وإن الـرائد لا يكـذِب أهله ، وإني أشهد الله وكفى بـالله شهيـداً ؛ أني سمعتُ رسول الله يقول : « إنَّا معاشر الأنبياء لا نورِث ذهباً ، ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورِث الكتاب والحِكمة والعلم والنبوّة »*.

قال : فلما وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كُلم في ردّ فَدَك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أردّ شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر[1]** .

قال المرتضى : وأخبرنا أبو عبد الله المَرْزُبَانيّ : قال : حدثني عليّ بن هارون ، قـال : أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبيه قال : ذكرتُ لأبي الحسين زيد بن عـليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلامٍ فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيَّاهـا فَدَك ، وقلت له : إنَّ هؤلاء يـزعمون أنـه مصنوع وأنـه من كلام أبي العينـاء ، لأنَّ الكلام منسـوق البلاغـة ، فقال لي : رأيت مشـايخ آل أبي طـالب يـروونـه عن آبـائهم ويعلّمـونـه أولادهم ، وقد حدّثني به أبي عن جدّي يَبْلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ، وقد

* ناقش السيد الصدر رد الخليفة على احتجاج الزهراء بآية زكريا وذلك في كتابه فدك ، قال ص ١٤٢ :

ولا يجوز أن نستثني زكريا خاصة من سائر الأنبياء لأن حديث الخليفة لا يقبل هذا الاستثناء وهذا التفريق بين زكريا عليه السلام وغيره والنبوة ان اقتضت عدم التوريث فالأنبياء كلهم لا يورثون ولا نحتمـل ان يكون لنبـوة زكريا عليه السلام خاصيةجعلته يورث دون سائر الأنبياء وما هو ذنب زكريا عليه السلام أو ما هـو فضله الذي يسجل له هذا الإمتيـاز . أضـف إلى ذلك ان تخصيص كلمة الأنبياء الواردة في الحديث والخروج بها عما تستحقه من وضع لا ضرورة له بعد إن كان الحديث قابلاً للتفسير على اسلوب آخـر إن لم يكن هو المفهـوم الظاهر من الحديث كما وضحناه سابقاً فهو تفسير على كل حال فلماذا نفسر الحديث بأن تركة النبي لا تورث لنضطر الى أن نقول بأن رسول الله (ص) كان يعني بالأنبياء غير زكريا عليه السلام بـل لنأخـذ بالتفسيـر الآخر ونفهم من الحديث ان الأنبياء ليس إلهم من نفائس الدنيا ما يورثونه ونحفظ للفظ العام حقيقته .

ونعرف مما سبق ان صيغة الحديث لو كانت صريحة في ما اراده الخليفة لها من المعاني لناقضت القرآن الكريم ومصيرها الاهمال حينئذٍ وليس في المسألة سبيل الى اعتبار الحديث مدركاً قانونياً في موضوع التوريث ولذا لم يتفطن الصديق الى جواب يدفع به اعتراض خصمه عليه بالآية الآنفة الذكر ولم يوفق واحد من اصحـابه الى الدفاع عن موقفه . وليس ذلك إلاَّ لأنهم احسوا بوضوح ان الحـديث يناقض الآيـة بمعناه الـذي يبرر مـوقف الحاكمين .

ولا يمكن ان نعتذر عن الخليفة بأنه يجوز اختيار احد النصين المتناقضين وتنفيذه كما يرتئيه جماعة من علماء الإسلام وقد اختار ان ينفذ مدلول الحديث وذلك لأن المعارض للقرآن باطل بلا ريب لأنه الحق وهل بعد الحق إلاَّ الضلال .

(١) الشافي ٢٣٠ .

** راجع الهامش على ما ادعوه من صنع أمير المؤمنين بفدك كما صنع أبو بكر وعمرو ذلك فيما سبق .

رواه مشايخ الشِّيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء ، وقد حدّث الحسين بن علوان ، عن عطية العوْفيّ ، أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام .

ثم قال أبو الحسن زيد : وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام ، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهلَ البيت . ثم ذكر الحديث بطُوله على نسقه ، وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين :

ضاقتْ عليّ بلادي بعدما رحُبتْ ... وسِمَ سِبْطاكَ خسفاً فيه لي نَصَبُ
فليت قبلَك كان الموتُ صادَفنا ... قومٌ تمنّوا فأُعطُوا كلَّ ما طلبوا
تجهّمَتْنا رجالٌ واستُخفّ بنا ... مذ غبت عنّا وكلّ الإرث قد غصبوا

قال : فما رأينا يوماً أكثرَ باكياً أو باكية من ذلك اليوم .

قال المرتضى : وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طُرُقٍ مختلفة ، ووجوه كثيرة ، فمن أرادها أخَذَها من مواضعها ، فكيف يدّعي أنّها عليها السلام كفّت راضية ، وأمسكت قانعة ، لولا البُهْت وقلّة الحياء(١)!

وسألت* علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم ، قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي عنده صادقة ؟ فتبسّم ، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرمته وقلّة دعابته ، قال : لو أعطاها اليوم فَدَك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء ؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيها تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود ؛ وهذا كلام صحيح ؛ وإن كان أخرجه مخرج الدُّعابة والهزْل .

وقد أخلّ قاضي** القضاة بلفظة حكاها عن الشيعة فلم يتكلّم عليها وهي لفظة جيدة . قال : قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم مما ارتكبا منها فضلاً عن الدِّين . وهذا الكلام لا جواب عنه ، ولقد كان التكرّم ورعاية حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عهده

---

(١) الشافي ٢٣١ .

* شرح النهج الجزء ١٦ ص ٢٨٤ .

** المصدر نفسه ص ٢٨٦ .

يقتضي أن تعوّض ابنته بشيء يرضيها إن لم يستنـزل المسلمون عن فَدَك وتُسلم إليها تـطييباً لقلبها . وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه ، وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم ، ولا نعلم حقيقة ما كان*، وإلى الله ترجع الأمور .

ومنها :

وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كالضَّوْءِ مِنَ الضَّـوْءِ ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُـدِ ؛ وَاللَّهِ لَوْ تَـظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا .

الشرح :

قـال : « وأنا من رسـول الله صلى الله عليـه وآله كـالضوء من الضـوء ، والذراع من العضد » ؛ وذلك لأن الضوء يكون علّة في الضوء الثاني ، ألا ترى أنَّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس ! فهذا الضَّوء هو الضوء الأول .

ثم إنَّه يقابل وجه الأرض فيضيء وجهُ الأرض منه ، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني ، وما دام الضوء الأول ضعيفاً فالضوء الثاني ضعيف ؛ فإذا ازداد الجوّ إضاءة ازداد وجـهُ الأرض إضاءة ، لأنَّ المعلول يتْبـع العلّة ، فشبّـه عليـه السـلام نفسَـه بـالضـوء الثـاني ، وشبّه رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بالضّوْء الأوّل ، وشبّـه منبع الأضـواء والأنوار سبحانه وجلّت أسماؤه بالشمس الّتي تـوجب الضوء الأوَّل ثم الضـوء الأول يوجب الضـوء الثاني . وها هنا نكتة ، وهي أنّ الضوء الثاني يكون أيضاً علّة لضوء ثالث ؛ وذلك أنَّ الضَّوْء الحاصل على وجه الأرض ـ وهو الضوء الثاني ـ إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريباً منه مكان مظلم ، فإنَّ ذلك المكان يصير مضيئاً بعد أن كان مظلماً ، وإن كان لذلك المكـان المظلم باب ، وكان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلـك الجدار أشـدَّ إضاءةً من

* لئن كان أبن ابي الحديد لا يعلم حقيقة ما كان فاننا ولله الحمد والفضل والمنّة قد علمنا حقيقة ما كان وهي أن الأمر كان على علاقة وثيقة بقضية الخلافة بل ان فدك ما كانت لتثار من قبل الزهراء لذاتها ، كيف وهي ازهد العالمين ، ولكنها ارادت أن تهدم الأساس الذي خافت على الأمة منه ، ولعمري قد كـانت تنظر من خـلال الحجب أذ قالت (ويعرف التالون غبَّ ما أسَّس الأولون) وهذا ما نراه رأي العين ونعيشه يومياً . لذا فإن تمنى البعض أن يتكرم الخليفة على الزهراء فيتنازل لها عن فدك تطيباً لنفسها يعد محالاً لأن ذلك كان محالاً ممتنعاً على الخليفة وإلَّا لنقض أو لبدأ بنقض ما شاده واعوانه من امر الخلافة . ولا نقول للصديق والفاروق إلَّا مـا أورده الشارح في الجزء ١٦ ص ٢٣٢ عن ابي بكر الجوهري ، رواية المفضّل للكميت :

الله يـعـلـم مـاذا يـحـضـران بـه   يـومَ الـقـيـامـةِ مـن عـذرٍ إذا اعـتَذَرا

باقي البيت ، ثم ذلك الجدار إنْ كان فيه ثُقب إلى موضع آخر كان ما يحاذي ذلك البيت أشدّ إضاءةً مما حواليه ، وهكذا لا تزال الأضواء يوجب بعضها بعضاً على وجه الانعكاس بطريق العلّيّة ، وبشرط المقابلة ، ولا تزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحلّ ويعود الأمر إلى الظلمة ؛ وهكذا عالم العلوم ؛ والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين عليه السلام لا تزال تضعف كلّما انتقلت من قومٍ إلى قوم إلى أن يعود الإسلام غريباً كما بدأ بموجب الخبر النبويّ الوارد في الصّحاح .

وأما قوله : « والذراع من العَضُد » فلأنَّ الذراع فرع على العَضُد ، والعضُد أصل ، ألا ترى أنَّه لا يمكن أن يكون ذراع إلاَّ إذا كان عضد ، ويمكن أن يكون عضد لا ذراع له ، ولهذا قال الراجز لولده :

يا بِكْر بِكْريْن ويا خِلْب الكَبِدْ　　　أصبحتَ منّي كذراعٍ من عَضُدْ

فشبّه عليه السلام بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالذّراع الذي العضد أصله وأسّه والمراد من هذا التشبيه الإبانة عن شدّة الامتزاج والاتّحاد والقرب بينهما ؛ فإنَّ الضوء الثاني شبيه بالضّوْء الأوَّل ، والذراع متّصل بالعَضُد اتصالاً بيّناً ؛ وهذه المنزلة قد أعطاها إياها رسول الله صلى الله عليه وآله في مقامات كثيرة نحو قوله في قصة براءة : « قد أمِرت أن لا يؤدّي عنّي إلاَّ أنا أو رجل منّي » ، وقوله : « لتنتهنّ يا بني وَليعة ، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً منّي » ، أو قال : « عديل نفسي » ، وقد سمّاه الكتاب العزيز « نفسه » فقال : ﴿ **وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾[1] ، وقد قال له : « لحمك مختلط بلحمي ، ودمك مسُوط بدمي ، وشبرك وشبري واحد » .

فإن قلت : أمّا قوله : « لو تظاهرت العرب عليّ لما وليت عنها » ، فمعلوم ، فما الفائدة في قوله : « ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها » ؟ وهل هذا مما يخفر به الرؤساء ويعدونه منقبة ؛ وإنَّما المنقبة أن لو أمكنته الفرصة تجاوز وعفا !

قلت : غرضه أن يقرّر في نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حقّ ، وأنَّ حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ من يجاهد الكفّار يجب عليه أن يُغْلِظ عليهم ، ويستأصل شأفَتهم ، ألا ترى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما

(١) سورة آل عمران ٦١ .

جاهد بني قُريظة وظفِر لم يبقِ ولم يَعْف ، وحصد في يوم واحد رقابَ ألف انسان صَبْراً في مقام واحد ، لما علم في ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين ، فالعفو له مقام والانتقام له مقام .

٤١ ـ الكتاب ٦٢

تنحيه (ع) عن الخلافة وسكوته عنها لمصلحة الدين والأمة

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لَمَّا ولاه إمارتها :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَمُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ ؛ فَلَمَّا مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي ، وَلاَ يَخْطُرُ بِبالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلاَنٍ يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ بِيَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلاَمِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنصُرِ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً ، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلاَيَتِكُمْ ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلاَئِلَ ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، وَكَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ .

الشرح :

المُهيمِن : الشاهد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً ﴾ ، أي تشهد بإيمان مَنْ آمَنَ وكُفْر مَن كَفَر . وقيل : تشهد بصحّة نبوّة الأنبياء قبلك . وقوله : « على المرسلين » ، يؤكّد صحّة هذا التفسير الثاني ، وأصل اللّفظة من « آمن غيره من الخوف » ، لأنَّ الشاهد يؤمّن غيره من الخَوْف بشهادته ، ثمّ تصرّفوا فيها فأبدلوا إحدَى همزتَي « مؤامن » ياء فصار « مُؤَيْمن » ، ثم قَلَبوا الهمزة هاءً كأرقْت وهرقت فصار « مُهَيْمن » .

والرُّوع : الخَلَد ؛ وفي الحديث : « إنَّ رُوح القُدْس نَفَث في رُوعي » ، قال : ما يخطر لي ببال أنَّ العرب تَعدِل بالأمر بعد وفاة محمّد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم ، ثمَّ من بني

هاشم عنّي ؛ لأنَّه كان المتيقّن بحكم الحال الحاضرة . وهذا الكلام يدلّ على بُطْلان دعوَى الإماميّة النصّ وخصوصاً الجليّ*.

---

* بل هو ما يثبت دعواهم ، لأنه لو كان هناك اي احتمال لأن يصرف الناس الأمر عنه لما قال وحلف بالله (فوالله ما كان يلقى في روعي ، ولا يخطر ببالي) ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على كونه منصوصاً عليه بلا جدال . وإلّا إن لم يكن منصوصاً عليه من النبي (ص) كيف لا يلقى في روعه ولا يخطر بباله أن العرب ستصرف الأمر عنه ؟ الأنه قتل منها الصناديد ، أم لأنه اثكل الأمهات والأخوات أم لأن كل حقد على رسول الله (ص) انصبَّ عليه لأنه وصيه ووارثه واقرب الناس اليه ، ام لأن الناس قد حسدوا عظيم منزلته وطول مناجاة الرسول اياه واختصاصه به ؟ أنه ليكون عجباً أن يسهو الانسان الاعتيادي عن ذلك فكيف بأمير المؤمنين ؟ ولكن المذاهب أعيت !! على ان النص على الأمير من قبل رسول الله (ص) كان في عدة مناسبات ولعل اعظمها نص يوم الغدير ، ولما كان الناس قد بدأوا بنسيانه أو تناسيه ومنهم من قضى نحبه ومنهم من بَعُد عن الحجاز قام امير المؤمنين بتثبيته للتاريخ لكي يصل الينا صريحاً واضحاً والحمد لله رب العالمين قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه (المراجعات) الذي لو لم يكن له غيره لكان قد ادَّى ما عليه من حق امير المؤمنين ، قال ص ٢١١ :

٤ ـ وحسبك منها ما قام به أمير المؤمنين ايام خلافته ، إذ جمع الناس في الرحبة فقال : أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله (ص) ، يقول يوم غدير خمّ ما قال ، إلّا قام فشهد بما سمع ، ولا يقم إلّا من رآه بعينيه وسمعه بأذنيه ، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً ، فشهدوا أنه اخذه بيده ، فقال للناس : أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : من كنت مولاه ، فهذا مولاه ، اللهمَّ والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، الحديث . وانت تعلم ان تواطؤ الثلاثين صحابياً على الكذب مما يمنعه العقل ، فحصول التواتر بمجرد شهادتهم اذن قطعي لا ريب فيه ، وقد حمل هذا الحديث ، عنهم كل من كان في الرحبة من تلك الجموع ، فبثوه بعد تفرقهم في البلاد ، فطار كل مطير . ولا يخفى أن يوم الرحبة إنما كان في خلافة امير المؤمنين ، وقد بويع سنة خمس وثلاثين ، ويوم الغدير إنما كان في حجة الوداع سنة عشر ، فبين اليومين ـ في أقل الصور ـ خمس وعشرون سنة ، كان في خلالها طاعون عمواس ، وحروب الفتوحات والغزوات على عهد الخلفاء الثلاثة ، وهذه المدة ـ وهي ربع قرن ـ بمجرد طولها وبحروبها وغاراتها ، وبطاعون عمواسها الجارف ، قد أفنت جل من شهد يوم الغدير من شيوخ الصحابة وكهولهم ، ومن فتيانهم المتسرعين ـ في الجهاد ـ الى لقاء الله عزَّ وجلَّ ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى لم يبق منهم حياً بالنسبة الى من مات إلّا قليل ، والأحياء منهم كانوا منتشرين في الأرض ، إذ لم يشهد منهم الرحبة إلّا من كان مع امير المؤمنين في العراق من الرجال دون النساء ، ومع هذا كله فقد قام ثلاثون صحابياً ، فيهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا بحديث الغدير سماعاً من رسول الله (ص) . ورب قوم أقعدهم البغض عن القيام بواجب الشهادة كانس[1] ابن مالك وغيره ، فأصابتهم دعوة امير المؤمنين عليه السلام ، ولو تسنى له أن يجمع كل من كان حياً يومئذٍ من الصحابة رجالاً ونساءاً ، ثم يناشدهم مناشدة الرحبة ، لشهد له أضعاف أضعاف الثلاثين ، فما ظنك لو تسنت له المناشدة في الحجاز قبل ان يمضي على عهد الغدير ما مضى من الزمن ؟ فتدبر هذه الحقيقة الراهنة تجدها أقوى دليل على تواتر حديث الغدير ، وحسبك مما جاء في يوم الرحبة من السنن ما أخرجه الامام أحمد ـ من حديث زيد بن أرقم في ص ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده ـ عن أبي الطفيل ، قال : جمع علي ،

قال : « فما راعني إلّا انثيال الناس » ، تقول للشيء يفْجَؤك بغتَةً : ما راعني إلّا كذا ، والرَّوْع بالفتح ؛ الفَزَع ، كأنه يقول : ما أفزعني شيء بعد ذلك السكون الذي كان عندي ، وتلك الثقة التي اطمأنَنْتُ إليها إلّا وقوعُ ما وقع من انثيال الناس ـ أي انصبابهم من كلّ وجه كما ينثاب التراب ـ على أبي بكر ، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر ، وإنما النـاسُ يكتبونه الآن « إلى فلان » تذمّماً من ذكر الاسم كما يكتبون في أوّل الشِّقْشِقِيَّة : « أما والله لقد تقمَّصها فلانٌ » ، واللفظ « أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة » .

قوله : « فأمسكتُ يدي » ، أي امتنعتُ عن بيعته ، حتى رأيت راجعة الناس ، يعني

الناس في الرحبة ، ثم قال لهم : أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام ، فقام ثلاثون من الناس (قال) وقال أبو نعيم : فقام ناس كثير ، فشهدوا حين أخذه بيده . فقال للناس : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه ، فهذا مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعاد من عاداه ، قال أبو الطفيل : فخرجت وكأنّ في نفسي شيئاً ـ أي من عدم عمل جمهور الأمة بهذا الحديث ـ فلقيت زيد بن أرقم ، فقلت له : اني سمعت عليّاً يقول : كذا وكذا ، قال زيد : فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له . ا هـ.

قلت : فإذا ضممت شهادة زيد هذه ، وكلام علي يومئذٍ في هذا الموضوع الى شهادة الثلاثين ، كان مجموع الناقلين للحديث يومئذٍ اثنين وثلاثين صحابياً ، وأخرج الإمام احمد من حديث علي ص ١١٩ من الجزء الأول من مسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : شهدت علياً في الرحبة ينشد الناس ، فيقول : أنشد الله من سمع رسول الله يقول يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد ، ولا يقم إلّا من قدر رآه ، قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدرياً كأني أنظر الى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله (ص) ، يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجي أمهاتهم ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . اهـ.

ومن طريق آخر ، أخرجه الامام احمد في آخر الصفحة المذكورة ، قال : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، قال : فقاموا الّا ثلاثة لم يقوموا ، فدعا عليهم علي فأصابتهم دعوته ا هـ. وأنت إذا ضممت علياً وزيد بن أرقم إلى الاثني عشر المذكورين في الحديث ، كان البدريون يومئذٍ ١٤ رجلاً كما لا يخفى ، ومع تتبع السنن الواردة في مناشدة الرحبة ، عرف حكمة أمير المؤمنين في نشر حديث الغدير وإذاعته .

---

(١) حيث قال له علي عليه السلام : مالك لا تقوم مع اصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذٍ منه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ونسيت . فقال علي : إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة ، فما قام حتّى ابيضَّ وجهه برصاً ، فكان بعد ذلك يقول : أصابتني دعوة العبد الصالح ا هـ. قلت : هذه منقبة مشهورة ذكرها الامام ابن قتيبة الدينوري ، حيث ذكر انساً في اهل العاهات من كتابه ـ المعارف ـ آخر ص ١٩٤ . ويشهد لها ما اخرجه الامام احمد بن حنبل في آخر ص ١١٩ من الجزء الأول من مسنده ، حيث قال :

أهل الردّة كمسيلمة[١][٢] ، وسَجاح وطُليحة بن خويلد وما نعى الزكاة ؛ وإن كان مانعو الزكاة قد اختلف في أنهم أهل رِدّة أم لا .

ومحقُ الدِّين : إبطاله .

وزَهَق : خَرَج وزال . تنهنَه : سكن ، وأصله الكفّ ، تقول : نهنهت السبُعَ فَتَنَهْنَه ، أي كَفّ عن حركته وإقدامه ، فكأنَّ الدّين كان متحرّكاً مضطرباً فسكن وكف عن ذلك الاضطراب .

روَى أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ في التاريخ الكبير أن رسـ ' الله صلى الله عليه وآله لما مات اجتمعتْ أسدٌ وغطفانُ وطيّء على طُلَيْحَة بن خُويلد إلاّ ما كان من خواصّ أقوام في الطوائف الثلاث ، فاجتمعتْ أسد بِسَمِيراء ، وغَطَفانَ بجنوب طِيبة[٣] وطيّء في حدود أرضهم ، واجتمعت ثعلبة بن أسد ومن يليهم من قيس بالأبرق[٤] من الرَّبَذة ، وتأشّب[٥] إليهم ناس من بني كنانة ، ولم تحملهم البلاد ، فافترقوا فرقتين : أقامت إحداهما بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذي القَصَّة ، وبعثوا وفوداً إلى أبي بكر يسألونه أن يقارّهم على إقامة الصلاة ومنع الزكاة ، فعزم الله لأبي بكر على الحق ، فقال : لو مَنَعوني عِقالاً[٦] لجاهدتهم

فقاموا الاّ ثلاثة لم يقوموا . فأصابتهم دعوته* .

* علق السيد الصدر في كتابه فدك على رواة حديث الغدير ، فقال ص ١٠٢ : حديث الغدير الذي رواه «١١١» من الصحابة و (٨٤) من التابعين باحسان و٣٥٢ مؤلف، من اخواننا السنة كما يظهر بمراجعة كتاب « الغدير » للعلامة الأميني ، وأحب أن ألاحظ هنا ان كثيراً من القرآن لم يروه من الصحابة عدد يبلغ مبلغ الرواة لحديث الغدير منهم فالتشكيك فيه ينتهي بالمشكك الى التشكيك في القرآن الكريم .

[١] كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله واهمالهم حدوده وعدولهم عن شريعته ، يريد بهم عمال عثمان وولاته على البلاد ، ومحق الدين : محوه وإزالته .

[٢] ثلما أي حرقا ، ولو لم ينصر الاسلام بازالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية في الأمصار . فالولاية يتمتع بها أياماً قلائل ثم تزول كما يزول السراب . فنهض الامام بين تلك البدع فبددها حتى زاح أي ذهب الباطل وزهق ، أي خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام . ونهنه عن الشيء : كفه ، فتنهنه أي كف . وكان الدين منزعجاً من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال فكفه أمير المؤمنين ومنعه فاطمأن وثبت .

(٣) في الأصول : « طمية » والصواب ما أثبته من تاريخ الطبري .

(٤) في الأصول : « الأزرق » ، والصواب ما أثبته مں الطبري .

(٥) تأشبوا إليهم : انضموا .

(٦) أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في إبل الصدقة . وانظر نهاية ابں الأثير .

عليه . ورجع الوفودُ إلى قومهم فأخبروهم بقلةٍ من أهل المدينة ، فأطمعوهم فيها وعلم أبو بكر والمسلمون بذلك ، وقال لهم أبو بكر : إيّها المسلمون ، إنَّ الأرض كافرة ، وقد رأى وفدُهم منكم قِلّة ، وإنكم لا تدرون ألَيلاً تُؤتَوْن أم نهاراً ، وأدناهم منكم عَلَى بريد ، وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونُوادعَهم ، وقد أبينا عليهم ، ونبذْنا إليهم ، فأعِدُّوا واستَعِدّوا . فخرج عليّ عليه السلام بنفسه ، وكان على نَقْبٍ من أنقاب المدينة ، وخرج الزّبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرُهم فكانوا على الأنقاب الثلاثة ، فلم يلبثوا إلاَّ قليلاً حتى طرق القومُ المدينة غارةً مع الليل ، وخلّفوا بعضهم بذي حُسىً ليكونوا ردءاً لهم ، فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون ، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ، ففعلوا ، وخرج أبو بكر في جمعٍ من أهل المدينة على النواضح ، فانتشر العدوّ بين أيديهم ، واتّبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حُسى ، فخرج عليهم الكَمين بأنحاء[1] قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دَهْدَهوها بأرْجُلهم في وجوه الإبل ، فتَدَهْدَه[2] كلّ نِحْيٍ منها في طِوَله[3] فنفرتْ إبلُ المسلمين ، وهم عليها ـ ولا تنفر الإبلُ من شيء نفارَها من الأنحاء ـ فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرع منهم أحد ولم يُصَب ، فبات المسلمون تلك الليلة يتهيّئون ، ثم خرجوا على تعبية ، فما طلع الفجرُ إلاَّ وهم والقومُ على صعيد واحد ، فلم يَسمَعوا للمسلمين حِسّاً ولا هَمْساً حتى وضعوا فيهم السيف ، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ، فما ذَرّ قرنُ الشمس إلاَّ وقد وَلّوا الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم ، ورجعوا إلى المدينة ظافرين[4] .

قلت : هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهض فيه أيام أبي بكر . وكأنه جوابٌ عن قول قائل : إنه عمل لأبي بكر ، وجاهد بين يدي أبي بكر ، فبيّن عليه السلام عذرَه في ذلك ، وقال : إنه لم يكن كما ظنّه القائل ، ولكنه من باب دَفْع الضِرر عن النفس وعن الدين ، فإنه واجبٌ سواء كان للنّاس إمام أو لمْ يكن .

---

(١) الأنحاء : جمع نحى ، وهو الزق .

(٢) دهدهوها : دفعوها .

(٣) الطول : الحبل يشد به .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٤) (طبعة المعارف) مع تصرف وإختصار .

المختار
من مواعظ وكلمات
أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب

٤٢ ـ الموعظة ٣٢

طلبه الخلافة رغم المشاق

قال عليه السلام :

لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وإِلاَّ رَكِبْنا أَعْجَازَ الإِبِلِ ، وإِنْ طَالَ السُّرَى .

قَالَ الرَّضيُّ رَحمهُ اللَّهُ تعالى : وهذَا الْقَوْلُ مِنْ لَطِيفِ الْكَلاَمِ وَفَصِيحِهِ ، وَمَعْنَاهُ أَنَّا إنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنا كُنَّا أَذِلاَّء ، وذلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ الْبَعِيرِ ، كَالْعَبْدِ والأسِير ومَنْ يَجْرِي مَجْرَاهما .

الشرح :

هذا الفصلُ قد ذكره أبو عبيد الهرويّ في « الجمع بين الغريبين » وصورته : إنَّ لنا حقَّاً إن نُعطه نأخُذْه ، وإن نُمنَعه نركب أعجاز الإبل ، وإن طال السُّرَى . قال قد فسّروه على وجهين : أحدُهما أنَّ راكبَ عجزِ البعير يلحقه مشقة وضرر ، فأراد : أنّا إذا مُنِعْنا حَقَّنا صَبرنا على المَشقّة والمَضرّة ، كما يَصبر راكب عجُز البعير ، وهذا التعبير قريبٌ مما فسّره الرضيّ . والوجه الثاني أنّ راكب عجزِ البعير إنما يكون إذا كان غيرهُ قد رَكِب على ظَهْر البعير ، وراكبُ ظهر البعير متقدّم على راكب عَجزِ البعير ، فأراد أنَّا إذا مُنِعْنَا حَقَّنا تأخَّرْنا وتقدَّمَ غَيرُنا علينا ، فكُنّا كالراكب رَديفاً لِغيره ، وأكد المعنى على كلا التفسيرين قوله : « وإنْ طالَ السُّرَى » ، لأنه إذا طال السرى كانت المَشقَّة على راكب عجُزِ البعير أعظم ، وكان الصبر على تأخّر راكب عجُزِ البعير عن الراكب على ظهره أشدّ وأصعب* .

---

* وأورد الشيخ محمد عبده في تفسيره وجهاً آخر فقال : وقد يكون المعنى إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طالت المشقة . وركوب مؤخرات الابل مما يشق احتماله والصبر عليه . وهذا اقرب حسب رأيي .

وهذا الكلام تزعم الإماميّة أنه قاله يومَ السَّقيفة أو في تلك الأيام ، ويذهَب أصحابُنا إلى أنَّه قاله يوم الشورى بعد وفاة عمر واجتماعِ الجماعـة لاختيار واحـد من الستّة ، وأكـثر أرباب السِّير ينقُلونه على هذا الوجه .

٤٣ ـ الموعظة ١٠٦

ال محمد (ص) هم الأمر المتوسط

نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطَىٰ الَّتِي يَلْحَقُ بِهَا التَّالِي ، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي .

الشرح :

النُّمرُق والنّمرُقة بالضم فيهما : وِسادةٌ صغيرةٌ ، ويجوز النِّمرِقة بالكسر فيهما ؛ ويقـال للطِّنْفسة فوقَ الرّحل نُمْرقة . والمعنى أنَّ كلّ فضيلة فإنَّها مجنّحة بطَرَفَين معدُودَين من الرّذائل ، والمراد أنَّ آل محمد عليه وعليهم السلام هم الأمرُ المتوسِّط بين الطّرفين المذمومين ، فكلُّ مَن جاوَزَهم فالواجب أن يَرجِع إليهم ، وكلُّ من قَصّر عنهم فالواجبُ أن يَلحَق بهم .

فإن قلت : لم استعار لفظَ النّمرقة لهذا المعنى ؟

قلت : لّما كانوا يقولون : قد رَكِبَ فلانٌ من الأمر مُنكَراً وقد ارْتَكَب الرأيَ الفلانيّ ، وكان الطِّنْفِسة فوق الرّحل ممّا يُركَب ، استعارَ لَفظَ النّمرقة لما يراه الإنسانُ مَذهَباً يَرجِع إليه ويكون كالرّاكب له ، والجالِس عليه ، والمتورِّك فوقَه .

ويجوز أيضاً أن تكون لفظة « الوُسْطَى » يراد بها الفُضْلى ؛ يقال : هـذه هي الطريقـةُ الوُسْطى ، والخَليقةُ الوسطى ، أي الفضلى ، ومنه قولـه تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾(١) أي أفضلُهم ، ومنه : ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٢) .

٤٤ ـ الموعظة ١٨٥

الخلافة والصحابة والقرابة

وَاعَجَبا أنْ تَكونَ الْخِلاَفَةُ بِالصَّحَابَةِ ولا تكون بالصحابة وَالْقَرابَةِ .

قال الرضيّ رحمه الله تعالى وقد روى له شعر قريب من هذا المعنى وهو :

فَإِنْ كُنْتَ بالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ   فَكَيْفَ بِهَذَا وَالمُشِيرُونَ غُيَّبُ !

---

(١) سورة القلم ٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٤٣ .

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

الشرح :

حديثه عليه السلام في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر ، أمَّا النثر فإلى عمر توجيهه لأن أبا بكر لما قال لعمر : امدد يدك ، قال له عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها ، شدّتها ورخائها ، فامدد أنت يدك ، فقال علي عليه السلام : إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إيَّاه في المواطن كلّها ، فهلا سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه « بالقرابة » ! وأما النظم فموجّه إلى أبي بكر ؛ لأن أبا بكر حاجّ الأنصارَ في السقيفة . فقال : نحن عِتْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيضته التي تفقّأت عنه ، فلما بويع احتجّ على الناس بالبيعة ، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقْد ، فقال عليّ عليه السلام : إمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه ، فغيرك أقرب نسباً منك إليه ، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك ، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت !

٤٥ ـ الموعظة ٣٢٢

صفته (ع)

أنا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، والمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ .

قالَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتْبَعُونَني ، والْفُجَّار يَتْبَعُون المَالَ ؛ كَمَا تَتْبَعُ النّحْلُ يَعْسُوبَها ، وهُوَ رَئِيسُها .

الشرح :

هذه كلمةٌ قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله بلفظين مختلفين ، تارةً : « أنت يعسوب الدِّين » وتارة : « أنت يعسوب المؤمنين » ، والكلّ راجع إلى معنىً واحد ، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيِّدَهم ، أو جعل الدِّين يتبعه ، ويقفُو أثَره ؛ حيث سلك كما يتبع النحلُ اليعسوبَ .

وهذا نحو قوله : « وأدِرِ الحقَّ معه كيف دارَ » .

٤٦ ـ الكلمة ٦٦

تفضيله (ع) على الثلاثة

قال له عثمان في كلام تلاحَيا فيه حتى جرى ذكرُ أبي بكر وعمر : أبو بكر وعمر خـيرٌ منك ؛ فقال : أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدْتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما*.

٤٧ ـ الكلمة ٢٤٢

معرفته (ع) بالكتب السماوية جميعا

لـو كُسِرتْ لي الـوسادة لقضيت بـين أهلِ التـوراةِ بتـوارتهم ، وبـينَ أهـلِ الإنجيـلِ بإنجيلهم ؛ وبين أهـلِ الفرقـان بفرقـانهم ؛ حتّى تُزْهِـر(١) تِلْك القضايـا إلى اللّهِ عَزّ وَجَـلّ وتقول : يا رب ؛ إن عليّاً قضى بين خلقك بقضائك .

٤٨ ـ الكلمة ٤١٣

الامام وقريش

اللهمّ إني أستعيدكَ على قريش ، فإنهمْ أضْمَرُوا لِرَسُولكَ صلّى الله عليه وآله ضروباً منَ الشَّرِّ والغدرِ ، فعجـزوا عنها ؛ وحُلْتَ بينهم وبينهـا ؛ فكانَتِ الـوجْبَةُ بي ، والـدَّائرةُ عليّ**. اللهم احفَظْ حسناً وحسيناً ، ولا تمكن فجـرةَ قريشٍ منهمـا ما دمتُ حيّـاً ، فإذا توفَّيتَني فأنتَ الرَّقيبُ عليهمْ ، وأنتَ على كُلِّ شيء شهيدٌ .

٤٩ ـ الكلمة ٤١٤

سكوته (ع) عن الخلافة كان لحقن دمه

قال له قائلٌ : يا أمير المؤمنين ، أرأيت لو كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله تركَ ولداً ذكراً قد بلغَ الحُلمَ ، وآنسَ منه الرشدَ ، أكانَتِ العربُ تسلِّم إليه أمرها ؟ قـال : لا ، بل

---

* وهذا تصريح بكونه افضل من الخليفتين ابي بكر وعمر ، وهو يدحض ما وضعه الوضّاعون من حديث (لا يفضلني احد على ابي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفتري) كما ويدعم ما تقدم من تفضيله عليه السلام .

(١) تزهر : تضيء وتتلألأ .

** وهذا يدعم ما ذكر فيما تقدم من ان ما جرى على امير المؤمنين كان احد اسبابه الحقد والبغض لرسول الله (ص) ولكن لما كان (ص) ممنوعاً من الله ومن اصحابه وأهل بيته لم يتمكن المبغضون والمنافقون من النيل منه فنالوا من اخيه ووصيه ووارثه وخليفته .

كانتْ تقتُلُه إن لم يفعلْ ما فعلْتُ*، إنَّ العربَ كَرِهَتْ أمر محمّدٍ صلى الله عليه وسلم وحسدتهُ على ما آتاهُ اللَّهُ مِنْ فضلِهِ ، واستطالت أيَّامَهُ حتى قذَفَتْ زوجتَهُ ، ونَفَّرَتْ به ناقتَهُ ، مع عظيم إحسانه إليها ، وجسيمِ مِنَنِهِ عندها ، وأجمعتْ مُذْ كان حيّاً على صرفِ الأمرِ عن أهلِ بيتِهِ بعد موته**؛ ولولا أنَّ قريشاً جعلَتِ اسمه ذريعة إلى الرِّياسةِ ، وسُلَّماً إلى العزِّ والإمرةِ ، لما عبدت اللَّهَ بعدَ موتِهِ يوماً واحداً***، ولارْتَدَّتْ في حافرتها ، وعادَ قارِحُها جَذَعاً ، وبازِلُها(١) بَكْراً ، ثم فتحَ اللَّهُ عَليها الفُتوحَ ، فأثرتْ بعد الفاقةِ ، وتموّلتْ بعدَ الجُهْدِ والمخمصةِ(٢) ؛ فحسُنَ في عيونِها منَ الإسلامِ ما كان سَمِجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدِّين ما كان مضطرباً ، وقالت لولا أنَّه حقٌّ لما كان كذا****؛ ثم نسبتْ تلكَ الفتوحَ إلى آراءِ وُلاتِها ، وحُسْنِ تدبيرِ الأمراءِ القائمينَ بها ، فتأكّدَ عندَ الناس نباهةُ قومٍ وخمولُ آخرين ؛ فكُنّا نحنُ ممَّن خَمَلَ ذكرُهُ ، وخبتْ نارُهُ ، وانقطَعَ صوتُهُ وصيتُهُ ، حتى أكلَ الدَّهرُ علينا وشربَ ، ومضتِ السِّنُونَ والأحقابُ بما فيها ، وماتَ كثيرٌ ممن يُعرَف ، ونشأ كثيرٌ ممَّنْ لا يُعْرَفُ . وما عسى أنْ يكونَ الولدُ لو كان ! إنَّ رسولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وآله لم يُقرِّبْني بما تعلمونهُ منَ القُرْبِ للنسبِ واللُّحْمَةِ ؛ بل للجهادِ والنصيحةِ ؛ أفتراهُ لو كان لهُ ولدٌ هل كان يفعلُ ما فعلْتُ ! وكذاكَ لم يكنْ يقرّبُ ما قرّبت ، ثم لم يكنْ عندَ قريش والعربِ سبباً لِلْحُظْوَةِ والمنزلةِ ، بل للحرمانِ والجفوَةِ . اللهمّ إنَّكَ تعلمُ أنّي لم أُرِدِ الإمرَةَ ، ولا علوَّ الملك والرياسة ؛ وإنَّما أردْت القيامَ بحدودكَ ، والأداءَ لشرعكَ، ووضعَ الأمورِ في مواضعها ، وتوفيرَ الحُقُوقِ على أهلها ، والمُضِيَّ

---

* وهذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن امير المؤمنين لم يبايع ولم يوادع ولم يرضَ ولم يكن غضبه فقط لعدم استشارته بالبيعة كما ادعى الشارح فيما ذكر آنفاً ، ولم تكن بيعته فيما بعد لأنه رضي ، بل ان ذلك كان مخافة القتل الذي كان مذخوراً له لو جابه القوم واستمر على ذلك خصوصاً وقد كان بلا انصار الا من اهل بيته وبضعة رجال من خاصته .

** وهذا يدعم الرأي القائل بأن صرف الخلافة عنه عليه السلام كان أمراً دُبِّر بليل ولم يكن وليد يومه كما ادَّعوا من خوف الفتنة يوم السقيفة فكان كما قال الشاعر :

إنما كانت أموراً نُسِجَتْ بينهم أسبابُها نَسْجَ البرُود .

*** راجع اقوال معاوية وابنه يزيد وامثالهما ممن نودي به خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين لتعلم حقيقة ايمانهم ، ثم تأسف على حالة الأمة .

(١) البازل : الذي فطر نابه . (٢) المخمصة : الجوع .

**** مصداق قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ وكذلك قول الإمام الحسين (الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم ما درَّت معايشهم فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قلَّ الديّانون) .

على منهاجِ نبيِّكَ ، وإرشادَ الضَّالِّ إلى أنوارِ هدايتكَ .

٥٠ ـ الكلمة ٥٣١

عندما وصف عمر بيعة أبي بكر بالفلتة

قال لَمَّا سمعت خطبة عمرَ بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفةِ : معذِرةً وربِّ الكعبة ؛ ولكن بعد ماذا ! هيهات علقت مَعالِقها ، وصَرَّ الجُنْدُب .

٥١ ـ الكلمة ٥٣٢

سعد بن عبادة

أوَّلُ مَن جَرَّأَ الناسَ علينا سعدُ بنُ عبادة ، فتح باباً وَلَجَهُ غيرُه ، وأضرمَ ناراً كان لَهَبُها عليه ، وضوءُها لِأعدائه*.

٥٢ ـ الكلمة ٥٣٣

تنحيتهم (ع) والحكم بأسمهم (ع)

ما لنا ولِقُريش ايخْضِمون** الدنيا باسمنا ، ويَطَئُون على رِقابنا ، فَيالَلّهِ ولِلعجب ! من اسمٍ جليلٍ لِمُسَمّىً ذَليلٍ***.

٥٣ ـ الكلمة ٦٢٥

علو منزلته عند الله

أنا منْ رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلَّم كالعَضُدِ مِنَ المِنْكَبِ ، وكالذِّراعِ مِنَ

---

* ذلك لأن سعد هو مفتتح يوم السقيفة بدعوته الأنصار تأمير أحدهم وكان قومه الخزرج يريدون تأميره إلَّا أنه انخذل بعد ذلك بمخالفة بشير بن سعد الخزرجي وكان حاسداً له وأسيد بن حضير الأوسي ونصرتهما أبا بكر وجماعته ، فكان حقاً أول من جرأ الناس على علي عليه السلام ، والله وحده يعلم ما كان سيحدث لو لم تجتمع الأنصار لأن الروايات تقول أن أبا بكر وعمر اسرعا إلى السقيفة عندما جاءهما الخبر بإجتماع الأنصار ، فلعل الخلافة ما كانت لتضيع من الامام لولا موقف سعد بن عبادة لأنه بعدم وجود هذا الموقف لن يتسنى لحزب المهاجرين عذر (خشينا الفتنة) الذي تذرعوا به بعد ذلك . وهكذا فانه فتح باباً ثم (ولجه غيره) أي أبو بكر إذ اصبح خليفة ، ثم (اضرم ناراً كان لهبها عليه) حيث لم يُبايَع ثم قتلته الجنّ بسيف المغيرة أو خالد بن الوليد في حوران . راجع حديث السقيفة في شرح الخطبة ٢٦ والخطبة ٦٦.

** الخضم الأكل اما بأقصى الأضراس أو بملء الفم .

*** وهذا أحد النصوص التي لا يمكن دفعها والتى تؤكد مظلومية الامام بلا رضا منه بل لعدم تمكنه ، لأن وطأ الرقاب لا يكون برضى الموطوء ولا بسبب الإجتهاد والتأويل من الواطىء .

العَضُدِ ، وكالكَفِّ منَ الذراعِ ؛ رَبَّاني صغيراً ، وآخاني كبيراً ؛ ولقدْ عَلِمْتُمْ أني كـان لي منهُ مجلِسُ سِرٍّ لا يَطَّلِعُ عليه غيري ؛ وأنّهُ أوْصَى إليَّ دونَ أصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ* ؛ ولأقولَنَّ ما لم أقُلْهُ لأحد قبلَ هذا اليوم**، سألتُهُ مَـرَّةً أن يدعُـوَ لي بالمغفـرة فقال : أفعـلُ ، ثمَّ قامَ فصلَّى ، فلمَّا رفعَ يدهُ لِلدُّعاءِ استمعْتُ إليه ، فإذا هُوَ قائِلٌ : اللّهمَّ بحقِّ عليّ عندكَ اغفِرْ لعليٍّ ؛ فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ ، ما هذا ؟ فقال : أوَاحِدٌ أكرمُ منكَ عليهِ فاسْتَشْفِعَ بهِ إليه !

٥٤ ـ الكلمة ٧٣٣

شكواه من مقارنته بمن هو دونه

كنتُ في أيّامِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله كجزء مِنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله ، ينظُرُ إليَّ الناسُ كما يُنـظَرُ إلى الكواكِبِ في أُفق السمـاءِ ، ثم غضَّ الدَّهْـرُ منِّـي ، فقُـرنَ بي فـلانٌ وفـلانٌ***، ثم قُـرِنْتُ بخمســةٍ أمثلُهُمْ عثمـانُ****، فقلتُ : واذَفَــراه[1]! ثم لم يَرْضَ الدهـرُ لي بذلِـكَ ؛ حتى أرذلني ، فجعلني نظيـراً لابْنِ هِنْدٍ وابْنِ النـابِغَةِ ! لقـد استنَّت الفصالُ حتى القَرْعى .

٥٥ ـ الكلمة ٧٣٤

غدر الأمة به (ع)

أما والَّذِي فلقَ الحبَّةَ ، وبَرَأَ النّسَمَةَ ، إنَّه لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّي إليَّ أنَّ الأمّةَ ستغدِرُ بك مِنْ بعدي*****

---

* وهذا تصريح آخر بالوصاية .

** لم يقله الامام سابقاً لعلمه بانهم سيكذبونه وما اكثر ما فعلوا .

*** ابو بكر وعمر .

**** الخمسـة هم اصحاب الشـورى . يتألم اميـر المؤمنين ويتشكّى ان يُقرَن بـه من ليس له كسـابقتـه وفضله وجهاده ، بل ليس لهم ذلك وإن اجتمعوا .

(١) الذفر : الرائحة الخبيثة .

***** وهـذه من النصوص التي لا مجـال معها لتـبرير مـا فعلوه من صرف الخلافـة عنه عليـه السـلام بعـد وفـاة النبي (ص) ، لأن الذي يغدر ليس إلاّ غادراً ، ولا يمكن أن يكون مُلْهِـماً من الله كما وصفهم الشـارح في مكان ما من شرحه ، ولا دارئاً للفتنة كما زعم آخرون ، ولا أنهم تقدموا لتقدمهم بالصلاة ، والحقيقـة هي أننا غدونا ندافع عن مفردات واضحة وضوح الشمس ، ومـا ذلك إلاّ لأن القـوم ذهبوا في تـأويلاتهم لهـذه المفردات بعيداً وقالوا شططاً .

٥٦ ـ الكلمة ٧٣٥

سبب سكوته عن حقه كان لحفظ الدين

لامَتْهُ فاطمةُ على قُعُودِهِ وأطالت تعنيفُه ؛ وهو ساكتٌ حتى أذّنَ المُؤذِّنُ ، فلما بلغَ إلى قوله : « أشهدُ أنّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ » ، قالَ لها : أتُحبِّينَ أنْ تَزُولَ هَذِهِ الدعوةُ منَ الدُّنْيا ؟ قالت : لا ، قالَ فهُوَ ما أقولُ لَكِ* .

٥٧ ـ الكلمة ٧٣٦

عهد النبي (ص) إليه بما يصنع بعده

قالَ لي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : إنِ اجتمعوا عليكَ فاصنعْ ما أمرتُكَ ؛ وإلاَّ فـألْصِقْ كَلْكَلَكَ بالأرضِ** ؛ فلما تفـرَّقوا عنّي جـررْتُ على المكْـرُوهِ ذيلي ، وأغضيْتُ عـلى القَذَى جفني ، وألصقتُ بالأرضِ كَلْكَلِي .

٥٨ ـ الكلمة ٧٦٤

حقد قريش على النبي (ص) تحول إليه (ع)

كلُّ حقدٍ حقدتْهُ قريشٌ على رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وَآلِهِ أظهرتْهُ فيَّ وستُظْهِرُهُ في ولدي من بعدي ، مالِيَ ولقريشٍ ! إنَّما وتَرْتُهُم(١) بأمرِ اللَّهِ وأمرِ رَسُولِهِ ؛ أفهذا جـزاء منْ أطاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إن كانوا مسلمينَ*** !

---

* معنى ذلك : انني إذا خرجت اليهم فسوف يقتلونني (حيث كان متيقناً من ذلك كما جاء في الكلمة ٤١٤) وبعد ذلك سيخلو الجو لمن يريد أن يبدّل دين الله ويحرّفه ، ولكن اذا أنا سالمتهم لم يجدوا عليَّ سبيلاً لقتلي وبذلك ابقىٰ مراقباً لما يجري لكي اتدخل اذا ما عطلت الحدود أو أُريدَ تبديل سنّة أو احلال بدعة .

** ذلك لأنه (ص) اعلمه بغدرهم به (أنظر الكلمة ٧٣٤ المذكورة آنفاً) .

(١) وترتهم : أحدثت عندهم وتراً .

*** وهـذا تعريض صريح وخطير بالحاقدين عليه من قريش ، إذ يخدش الامام انتماءهم للأمة بقوله (إن كانوا مسلمين) ، وحُقَّ له ذلك لأن الواجب عليهم أن يشكروه على جهاده في الله وشدّة وقعته أعدائه ، ولكن القوم لم يأخذوا من الاسلام إلاّ اسمه أما القلوب فكانت جاهلية ما استطاعت ان تطوي الصفحات عن الأوتار التي كانت (بأمر الله وأمر رسوله) كما يقول الامام .

الباب الثالث

الملحق

الفصل الأول
مناقب وصفات الامام

الجزء ٢ ص ١٩٧
مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده

روى عليّ بن محمد بن أبي سيف المدائنيّ عن فَضَيل بن الجَعْد ، قال : آكدُ الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمْر المال ، فإنه لم يكُنْ يُفَضِّلُ شريفاً على مشروف ، ولا عربيّاً على عَجَميّ ، ولا يُصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك ، ولا يستميلُ أحداً إلى نفسه . وكان معاوية بخلاف ذلك ، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية ؛ فشكا عليّ عليه السلام إلى الأشتر تخاذُلَ أصحابه ، وفرار بعضهم إلى معاوية ، فقال الأشتر : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنّا قاتلنا أهل البَصْرة بأهلِ البصرة وأهل الكوفة ، ورأي الناس واحد ، وقد اختلفوا بعد ، وتعادَوْا وضعفت النيّة ، وقلّ العدد ، وأنت تأخُذُهم بالعدل ، وتعمل فيهم بالحق ، وتُنْصِف الوضيع من الشريف ؛ فليس للشريف عندك فَضْلُ منزلةٍ على الوضيع ، فضجّت طائفة ممّن معك من الحقّ إذ عُمُّوا به ، واغتمُّوا من العدل إذ صاروا فيه ، ورأوا صنائعَ معاوية عند أهل الغَناء والشرف ، فتاقَتْ أنفُس النّاس إلى الدنيا ، وقَلّ مَنْ ليس للدنيا بصاحب ، وأكثرهم يَجْتوي الحقّ ويشتري الباطل ، ويؤثر الدنيا ، فإن تَبْذُلِ المال يا أميرَ المؤمنين تَمِلْ إليك أعناقُ الرجال ، وتَصْفُ نصيحتُهم لك ، وتَسْتَخْلِص وُدّهم ، صنع الله لك يا أمير المؤمنين ! وكبَت أعداءك ، وفضّ جمعهم ، وأوهن كيدَهم ، وشَتّت أمورَهم ، إنه بما يعملون خبير .

فقال عليّ عليه السلام :

أمّا ما ذكرت من عَمَلنا وسِيرتنا بالعَدْل ؛ فإنَّ اللّه عزَّ وجلّ يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ

صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيْدِ ﴾(١) ؛ وأنا من أن أكون مُقَصِّراً فيما ذكرت أخْوَفُ .

وأما ما ذكرت من أنَّ الحق ثَقُل عليهم ففارقونا لذلك ، فقد علم الله أنَّهم لم يُفارقونا من جَوْر ، ولا لجئوا إذ فارقونا إلى عَدْل ، ولم يلتمسوا إلاَّ دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها ؛ وَلَيُسْأَلُنَّ يوم القيامة : أللدنيا أرادوا أم لله عملوا ؟

وأمّا مَا ذكرْتَ من بَذْل الأموال واصطناع الرجال ، فإنّه لا يَسَعُنا أن نؤتيَ امرأً من الفيء أكثر مَن حقّه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيْلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢) وقد بعث الله محمداً صلى اللَّهُ عليه وحْدَه ، فكثّره بعد القلة ، وأعَزَّ فئته بعد الذِّلَّة ، وإنْ يُرِدِ اللَّه أنْ يولّينا هذا الأمرَ يذلّل لنا صَعْبَه ، ويُسَهِّل لنا حَزْنه ، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ وجلّ رضاً ، وأنت من آمنِ الناسِ عندي ، وأنصحِهم لي ، وأوْثقِهم في نفسي إنْ شاء الله .

وذكر الشّعبيّ ، قال : دخلت الرُّحبة بالكوفة ـ وأنا غلام ـ في غلمان ؛ فإذا أنا بعليّ عليه السلام قائماً على صُبرتين(٣) من ذهب وفضة ، ومعه مِخْفَقَة ، وهو يطرد الناس بمِخْفَقته ثم يرجع إلى المال فيقسّمه بين الناس ؛ حتى لم يبق منه شيء ، ثم انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً . فرجعت إلى أبي فقلت له : لقد رأيتُ اليوم خَيْرَ النَّاس أو أحْمَق النّاس ، قال : مَنْ هُوَ يا بُنَيّ ، قلت : عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، رأيتُه يصنع كذا ، فقصصت عليه ، فبكَى ، وقال : يا بنيّ ، بل رأيتَ خيرَ الناس .

وروى محمد بن فُضَيْل عن هارون بن عنترة ، عن زاذان ، قال : انطلقت مع قَنْبَر غلام عليّ عليه السلام ، فإذا هو يقول : قم يا أمير المؤمنين ، فقد خبّأتُ لك خبيئاً ، قال : وما هو ويحك ! قال : قُمْ معي ، فانطلق به إلى بيته ، وإذا بغَرارة مملوءة من جَامَاتٍ ذهباً وفضة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتُك لا تتركُ شيئاً إلاَّ قَسَمْتَه ، فادّخرتُ لك هذا من بيت المال ، فقال عليّ عليه السلام : ويحك يا قَنْبر ! لقد أحببتَ أن تُدْخلَ بيتي ناراً عظيمة . ثم

---

(١) سورة فصلت ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٣) الصبرة ، بالضم : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن .

سلَّ سيفَه وضربه ضَرَبات كثيرة ، فانتثرتْ من بين إناء مقطوع نصفه ، وآخر ثلثه ، ونحو ذلك ، ثم دعا بالناس ، فقال : اقسِموه بالحصَص ، ثم قام إلى بيت المال ، فقسّم ما وَجَد فيه ، ثم رأى في البيت إبَرا وَمَسالّ ، فقال : وَلْتَقْسِموا هذا ، فقالوا : لا حاجة لنا فيه ـ وقد كان عليّ عليه السلام يأخُذُ من كلّ عامل مما يَعْمَل ـ فضحك ، وقال : لَيُؤْخَذَنّ شَرُّه مع خيره .

وروى عبدُ الرحمن بن عَجْلان ، قال : كانَ عليّ عليه السلام يَقْسم بين النَّاس الأبزار والحُرْف[1] والكمُّون ، وكذا وكذا .

وروى مجمع التيميّ ، قال : كان عليّ عليه السلام يكنس بيتَ المال كلَّ جمعة ، ويصلّي فيه ركعتين ، ويقول : لِيَشْهَدْ لي يوم القيامة .

وروى بكر بن عيسى عن عاصم بن كُلَيب الجَرْميّ ، عن أبيه ، قال : شهدتُ عليّاً عليه السلام وقد جاءه مال من الجَبَل ، فقام وقمنا معه ، وجاء الناس يزدحمون ، فأخذ حِبالاً فوصلها بيده ، وعقَد بعضَها إلى بعض ، ثم أدارَها حول المال ، وقال : لا أحِلّ لأحَدٍ أن يجاوز هذا الحبْل ، قال : فقعد الناسُ كلُّهم من وراء الحبل ، ودخل هو ، فقال : أين رءوسُ الأسْبَاع ؟ وكانت الكوفة يومئذٍ أسباعاً ـ فجعلوا يحمِلون هذه الجوالق إلى هذه الجُوالق ، وهذا إلى هذا ، حتى استوت القِسْمة سبعة أجزاء ، ووُجد مع المتاع رغيف ، فقال : اكسروه سَبْعَ كِسَر ، وضعوا على كل جزءٍ كِسْرة ، ثم قال :

هَـذَا جَنَـايَ وَخِيَـارُهُ فِيـهِ　　　إذْ كُلّ جَان يَدُه إلَى فِيهِ[2]

ثم أقرع عليها ودفعها إلى رءوس الأسباع ، فجعل كلّ رجل منهم يدعو قومَه فيحملون الجَواليق .

وروى مُجَمِّع ، عن أبي رَجَاء ، قال : أخرج عليّ عليه السلام سيفاً إلى السُّوق ، فقال : مَنْ يشتري مِنِّي هذا ؟ فوالذي نفسُ عليّ بيده ، لو كان عندي ثمن إزار ما بعتُه ، فقلت له : أنا أبيعُك إزاراً وأُنسئُك ثمَنه إلى عطائك ، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه ، فلما قبض عطاءه دفع إليّ ثمن الإزار .

---

(١) الحرف بالضم : الجرادل .

(٢) البيت أنشده عمرو بن عدي حين كان غلاماً ، وكان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمة بن الأبرش) الكمأة ؛ فكانوا إذا وجدوا كمأه خيار أكلوها وأتوا بالباقي الى الملك ، وكان عمرو لا يأكل منه ، ويأتي به كما هو وينشد البيت . وانظر القاموس ٣ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، وحديث على ورد مفصلاً في حلية الأولياء ١ : ٨١ .

وروى هـارون بن سعيـد ، قـال : قـال عبـدُ الله بن جَعفـر بن أبي طـالب لعـليّ عليه السلام : يا أميرَ المؤمنين ، لو أمـرتَ لي بمعونـةٍ أو نفقة ! فـوالله مالي نفقـة إلاَّ أن أبيعَ دابَّتي ، فقال : لا والله ما أجدُ لك شيئاً إلاَّ أن تأمُرَ عمّك أن يسرقَ فيعطيَك .

وروى بكر بن عيسى ، قال : كانَ عليّ عليه السلام يقول : يا أهلَ الكوفـة ، إذا أنا خرجتُ من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان ؛ فأنا خائن فكانتْ نفقتُه تأتيه من غَلّتِه بالمدينة بينبُع ، وكان يُطعم الناسَ منها الخبز واللحم ، ويأكل هو الثَّريد بالزيت .

وروى أبو إسحاق الهَمْدانيّ أن امرأتين أتَتَا عليّـاً عليه السـلام : إحداهمـا من العرب والأخرى من الموالي ، فسألتاه ، فدفع إليهما دراهمَ وطعاماً بالسَّواء ، فقالت إحـداهما : إنّي امرأة من العرب ، وهذه من العجم ؛ فقال : إني والله لا أجدُ لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق .

وروى معاوية بن عَمّار عن جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : ما اعتَلَج على علي عليه السلام أمـران في ذات الله ، إلاَّ أخذ بـأشدّهمـا ، ولقد علمتم أنَّـه كان يـأكل -يا أهل الكوفة ـ عندكم من ماله بالمدينة ؛ وأنْ كان ليأخذُ السَّويق فيجعلُه في جـراب ، ويختم عليه مخافة أن يُزاد عليه من غيره ؛ وَمَنْ كان أزهد في الدنيا من عليّ عليه السلام !

وروى النّضْر بن منصور ، عن عُقْبة بن علقمة ، قال : دخلتُ على عليّ عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض ، آذتْني حُموضته ، وكِسَرٌ يابسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأكل مثل هذا ! فقال لي : يا أبا الجَنُوب ، كان رسول الله يأكل أيْبَس من هذا ، ويلبَس أخشن من هذا ـ وأشار إلى ثيابه ـ فإنْ أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألاَّ ألحق به .

وروى عمران بن مسلمة ، عن سُوَيْدِ بن عَلْقمة ، قال : دخلت على عليّ عليه السلام بالكوفة ، فإذا بين يديه قَعْب لبن أجدُ ريحه من شدة حموضته ، وفي يده رغيف ، ترى قُشار الشَّعير على وجهه وهو يكسره ، ويستعين أحياناً برُكْبته ، وإذا جاريتهُ فِضّة قائمةً عَلَى رأسه ، فقلت : يا فضّة ، أما تتّقون الله في هذا الشيخ ! ألا نخلْتم دقيقه ؟ فقالت : إنَّـا نكره أن نُؤْجَر وَيَأْثَم ، نحن قد أخذ علينا ألاَّ ننخُلَ له دقيقاً ما صَحِبْناه ـ قال : وعليّ عليه السلام لا يسمع ما تقول ـ فالتفت إليها فقال : ما تقولـين ؟ قالت : سَلْه ، فقـال لي : ما قلتَ لهـا ؟ قال : فقلت إني قلت لها : لو نَخلْتم دقيقه ! فبكى ، ثم قال : بأبي وأمّي مَنْ لم يشبع ثلاثاً

متوالية [من] خبز برّ حتى فارق الدنيا ، ولم يَنْخُل دقيقه ! قال : يعني رسـول الله صلى الله عليه وآله .

وروى يوسف بن يعقوب ، عن صالح بيّاع الأكسية ، أنَّ جَدَّته لقيتْ علياً عليه السلام بالكوفة ، ومعه تمْرٌ يحمِله ، فسلّمت عليه ، وقالت له : اعطِني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمِلْه عنك إلى بيتك ، فقال : أبو العيـال أحقُّ بحمْله ، قالت : ثم قـال لي : ألا تأكلين منـه ؟ فقلت : لا أريد ، قالت : فانطَلق به إلى منزله ثم رجع مُرْتَدياً بتلك الشّملة ، وفيها قشـور التمر ؛ فصلَّى بالناس فيها الجمعة .

وروى محمد بن فُضَيْل بن غَزْوَان ، قال : قيل لعليّ عليه السلام : كم تتصدَّق ! كم تُخْـرِج مالـك ! ألا تُمْسك ! قـال : إني والله لو أعلم أنَّ الله تعـالى قَبِـلَ مِنّي فـرضـاً واحـداً لأمسكت ؛ ولكني والله ما أدري ؛ أقبل مِنِّي سبحانه شيئاً أم لا !

روى عَنْبَسـة العـابـد ، عن عبـد الله بن الحســين بن الحسن ، قـال : أعتق عــليّ عليه السلام في حياة رسول الله صـلى الله عليه وآلـه ألفَ مملوك مما مَجَلت[1] يـداه ، وعرق جبينه ؛ ولقد وَلِيَ الخلافةَ ، وأتته الأموال، فما كان حَلْواه إلاَّ التمر ، ولا ثيابه إلاَّ الكرابيس .

وروى العوام بن حَوْشب ، عن أبي صادق ، قال : تزوّج عليّ عليه السلام ليـلَىٰ بنت مسعود النهشليّة، فضربت له في داره حَجَلة ، فجاء فهتكها ، وقال : حَسْبُ أهل عليّ ما هم فيه !

وروى حاتم بن إسمعيل المدنيّ ، عن جعفر بن محمد عليه السلام ، قال : ابتاعَ عليّ عليه السلام في خلافته قميصاً سَمِلاً[2] بأربعة دراهم ، ثم دعا الخيّاط، فمدَّكُمَّ القميص ، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع .

وإنما ذكرنا هذه الأخبار والروايات ـ وإن كانت خارجة عن مقصد الفصل ـ لأن الحال اقتضى ذكرها ، من حيث أردنا أن نبيِّنَ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكنْ يذهب في خلافته مذهَب الملوك الذين يُصانِعون بالأموال ويصرّفونها في مصالح ملكهم ،ملاذّ أنفسهم ، وأنه لم يكنْ من أهل الدنيا ، وإنما كان رجلاً متألّهاً صاحب حَقّ ، لا يريد بالله ورسوله بدلاً .

(١) مجلت يده : عملت
(٢) السمل : الخلق من الثياب .

وروى عليّ بن محمد بن أبي يوسف المدائنيّ أن طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مَشَوْا إليه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أعْطِ هذه الأموال وفضِّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، واستمل مَنْ تخاف خلافَه من الناس وفِراره ، وإنما قالوا له ذلك لَمَا كان معاوية يَصْنَع في المال ، فقال لهم : أتأْمرونّي أن أطلبَ النَّصْر بالجوْر ، لا والله لا أفعلُ ما طلعتْ شمس، وما لاح في السماء نجْم ، والله لو كان المالُ لي لواسيت بينهم ، فكيف وإنما هي أموالُهم ! ثم سكت طويلاً واجماً ، ثم قال : الأمرُ أسرعُ من ذلك ؛ قالها ثلاثاً .

الجزء ٤ ص ١٠٩ :

وروى زرارة بن أعين عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام ، قال : كان عليّ عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزلْ معقّباً إلى أنْ تطلع الشمس ؛ فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس ؛ فيعلِّمهم الفقه والقرآن ؛ وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ؛ فقام يوماً فمرّ برجل ، فرماه بكلمة هُجْر - قال : لم يسمّه محمد بن عليّ عليه السلام - فرجع عَوْدَه على بدئه حتى صعِد المنبر ، وأمر فنوديَ : الصلاة جامعة ! فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : أيّها الناس ، إنه ليس شيء أحبَّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حِلْم إمام وفقهه ؛ ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمَّ ضرراً من جهل إمام وخُرْقه ، ألا وإنه مَنْ لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ ؛ ألاَ وإنه من أنصَف من نفسه لم يزِدْه الله إلاَّ عزّاً ؛ ألاَ وإنّ الذلّ في طاعة الله أقربُ إلى الله من التعزّز في معصيته . ثم قال : أين المتكلّم آنفاً ؟ فلم يستطع الإنكار ، فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين ، فقال : أما إني لو أشاء لقلت ، فقال : إن تعف وتصفح ، فأنت أهل ذلك ؛ قال : قد عفوت وصفحت ؛ فقيل لمحمّد بن عليّ عليه السلام : ما أراد أن يقول ؟ قال : أراد أن ينسبه .

وروى زرارة أيضاً ، قال : قيل لجعفر بن محمد عليه السلام : إن قوماً هاهنا ينتقصون عليّاً عليه السلام ، قال : بمَ ينتقصونه لا أبا لهم ! وهل فيه موضع نقيصة ! والله ما عَرَض لعليّ أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلاَّ عمِل بأشدّهما وأشقّهما عليه ، ولقد كان يعمل العمل كأنَّه قائم بين الجنة والنار ، ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له ، وينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له ؛ وإن كان ليقوم إلى الصلاة ، فإذا قال : وجَّهت وجهيَ تغيّر لونه ؛ حتى يعرف ذلك في وجهه ؛ ولقد أعتق ألف عبد من كدّ يده ؛ كلّ منهم يعرق فيه جبينه ، وتحفى فيه كفُّه ،

ولقد بُشِّرَ بعين نَبَعَتْ في ماله مثل عنق الجَزور ، فقال : بشّر الوارث بِشرّ ، ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين وابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، ليصرف الله النار عن وجهه ، ويصرف وجهه عن النار .

وروى القنّاد ، عن أبي مريم الأنصاريّ ، عن عليّ عليه السلام : لا يحبني كافر ولا ولد زنا .

وروى جعفر بن زياد ، عن أبي هارون العبديّ ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : كنا بنور إيماننا نحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فمن أحبّه عرفنا أنه منا .

الجزء ٩ ص ١٣٦:

وروى المدائنيّ أيضاً ، قال : خطب عليّ عليه السلام ، فقال : لو كُسِرتْ لي الوِسادة لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتِهم ، وبين أهلِ الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهْلِ الفرقان بفرقانهم ، وما مِنْ آية في كتاب الله أنزلتْ في سهلٍ أو جبلٍ إلاّ وأنا عالم مَتَى أنزلت ، وفيمن أنزلت .

فقال رجل من القُعود تحت مِنْبره : يالله وللدّعوى الكاذبة ! وقال آخر إلى جانبه : أشهد أنك أنت الله ربّ العالمين !

قال المدائنيّ : فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه !

الجزء ١٠ ص ٢١٤:

في كلامه حول سياسة عليّ وجريها على سياسة الرسول عليه السلام :

وكان أبو جعفر بن أبي زيد الحسنيّ نقيب البصرة رحمه الله إذا حدّثناه في هذا يقول : إنَّه لا فرقَ عندَ من قرأ السّيرتين : سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسياسة أصحابه أيام حياته ، وبين سِيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسياسة أصحابه أيّام حياته ، فكما أنَّ عليّاً عليه السلام لم يزلْ أمرُه مضطرباً معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلى أعدائه ، وكثرة الفِتَن والحروب ، فكذلك كان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يزل ممنوّا بنفاق المنافقين وأذاهم ، وخلاف أصحابه عليه وهرب بعضهم إلى أعدائه ، وكثرة الحروب والفتن .

[ثم ذكر كلام النقيب أبي جعفر عن حال المنافقين على عهد رسول الله (ص) وحال المنهزمين عنه في غزواته وحالهم معه بصفة عامة ، ثم قال في ص ٢٢٠] :

وكان يقول : مَنْ تأمّل حال الرَّجلين وجدهما متشابهتيْن في جميع أمورهما أو في أكثرها ؛

وذلك لأنَّ حَرْب رسول الله صلى الله عليه وآله مع المشركين كَانَتْ سِجَالاً ، انتصر يوم بدر ، وانتصر المشركون عليه يوم أُحُدٍ ، وكان يوم الخندق كَفافاً خرج هو وهم سواء ، لا عليه ولا له ، لأنَّهم قتلوا رئيسُ الأوْس وهو سعد بن معاذ ، وقتِل منهم فارس قريش وهو عمرو بن عبد وَدّ ، وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت ، ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح ، فكان الظفر له .

وهكذا كانت حروبُ علي عليه السلام ، انتصر يوم الجمل ؛ وخرج الأمر بينه وبين معاوية على سواء ، قتل من أصحابه رؤساء ، ومن أصحاب معاوية رؤساء ، وانصرف كلَّ واحدٍ من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه ، ثمَّ حارب بعد صِفّين أهل النّهْرَوان ، فكان الظَّفَر له .

قال : ومن العَجَبِ أنّ أوّل حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بدراً ، وكان هو المنصور فيها ، وأوّل حروب عليّ عليه السلام الجمل ، وكان هو المنصور فيها . ثم كان من صحيفة الصُّلْح والحكومة يوم صِفّين نظير ما كان من صحيفة الصّلح والهدنة يوم الحديبيَة . ثم دعا معاوية في آخر أيّام علّي عليه السلام إلى نفسه وتسمَّى بالخلافة ، كما أنَّ مسيلمة والأسود العنسيّ دَعَوا إلى أنفسهما في آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وتسمَّيا بالنبوّة ، واشتدَّ على عليّ عليه السلام ذلك ، كما اشتدَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أمرُ الأسود ومُسَيلمة ، وأبطل الله أمرهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وكذلك أبطل أمر معاوية وبني أميّة بعد وفاة عليّ عليه السلام . ولم يحارب رسولَ الله صلى الله عليه وآله أحد من العرب إلاّ قريش ما عدا يوم حنين ، ولم يحارب علياً عليه السلام من العرب أحَدٌ إلاَّ قريش ما عدا يوم النّهروان ومات عليّ عليه السلام شهيداً بالسيف ، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله شهيداً بالسّم . وهذا لم يتزوَّج عَلَى خديجة أمَّ أولاده حتى ماتت ، وهذا لم يتزوَّج على فاطمة أمّ أشرف أولاده حتى ماتت . ومات رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث وستين سنة ، ومات عليّ عليه السلام عن مثلها .

وكان يقول : انظروا إلى أخلاقهما وخَصائصهما ، هذا شجاع وهذا شجاع ، وهذا فصيح وهذا فصيح ، وهذا سخيّ جواد وهذا سخيّ جواد ، وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلّهية ، وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلّهية الدقيقة الغامضة ، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها ، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها . وهذا مُذيب نفسه في الصَّلاة والعبادة ، وهذا مثله . وهذا غير محبَّب إليه شيء من الأمور العاجلة إلاّ النِّساء

وهذا مثله ، وهذا ابن عبد المطّلب بن هاشم ، وهذا في قُعْدده[1] ، وأبواهما أخَوان لأب واحد دون غيرهما من بني عبد المطّلب ؛ وربّى محمد صلى الله عليه وآله في حِجْر والد هذا وهذا أبو طالب ، فكان جارياً عنده مجرى أحدِ أولاده . ثمَّ لما شبَّ صلى الله عليه وآله وكبر استخلصه من بني أبي طالب وهو غلام ، فربّاه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به ، فامتزج الخلُقان ، وتماثلت السجيتان ، وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين ، فما ظنُّك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل! فواجب أن تكون أخلاق محمد صلى الله عليه وآله كأخلاق أبي طالب ، وتكون أخلاقُ علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه ، ومحمد عليه السلام مربّيه ، وأن يكون الكلّ شيمةً واحدة وسوساً[2] واحداً ، وطينة مشتركة ، ونفْساً غير منقسمة ولا متجزّئة ، وألاّ يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرْق ولا فضلٌ ، لولا أنَّ الله تعالى اختصّ محمداً صلى الله عليه وآله برسالته ، واصطفاه لوحيه ، لما يعلَمهُ من مصالح البريّة في ذلك ، ومن أنّ اللطفَ به أكمل ، والنفع بمكانه أتمّ وأعمّ ، فامتاز رسولُ الله صلى الله عليه وآله بذلك عَمّن سواه ، وبَقيَ ما عدَا الرسالة على أمر الاتحاد ، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقوله : « أخصِمُك[3] بالنبوّة فلا نبوّة بعدي ، وتخصِمُ النّاس بسبع » ، وقال له أيضاً : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبيّ بعدي » ، فأبان نفسه منه بالنبوّة ، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما

الجزء ١١ ص ٤٤:

[وفيه توضيح للمتعارض من أحاديث الفضائل حيث يتضح لنا بما يأتي بأن الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة الآخرين لم تكن إلاَّ أحاديث محدثة وضعت على عهد معاوية الأموي وما بعده ، كما يتّضح بأنهم كانوا يحاربون الحديث الصحيح عن فضائل الإمام في ذات الوقت . وما ذلك إلاَّ ليوهنوا من قدره وعلو منزلته] .

وروَى أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي سيف المداينيّ في كتاب « الأحداث » قال . كتب معاوية نسخة واحدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته ، فقامت الخطباء في كلّ كُورة ، وعلى كلِّ منْبر ، يلعنون علياً ويبرءون منه

(١) القعدد : القريب الآباء من الجد الأعلى .
(٢) أي أصلاً واحداً .
(٣) اخصمك : أغلبك .

ويقعون فيه وفي أهل بيته ؛ وكان أشدَّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة ؛ لكثرة مَنْ بها من شيعة عليّ عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سُمَيّة ، وضمّ إليه البصرة ، فكان يتتبع الشِّيعة وهو بهم عارف ؛ لأنّـه كان منهم أيّـام علي عليـه السلام ؛ فقتلهم تحت كـلّ حَجَر وَمَـدَر ، وأخافهم ، وقطع الأيديَ والأرجل ، وسَمَل العيون ، وصَلَبهم على جُذوع النّخل ، وطردهم وشرّدهم عن العراق ؛ فلم يبق بها معروف منهم . وكتب معاويةُ إلى عُمّاله في جميع الآفاق : ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهـل بيته شهـادة . وكتب إليهم : أن انظروا مَن قبلَكم من شِيعَةِ عثمان ومحبّيه وأهل ولايته ؛ والّذين يروون فضائلَه ومناقبه ؛ فأدنُوا مجالسَهم وقرّبوهُم وأكرِمُوهم ، واكتُبوا لي بكلّ ما يروِي كلّ رجل منهم ، واسمه واسم أبيه وعشيرته .

ففعلوا ذلك ، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثُه إليهم معـاوية من الصِّلات والكِساء والحِباء والقطائع ، ويفيضه في العـرب منهم والموالي ؛ فكـثر ذلك في كـلِّ مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فليس يجيء أحد مردود من النّاس عـاملاً من عمّـال معاويـة ، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلاَّ كتب اسمه وقربه وشفّعه . فلبثوا بذلك حيناً .

ثم كتب إلى عمّـاله أنَّ الحـديث في عثمان قـد كَثُر وفَشَـا في كل مصْر وفي كـلَّ وجـه وناحية ؛ فـإذا جاءكم كتـابي هذا فـادعُوا النـاس إلى الروايـة في فضائـل الصّحابـة والخلفاءِ الأولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تـراب إلاَّ وتأتـوني بمناقِض لـه في الصحابة ؛ فإن هذا أحبّ إليّ وأقرُّ لعيني ، وأدحضُ لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشـدُّ إليهم من مناقب عثمان وفضله .

فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بـذكر ذلـك على المنـابر ، وأُلقِيَ إلى معلّمي الكتاتيب ؛ فعلّموا صبيانَهم وغلمانَهم من ذلك الكثير الواسع حتى رَووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن ، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمَهم وحشمَهم ، فلبثوا بذلـك ما شـاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدّان : انظروا مَنْ قامت عليه البيّنـة أنه يحبّ علياً وأهل بيته ، فامحُوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه ، وشـفع ذلك بنسخـة أخرى : مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم ، فنكِّلُوا به ، واهدِمُوا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ؛ ولا سيما بالكوفة ، حتى إن الرجلَ من شيعة علي عليه السلام لَيأتيه مَنْ

يثق به ، فيدخل بيته ، فيلقى إليه سرّه ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ، ليكتُمَنّ عليه ، فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ؛ وكان أعظَمَ الناس في ذلك بليّةً القراء المراءون ، والمستضعَفون ، الّذِين يُظهرون الخشوع والنُّسُك فيفتعلون الأحاديث ليحظوْا بذلك عند ولاتهم ، ويقرّبوا مجالسهم ، ويصيبوا به الأموال والضّياع والمنازل ؛ حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلُّون الكذب والبهتان ؛ فقبلوها ورَووها ، وهم يظنّون أنها حق ، ولو علمُوا أنَّها باطلة لما رَووها ، ولا تديّنوا بها .

فلم يزل الأمر كذلك حَتّى مات الحسنُ بن عليّ عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دَمه ؛ أو طريد في الأرض .

ثم تفاقم الأمر بعد قَتْل الحُسين عليه السلام ، ووليَ عبد الملك بن مروان ، فاشتدَّ على الشِّيعة ، ووُلِّيَ عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرّب إليه أهل النّسُك والصلاح والدّين ببغض علي وموالاة أعدائه ، وموالاة مَنْ يدَّعي من الناس أنَّهم أيضاً أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضلِهم وسوابقهم ومناقبهم ، وأكثروا من الغضّ من عليّ عليه السلام وعيبه ، والطعن فيه ، والشنآن له . حتى إن إنساناً وقف للحجاج - ويقال إنَّه جدّ الأصمعيّ عبد الملك بن قُريب - فصاح به : أيُّها الأمير إن أهلي عقُّوني فسمَّوْني عليّاً ، وإني فقير بائس ، وأنا إلى صلَة الأمير محتاج . فتضاحك له الحجاج ، وقال : لِلُطْفِ ما توسَّلت به قد ولّيتك موضع كذا .

وقد روى ابنُ عرفة المعروف بِنفطويه - وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر ، وقال : إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افْتُعلت في أيام بني أمية ، تقرُّباً إليهم بما يظنّون أنهم يُرغمون به أنوف بني هاشم .

وقال ص ٤٨ :

واعلم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصاً من دون الصَّحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلُو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا يطّلع أحدٌ من النَّاس على ما يدور بينهما ، وكان كثيرَ السؤال للنبيِّ صلى الله عليه وآله عن معاني القرآن وعن معاني كلامه صلَّى الله عليه وآله ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبيُّ صلى الله عليه وآله بالتّعليم والتثقيف ولم يكن أحدٌ من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله كذلك ، بل كانوا أقساماً : فمنهم مَنْ يهابه أن يسأله ، وهم الذين يحبّون أن يجيء الأعرابيّ أو الطارىء فيسأله وهم يسمعون ، ومنهم مَنْ كان بليداً

بعيد الفهم قليل الهمّة في النظر والبحث ، ومنهم مَنْ كانَ مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني ، إمَّا بعبادة أو دنيا ، ومنهم المقلّد يرى أنَّ فرضه السكوت وترك السؤال ، ومنهم المبغض الشّانىء الذي ليس للدّين عنده من الموقع ما يضيّع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه ، ؛ وانضاف إلى الأمر الخاصّ بعليّ عليه السلام ذكاؤه وفطنته ، وطهارة طينته ، وإشراق نفسِه وضوءها ، وإذا كان المحلّ قابلاً متهيئاً وكان الفاعل المؤثّر موجوداً ، والموانع مرتفعة ، حصل الأثر على أتمّ ما يمكن ؛ فلذلك كان عليٌّ عليه السلام ـ كما قال الحسن البصريّ ـ ربّانيّ هذه الأمة وذا فضلها ؛ ولذا تسمّيه الفلاسفة : إمام الأئمة وحكيم العرب .

الجزء ١٨ ص ٢٢٥:

وذَكَرَ أبو عمرَ بنُ عبد البرّ في كتاب « الاستيعاب » هذا الخبرَ ، فقال : حدّثنا عبدُ الله بنُ محّمد بن يوسفَ ، قال : حدّثنا يحيى بنُ مالك بنِ عائد ، قال : حدّثنا أبو الحسن محمّد بن محمّد بن مُقْلة البَغْداديّ بمصرَ . وحدّثنا أبو بكر محمدّ بن الحسن بنِ دُرَيد ، قال : حدّثنا العُكْليّ ، عن الحِرْمازيّ ، عن رجل من هَمْدان ، قال : قال معاويةُ لضِرار الضّبابيّ : يا ضرار صِفْ لي عَليّاً ، قال : اعفِني يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : لتَصِفَنّه ؛ قال : أمّا إذ لا بدّ من وصْفِه ، فكان واللّهِ بعيدَ المَدَى ، شديدَ القُوَى ، يقول فَصْلاً ، ويَحكُم عَدْلاً ، يتفجّر العِلم من جَوانِبه ، وتَنطقِ الحكمة من نَواحيه ، يَستوحِش من الدنيا وزَهرتِها ، ويَأنَس بالّليل ووَحْشتِه ، وكان غزيرَ العَبْرة ، طويلَ الفكْرة ، يُعجبه من اللّباس ما قَصُر ، ومن الطعام ما خَشُن . كان فينا كأحدِنا ، يجيبُنا إذا سألناه ، ويُنبئنا إذا استَفْتَيْناه ؛ ونحن واللّهِ مع تقريبه إيّانا ، وقربِه منّا ، لا نكاد نكلّمه هيبةً له . يعظّم أهلَ الدّين ، ويقرِّب المساكينَ . لا يَطمَع القويُّ في باطله ، ولا ييئس الضعيفُ من عَدلِه ؛ وأشهد لقد رأيتهُ في بعض مَواقِفه وقد أرخَى الليلُ سُدولَه ، وغارَتْ نجومُه ، قابضاً على لِحيته ، يَتَمَلْمَل تَمَلْمُل السَّليم[١] ، ويَبكِي بكاءَ الحزين ، ويقول : يا دُنْيا غُرِّي غَيْري ، أبي تعرّضتِ ! أم إليّ تشوَّقْتِ ! هيهاتَ هيهاتَ ! قد باينتُك ثلاثاً لا رجعةَ لي فيها ، فعمرك قصير ! وخطرُكِ حقير ! آهِ من قِلّة الزاد ، وبُعد السّفر ، ووَحشةِ الطَّريق ! فبكى معاوية وقال*: رَحِم اللَّهُ أبا حسن ، كان والله كذلك ؛ فكيف حُزْنُك عليه يا ضِرار ؟ قال : حزن مَن ذُبح ولدُها في حِجْرها[٢] .

---

(١) السليم : اللديغ .

* وأنا اشك ان يبكي هذا الطاغية لهذا الكلام .

(٢) الاستيعاب ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، وهو أيضاً في أمالي القالي ٢ : ١٤٧ .

الجزء ١٩ ص ٦٠:

مثل من شجاعة عليّ

قد ذكر عليه السلام الحِكمة ، ثم ذكر العِلّة ، وما سَمِعْنا أنه عليه السلام دعا إلى مُبارَزةٍ قَطّ ، وإنما كان يدعَى هو بعينه ، أو يدعو من يبارز ، فَيَخْرُج إليه فيقتله ، دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بني هاشم إلى البراز يوم بدْر ، فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمزة عليه السلام في قَتْل عُتْبة ، ودعا طَلْحة بن أبي طَلحة إلى البراز يوم أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مَرْحبُ إلى البراز يوم خَيْبَر فخرج إليه فقتله .

فأمَّا الخَرْجة التي خَرَجها يوم الخَنْدق إلى عمرو بن عبدوُدّ فإنَّها أجلّ من أن يقال جليلة ، وأعظم من أن يقال عظيمة ، وما هي إلاَّ كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائلٌ أيُّهما أعظم منزلة عند الله ، عليٌّ أم أبو بكر ؟ فقال : يابن أخي ، والله لمبارَزة علّي عَمْراً يوم الخندْق تَعدِل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتُرْبي عليها فضلاً عن أبي بكر وحده . وقد رُوي عن حذيفة بن اليمان ما يُناسِب هذا ، بل ما هو أبلغ منه ، رَوَى قيسُ بنُ الرَّبيع عن أبي هارون العبْدي ، عن ربيعة بن مالك السعديّ ، قال : أتيتُ حذيفة بن اليمان فقلت : يا أبا عبدِ الله ، إنَّ الناس يتحدثون عن عليّ بن أبي طالب ومناقِبه ، فيقول لهم أهل البصيرة : إنكم لتُفرطون في تقريظ هذا الرجل ، فهل أنت محدِّثي بحديثٍ عنه أذكُرُه للناس ؟ فقال : يا ربيعة ، وما الذي تسألني عن عليّ ، وما الذي أحدّثك عنه ! والذي نفسُ حُذيفة بيدِه لو وضِع جميعُ أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله في كِفّة الميزان مُنذ بَعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووُضِع عملٌ واحدٌ من أعمال علّيٍ في الكفة الأخرى لرَجَح علىٰ أعمالهم كلِّها ؛ فقال ربيعة : هذا المَدْح الذي لا يقام له ولا يُقعَد ولا يُحمل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! فقال حذيفة : يا لُكَع ، وكَيْف لا يُحمل ! وأين كان المسلمون يوم الخَنْدق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحْجَموا عنه حتى برز إليه عليٌّ فقتله ! والذي نفسُ حذيفة بيده لَعمله ذلك اليوم أعظم أجْراً من أعمال أمة محمدٍ صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليومَ حينَ برز إليه : « برَزَ الإيمانُ كلّه إلى الشِّرْك كلِّه » .

وقال أبو بكر بن عيّاش : لقد ضَرَب عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام ضربةً ما كان في

الإسلام أيْمَنَ منها ضَرْبَتَهُ عَمْرا يومَ الخندق، ولقد ضُرِب عليٌّ ضربة ما كان في الإسلام أشأَمَ منها ـ يعني ضربة ابن مُلجَم لَعَنه الله .

وفي الحديث المرفوع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمَّا بَارزَ عليٌّ عَمْراً ما زال رافعاً يَديْه مُقْمِحاً[1] رأسَه نحوَ السماء ، داعياً ربّه قائلاً : اللهم إنَّك أخذْتَ منّي عُبيدةَ يومَ بَدْرَ ، وحمزةَ يوم أُحد ، فاحفظْ عليَّ اليومَ عليّاً ، ﴿ ربِّ لا تَذَرْني فرداً وأنت خير الوارثين ﴾[2] .

وقال جابرُ بنُ عبد الله الأنصاري : والله ما شبّهتُ يومَ الأحزاب ؛ قتلَ عليّ عمْراً وتخاذُل المُشركين بعدَه ، إلاَّ بما قصّه الله تعالى من قِصّة طالوتَ وجالُوت في قوله : ﴿ فَهَزَمُوهم بإذن لله وقَتَلَ داودُ جَالوتَ ﴾[3] .

ووَرَوى عمرو بن أَزْهر ، عن عَمْرو بن عُبيد ، عن الحسن أنَّ عليّاً عليه السلام لمّا قَتَلَ عَمراً احْتزّ رأسَه وحَمَله فألقاه بين يَديْ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله ، فقام أبو بكر وعُمَر فقبّلا رأسَه ، ووَجْه رسولِ الله صلَّى الله عليه وآلِه يتهلّل ، فقال : هذا النّصر ! أو قال : هذا أوّل النّصر .

وفي الحديث المرفوع : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال يومَ قُتِل عمرو : « ذهبت ريحُهم ، ولاَ يَغْزوننا بعد اليوم ، ونحن نَغْزُوهم إن شاء الله » .

---

(١) أقمح رأسه : كشفها .
(٢) سورة الأنبياء ٤٩ .
(٣) سورة البقرة ٢٥١ .

الفصل الثاني
الوصية والنص والتفضيل

الجزء ١ ص ٣٠٩:

خطبة الإمام بذي قار

وروى أبو مِخْنف عن زيد بن صُوحان ، قال : شهِدتُ علياً عليه السلام بذي قار[١] ، وهو معتمّ بعمامة سَوْداء ، ملتفّ بساجٍ يخطب ، فقال في خطبة :

الحمد الله على كلِّ أمر وحال ، في الغُدوّ والآصال ، وأشهد أن لا إلّه إلاّ الله ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ابتعثه رحمةً للعباد ، وحياة للبلاد ، حين امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حبلُها ، وعُبِد الشيطان في أكنافها ، واشتمل عدوّ الله إبليسُ على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، الذي أطفأ الله به نِيرانَها ، وأخمدَ به شرارها ، ونزع به أوتادَها ، وأقام به مَيْلَها ، إمام الهُدى ، والنبيّ المصطَفى ، صلّى الله عليهِ وآله . فلقدْ صَدَعَ بما أمِرَ به ، وبلَّغ رسالات ربّه ، فأصلَح به ذاتَ البيْن ، وآمَن به السُّبُلَ ، وحَقَنَ به الدماء ، وألّف به بين ذَوِي الضَّغائن الواغِرة في الصدور ، حتى أتاه اليقينُ ، ثم قَبَضه الله إليه حَميداً . ثم استخلف الناس أبا بكر ، فلم يألُ جُهْدَه ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يألُ جهدَه ، ثم استخلف الناس عثمان ، فنال منكم ونِلْتُم منه ، حتّى إذا كان من أمره ما كان ، أتيتُموني لتبايِعُوني ، لا حاجةَ لي في ذلك ، ودخلتُ منزلي ، فاستخرَجْتُموني فقَبَضْتُ يدِي فبسطتموها ، وتداكَكْتُم[٢] عليّ ، حتى ظننتُ أنّكم قاتليَّ ، وأن بعضَكم قاتلُ بعض ، فبايعتموني وأنا غيرُ مسرور بذلك ولا جَذِل .

---

(١) ذو قار : موضع قريب من البصرة ؛ وهو المكان الذي كانت فيه الحرب بين العرب والفرس .

(٢) تداككتم : تزاحمتم .

وقد علم الله سبحانه أني كنتُ كارهاً للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعتُه يقول : « ما من والٍ يَلِي شيئاً من أمْرِ أمّتي إلاَّ أُتِيَ به يوم القيامة مغلولةً يداه إلى عنقه على رءوسِ الخلائق ، ثم يُنشَر كتابه ، فإن كان عادلاً نجا ، وإن كان جائراً هَوَى » ، حتى اجتمع عليَّ ملؤُكم ، وبايعني طلحة والزبير ، وأنا أعرفُ الغَدْرَ في أوجههما ، والنَّكْث في أعينهما ، ثم استأذناني في العُمْرة ، فأعلمتُهما أن ليس العمرةَ يريدان ، فسارا إلى مكَّة واستخفّا عائشة وخدعاها ، وشخص معهما أبناءُ الطُّلَقاء[1] ، فقدِموا البصرة ، فقتَلوا بها المسلمين ، وفعلوا المنكر . ويا عجَباً لاستقامتِهما لأبي بكر وعمر وبَغْيِهما عليّ ! وهما يعلمان أنّي لست دون أحَدِهما ، ولو شئت أن أقول لقلت ؛ ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدَعهُما فيه ، فكتَماه عَنّي ، وخرجا يُوهمان الطَّغَام أنَّهما يطلبان بدم عثمان ؛ والله ما أنكر عليّ منكَراً ، ولا جعلا بيني وبينهم نصَفاً ، وإنَّ دم عثمان لمعصوبٌ بهما ، ومطلوب منهما . يا خَيْبة الدّاعي ! إلاَمَ دعَا ! وبماذا أجيبَ ؟ والله إنَّهما لعلَى ضلالَةٍ صمّاء ، وجهالة عمياء ، وإنَّ الشيطان قَد ذَمَر لهما حِزْبه ، واستجلب منهما خَيْله ورَجْله ، ليعيدَ الجوْرَ إلى أوطانه ، ويرُدّ الباطل إلى نصابه .

ثم رفع يديه ، فقال : اللهمَّ إنَّ طلحة والزّبير قطعاني ، وظلماني ، وألّبا عليّ ، ونكثا بيعتي ، فاحللْ ما عقدا ، وانكثْ ما أبرما ، ولا تغفر لهما أبداً ، وأرهما المساءة فيما عمِلا وأمّلا !

قال أبو مِخْنف : فقام إليه الأشتر فقال :

الحمد لله الذي منّ علينا فأفضَل ، وأحسن إلينا فأجمَل ، قد سَمِعْنا كلامَك يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبت ووفِّقت ، وأنت ابن عمِّ نبينا وصهره ووصيّه ، وأوَّل مصدِّق به ، ومصلّ معه ، شهدتَ مشاهدَه كلَّها ، فكان لك الفضلُ فيها على جميع الأمة ، فمن اتّبعك أصاب حَظّه ، واستبشَر بفَلَجِه ، ومَنْ عصاك ، ورغِب عنك ؛ فإلى أمّه الهاوية ! لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمُخيل ، ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه ، وفارقا على غير حَدَث أحدثْت ، ولا جوْر صنعت ؛ فإن زعما أنَّهما يطلبان بدم عثمان فليُقِيدا من أنفسهما فإنهما أولُ من ألّبَ عليه وأغرَى الناسَ بدمه ، وأُشْهِدُ الله ، لئن لم يدخلا فيما

---

(١) الطلقاء : هم الذين خلى عنهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة ، وأطلقهم فلم يسترقهم ، واحدهم طليق ، فعيل بمعنى مفعول ، وهو الأسير إذا أطلق سبيله .

خرجا منه لَنُلْحِقَنَّهُما بعثمان ، فإنّ سيوفَنا في عواتقنا ، وقلوبَنا في صدورنا ، ونحن اليوم كما كنّا أمس . ثم قعد .

الجزء ٣ ص ٩٨:

وروى ابن ديزيل ، قال : حدثنا يحيى بن زكريا ، قال : حدّثنا عليّ بن القاسم ، عن سعيد بن طارق ، عن عثمان بن القاسم ، عن زيد بن أرقم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ألا أدلّكم على ما إن تَساءلتم عليه لم تَهْلِكوا ؟ إنَّ وَلِيّكم الله ، وإنَّ إمامَكم عليّ بن أبي طالب ، فناصحوه وصدّقوه ، فإن جبريل أخبرني بذلك » .

وفي ص ٢٠٨:

قال إبراهيم في الكتاب المذكور : وحدثنا يحيى بن سليمان ، قال : حدثنا ابن فُضَيل ، قال : حدثنا الحسن بن الحكَم النَّخَعيّ ، عن رباح بن الحارث النخعيّ ، قال : كنت جالساً عند علي عليه السلام ، إذ قَدِمَ عليه قوم متلثِّمُون ، فقالوا : السَّلام عليكَ يا مولانا ، فقال لهم : أوَلَسْتُم قوماً عَرَباً ! قالوا : بلى ، ولكنَّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غَدير خُمّ : « مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَن عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، قال : فلقد رأيتُ عليّاً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذُه ، ثم قال : اشهدوا .

ثم إنَّ القومَ مضوْا إلى رحالهم فتبعتُهم ، فقلت لرجل منهم : مَنِ القوم ؟ قالوا : نحنُ رَهْطٌ من الأنصار ، وذاك ـ يعنون رجلاً منهم ـ أبو أيوب ، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فأتيته فصافحتُه .

الجزء ٥ ص ٢٤٧:

قال نصر : وحدّثنا عمرو بن سعد وعمرو بن شَمِر ، عن جابر عن أبي جعفر ؛ قال : قام عليٌّ عليه السلام فخطب الناس بصِفِّين ، فقال :

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الفاضِلَة على جَمِيع مَنْ خَلَق ؛ من البَرّ والفاجر ، وعلى حُجَجه البالغة عَلَى خَلْقِهِ مَنْ أطاعه فيهم وَمَنْ عصاه ؛ إن يَرحَمْ فبفضله وَمَنّه ، وإن عَذّب فبما كسبت أيديهم ؛ وإن الله ليسَ بظلّام للعبيد .

أحْمَدُه على حُسْن البلاء ، وتظاهر النَّعماء ؛ وأستعينه على ما نابنا من أمرِ الدنيا

والآخرة ؛ وأتوكَّل عليه وكفى بالله وكيلاً . ثم إني أشهد أن لا إلَه إلَّا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ أرسلَه بالهدى ودين الحقّ ؛ ارتضاه لذلك ، وكان أهله ؛ واصطفاه لتبليغ رسالته ، وجعلَه رحمةً منه على خَلْقِه ؛ فكان علمُه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسباً ، وأجملهُم منظراً ، وأسخاهم نفساً ، وأبرّهم لوالد ، وأوْصَلهم لرحِم ؛ وأفضلهم علماً ، وأثقلهم حِلْماً ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عَقْد ؛ لم يتعلّق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قطّ ، بل كان يظلم فيغفر ، ويقدِر فيصفح ؛ حتى مضى صلى الله عليه وسلَّم مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حقَّ جهاده ؛ حتى أتاه اليقين ، صلىٰ الله عليه وسلّم ، فكان ذهابُه أعظمَ المصيبة على أهل الأرض : البرّ والفاجر ؛ ثم تركَ فيكم كتابَ الله يأمركم بطاعة اللَّه ، وينهاكم عن معصيته ؛ وقد عهِد إليَّ رسولُ الله عهداً فلستُ أحيدُ عنه ؛ وقد حَضَرْتُم عَدَوّكُم ، وعلمتُم أنَّ رئيسهم منافق ، يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم ؛ وبين أظهركم ؛ يدعوكم إلىٰ الجنَّة وإلى طاعة ربّكم ، والعملِ بسنّة نبيكم ؛ ولا سواء مَنْ صلَّى قبلَ كلِّ ذَكَر ؛ لم يسبقني بصلاةٍ مع رسول الله أحدٌ ، وأنا من أهل بدر ، ومعاوية طليق وابن طليق . والله إنّا على الحقّ وإنهم على الباطل ؛ فلا يجتمعنّ على باطلهم وتتفرقوا عن حَقّكم حتَّى يغلِبَ باطلُهم حقّكم ؛ ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُم اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ** ﴾[1] ، فإن لم تفعلوا يعذّبهم بأيدي غيرِكم .

فقام أصحابُه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ انهَضْ بنَا إلى عَدُوّنا وعدوّك إذا شئت ؛ فوالله ما نريدُ بك بدلاً ؛ بل نموت مَعَك ، ونحيَا معك . فقال لهم : والَّذِي نفسي بيده ، لَنَظَر إليَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم ، أضربُ بين يديه بسيفي هذا ، فقال : « لا سيف إلَّا ذُو الفقار ولا فتَى إلَّا عليّ » ، وقال لي : « يا عليّ ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنّه لا نبيّ بعدي ، وموتك وحياتك يا عليّ معي » ؛ والله ما كَذَب ولا كَذَبْتُ ، ولا ضلّ ولا ضللت ، ولا ضلّ بي ، ولا نسِيت ما عهِدَ إليّ ، وإنِّي على بيّنة من رَبي وعلى الطريق الواضح ؛ القطه لَقْطاً .

الجزء ١٣ ص ٢٢٤:

[وهو جزء من ردود ابي جعفر الاسكافي على الجاحظ في كتابه « العثمانية » والتي حاول الجاحظ فيها اثبات كون ابي بكر أول الناس اسلاماً] .

---

(١) سورة التوبة ١٤ .

قال : فأمّا ما احتجّ به الجاحظ بإمامة أبي بكر ، بكونه أوّل النّاس إسلاماً ، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً ، لاحتجّ به أبو بكر يوم السقيفة ، وما رأيناه صَنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح ، وقال للناس : قد رضيتُ لكم أحد هذين الرَّجُلين ، فبايعوا منهما مَنْ شئتم ، ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادَّعى واحدٌ من النَّاس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره ، بكونه سبق إلى الإسلام ، وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك ، على أن جمهورَ المحدّثين لم يذكروا أنَّ أبا بكر أسلم إلَّا بعد عدّة من الرّجال ، منهم عليّ بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبو ذرّ الغفاري ، وعمرو بن عَنْبسة السلميّ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخبّاب بن الأرتّ ، وإذا تأمّلنا الرّوايات الصحيحة ، والأسانيد القويّة والوثيقة ، وجدناها كلَّها ناطقةً بأنَّ عليّاً عليه السلام أوَّلُ من أسلم .

فأمَّا الرواية عن ابن عباس أنَّ أبا بكر أولُهم إسلاماً فقد روي عن ابن عَبّاس خلاف ذلك ، بأكثر مما رووا وأشهر ، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حمّاد ، عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى ، عن أبي داود الطيالسيّ ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عبّاس ، أنه قال : أوّلُ مَنْ صلَّى من الرّجال عليٌّ عليه السلام .

وروى الحسن البصريُّ ، قال : حدّثنا عيسى بن راشد ، عن أبي بصير ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : فرض الله تعالى الاستغفار لعليّ عليه السلام في القرآن على كلّ مسلم ، بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِيْنَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾[1] ؛ فكلّ مَنْ أسلم بعد عليّ فهو يستغفر لعليّ عليه السلام .

وروى سفيان بن عُيينة ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ؛ عن ابن عبّاس ، قال : السُّبّاق ثلاثة : سَبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب « يس » إلى عيسى ، وسبق عليُّ بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السّلام .

فهذا قول ابن عبّاس في سبْق عليّ عليه السلام إلى الإسلام ، وهو أثبت مِنْ حديث الشَّعبيّ وأشهر ، على أنَّه قد رُوِيَ عن الشعبيّ خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذليّ وداود بن أبي هند عن الشعبيّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام : « هذا أوّل مَنْ آمن بي وصدّقني وصلّى معي » .

---

(١) سورة الحشر ١٠ .

قال : فأمّا الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكـورة في الكتب الصحاح والأسـانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شَرِيك بن عبد الله ، عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، أنّه قال : أوّلُ شيء علِمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي قدمت مكّة مـع عمومـة لي وناس من قـومي ، وكان من أنفسنـا شراء عِـطْر : فأرشـدنا إلى العبّاس بن عبد المطلب ، فانتهينا إليه ، وهو جالس إلى زمزم ، فبينا نحن عنده جلوساً ، إذ أقبل رجلٌ من باب الصَّفا ، وعليه ثوبان أبيضان ، وله وفْرة إلى أنصاف أذنيه جَعدة ، أشمّ أقنى ، أدعَـجُ العينين ، كثّ اللحيـة ، برّاق الثنـايا ، أبيض تعلوه حمـرة ، كأنّـه القمر ليلة البـدر ، وعلى يمينـه غلام مُـراهِق أو محتلم ، حسن الوجـه ، تقفـوهم امـرأة ، قـد سترت محاسنَها ، حتى قصدوا نحو الحِجْر ، فاستلمه واستلمه الغلام ، ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعاً ، والغلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحِجْر ، فقام ورفع يديه وكبّر ، وقام الغلام إلى جانبه ، وقامت المرأة خلْفهما ، فرفعت يديها ، وكبّرت ، فأطال القنوت ، ثم ركع وركع الغلام والمرأة ، ثم رفع رأسه فأطال ، ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلمّا رأينا شيئاً ننكره ، لا نعرفه بمكة ، أقبلنا على العباس فقلنا : يا أبا الفضل ، إنّ هذا الدّين ما كنّا نعـرفه فيكم ، قـال : أجلْ والله ، قلنـا : فمن هذا ؟ قـال : هذا ابنُ أخي ، هـذا محمّد بن عبد الله ، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً ؛ هذا عليّ بن أبي طالب ، وهذه المرأة زوْجة محمّد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما عَلَى وجهِ الأرض أحدٌ يَدِين بهذا الدين ؛ إلاّ هؤلاء الثلاثة .

وفي ص ٢٢٧:

وروى عبـد السلام بن صـالح ، عن إسحـاق الأزرق ، عن جعفـر بن محمـد ، عن آبائه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله لمَّا زوّج فاطمة ، دخل النساء عليها ، فقلن : يا بنتَ رسول الله ، خَطَبك فلانٌ وفلان ، فردّهم عنك ، وزوَّجك فقيراً لا مال له ، فلمَّا دخل عليها أبُوها صلَّى الله عليه وآله رأى ذلك في وجهها ، فسألها فذَكَرتْ له ذلك ، فقال : يا فاطمة ، إنَّ الله أمرني فأنكحتُك أقدمَهم سلماً ؛ وأكثرهم عِلْماً ؛ وأعظمهم حِلْماً ؛ وما زوّجتك إلاّ بأمرٍ من السماء ؛ أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة !

وروى عثمان بن سعيد عن الحكَم بن ظُهَيْر ، عن السّديّ ؛ أنّ أبا بكر وعمر خطبـا فاطمةَ عليها السلام ، فردّهما رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : لم أومَرْ بذلك ، فخطبها عليّ عليه السلام ، فزوّجه إياها ، وقال لهـا : زوّجتك أقـدمَ الأمّةِ إسـلاماً . . . وذكـر تمام

الحديث . قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة ، منهم أسماء بنت عُميس ، وأمّ أيْمن ، وابنُ عبّاس وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدِّه أبي رافع ، قال : أتيتُ أبا ذرّ بالرّبذَة أودّعه ، فلما أردت الانصراف ، قال لي ولأناسٍ معي : ستكون فتنة ، فاتّقوا الله ، وعليكم بالشيخ عليّ بن أبي طالب ، فاتّبعوه ، فإنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول له : « أنت أوّل مَنْ آمن بي ، وأول مَنْ يصافحني يوم القيامة ، وأنت الصدّيق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرِق بين الحقّ والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ؛ والمال يعسوب الكافرين ؛ وأنت أخي ووزيري ، وخير مَنْ أترك بعدي ، تقضي دَيْني وتنجِز موعدي » .

قال : وقد روي ابن أبي شيبة ، عن عبد الله بن نُمَيْر ، عن العَلاء بن صالح ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبّاد بن عبدالله الأسديّ ، قال : سمعتُ عليّ بن أبي طالب ، يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصدّيق الأكبر ، لا يقولها غيري إلاّ كذّاب ، ولقد صلّيت قبل النّاس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله العدَويّة ، قالت : سمعتُ علياً عليه السلام ، يخطب على مِنْبر البصرة ، ويقول : أنا الصديق الأكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وروى حبّة بن جُوين العُرَنيّ أنّه سمع علياً عليه السلام ، يقول : أنا أوّلُ رجل أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسيّ ، عن شعبة ، عن سفيان الثّوريّ ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن حبّة بن جُوَين .

وروَى عثمان بن سعيد الخرّاز ، عن عليّ بن حرّار ، عن عليّ بن عامر ؛ عن أبي الحجّاف ، عن حكيم مولى زاذان ، قال : سمعتُ علياً عليه السلام ، يقول : صلّيتُ قبل الناس سبعَ سنين ، وكنّا نسجدُ ولا نركع ، وأوّل صلاة ركعنا فيها صلاةُ العصر ، فقلت : يا رسولَ الله ، ما هذا ؟ قال : أمِرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو ، عن قيس بن الربيع ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ،

عن جابر بن عبد الله ، قال : صلّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلَّى علي يوم الثلاثاء بعده . وفي الرواية الأخرى ، عن أنس بن مالك : استُنبِىء النبيّ صلَّى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وأسلَم عليّ يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبـو رافع أنّ رسـول الله صلَّى الله عليـه وآله صـلّى أوّل صلاة صـلاَّهـا غـداة الاثنين ، وصلّتْ خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلّى عليٌّ عليه السلام يوم الثلاثاء غداة ذلك اليوم .

قـال : وقـد رُوِي بـروايـات مختلفـة كثيـرة متعـددة ، عن زيـد بن أرقم ؛ وسلمـان الفارسيّ ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ؛ أنّ عليـاً عليه السـلام : أوّل مَنْ أسلم ؛ وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كُهَيل ، عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال : « أوَّلكم وروداً عليّ الحوض أوّلكم إسلاماً ، عليّ بن أبي طالب » .

[وبعد سرد عدد آخر من الـروايات الـدالة عـلى أنه عليـه السلام أول النـاس إسلامـاً قال ص ٢٣١]:

قال : فهذه الأخبار .

وأما الأشعار المرويّة فمعـروفة كثيـرة منتشرة ، فمنهـا قول عبـد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط :

وإنَّ وليّ الأمـر بعـد محمـدٍ ... عليٌّ وفي كلّ المـواطن صاحبُـهْ
وصيٌّ رسـول الله حقّاً وصنُـوه ... وأوّل مَنْ صلَّى ومَنْ لان جانبُهْ

وقال خزيمة بن ثابت في هذا :

وصيٌّ رسولِ الله مِنْ دون أهلِه ... وفارسُه مُذْ كان في سالف الزَّمَنْ
وأوَّلُ مَنْ صلّى من الناس كلِّهِمْ ... سوى خيرة النّسوان واللَّهُ ذو منَنْ

وقال أبو الأسود الدؤَليّ يهدّد طلحة والزبير :

وإن عليّـاً لكم مُصْحِرٌ ... يمـاثله الأسـد الأسـوَدُ
أمـا إنه أوّلُ العـابـدين ... بمكّـة والله لا يعبـد !

وقال سعيد بن قيس الهَمْداني يرتجز بصفين :

هذا عليٌّ وابنُ عمّ المصطفى   أوّل مَنْ أجابه فيما رَوَى
هو الإمام لا يبالِي مَن غَوَى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسديّ :

فحُوطُوا عليّاً وانصروه فإنّه   وصيٌّ وفي الإسلام أوّل أوّلُ
وإن تخذلوه والحـوادث جمّةٌ   فليس لكم عن أرضكم متحوّلُ

قال : والأشعار كالأخبار ، إذا امتنع في مجيء القبيلين التواطؤ والاتفاق ، كان ورودهما حجة .

الجزء ٢٠ ص ٢٢١:

فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة

والقول بالتفضيل قولٌ قديم ، قد قال به كثيرٌ من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمّار ، والمِقْداد ، وأبـو ذرّ ، وسلمان ، وجـابر بن عبـد الله ، وأبيّ بن كعْب ، وحذيفـة ، وبُـرَيدة ، وأبـو أيّوب ، وسهـل بن حُنَيـف ، وعثمان بن حنيـف ، وأبـو الهيْثم بن التّيّهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطُّفيل عامر بن واثلة : والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافةً ، وبنو المطلب كافةً*.

وكان الزبيرُ من القائلين به في بدء الأمر ؛ ثم رجع ، وكان من بني أميّة قـومٌ يقولـون بذلك ، منهم خالدُ بنُ سعيد بن العاص ، ومنهم عمرُ بنُ عبد العزيز .

[ثم ذكر الخبر المشهور عن عمر بن عبد العزيز وهو الذي حكّم فيه احد أولاد عقيل بن أبي طالب في رجلين زوج امرأة وابيها . إذ حلف الزوج بطلاقها أن علياً افضل هذه الأمة بعد النبي (ص) فزعم الأب أنها حرمت عليه إذ وقع الطلاق في حين أن الزوج يصر على أنها زوجه لأنه قد برَّ قسمه . فحكم بينهما للزوج استناداً إلى الرواية التي تقول بأن النبي (ص) دعىٰ ربه أن يـأتيه بـالعنب (لفاطمـة وكانت عليلة) بيـد أفضل امتـه بعده ، فجـاء عليّ (ع) يحمـل العنب] .

---

* ولا ندري هل كان هؤلاء الاجلاّء صنائع لعبد الله بن سبأ المزعوم أم ماذا يا اخي القارىء ؟!!

وقال ص ٢٣٦:

فأما مَن قال بتفضِيله على النّاس كافّةً من التابعين فَخَلْقٌ كثير كأُوَيْس القَرَنيّ وزَيْد بن صُوحان ، وصَعْصعة أخيه ، وجُنْدُب الخير ، وعُبيدة السَّلْمَانيّ وغيرهم ممّن لا يُحصَى كثرةً ، ولم تكن لفظةُ الشِّيعة تُعرف في ذلك العَصْرِ إلاَّ لمن قال بتفضيله ، ولم تكن مقالةُ الإماميّة ومَنْ نَحا نحوَها من الطَّاعِنِين في إمامةِ السّلف مشهورة حينئذٍ على هذا النحو من الاشتهار*، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمَّوْن الشِّيعة ، وجميعُ ما وَرَدَ من الآثار والأخبار في فضل الشِّيعة وأنهم مَوْعودُون بالجنّة ، فهؤلاء هم المعنيّون به دون غيرهم ، ولذلك قال أصحابُنا المعتزِلة في كُتُبِهم وتصانيفِهم : نحن الشِّيعَة حقّاً . فهذا القولُ هو أقرَبُ إلى السّلامة وأشبَهُ بالحقِّ من القَوْلين المقتَسِمَيْنِ طرفَيِ الإفراط والتَّفْريط إن شاء الله .

---

* الآن ، بعد ان قرأت ما تقدم من الكتاب أخي القارىء ، لا أخالك إلاَّ ضاحكاً من قول ابن ابي الحديد الذي يزعم بان هؤلاء القائلين بالتفضيل من الصحابة الأجلاَّء والتابعين لهم بأحسان ما كانوا يطعنون بخلافة من تقدم على امير المؤمنين ، ذلك لأنك قد قرأت اقوال عمَّار والاشتر والعباس بن عبد المطلب ناهيك عن محاولة بعضهم كعمار وسلمان وحذيفة وأبيّ القيام بعمل ما لإعـادة الأمر الى نصابه في أيام السقيفة كما مرَّ عليك . . . وإذا كان هناك شكٌ فيما يخص الشيخين فإن الأمر لأوضح ما يكون مع عثمان ، وحسبك ما مرَّ ذكره وما سيأتي من كلام عمَّار والأشتر وامثالهما .

الفصل الثالث
دفع الأمير عن حقه في الخلافة بعد رسول الله |ص| بلا فصل

الجزء ١ ص ٣٠٧:

خطبة علي بالمدينة في أول إمارته

واعلم أنّ كلامَ أمير المؤمنين عليه السلام وكلام أصحابه وعمّاله في واقعة الجمل ، كلّه يدورُ على هذه المعاني الّتي اشتملت عليها ألفاظُ هذا الفصل ؛ فمن ذلك الخطبةُ التي رواها أبو الحسن عليّ بن محمد المدائنيّ ، عن عبد الله بن جُنَادة ، قال : قَدِمْتُ من الحجاز أريد العِراق ؛ في أوّلِ إمارة عليّ عليه السلام ، فمررت بمكة ، فاعْتمرت ، ثم قدِمْتُ المدينة ، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ إذ نودي : الصّلاة جامعة ؛ فاجتمع الناس ، وخرج عليّ عليه السلام متقلّداً سيفَه ، فشخَصت الأبصارُ نحوه ، فحمِد الله وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

.أما بعد ، فإنّه لما قَبَض الله نبيّه صلّى الله عليه وآله ، قلنا : نحن أهله وورثته وعِترته ، وأولياؤه دون الناس ، لا ينازِعُنا سلطانَه أحد ، ولا يطمع في حقّنا طامع ؛ إذ انبرى لنا قومُنا فغصبونا سلطان نبيّنا ، فصارت الإمْرة لغيرنا . وصرنا سوقة ؛ يطمع فينا الضعيف ؛ ويتعزّز علينا الذليل ؛ فبَكتِ الأعين مِنا لذلك ، وخَشِنَتِ الصدور ، وجزعت النفوس . وايمُ الله لولا مخافة الفُرْقة بين المسلمين ، وأن يعودَ الكفر ، ويبورَ الدين ، لكنَّا على غير ما كنّا لهم عليه*، فولِيَ الأمْرَ ولاة لم يألُوا الناسَ خيراً ، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي ،

* وهذه تؤكد أن الامام كان سيقاتلهم لو لم يكن في ذلك خطر على الاسلام ، وحسبك في هذا توضيحاً لرأي الامام في خلافة الشيخين .

فبايعتموني على شَينٍ مِنّي لأمركم ، وفِراسة تَصْدُقني ما في قلوب كثير منكم .
[وسنذكر تمام الخطبة في الفصل الخامس] .

خطبته عند مسيره للبصرة

وروى الكلبيّ قال : لما أراد عليّ عليه السلام المسيرَ إلى البصرة ، قام فخطب النّاس ، فقال بعد أنْ حَمِد الله وصلى على رسوله ، صلى الله عليه :

إنَّ الله لما قبض نبيّه ، استأثرتْ علينا قريش بالأمر ، ودفعتْنا عَنْ حَقٍّ نحن أحقُّ به من الناس كافّة ، فرأيت أنَّ الصبر على ذلك أفضلُ من تفريق كلمة المسلمين ، وسَفْكِ دمائهم . والنَّاس حديثو عهد بالإسلام ، والدين يمْخَضُ مَخْضَ الوطْب ، يُفسِدُه أدْنى وَهَن ، ويعكسه أقلّ خُلْف . فولِيَ الأمرَ قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء ، والله وليّ تمحيص سيِّئاتهم ، والعفْوِ عن هفواتهم . . .

[وسنذكر تمام الخطبة في الفصل الخامس] .

الجزء ٣ ص ١٨٨:

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه

قال نصر : وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية :

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ، سلامٌ على أهل طاعة الله مِمّن هو سِلْم لأهل ولاية الله . أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته ، خَلَق خَلْقاً بلا عَبَث ولا ضعف في قوته ؛ لا حاجة به إلى خَلْقهم ، ولكنه خَلَقهم عبيداً ، وجعل منهم شقياً وسعيداً ، وغويّاً ورشيداً ، ثم اختارهم على عِلْمِه ، فاصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وآله ، فاختصَّه برسالته ، واختاره لوحيه ، وائتمنه على أمره ، وبعثه رسولاً مصدِّقاً لما بين يديه من الكتب ، ودليلاً على الشرائع ؛ فدعا إلى سبيل أمره بالحِكْمة والموعظة الحسنة ؛ فكان أوّلَ مَنْ أجاب وأناب ، وصدّق ووافق فأسلم وسلّم أخوه وابنُ عَمّه ـ علي بن أبي طالب عليه السلام* ، فصدّقه بالغيب المكتوم ، وآثره على كلّ حميم ، ووقاه كلَّ هَوْل ، وواساه بنفسه في كلِّ خوف ؛ فحارب حَرْبه ، وسالم سِلْمه ؛ فلم يبرَحْ مبتذِلاً لنفسه في ساعات الأَزْل[1] ، ومقامات الرَّوْع ؛ حتى بَرَّز سابقاً لا نظير له في جهاده ، ولا مقاربَ له في فعله ؛

---

* وهذه شهادة اخرى على اسبقية الامام الى الاسلام تضاف الى ما ذكرناه في الفصل الثاني .

(١) الأزل : الشدة والضيق .

وقد رأيتَك تسامِيه وأنت أنت ؛ وهو هو السابق المبرّز في كلّ خير ؛ أوّلُ النّاس إسلاماً ، وأصدق الناس نيّة ، وأطيَبُ الناس ذُرِّيّة ، وأفضلُ النـاس زَوْجَة ، وخير الناس ابن عَمّ . وأنت اللعينُ ابن اللعين ، لم تَزَلْ أنت وأبوك تَبْغِيان لدين الله الغوائل ، وتجتهدان على إطفاء نور الله ؛ وتجمَعان على ذلك الجموع ، وتَبْذُلان فيه المال ، وتحالفان في ذلك القبائل ؛ عَلَى هذا مات أبوك* ؛ وعلى ذلك خَلَفْتَه ، والشاهدُ عليك بذلك مَنْ يأوي ويلجأ إليك ؛ من بقيّة الأحزاب ورءوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ والشاهد لعليّ مع فضله وسابقته القديمة أنصارُه الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ، ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار ؛ فهم معه كتائب وعصائب ؛ يجالدون حولَه بأسيافهم ، ويُهرَيقون دماءهم دونه ؛ يرون الفضل في اتّباعه ، والشِّقَاق والعصيان في خلافه ؛ فكيف ـ يالك الويل ـ تعدِلُ نفسك بعليّ ، وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأبو ولده ، وأوّلُ النّاس له اتباعاً ، وآخرهم به عهداً ، يخبرُه بسرِّه ، ويُشْرِكه في أمره ؛ وأنت عدوّه وابن عدوّه ؛ فتمتّع ما استطعتَ بباطِلك ، وليمددك ابن العاص في غَوايتك ؛ فكأن أجلَك قد انقَضى ، وكيدك قد وَهَى ، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا . واعلم أنّك إنما تكايد رَبَّك الذي قد أمِنْتَ كيده ، وأيسْتَ من روحه ، وهُوَ لَكَ بالمِرْصاد ؛ وأنت منه في غرور . وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء ! والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب إليه معاوية :

من معاوية بن أبي سفيان ، إلى الزّاري على أبيه محمد بن أبي بكر . سلام على أهل طاعة الله ، أما بعد ؛ فقد أتاني كتابُك تذكر فيه ما الله أهلُه في قدرته وسلطانه ، وما أصفَى به نَبيّه ، مع كلام ألّفته ووضعته ؛ لرأيك فيه تضعيف ؛ ولأبيك فيه تعنيف ؛ ذكرتَ حقّ ابن أبي طالب وقديمَ سابقته ، وقرابتَه من نبي الله ونصرتَه له ، ومواساته إياه ؛ في كلِّ خوف وهَوْل ؛ واحتجاجَك عليّ ، وفخرك بفضل غيرِك لا بفضلك . فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك ، وجعله لغيرك ؛ فقد كُنّا وأبوك معنا في حياة نبينا ؛ نرى حقّ ابن أبي طالب لازِماً لنا** ؛ وفضله مبرزاً علينا ؛ فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتمَّ له ما وَعَده ، وأظهر دعوتَه ، وأفلج

---

* وهذه شهادة توضح حقيقة ايمان ابي سفيان الذي هناك من يرفعه إلى مقام الصحابة الناصحين في حين يهبط بأبي طالب المؤمن الى مصاف الكافرين فيما لها من مصيبة اصابت النبي (ص) قبل غيره لو كانوا يعقلون .

** ولقد بينا ذلك فيما تقدم ، كما أن الإمام حكى ذلك في الكلمة رقم ٧٣٣ التي أوردناها بتسلسل ٥٤ فراجع .

حُجَّتَه ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقُه ، أوّل من ابتزّه وخالفه* ، على ذلك اتَّفقا واتسقا ؛ ثم دَعَواه إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، وتلكأ عليهما ، فهمَّا به الهموم ؛ وأرادا به العظيم** ؛ فبايعهما وسلّم لهما ، لا يشركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرّهما ، حتى قبضا وانقضى أمرهما . ثم أقاما بعدهما ثالثَهما عثمان بن عفان*** ، يهتدي بهديهما ، ويسير بسيرتهما ، فعبتَه أنت وصاحبُك ، حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي ، وبطنتُما وظهرتما ، وكشفتما له عداوتَكما وغِلَّكما ، حتى بلغتما منه مناكما ، فخذ حذرَك يابن أبي بكر ، فسترى وبالَ أمرك ، وقِسْ شبرَك بفترك ، تقصرُ عن أن تساوىَ أو توازيَ مَنْ يَزِنُ الجبال حلمه ، ولا تَلِينُ على قَسْرٍ قَناتُه ولا يُدرِك ذو مَدىً أناتَه ، أبوك مَهّد له مِهَادَه ، وبنَى مُلْكه وشاده**** ، فإن يكنْ ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جَوْراً فأبوك أسّه ونحن شركاؤه ، فبهَدْيِه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أباك فَعل ما فعلَ ، فاحتذَيْنا مثاله ، واقتدينا بفعالِه ، فعِبْ أباك بما بدا لك ، أودَعْ***** . والسلام على من أنابَ ، ورجع من غوايته وناب .

الجزء ٤ ص ١٠٣:

---

* وهذه شهادة من ابن أبي سفيان نسوقها لمن يعتبر قول معاوية حجّة أما نحنُ فلا نرى لأقواله وزناً إلاَّ أن اهمية هذا الكتاب وما قبله تأتي من كونه متفقاً تماماً مع ما تقدم من روايات وأقوال للإمام تؤكد أن القوم ابتزوه حقه وسلبوه سلطان ابن امه . . الخ .

** وهذه مثل تلك ، أي انها تتفق مع الروايات من ان الشيخين ما كانا ليتركا امير المؤمنين في سلام ان لم يبايع ، على الأقل بعد وفاة الزهراء ، وتكشف كذلك عما وضّحناه سابقاً من ان الامام ما بايع طائعاً وإنما مكرهاً ، فإن شئت راجع الكلمة ٤١٤ التي أوردناها بتسلسل ٤٩ والكلمة ٧٣٦ بتسلسل ٥٧ ، وإن شئت راجع بحوث السقيفة وما يتعلق بها .

*** ثبت خلافة عثمان بعنق الشيخين لأن ابا بكر استخلف عمر وبعدها رتب عمر طريقة الشورى بالشكل الذي يجعل الخلافة لعثمان فكأنهما خططا لاستخلاف عثمان بعدهما . راجع بحوث الشورى فيما تقدم وفيما سيأتي .

**** وهذه تشابه الأخرى ، فمعاوية يقول بأن أباك استخلف عمر ثم رتب عمر الشورى ليفوز بها عثمان وهاأنذا أطالب بها . هذا ناهيك عن أن عمر استعمل معاوية على الشام ورشحه للخلافة في وصيته لأهل الشورى كما تقدم .

***** وهذا هو الحق الذي أنطق الله به هذا المبطل الغاوي ، لأن خلافة أبي بكر تعني خروج الأمر من الامام (ع) بل لولا تلك لما كانت هذه ، وخروج الأمر من الامام (ع) إلى غيره يعني إمكانية تقدم غيره عليه بعدما كان ذلك غير متصور على عهد رسول الله (ص) ، وكلما تقدم الزمان اضحت هذه الحقيقة الجديدة امراً لا غبار عليه ، وكل الذي فعله معاوية هو أنه جعل الخلافة تُطلب من الطلقاء وممن هم ابعد ما يكون عنها ، أما امكانية دفعها عن الموصى اليه بها فقد تم ذلك منذ زمن ، اعني بيعة ابي بكر في السقيفة ، وهكذا فإن معاوية هنا يتبرأ من تقدم احد من الناس على عليّ كسنّة والذي رماه بها محمد بن أبي بكر في كتابه ، ذلك لأن الذي فعلها أول مرة هو الصديق .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرة ، قال : سمعتُ علياً عليه السلام ، وهو يقول : ما لقيَ أحدٌ من الناس ما لقيت ! ثم بكى عليه السلام .

وروى الشعبيُّ ، عن شريح بن هانىء ، قال : قال عليّ عليه السلام : اللهم إنّي أستعديك على قريش ؛ فإنهم قطعوا رَحِمي ، وأصغوْا إنائي ، وصَغَّروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي .

وروى جابر عن أبي الطفيل ، قال : سمعت علياً عليه السلام ، يقول : اللهم إنّي أستعديك على قريش ؛ فإنَّهم قطعوا رَحِمي ، وغَصَبُوني حَقّي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به ، ثم قالوا : إنَّ من الحق أن نأخذه ، ومن الحق أن نَتركه .

وروى ص ١٠٦:

وروى شيخُنا أبو القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى ، عن سلمة بن كهيل ، عن المسيّب بن نَجْبة ، قال : بينا عليّ عليه السلام يخُطب إذ قام أعرابيّ ، فصاح : وامظلمتاه ! فاستدناه عليّ عليه السلام ، فلما دنا قال له : إنما لك مظلمة واحدة ، وأنا قد ظلمت عدد المدَر والوبر . قال : وفي رواية عباد بن يعقوب ، أنّه دعاه فقال له : وَيحك ! وأنا والله مظلوم أيضاً ؛ هاتِ فلنَدْعُ عَلَى مَنْ ظلَمَنا .

وروى سَدِير الصيرفيّ ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ ، قال : اشتكى عليّ عليه السلام شَكاة ، فعاده أبو بكر وعمر ، وخرجا من عنده ، فأتيا النبيّ صلى الله عليه وآله ، فسألهما : مِنْ أين جئتما ؟ قالا : عُدْنا عليّاً ، قال : كيف رأيتماه ؟ قال : رأيناه يُخاف عليه مما به ، فقال : « كلا إنه لن يموت حتى يُوسَع غدراً وبغياً ، وليكوننّ في هذه الأمة عبرةً يعتبر به الناس من بعده » .

وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن الغنويّ ، أن علياً عليه السلام خطب بالرّحبة فقال : أيها الناس ؛ إنكم قد أبيتم إلّا أن أقولها ! وربّ السماء والأرض ، إنّ من عهد النبيّ الأمّيّ إليّ : « إنَّ الأمة ستغدر بك بعدي » .

وروى هيثم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم مثله ؛ وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه .

وروى أبو جعفر الإسكافي أيضاً أنَّ النبي صلى الله عليه وآله دخل عَلَى فاطمة عليها السلام ، فوجد عليّاً نائماً ، فذهبت تنبّهه ، فقال : « دعيه فربّ سهرٍ له بعدي طويل ، ورب

جفوة لأهل بيتي مِنْ أجله شديدة » فبكت ؛ فقال : « لا تبكي فإنكما معي ، وفي موقف الكرامة عندي » .

وروى الناس كافة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « هذا وليّي وأنا وليّه عاديت مَنْ عاداه ؛ وسالمت من سالمه » ، أو نحو هذا اللفظ .

وروى أيضاً محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : « عدوك عدوّي وعدوّي عدوّ الله عزَّ وجلَّ »* .

وروى يونس بن حباب ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب معنا ، فمررنا بحديقة ، فقال عليّ : يا رسول الله ، ألا تَرَى ما أحسن هذه الحديقة ! فقال : « إن حديقتك في الجنّة أحسن منها » ؛ حتى مررْنا بسبع حدائق ، يقول عليّ ما قال ، ويجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وَقف فوقفنا ، فوضع رأسه عَلَى رأس عليّ وبكى ، فقال عليّ ، ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « ضغائن في صدور قوم لا يُبدُونها لك حتى يفقدوني » فقال : يا رسول الله ، أفلا أضع سيفي عَلَى عاتقي فأبيدَ خضراءهم**! قال : بل تصبر، قال : فإن صبرتُ ! قال : تلاقي جهداً ، قال : أفي سلامةٍ من ديني ؟ قال : نعم ، قال : فإذاً لا أبالي .

وروى جابر الجعفيّ ، عن محمد بن عليّ عليه السلام ، قال : قال عليّ عليه السلام : ما رأيت منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله رخاء ، لقد أخافتْني قريش صغيراً ، وأنصبتني كبيراً ؛ حتى قبض الله رسوله ، فكانت الطامّة الكبرى*** ، والله المستعان على ما تصفون !

---

* ولا أدري كيف يمكن تأويل ذلك لمصلحة طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وغيرهم من أعدائه ، اللهم إلاَّ أن يقولوا بأن حربهم له وقتل آلاف المسلمين كان محبة لا عداوة !!

** وهذا أوضح تأكيد على تحليل قتال وقتل أي إنسان بمجرد بغضه لعلي عليه السلام ، أعني تحليل قتاله وقتله تحليلاً شرعياً ، لأن الامام لم يكنّ ليقاتل الناس لمجرد بغضهم له كما هو بغض الناس بعضهم بعضاً بل لأن بغضه يعني بغض ما يمثله عليه السلام وهو الاسلام والايمان كما أنه يوضح أن البغض لما كان بعد وفاة النبي (ص) كما أخبره(ص) فهذا جعل الامام يذهب إلى أن البغض والعداوة وهوخليفة كما كان يفترض وهو ما يؤكد وجوب قتال هؤلاء الخارجين عن الامام المبايع . أي ان الأمرين ليدل احدهما على الآخر .

*** يسمي الإمام بيعة أبي بكر في السقيفة الطامة الكبرى فانتبه .

الجزء ٦ ص ٩٤:

خطبة للإمام علي بعد مقتل محمد بن أبي بكر

وروى إبراهيم ، عن رجاله ، عن عبد الرحمن بن جندَب ، عن أبيه ، قال : خطب عليّ عليه السلام بعد فتح مصر ، وقتْل محمد بن أبي بكر ، فقال :

أما بَعْد . فإنَّ الله بَعَثَ محمداً نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً عَلَى هذِهِ الأمّة ؛ وأنتمْ مَعاشِرَ العرب يومئذٍ على شرِّ دِين ، وفي شَرِّ دَارٍ ، مُنيخونَ على حجارةٍ خُشُنٍ ، وحيّات صُمّ ، وشَوْكٍ مَبْثُوث في البلاد ، تَشْرَبُونَ الماءَ الخَبيث ، وتأكلونَ الطَّعَامَ الخبيثَ ؛ تسفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وتقتُلونَ أولادَكُمْ ، وتُقَطِّعُونَ أَرْحَامَكُمْ ؛ وَتأكلُونَ أموالَكُمْ بَيْنَكُم بالباطِلِ . سُبُلُكُم خائفة ، والأصنام فيكم مَنْصُوبة ، ولا يؤمنُ أكثرُهُمْ باللَّهِ إلاَّ وهمْ مُشْرِكونَ .

فمنّ آللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ عليكم بمحمد ، فَبَعَثَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَعَلَّمَكُمْ الكِتابَ وَالْحِكمةَ ، وَالْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ ، وأمرَكُمْ بِصِلَةِ أرحامِكُمْ وَحَقْنِ دِمَائِكُمْ وصلاحِ ذَاتِ الْبينِ ، وأنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْ تُوفُوا بالْعَهْدِ ؛ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ، وأنْ تَعَاطَفوا وتبارّوا وَتَرَاحَمُوا . ونَهَاكُمْ عنِ التّناهُبِ والتَّظَالُمِ والتَّحَاسُدِ والتّبَاغِي والتَّقَاذُفِ ، وعن شُرْبِ الخمرِ وبَخْسِ المكْيَالِ ، وَنَقْصِ المِيزانِ . وتقدَّم إليكم فيما يُتْلَى عليكم : ألاَّ تَزْنُوا ولا تُرْبُوا ، ولا تَأْكُلُوا أمْوالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً ، وأنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَلاَ تَعْثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ؛ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وكلُّ خيرٍ يُدْنِي إلى الجنّةِ ، ويُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ أَمْرَكُمْ بِهِ ، وَكُلُّ شَرّ يُدْنِي إلى النَّارِ وَيُبَاعِدُ عنِ الْجَنَّةِ نَهاكُمْ عنهُ .

فلما استكْمَلَ مُدَّته ، تَوفَّاهُ الله إلَيْهِ سَعِيداً حَمِيداً ، فيالَها مُصِيبةً خَصَّتِ الأقْرَبِينَ ، وَعَمَّتِ المسْلِمينَ ! ما أصيبوا قبلها بِمثلها ، ولَنْ يُعاينُوا بَعْدَهَا أختها* . فلما مضى لسبيلِه

---

* ومن الشعر المنسوب الى عليّ عليه السلام ـ ويقال إنه قاله يومَ ماتَ رسولُ الله (ص) (الجزء ١٩ ص ١٩٧).

كنتَ السّوادَ لناظِري ... فبَكى عليكَ النّاظرُ

من شاءَ بعدكَ فليَمُتْ ... فعليكَ كنتُ أحاذِرُ

صلى الله عليه وسلّم ، تنازع المسلمون الأمْرَ بَعْدَهُ ، فوالله ما كَانَ يُلْقَى في روعي ، ولاَ يَخْطُر عَلَى بالي* أَنَّ العَرَب تَعْدِلُ هذا الأمرَ بَعْدَ محمدٍ عن أهلِ بيْتِهِ ، وَلاَ أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي من بعده . فما رَاعَنِي إلاَّ انْثِيَالُ الناسِ على أبي بكرٍ ، وإجْفَالُهُمْ(١) إليهِ لِيُبَايِعُوهُ ، فأمْسَكْتُ يَدِي ، ورأيتُ أنِّي أحق بمقَامِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الناسِ ممّنْ تولّى الأمرَ من بَعْدِهِ ، فلبثْتُ بذاك ما شاء اللَّهُ حتى رأيتُ راجعةً من الناس رجعتْ عن الإسلام ، يدعونَ إلى مَحْقِ دين الله وملة محمد صلى الله عليه ، فخشِيتُ ـ إن لم أنصر الإسلامَ وأهلَهُ ـ أن أرى فيه ثَلْماً وهدماً يكونُ المصاب بهمَا عَلَيَّ أعظم من فوات وِلاَيةِ أُمُورِكُمْ ، التي إنما هيَ مَتَاعُ أيام قلائل ، ثم يزولُ ما كانَ منها كما يزول السرابُ ، وكما يتقشَّعُ السَّحَاب ، فمشيتُ عندَ ذَلك إلى أبي بكرٍ فبايعتُـهُ** ؛ ونهضتُ في تلكَ الأحداث ، حتى زَاغَ الباطلُ وَزَهَقَ ، وكانتْ كلمةُ اللَّهِ هيَ الْعُلْيَا ، وَلَوْ كَرِهَ الكافرونَ . . .

الجزء ١٢ ص ٤٦:

وروى الزبير بن بكّار في كتاب « الموفّقيات » ، عن عبد الله بن عباس قال : إنّي لأمَاشي عمر بن الخطاب في سكّة من سكك المدينة ، إذ قال لي : يابن عباس ، ما أرى صاحبَك إلاّ مظلوماً ، فقلت في نفسي : والله لا يسبقُني بها ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، فارْدُدْ إليه ظُلامته ، فانتزعَ يدَه من يدي ، ومضى يُهَمْهِم ساعة ، ثمّ وقف فلحقته ، فقال : يابنَ عباس ؟ ما أظنّهم منعهم عنه إلاّ أنّه استصغره قومُه ! فقلت في نفسي : هذه شرٌّ من الأولى ! فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمَرَاه أن يأخذ براءة من صاحبك*** .

فأعرض عنّي وأسرَع ، فرجعت عنه .

وفي ص ٥٢:

وروى عبد الله بن عمر قال : كنت عند أبي يوماً ، وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر

---

* علقنا على هذا الكلام في هوامش الكتاب ٦٢ بتسلسل ٤١ وذكرنا فيه شذرة من شذرات نص يوم الغدير فراجع .

(١) اجفل الناس وانجفلوا : أي ذهبوا مسرعين .

** ينبه الامام الى انه لم يبايع ابا بكر إلاّ لمصلحة الدين وذلك ليدفع اي اعتقاد بأنه يرى صلاحية وشرعية بيعة ابي بكر كما يزعم البعض .

*** يشير إلى إرسال النبي (ص) لأبي بكر بسورة براءة لتبليغها فجاء جبريل إلى النبي (ص) يخبره بأن الذي يجب أن يبلغ هو أو أحد منه فارسل علياً فلحق بأبي بكر فأخذها وذهب ليبلغها ، ففزع أبو بكر فرجع إلى النبي (ص) خائفاً أن يكون قد نزل فيه شيء فأخبره النبي (ص) بأنه مأمور بما فعل .

الشعر ، فقال : مَنْ أشعرُ العَرب ؟ فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلَس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ! مَنْ أشعر النَّاس يا عبدَ الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فأنشدْني مما تستجيده له . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سِنان ، فقال :

لو كان يَقْعد فوق الشمس من كرم   قومٌ بأوّلهم أو مجدِهمْ قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تَنْسِبُهُمْ   طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا
إنسٌ إذا أمنوا ، جنٌّ إذا فزعوا   مُرَزَّءون بهاليلٌ إذا جُهِدوا
محسّدون على ما كان من نعمٍ   لا ينزع الله منهم ماله حُسِدوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلَّا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : وفّقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موفّقاً ، فقال : يابن عباس ، أتدري ما منع الناس منكم ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : لكني أدري ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهتْ قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة ، فيجخِفوا جَخْفاً[1] ، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت[2] .

فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عنّي غضبه فيسمع ! قال : قل ما تشاء ، قال : أمّا قول أمير المؤمنين : إن قريشاً كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أنزلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3] .

وأما قولك : « إنَّا كنّا نجخف » ، فلو جَخَفْنا بالخلافة جَخَفْنا بالقرابة ، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقة من خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] ، وقال له : ﴿ وَاخْفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

وأما قولك : « فإن قريشاً اختارت » ، فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُق مَا يَشَاءُ

---

(١) جخف : تكبر .
(٢) الشعر والخبر إلى هنا ، في ديوان زهير وشرحه ٢٨١ ـ ٢٨٣ .
(٣) سورة الأحزاب ١٩ .
(٤) سورة ن ٥ .
(٥) سورة الشعراء ٢١٥ .

﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخيرَة ﴾[1] ، وقد علمتَ يا أمير المؤمنين أنّ الله اختار مِنْ خلقه لذلك مَن اختار ، فلو نظرتْ قريش من حيث نظر الله لها لوفّقت وأصابت قريش .

فقال عمر : على رِسْلِك يابْنَ عباس ، أبتْ قلوبُكم يا بني هاشم إلاَّ غِشًا في أمر قريش لا يزُول ، وحقْداً عليها لا يحول ، فقال ابن عباس : مَهْلاً يا أمير المؤمنين ! لا تنسُب هاشِماً إلى الغشّ ، فإنَّ قلوبَهم من قلب رسول الله الذي طهّره الله وزكّاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ وَيُطَهِّرَكم تَطْهِيراً ﴾[2] ؛ وأما قولك : « حقداً » فكيف لا يحقد من غصِبَ شيئه ، ويراه في يد غيره !

فقال عمر : أما أنت يابن عباس ، فقد بلَغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فتزولَ منزلتك عندي ، قال : وما هوَ يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به ، فإنْ يكُ باطلاً فمثلي أماطَ الباطلَ عن نفسه ، وإنْ يكُ حقّاً فإنَّ منزلتي عندك لا تزول به .

قال : بلغني أنّك لا تزال تقول : أُخِذَ هذا الأمر منّا حسداً وظلماً . قال : أمّا قولك يا أمير المؤمنين : « حسداً » ، فقد حسد إبليس آدم ، فأخرجه من الجنّة ، فنحن بنو آدم المحسود .

وأما قولك : « ظلماً » فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقِّ من هو !

ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، ألم تحْتجّ العرب على العَجم بحقّ رسول الله ، واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارجع إلى منزلك . فقام ، فلمّا ولّى هتف به عمر : أيها المنصرف ، إنّي على ما كان منك لراعٍ حقك !

فالتفت ابن عباس فقال : إنَّ لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقّاً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فمن حفظه فحقّ نفسه حفِظ ، ومَنْ أضاعه فحقّ نفسه أضاع . ثم مضى .

فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس ! ما رأيته لاَحَى أحداً قط إلاَّ خصَمه !

---

(١) سورة القصص ٦٨ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ .

وفي ص ١٨٢:

قلت : سألتُ النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد ـ وقد قرأت عليه هذه الأخبار ـ* فقلت له : ما أراها إلاّ تكاد تكون دالّةً على النصّ ، ولكني أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه ، كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدّين ، فقال لي رحمه الله : أبيتَ إلاّ مَيلاً إلى المعتزلة ! ثم قال : إن القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلىٰ أنّها من معالم الدين ، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية ، كالصلاة والصوم ، ولكنهم كانوا يُجرونها مجرى الأمور الدنيويّة ، ويذهبون لهذا ، مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعيّة ، وما كانوا يبالون في أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة في غيرها ؛ ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة ، ولم يخرُجا لّما رأيا أنّ في مقامهما مصلحةً للدولة وللملّة ، وحفظاً للبيْضة ، ودفعاً للفتنة ، وقد كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يخالَف وهو حيّ في أمثال ذلك فلا ينكره ، ولا يرى به بأساً ألستَ تعلم أنّه نزَل في غزاة بدرٍ منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه ، فخالفته الأنصار وقالت له : ليس الرّأيُ في نزولك هذا المنزل فاتركه ، وانزل في منزَل كذا ، فرجع إلى آرائهم ! وهو الذي قال للأنصار عام قَدِم إلى المدينة : « لا تُؤبِّروا النخل » ، فعملوا على قوله فحالت نخلهم في تلك السنة ولم تُثْمِر حتى قال لهم : « أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينِكم » ، وهو الّذِي أخذ الفِدَاء من أسارى بدْر ، فخالفه عمر ، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخَلص الأسرى ورجعوا إلى مكّة ، وهو الذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثُلث تَمْر المدينة ليرجعوا عنه ، فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه ، فرجع إلى قولهما ، وقد كان قال لأبي هريرة : اخرُج فناد في الناس : « من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة » ، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره ، حتى وقع على الأرض ، فقال : لا تقلْها ، فإنّك إنْ تقلْها يتّكلوا عليها ، ويدَعُوا العمل ، فأخبر أبو هريرة رسولَ الله صلى الله عليه وآله بذلك ، فقال : « لا تقلها وخلّهم يعملون » ، فرجع إلى قول عمر !

وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النّصوص* لّما رأوا المصلحة في

---

* الأخبار هي ما ذكرناه آنفاً اضافةً إلى ما وضعناه في أماكنه المناسبة وغيرها مما لا علاقة له ببحثنا .

* راجع كتاب (النص والاجتهاد) للإمام عبد الحسين شرف الدين العاملي تجد فيه عشرات الموارد من مخالفة نصوص النبي (ص).

ذلك ، كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلّفة قلوبهم ، وهذان الأمران أدخلُ في باب الدّين منهما في باب الدنيا ، وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكرٌ في الكتاب والسنّـة، كحدّ الخمر فإنّهم عملوه اجتهاداً ، ولم يحدّ رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر ، وقد شربها الجمّ الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم ، ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرِجوا نصارى نجْران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم ، حتى مضى صدرٌ من خلافة عمر ، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم ، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة ، وحوّلـوا المقـام بمكّـة ، وعمِلوا بمقتضى مـا يغلب في ظنـونهم من المصلحـة ، ولم يقِفُـوا مـع مـوارد النصوص ، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعدُ ، فرجّح كثير منهم القياس عـلى النّصّ ، حتى استحالت الشريعة ، وصار أصحاب القياس أصحابَ شريعة جديدة .

قال النقيب : وأكثر ما يعملون بآرائهم ، فيما يجرى مَجْرى الولاياتِ والتّأمـير والتّدبـير وتقرير قواعد الدّولة ، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيراته إذا رأوا المصلحة في خلافها ، كأنّهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيْد غير مذكور لفظاً ، وكأنّهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله ، وتقدير ذلك القيد : « افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة » .

قـال : وأمّا مخـالفتهم له فيـما هو محض الشّـرع والدّين ، وليس بمتعلّق بـأُمور الـدنيا وتدبيراتها ، فإنه يقلُّ جدّاً ، نحو أن يقول : « الوضوء شرط في الصلاة » ، فيجمعوا على ردّ ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء ، أو يقول : « صوْم شهر رمضان واجب » ، فيطبِقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوّالاً عَوضاً عنه ، فإنه بعيد ، إذ لا غرض لهم فيه ، ولا يقـدِرون على إظهار مصلحة عثروا عليها خَفِيَتْ عنه صلى الله عليه وآله . والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنَّ العرب لا تطيع عليّاً عليه السـلام ، فبعضها للحسَـد ، وبعضها للوِتْـر والثأر ، وبعضها لاستحداثهم سِنّه ، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم ، وبعضها كراهة اجتماع النبوّة والخلافة في بيت واحدٍ ، وبعضها للخوف من شدّة وطأته وشدّته في دين الله ، وبعضها خوفاً لرجاء تداوُلِ قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتَصر بها على بيت مخصوص عليه ، فيكـون رجاء كل حيّ لوصولهم إليها ثابتاً مستمرّاً ، وبعضها ببغضه ، لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهم المنافقون من النّاس ، ومَنْ في قلبه زيغٌ من أمر النبوّة ـ فأصفَق الكلّ إصفاقاً واحداً على صرْفِ الأمر عنه لغيره ، وقال رؤساؤهم : إنّـا خفنا الفتنـة ، وعلمنا أنّ العربَ لا تطيعه ولا تتركـه ، وتأوّلـوا عند أنفسهم النصّ ، ولا ينكـر النصّ ، وقالـوا : إنه النصّ ، ولكنّ الحاضر يرَى مالا يرى الغائب ، والغائب قد يُترك لأجـل المصلحة الكليّـة ،

وأعانهم عَلَى ذلك مسارعةُ الأنصار إلى ادّعائهم الأمرَ ، وإخراجهم سعد بن عُبادة من بيته وهو مريض ، لينصّبوه خليفة ـ فيما زعموا ـ واختلط الناس ، وكثر الخَبْط ، وكادت الفتنة أن تشتعِل نارُها ، فوثب رؤساء المهاجرين ، فبايعوا أبا بكر وكانت فَلْتة ـ كما قال قائلهم ـ وزعموا أنّهم أطفئوا بها ثائرة الأنصار ، فمن سكت من المسلمين ، وأغضى ولم يتعرّض ، فقد كفاهم أمرَ نفسه ، ومن قال سرّاً أو جهراً : إنّ فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكَره ، أو نصّ عليه أو أشار إليه ، أسكتوه في الجواب ؛ بأنّا بادرنا إلى عَقْد البيعة مخافة الفتنة ، واعتذروا عنده ببعض ما تقدّم ، إمّا أنّه حديث السنّ أو تبغِضه العرب ، لأنه وترها وسفك دماءها ، أو لأنه صاحب زَهْوٍ وتيهٍ ، أو كيف تجتمع النبوَّة والخلافة في مغرِس واحد ! بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأوكد ، قالوا : أبو بكر أقوَى على هذا الأمر منه ، لا سيما وعمر يعضُده ويساعده ، والعرب تحبّ أبا بكر ويعجبها لينُه ورفقه ، وهو شيخ مجرِّب للأمور لا يحسده أحدٌ ، ولا يحقد عليه أحد ، ولا يبغِضه أحد ، وليس بذي شرف في النّسب فيشمَخ على النّاس بشرفه ، ولا بذي قُربى من الرّسول صلى الله عليه وآله فيدِلَّ بقربه ، ودعْ ذا كلّه ، فإنه فضل مستغنىً عنه . قالوا : لو نصبنا عليّاً عليه السلام ، ارتد النّاس عن الإسلام وعادت الجاهليّة كما كانت ، فأيّما أصلح في الدين؟ الوقوف مع النصّ المفضِي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهليّة أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدّين ، وإن كان فيه مخالفة النّص !

قال رحمه الله : وسكت الناس عن الإنكار ، فإنّهم كانوا متفرّقين ، فمنهم من هو مبغض شانىء لعليّ عليه السلام ، فالذي تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه ، وبَرْد فؤاده ، ومنهم ذو الدّين وصحّة اليقين ، إلاّ أنه لمّا رأى كُبَراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه ، ظنّ أنهم إنّما فعلوا ذلك لنصٍّ سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ينسخ ما قد كان سمِعه من النصّ عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام ، لا سيّما ما رواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله : « الأئمة من قريش » ، فإنّ كثيراً من الناس توهّموا أنّه ناسخٌ للنصّ الخاصّ ، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون في نصْب إمامٍ من قريش ، من أيّ بطون قريش كان ، فإنّه يكون إماماً .

وأكّد أيضاً في نفوسهم رفضَ النصّ الخاصّ ما سمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، وقوله عليه السلام : « سألت الله ألاّ يجمع أمّتي على ضلال ، فأعطانيها ، فأحسِنوا الظنّ بعاقدي البيعة » .

وقالوا : هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كلّ أحد ، فأمسكوا وكفّوا عن الإنكار ، ومنهم فرقة أخرى ـ وهم الأكثرون ـ أعراب وجُفاة ، وطَغام أتباعُ كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، فهؤلاء مقلّدون لا يسألون ولا ينكرون ، ولا يبحثون ، وهم مع أمرائهم وولاتهم ، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها ، فلذلك أمحق النصّ ، وخفي ودَرَس ، وقويَت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر ، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغالُ عليّ وبني هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وإغلاقُ بابهم عليهم ، وتخليتهم الناسَ يعملون ما شاءوا وأحبّوا ، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه ، لكنّهم أرادوا استدراكَ ذلك بعدما فات ، وهيهات الفائت لا رجعة له !

وأراد عليّ عليه السلام بعد ذلك نقْضَ البيعة ، فلم يتمّ له ذلك ، وكانت العرب لا ترى الغَدْر ، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ ، وقد قالت له الأنصار وغيرها : أيّها الرجل ، لو دعوتَنا إلى نفسك قبل البَيْعة لما عدَلنا بك أحداً ، ولكنّا قد بايعنا ، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها !

قال النقيب : وممّا جرّأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن عليّ ـ مع ما كان يسمعه من الرّسول صلى الله عليه وآله في أمره ـ أنّه أنكر مراراً عَلَى الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها فلم ينكِر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إنكارَه ، بل رجع في كثير منها إليه ، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته ، فأطمعه ذلك في الإقدام عَلَى اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة ، ممّا هي خلاف النّص ، وذلك نحو إنكاره عليه في الصّلاة عَلَى عبد الله بن أُبيّ المنافق ، وإنكاره فداء أسارى بدْر ، وإنكاره عليه تبرّجَ نسائه للناس ، وإنكاره قضية الحديبيّة ، وإنكاره أمانَ العبّاس لأبي سفيان بن حرب ، وإنكاره واقعة أبي حُذيفة بن عتبة ، وإنكاره أمره بالنداء : « من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة » ، وإنكاره أمره بذبح النّواضح ، وإنكاره عَلَى النّساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه : « ائتوني بدَواة وكتِفٍ أكتبْ لكم مالا تضلّون بعدي » ، وقوله ما قال ، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه . وأعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم : حسبنا كتاب الله ، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدّار ، فبعضهم ، يقول : القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر ، فقال رسول الله وقد كثر اللّغط ، وعلت الأصوات : « قوموا عنّي فما ينبغي لنبيٍّ أن يكون عنده هذا التنازع » ! فهل بقي للنبوّة مزيّة أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولينْ ، وميّل المسلمون بينهما ، فرجّح قوم هذا ،

وقوم هذا ! أفليس ذلك دالاً على أن القوم سوّوا بينه وبين عمر ، وجعلوا القولين مسألة خلاف ، ذهب كلّ فريق إلى نصرة واحد منهما ، كما يختلف اثنان من عُرْض المسلمين في بعض الأحكام ، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون ، فمن بلغت قوّته وهمّته إلى هذا ، كيف ينكر منه أنّه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ، ويعدل عن النصّ ! ومَن الذي كان ينكر عليه ذلك ، وهو في القول الذي قاله للرسول صلى الله عليه وآله في وجهه غير خائف من الأنصار ، ولا ينكِر عليه أحدٌ ، لا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره ، وهو أشدّ من مخالفة النصّ في الخلافة وأفظع وأشنع .

قال النقيب : على أنّ الرجل ما أهمل أمر نفسه ، بل أعدّ أعذاراً وأجوبة ، وذلك لأنه قال لقوم عرّضوا له بحديث النص : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه ، وأوهمهم أنَّ ذلك جارٍ مجرى النصّ عليه بالخلافة ، وقال يوم السقيفة : أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدَمَيْن قدّمهما رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في الصلاة ! ثم أكَّد ذلك بأن قال لأبي بكر ، وقد عرض عليه البيعة : أنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في المواطن كلها ، شدّتها ورخائها ، رضيَك لديننا ، أفلا نرضاك لدنيانا !

ثم عاب عليّاً بخطبته بنت أبي جهل ، فأوهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كرهه لذلك ووجَد عليه ، وأرضاه عمرو بن العاص ، فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله ، قال سمعته يقول : « إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنَّما وليّيَ الله وصالح المؤمنين » ، فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فهذا مولاه » .

قلت للنقيب : أيصح النّسخ في مثل هذا ؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضّي وقت فعله ؟ فقال : سبحان الله ! مِن أينَ تعرف العرب هذا ؟ وأنّى لها أن تتصوّره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازه ! فهل يفهم حُذّاق الأصوليّين هذه المسألة ، فضلاً عن حَمْقىٰ العرب ! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ، ويُستمالون بأضعف سبب ، وتُبنَى الأمور معهم على ظواهر النصوص وأوائل الأدلة ، وهم أصحاب جهل وتقليد ، لا أصحاب تفضِيل ونظر !

قال : ثم أكَّد حسنَ ظنّ الناس بهم أنَّهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال ، وزهِدوا في متاع الدنيا وزخرفها ، وسلكوا مسلك الرّفض لزينتها ، والرغبة عنها والقناعة بالطّفيف النَّزْر منها ، وأكلوا الخشِن ، ولبسوا الكَرابيس ، ولمَّا ألقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها ، وفرّقوا

الأموال على الناس ، وقسّموها بينهم ، ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير ، فمالت إليهم القلوب ، وأحبّتهم النفوس ، وحسُنت فيهم الظنون ، وقال من كان في نفسه شبهة منهم ، أو وقفة في أمرهم : لو كان هؤلاء قد خالفوا النصّ لهوى أنفسهم لكانوا أهلَ الدنيا . ولظهر عليهم الميل إليها ، والرغبة فيها ، والاستئثار بها . وكيف يَجمعون على أنفسهم مخالفة النصّ ، وتركَ لذات الدنيا ومآربها ، فيخسروا الدنيا والآخرة ! وهذا لا يفعله عاقل ، والقوم عقلاء ذوو ألباب وآراء صحيحة ؛ فلم يبق عند أحدٍ شكٌّ في أمرهم ولا ارتياب لفعلهم ، وثبتت العقائد على ولايتهم ، وتصويب أفعالهم ، ونسوا لذّة الرياسة ، وإن أصحاب الهِمم العالية لا يلتفون إلى المأكل والمشرب والمنكَح ، وإنما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر ، كما قال الشاعر :

وما رغبت عن لذة النهي والأمر

قال رحمه الله : والفرق بين الرجلين وبين الثالث ، ما أصِيب به الثالث ، وقُتل تلك القِتْلة ، وخلَعه النّاس وحَصَروه ، وضيّقوا عليه ، بعد أن توالَى إنكارهم أفعَاله ، وجبّهوه في وجهه وفسّقوه ، وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال ، وانغمسوا فيها واستبدُّوا بها ، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفةً لطريق الأولين ، فلم تصبر العرب على ذلك ، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد ، وجمع الناس ، وردَع الأمراء والولاة عن الأموال ، وتجنّب استعمال أهل بيته ، ووفَّر أعراض الدّنيا وملاذَّها وشهواتها على الناس ، زاهداً فيها ، تاركاً لها ، معرِضاً عنها ، لما ضرّه شيء قطّ ، ولا أنكر عليه أحد قطّ ، ولو حوّل الصلاة من الكعبة إلى بيت المقدس ، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس ، واقتنع منهم باربع ، وذلك لأنَّ همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال ، فإذا وجدوها سكتوا ، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا ، ألست تَرى رسول الله صلى الله عليه وآله كيفَ قسّم غنائم هوازن على المنافقين ، وعلى أعدائه الذين يتمنّوْن قتله وموتَه ، وزوال دولته ، فلمّا أعطاهم أحبُّوه ، إمَّا كلّهم أو أكثرهم ، ومَنْ لم يحبّه منهم بقلبه جامله وداراه ، وكفّ عن إظهار عداوته ، والإجلاب عليه ولو أنّ علياً صانع أصحابه بالمال ، وأعطاه الوجوه والرؤساء ، لكان أمره إلى الانتظام والاطّراد أقربَ ، ولكنه رفض جانبَ التدبير الدنيوي ، وآثر لزومَ الدّين ، وتمسّك بأحكام الشريعة ، والمْلك أمر آخر غير الدين ، فاضطرب عليه أصحابه ، وهرب كثير منهم إلى عدوّه .

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر ، ولم يكن إماميَّ المذهب ، ولا كان يبرأ من السلَف ، ولا يرتضي قول المسرِفين من الشيعة ، ولكنه كلام أجراه

على لسانه البحثُ والجدل بيني وبينه ، على أن العلويّ لو كان كرَّامياً ، لا بدّ أن يكون عنده نوعٌ من تعصّب وميل على الصحابة وإن قلَّ*.

الجزء ١٦ ص ٢٣:

قال أبو بكر : وحدّثنا محمد بن زكريّا ، قال : حدَّثنا محمد بن عبد الرّحمن المهلّبي ، عن عبد الله بن حمّاد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمّه فاطمَة بنتِ الحسين عليهما السلام ، قالت : لمَّا اشتدَّ بفاطمةَ بنتِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله الوجع وثَقُلتْ في علّتها ، اجتمع عندها نساءٌ من نساء المهاجرين والأنصار ، فقلن لها : كيف أصبحتِ يا ابنةَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم ؟ قالت : والله أصبحتُ عائفةً[1] لدُنْيَاكم ، قالِيَةً لرجالكم ، لفظتُهم بعد أن عَجمْتُهم[2] ، وشنِئتهم[3] بعد أن سَبَرْتهم[4] ، فقبحاً لفُلول الحدّ وخَوَر القناة ، وخَطَل الرأي ! وبئسما قدّمَتْ لهم أنفسُهم أنْ سَخِط اللَّهُ عليهم وفي العذاب هم خالدون ؛ لا جرم ! قد قلّدتهم رِبْقَتها ، وشنّت عليهم غارتها ، فَجدْعا وعَقْرا ، وسُحْقا للقوم الظالمين ! وَيْحَهم ! أين زحزحوها عن رَواسي الرّسالة ، وقواعدِ النبوّة ، ومَهبِط الرُّوح الأمين ، والطَّبين بأمر الدّنيا والدّين ، ألا ذلك هو الخسران المبين ! وما الَّذي نَقَموا من أبي حسنٍ ! نَقَموا واللَّهِ نكيرَ سيفه ، وشِدَّة وَطأته ، ونَكالَ وَقْعته ، وتنمّره في ذات الله ، وتالله لو تكافُّوا عن زِمامٍ نبذَه إليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله لا عتلَقَه ، ولسار إليهم سيراً سُجُحاً ، لا تكلَّم حشاشته ، ولا يتعتع راكبه ، ولأوردهم مَنهلاً نَميراً فضفاضاً يطفح ضفَّتاه ، ولأصدرهم بِطاناً قد تحيّر بهم الرأي ، غير متحلّ بطائل ، إلَّا بغَمْر الناهل ، وردعه سورة الساغب ، ولفتحتْ عليهم بركات من السّماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون . ألا هلُّم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أيّ لجأ استندوا ، وبأيّ عُروة تمسّكوا ! لبئسَ المَولى ولبئس العَشِير ، ولبئس للظّالمين بدلاً ! استبدلوا والله الذُّنَابَى بالقَوادم ، والعَجُز بالكاهل ؛ فرغْماً لمعاطس قومٍ

---

* بعد أن قرأت ما مضىٰ ، لا شك انك قد علمت أن النقيب ابا جعفر لم يتعصب في كلامه هذا ، بل ان التعصب في الجانب الآخر .

(١) عائفة لدنياكم ، أي قالية لها كارهة .

(٢) عجمتهم : بلوتهم وخبرتهم .

(٣) شنئتهم : أبغضتهم .

(٤) سبرتهم : علمت أمورهم .

يَحسَبون أنَّهم يُحسِنون صُنْعاً ، ﴿ ألا إنَّهم هم المفسدون ولكنْ لا يشعرون ﴾ ، وَيْحهم ! ﴿ أفمن يَهدِي إلى الحقِّ أَحقُّ أن يُتَّبع أَمَّنْ لا يَهدِي إلاَّ أن يُهدَى فما لكم كيف تحكمون ﴾ ! أما لَعَمر الله لقد لقِحت ، فنظِرة رَيْثما تُنْتَج ، ثمَّ احتلبوها طِلاعَ العَقْب دَماً عَبيطاً وذُعاقاً مُمقِراً هنالك يَخسَر المُبطِلون ، ويَعرِف التالون غِبَّ ما أسَّس الأوّلون ، ثم طِيبوا عن أنفسكم نفساً ، واطمئنّوا للفتنة جأشاً ، وأبشِروا بسيفٍ صارم ، وهرْجٍ شامل ، واستبدادٍ من الظالمين يَدَعُ فيئكم زهيداً ، وجمعكم حَصِيداً ؛ فيا حسرةً عليكم ، وأنَّى لكم وقد عُمِّيتْ عليكم أنلزِمكموها وأنتم لها كارهون ! والحمد لله ربّ العالمين ، وصلاتُه على محمد خاتم النبيِّين ، وسيِّد المرسلين* .

الجزء ١٦ ص ٢٤٩:

قال**: وأمَّا قوله : إنَّ فاطمة لَمَّا سمعتْ ذلك كفّت عن الطلب ، فأصابت أوَّلاً وأصابت ثانياً ؛ فلَعَمري إنها كفّت عن المنازعة والمشاحّة ، لكنها انصرفت مغضَبة متظلّمة متألّمة ؛ والأمر في غضبها وسخطها أظهرُ من أن يخفى على مُنصِف ، فقد رَوَى أكثرُ الرواة الَّذين لا يُتَّهمون بتشيّع ولا عصبيّة فيه من كلامها في تلك الحال ، وبعد انصرافها عن مقام المنازَعة والمطالبة ، ما يدلّ على ما ذكرناه من سخطها وغضبِها .

أخبَرَنا أبو عبيد الله محمّد بن عمران المَرْزُبانيّ قال : حدّثني محمّد بن أحمدَ الكاتب ، قال : حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصِح النحويّ ، قال : حدّثني الزياديّ ، قال : حدّثنا الشّرْقيّ ابن القُطاميّ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لما بلغ فاطمةَ إجماعُ أبي بكر على منعِها فَدَكَ لاثتْ خِمارها على رأسها ، واشتملت بجلبابها ، وأقبلتْ في لُمَّة(1) من حَفَدَتِها . . .

قال المرتضى : وأخبرنا المرزبانيّ قال : حدثنا ابو بكر أحمد بن محمّد المكّي قال : حدّثنا أبو العيناء بن القاسم اليمانيّ قال : حدّثنا ابن عائشة ، قال : لَمّا قُبض رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أقبلتْ فاطمة إلى أبي بكر في لُمَّة من حَفَدتها . ثم اجتمعت الروايتان من ها هنا . . . ونساء قومها تطأُ ذُيولها ما تخرم مِشيتُها مِشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى

* ذكرنا هذه الخطبة في شرح الكتاب ٤٥ التي أوردناها بتسلسل ٤٠ .

** (قال) تعود إلى المرتضى والهاء في (قوله) الى قاضي القضاة وذلك في كتاب الشافي للمرتضى .

(١) اللمة ، بالضم والتشديد . الرفقة والجماعة .

دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنِيطت[1] دونهَا مُلاءة ، ثم أنَّت أنَّةً أَجْهش لها القومُ بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نَشيجُ القوم وهدأت فَوْرتهم ، افتتحت كلامها بالحمد لله عزَّ وجلَّ والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قالت : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] ، فإن تَعزُوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأخا ابن عمّي دون رجالكم ، فبلَّغ الرسالة صادعا بالنذارة ، مائلاً عن سَنن المشركين ، ضارباً ثَبَجهم ، يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكظام[3] المشركين ؛ يهشم الأصنام ، ويفلِّق إلهام ، حتى انهزم الجمع وولّوا الدُّبُر ، وحتّى تفرّى[4] الليلُ عن صُبْحِه ، وأسفر الحقّ عن محضه ، ونطق زعيم الدّين ، وخرست شقائق الشياطين ، وتمّت كلمة الإخلاص ، وكنتم على شَفَا حفرةٍ من النار ، نُهزة الطامع ، ومذْقَة الشارب ، وقبْسة العجلان ، وموطأ الأقدام ، تشربون الطَّرْق[5] ، وتقتاتون القِدّ ؛ أذلّة خاسئين ، يختطفكم الناس من حولكم ، حتّى أنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللّتيّا والّتي ، وبعد أنْ مُني بهم الرجال وذؤبان العرب ومَرَدة أهل الكتاب ، و : ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾[6] ، أو نجم قرن الشيطان ، أو فغرت فاغرة[7] قذف أخاه في لهواتها . ولا ينكفي[8] حتى يطأ صِماخها بإخمصه ويطفىء عادية لَهَبها بسيفه ـ أو قالت : يخمد لهبها بحدّه ـ مكدوداً في ذات الله ، وأنتم في رفاهية فَكِهُون آمنون وادعون . .

إلى هنا انتهى خبرَ أبي العيناء عن ابن عائشة ، وأما عروة عن عائشة ، فزاد بعده هذا : حتّى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ، ظهرتْ حسيكةُ النفاق ، وشمل جلباب الدّين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغَ خامل الآفكين ، وهَدَر فنيق المُبطلين ، فخطر في عَرَصاتِكم ، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ؛ ولقربه متلاحظين . ثم استنهَضَكم فوجدكم خِفافاً ، وأحْمَشكم فألفاكم غِضاباً ، فوَسَمتم غيرَ إبلكم ، ووَرَدْتُم غيرَ

---

(١) نيطت : أي وصلت وعلقت .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ؛ وهو مخرج النفس من الحلق .

(٤) تمرى : انشق .

(٥) الطرق : الماء الذي بالت الإبل فيه .

(٦) سورة المائدة ٦٤ .

(٧) فغرت فاغرة : أي فتحت فاها .

(٨) رحيب ، أي واسع .

شِرّبكم ، هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب[1] والجرح لما يندمِل ، إنما زعمتم ذلك لخوفَ الفتنة . ﴿ ألا في الفتنةِ سقطوا وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ بالكافرين ﴾[2] ، فهيهات ! وأنَّى بكم وأنى تؤفكون ، وكتاب الله بين أظهركم ، زواجره بيّنة ، وشواهده لائحة ، وأوامره واضحة . أرغبةً عنه تريدون ، أم لغيره تحكمون ؛ بئس للظالمين بدلاً ! ومن يتبع غيرَ الإسلام دِيناً فلنْ يُقْبَل مِنْهُ وهو في الآخرةِ منَ الخاسرين . ثم لم تلبثوا إلاَّ رَيث أن تسكن نَفْرتها ، تُسّرون حِسْواً في ارتغاء ، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المُدَى ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ، ﴿ أَفَحُكْمَ الجاهِلِيّةِ يَبْغونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكماً لِقَوْمٍ يُوقِنونَ ﴾[3] يابن أبي قحافة ، أترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فَرِيّاً ! فدونكها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشْرِك ، فنعم الحكم الله ، والزعيمُ محمد ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون* ! ثم انكفأتْ إلى قبر أبيها عليها السلام ، فقالت :

قد كان بعدَكَ أنباءٌ وهنبثـةٌ ... لو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخُطَبُ
إذا فقدناك فقد الأرض وابِلَها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تَغِبِ

وَرَوى حرميّ بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً :

فليت بعدَكَ كان الموت صَادَفنا ... لما قضيت وحالت دونَكَ الكُتُبُ

قال : فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : يا خَيْرَ النساء ، وابنة خير الآباء ، والله ما عدوتُ رأي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولا عملتُ إلاَّ بإذنه ، وإن الرائدَ لا يكذِب أهله ، وإني أشهد الله وكفى بالله شهيداً ؛ أني سمعتُ رسول الله يقول : « إنّا معاشر الأنبياء لا نورِث ذهباً ، ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً ، وإنّما نورث الكتاب والحِكمة والعلم والنبوّة » .

قال : فلما وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كُلِّم في ردّ فَدَك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أردّ شيئاً منع منه أبو بكر وأمضاه عمر[4] .

قال المرتضى : وأخبرنا أبو عبد الله المَرْزَبَانيّ : قال : حدثني عليّ بن هارون ، قال : أخبرني عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر ، عن أبيه قال : ذكرتُ لأبي الحسن زيد بن عليّ بن

---

(١) رحيب ، أي واسع .
(٢) سورة التوبة ٤٩ .
(٣) سورة المائدة ٥٠ .
* ذكرنا هذه الخطبة في شرح الكتاب ٤٥ بتسلسل ٤٠ .
(٤) الشافي ٢٣٠ .

الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدَكَ ، وقلت له : إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء ، لأنّ الكلام منسوق البلاغة ، فقال لي : رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلّمونه أولادهم ، وقد حدَّثني به أبي عن جدّي يَبْلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ، وقد رواه مشايخ الشّيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء ، وقد حدّث الحسين بن علوان ، عن عطية العوْفيّ ، أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام .

ثم قال أبو الحسن زيد : وكيف تنكرون هذا من كلام فاطمة عليها السلام ، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهلَ البيت . ثم ذكر الحديث بطُوله على نسقه ، وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين :

ضاقتْ عليّ بلادي بعد ما رحُبَت ... وسِمَ سِبْطَاكَ خسفاً فيه لي نَصَبُ
فليت قبلَك كان الموتُ صادَفنا ... قومٌ تمنّوا فأُعطُوا كلّ ما طلبوا
تجهّمَتْنا رجالٌ واستُخفّ بنا ... مذ غبت عنّا وكلّ الإرث قد غصبوا

قال : فما رأينا يوماً أكثرَ باكياً أو باكية من ذلك اليوم .

قال المرتضى : وقد روى هذا الكلام على هذا الوجه من طُرُقٍ مختلفة ، ووجوه كثيرة ، فمن أرادها أخَذَها من مواضعها ، فكيف يدّعي أنّها عليها السلام كفّت راضية ، وأمسكت قانعة ، لولا البُهْت وقلّة الحياء[1]*!

---

(١) الشافي ٢٣١ .

* بل جابهتهما بالغضب والسخط عليهما ، وقد أورد السيد الصدر في كتابه فدك ذلك حيث قال ص ٨٩ :
هذا النجاح في حركتها كلها وفي محاورتها مع الصديق والفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصة إذ قالت لهما : أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (ص) تعرفانه وتفعلان به فقالا نعم فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا من رسول الله (ص) يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة فقد أحبني ومن ارضى فاطمة فقد أرضاني ومن اسخط فاطمة فقد أسخطني[1] قالا نعم سمعناه من رسول الله (ص) قالت : فإني أشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي (ص) لأشكونكما عنده[2] .

---

(١) صحت عن رسول الله (ص) عبائر متعددة بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح انه قال لفاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك وقال : فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما أذاها - راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٧٤ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٢٦١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وذخائر العقبى ص ٣٩ والصواعق ص ١٠٥ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨ وجامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٩ وابن ماجة ج ١ ص ٢١٦ .

(٢) تجد حديث غضب فاطمة على ابي بكر في صحيح البخاري ج ٥ ص ٥ وج ٦ ص ١٩٦ وصحيح مسلم ج ٢ ص ٧٢ ومسند أحمد ج ١ ص ٦ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٠٢ وكفاية الطالب ص ٢٢٦ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ .

الفصل الرابع
الشورى

الجزء ٦ ص ٩٦:

[وهنا تتمة خطبة الامام بعد مقتل محمد بن ابي بكـر وقد أوردنـا صدرهـا في الفصل الثالث ص ١٠] :

وتولّى عُمر الأمرَ ، فكانَ مرضيّ السِّيرة ، ميمونَ النَّقِيبة ؛ حتى إذا احْتُضِرَ ، قلت في نفسي : لن يَعْدِلَها عنِّي ؛ ليس يدافعها عنّـي ، فجعلني سادسَ ستة ؛ فما كانوا لولايـة أحدٍ منهم أشدَّ كَرهاً لولايتي عليهم ؛ كانوا يَسْمعون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم لَجاج أبي بكر ، وأقول: يا معشر قريش ، إنَّا ـ أهلَ البيت ـ أحقُّ بهذا الأمر منكم ما كانَ فينَا مَنْ يقرأ القرآن ، ويعرفُ السُّنَّة ، ويدين بدين الحقّ . فخشيَ القـوم ـ إن أنا وَليتُ عليهم ـ ألَّا يكون لهم من الأمر نصيب ما بَقُوا ، فأجمعوا إجْماعاً واحـداً ، فصرَفُوا الـولاية إلى عثمـان ، وأخـرجوني منهـا ؛ رجاء أنْ ينـالُوهـا ، ويتدَاولُـوها إذ يئسـوا أن ينالُـوا بها مِنْ قِبَـلي* ؛ ثم قالُـوا : هلمَّ فَبايعْ وإلَّا جاهدناك ؛ فبايعت مستكرَهاً ، وصبرت محتَسِباً ، فقـال قائلُهم : يـابنَ أبي طـالب ، إنّك عـلى هذا الأمـر لحريصٌ** ؛ فقلت أنْتُم أحـرصُ منّي وأبعـد ؛ أيّنـا أحـرَصُ؟ أنـا الذي طلبتُ ميراثي وحَقّي الذي جعلني الله ورسولـه أوْلَى به ، أم أنتم إذْ تضـرِبُون وَجْهي دُونه ، وتحولون بيني وبينه ! فبهتوا ، والله لا يهدِي القوم الظالمين .

---

* وهذا أوضح دليل على معرفتهم بأن الإمـامة ستكـون للحسن ابنه ثم للحسين وإلا لما يئسـوا ، وهو تـأييد لـرأي الإمامية في موضوع الخلافة .

** راجع هذه الكلمة في الخطبة ١٧٣ التي أوردناها بتسلسل ٢٦ .

اللّهم إنّي أستعديك على قُريش*، فـإنَّهم قطعـوا رَحِمي ، وأضاعـوا إيايّ ، وصغَّـروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا علىٰ منازعَتي حقّاً كنت أوْلَى به منهم ، فَسلبونيـهِ ثم قالوا : ألا إنَّ في الحقّ أن تأخذه ، وفي الحق أن تمنعه ؛ فاصبر كمدا ، أومت أسِفاً حَنِقاً .

فنظرتُ فإذا ليسَ معي رافد ولا ذابّ ولا ناصِر ولا ساعد إلاَّ أهلُ بيتي**، فضنَنْتُ بهم على المنية ، وأغضيتُ على القذى ، وتجرّعت ريقي على الشَّجَى ؛ وصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الغيظ على أمرَّ من العلقم ، وآلم للقلب مِنْ حَزِّ الشِّفَار .

الجزء ٩ ص ٤٩:

من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان

وقد ذكرنا من حديث الشورى فيما تقدّم ما فيه كفاية ؛ ونحن نذكر هـاهنا ما لم نذكره هنـاك ، وهـو من روايـة عـوانـة ، عن إسمـاعيـل بن أبي خـالـد ، عن الشعبي في كتـاب « الشورى » ، و« مقتل عثمان » . وقد رواه أيضاً أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في زيادات كتاب « السقيفة » قال :

لما طُعِن عمرُ جَعَل الأمرَ شورى بين ستّة نفر : عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك ؛ وكان طلحة يومئذٍ بالشام ، وقال عمر : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِض وهـو عن هؤلاء راضٍ ؛ فهم أحقُّ بهـذا الأمر من غيـرهم ، وأوصى صُهَيب بن سنان ، مـولى عبـد الله بن جُدْعان ـ ويقـال : إنَّ أصلَه من حيّ من ربيعة بن نـزار ، يقال لهم عَنَـزة ـ فأمـره أن يصلِّيَ بالناس حتى يَرضى هؤلاء القومُ رجلاً منهم ، وكان عمر لا يشكّ أنّ هذا الأمر صائر إلى أحد الرّجلين : عليّ وعثمـان ، وقال : إنْ قـدِم طلحة فهـو معهم ، وإلاَّ فلْتَختَرِ الخمسـةُ واحداً منها . وروى أن عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشـورى ، وقال : الأمـر في هؤلاء الأربعـة ، ودعُوا سعـداً عَلَى حـاله أميـراً بين يَـدَيِ الإمام . ثم قـال : ولو كـان أبو عبيدة بن الجرّاح حَيّاً لما تخالجتـني فيه الشكوك ، فإن اجتمع ثلاثة على واحد ، فكونـوا مع الثلاثة ، وإن اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبد الرحمن .

قال الشعبيّ : فحدثني من لا أتّهمه من الأنصار ـ وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ :

---

* وهذا مشابه إلى الكلمة ٤١٣ بتسلسل ٤٨ .

** وهذا مشابه الى ما جاء في الخطبة ٢٦ بتسلسل ٧ .

هو سهل بن سعد الأنصاري ـ قال : مشيت وراء عليّ بن أبي طالب حيثُ انصرف من عند عمر ، والعباس بن عبد المطلب يمشي في جانبه ، فسمعتُه يقول للعباس : ذهبتْ منّا والله ! فقال : كيف علمت ؟ قال : ألا تسمعه يقول : كونوا في الجانب الذي فيه عبد الرحمن ، لأنَّه ابنُ عمّه ، وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره ، فإذاً اجتمع هؤلاء! فلو أنَّ الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عنّي شيئاً ، مع أنّي لست أرجو إلاَّ أحدهما ، ومع ذلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أنَّ لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا . لعمْرُ الله ما جعل الله ذلك لهم عليه كما لم يجعله لأولادهم على أولادنا . أما والله لئن عمر لم يمت لأذكرنّه ما أتى إلينا قديماً ، ولأعلم سوء رأيه فينا ، وما أتى إلينا حديثاً ؛ ولئن ماتَ ـ وليموتَنّ ـ ليجتمعنّ هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنّا ؛ ولئن فعلوها ـ وليفعلُنّ ـ ليرونني حيث يكرهون ؛ والله ما لي رغبة في السلطان ولا حبّ الدنيا ؛ ولكن لإظهار العدل ، وللقيام بالكتاب والسنّة .

قال : ثمّ التفت فرآني وراءه ، فعرفت أنه قد ساءه ذلك ، فقلت : لا تُرَعْ أبا حسن لا والله لا يستمع أحدُ الذي سمعتُ منك في الدنيا ما اصطحبنا فيها ؛ فوالله ما سمعه مني مخلوق حتى قبض الله عليّاً إلى رحمته .

قال الشعبيّ : وأدخِل أهل الشورى داراً ، فأقبلوا يتجادلون عليها ، وكلّهم بها ضنين وعليها حريص ؛ إمَّا لدنيا وإمَّا لآخرة ، فلما طال ذلك قال عبد الرحمن : مَنْ رجلٌ منكم يخرِجُ نفسَه عن هذا الأمر ، ويختار لهذه الأمّة رجلاً منكم ، فإنّي طيّبةٌ نفسي أن أخرُج منها وأختار لكم ؟ قالوا : قد رضينا ؛ إلاَّ عليّ بن أبي طالب فإنَّه اتّهَمَه وقال : أنظر وأَرَى فأقبل أبو طلحة عليه ، وقال : يا أبا الحسن ، ارْضَ برأي عبد الرحمن، كانَ الأمر لك أو لغيرِك ، فقال عليّ ، أعطِني يا عبدَ الرحمن موثقاً من الله لتؤثرنّ الحقّ ، ولا تتّبع الهوىٰ ولا تمِلْ إلى صِهْرٍ ولا ذي قَرابة ، ولا تعملْ إلاَّ لله ، ولا تألُو هذه الأمّةَ أن تختارَ لها خيرَها .

قال : فحلفَ له عبد الرحمن بالله الَّذي لا إلّه إلاَّ هو ، لأجتهدنّ لنفسي ولكم وللأمة ، ولا أميلُ إلى هوىً ولا إلى صهر ولا ذِي قرابة .

قال : فخرج عبدُ الرحمن ، فمكث ثلاثة أيام يشاوِر الناس ، ثم رجع واجتمع الناس، وكثروا عَلَى الباب لا يشكّون أنه يبايع عليّ بن أبي طالب ، وكان هَوَى قريش كافّة ما عدا بني هاشم في عثمان ، وهَوَى طائفة من الأنصار مع عليّ وهوىٰ طائفة أخرى مع عثمان ؛ وهي أقلّ الطائفتين ، وطائفة لا يبالُون : أيّهما بُويع .

قال : فأقبل المقداد بن عمرو ؛ والناس مجتمعون ، فقال : أيّها الناسُ ؛ اسمعوا ما أقول ، أنا المقداد بن عمرو ؛ انّكم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ؛ فقام عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزوميّ ، فنادى : أيّها الناس ، إنّكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، وإن بايعتم عليّاً سمعنا وعصينا . فقال له المقداد : يا عدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ كتابه ، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون ! فقال له عبد الله : يابنَ الحليف العسيف[1] ، ومتى كان مثلك يجترىء على الدخول في أمرِ قريش !

فقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح : أيّها الملأ ؛ إن أردتم ألَّا تختلف قريش فيما بينها ، فبايعوا عثمان : فقال عمّار بن ياسر : إن أردتم ألَّا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا علياً ؛ ثم أقبل عَلَى عبدالله بن سعدُ بن أبي سرح ، فقال : يا فاسق يابن الفاسق ، أأنت مِمّن يستنصِحه المسلمون ، أو يستشيرونه في أمورهم ! وارتفعت الأصوات ، ونادى منادٍ لا يُدْرَى مَنْ هو ! ـ فقريش تزعم أنَّه رجل من بني مخزوم ، والأنصار تزعم أنّه رجل طوال آدم مشرف عَلَى الناس ـ لا يعرفه أحدمنهم : يا عبد الرحمن ، افرُغ من أمرك ، وامضِ عَلَى ما في نفسك فإنه الصواب .

قال الشعبيّ : فأقبل عبد الرحمن عَلَى عليّ بن أبي طالب ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه ، وأشدّ ما أخذ الله على النبيِّين من عهد وميثاق : إن بايعتك لتعمَلَنّ بكتاب الله وسنّة رسوله ، وسيرة أبي بكر وعمر ! فقال عليّ عليه السلام : طاقتي ومبلغ علمي وجهد رأيي ؛ والناس يسمعون .

فأقبل عَلَى عثمان ، فقال له مثل ذلك ، فقال : نعم لا أزولُ عنه ولا أدعُ شيئاً منه .

ثم أقبل عَلَى عليّ فقال له ذلك ثلاث مرات ، ولعثمان ثلاث مرات ، في كلّ ذلك يجيب عليّ مثل ما كان أجاب به ، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به .

فقال : ابسُط يداكَ عثمان ، فبسط يده فبايعه ، وقام القوم فخرجوا ؛ وقد بايعوا إلَّا عليّ بن أبي طالب ،فإنَّه لم يبايع .

قال : فخرج عثمان عَلَىَ النّاس ووجهه متهلّل ، وخرج عليّ وهو كاسف البال مظلِم ؛ هو يقول : يابنَ عوف ؛ ليس هذا بأوّل يوم تظاهرتمْ علينا ، مِن دفْعِنا عن حقّنا والاستئثار علينا ! وإنها لسنّة علينا ، وطريقة تركتموها .

---

١) العسيف : المستهان به .

قال الشعبيّ ، فلما دخل عثمان رَحْله دخل إليه بنو أميّة حتى امتلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حَرْب : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أميّة ، تلقّفوها تلقف الكرة ؛ فوالّذي يحلِف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنّة ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة !

قال : فانتهره عثمان ، وساءه بما قال ، وأمر بإخراجه .

قال عوانة : فحدّثني يزيد بن جرير ، عن الشعبيّ ، عن شقيق بن مسلمة ، أنّ عليّ بنَ أبي طالب ، لما انصرف إلى رحْله ، قال لبني أبيه : يا بني عبد المطّلب ، إنَّ قومَكم عادوْكم بعد وفاة النبيّ كعداوتهم النبيّ في حياته ، وإن يطِعْ قومُكم لا تؤمَّروا أبـداً ؛ ووالله لا ينيب هؤلاء إلى الحقّ إلاّ بالسيف .

قال : وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، داخلٌ إليهم ، قد سمع الكلام كلَّه فدخل ، وقال : يا أبا الحسن ، تريد أن تضرب بعضهم ببعض ! فقال : اسكت ويحك ! فوالله لولا أبوك وما ركب منّي قديماً وحديثاً ، ما نازعني ابنُ عفّان ولا ابنُ عوف . فقام عبد الله فخرج .

قال : وأكثرَ الناس في أمرِ الهُرْمزان وعبيد الله بن عمر ، وقتله إياه ، وبلغ ما قال فيه عليّ بن أبي طالب فقام عثمان فصعد المنبر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنَّه كان من قضاء الله أنّ عُبيد الله بن عمـر بن الخطاب أصـاب الهرمـزان ، وهو رجـل من المسلمـين ، وليس له وارثٌ إلاّ الله والمسلمـون ؛ وأنا إمـامكم وقد عفـوْت ، أفتعفُـون عن عبيد الله ابن خليفتكم الأمس ؟ قالوا : نعم ، فعفا عنـه ، فلما بلغ ذلك عليّـاً تضاحـك ، وقال : سبحان الله! لقد بدأ بها عثمان! أيعفُو عن حقّ امرىء ليس بواليه! تالله إنَّ هذا لهو العجَب ! قالوا : فكان ذلك أول ما بدا من عثمان مما نقِم عليه .

قال الشعبيّ : وخرج المِقْداد من الغدِ ، فلقِيَ عبد الرحمن بن عـوف ، فأخـذ بيده ، وقال : إن كنت أردت بما صنعت وجهَ الله ، فأثابك الله ثواب الدنيَا والآخرة ، وإن كنت إنَّما أردت الدنيا فأكثر الله مالك . فقال عبد الرحمن : اسمعْ ، رحمـك الله ، اسمع ! قـال : لا أسمع والله ؛ وجذب يده من يده ، ومضى حتى دخـل على عـليّ عليه السـلام ، فقال : قم فقاتل حتى نقاتلَ معك ، قال عليّ : فبمن أقاتل رحمك الله ! وأقبلَ عَمّار بن ياسر ينادي :

يا ناعيَ الإسلام قم فانْعَهُ قد مات عـرفٌ وبدا نُكْـرُ

أما والله لو أنَّ لي اعواناً لقاتلتُهم ، والله لئن قاتلهم واحدٌ لأكونَنّ له ثانياً . فقال عليّ :

يا أبا اليقظان ؛ والله لا أجدُ عليهم أعواناً ، ولا أحبّ أن أعـرِّضكم لما لا تـطيقون . وبقي عليه السلام في داره ، وعنده نفر من أهل بيته ؛ وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان .

قال الشعبيّ : واجتمع أهلُ الشورى عـلىٰ أن تكونَ كلمتُهم واحدة على مَنْ لم يبايع . فقاموا إلى عليّ ، فقالوا : قم فبايع عثمان ، قال : فإنْ لم أفعل ، قالوا : نجاهدُك ، قال : فمشى إلى عثمان حتى بايَعه ؛ وهو يقول : صدق الله ورسوله . فلما بايع أتاه عبدُ الرحمن بن عوف ، فاعتذَرَ إليه ؛ وقال : إن عثمان أعطانا يده ويمينه ، ولم تفعل أنت ، فأحببتُ أن أتوثّق للمسلمين، فجعلتُها فيه ، فقال : إيهاً عنك ! إنّما آثرتَه بها لتنالها بعده ، دقّ الله بينكما عطرَ مَنْشِم[١] .

قال الشعبيّ : وقدم طلحة من الشام بعدما بويع عثمان ، فقيل له : رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك ؛ فقال : والله لو بايعتم شرّكم لرضيتُ ، فكيف وقد بايعتم خيرَكم ! قال : ثم عَدَا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه، ثم زعما أنهما يطلبان بدمه .

قـال الشعبيّ : فأمّـا ما يـذكرُه النـاس من المناشـدة ، وقول عليّ عليه السلام لأهـل الشورى: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلّم كذا ؛ فإنه لم يكن يوم البيعة ، وإنما كان بعد ذلك بقليل ؛ دخل عليٌّ عليه السلام عَلَى عثمان وعنده جماعة من الناس ؛ منهم أهلُ الشورى ، وقد كان بلغه عنهم هَناتٌ وقوارصُ ، فقال لهم : أفيكم أفيكم ! كـلٌّ ذلك يقولون لا ، قال : لكنّي أخبركم عن أنفسكم ؛ أمّا أنت يا عثمان ففررتَ يوم حُنَين، وتوليت يوم التقى الجمعان ، وأمّا أنت يا طلحة فقلت : إنْ مات محمد لنركضنّ بين خلاليـل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا ، وأمّا أنتَ يا عبد الرحمن ، فصاحب قراريط ، وأمـا أنت يا سعد فتدقّ عن أن تذكر .

قال : ثم خرج فقال عثمان أما كان فيكم أحدٌ يردّ عليه ! قالوا ؛ وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين ! وتفرّقوا .

قال عوانة : قال إسماعيل : قال الشعبيّ : فحدثني عبد الرحمن بن جندَب ، عن أبيه جندب بن عبد الله الأزديّ ، قال : كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان ، فجئت فجلست إلى المقداد بن عمرو ؛ فسمعته يقول : والله ما رأيت مثلَ ما أتى إلى أهل هذا البيت ! وكان

(١) منشم : امرأة عطارة من خزاعة ؛ فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ؛ فضرب ذلك مثلًا لشدة الأمر .

عبد الرحمن بن عوف جالساً ، فقال : وما أنت وذاك يا مقداد ! قال المقداد : إنّي والله أحبّهم لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإني لأعجب من قريش وتطاولهم على النّاس بفضل رسول الله ، ثمّ انتزاعهم سلطانه من أهله . قال عبد الرحمن : أمّا والله لقد أجهدتُ نفسي لكم . قال المقْداد : أما والله لقد تركتَ رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون ! أما والله لو أنَّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأُحُد* . فقال عبد الرحمن : ثكلتْك أمّك ؛ لا يسمعنّ هذا الكلامَ الناس ، فإني أخاف أنْ تكون صاحب فتنة وفُرقة .

قال المقداد : إنّ مَنْ دعا إلى الحقّ وأهله وولاة الأمر* لا يكون صاحب فتنة ؛ ولكنْ مَنْ أقحم الناس في الباطل ، وآثر الهوى على الحق ، فذلك صاحب الفتنة والفُرْقة .

قال : فتربّد وجهُ عبد الرحمن ، ثم قال : لو أعلم أنك إيايَ تعني لكان لي ولك شأن .

قال المقداد : إياي تهدّد يابنَ أمّ عبد الرحمن ! ثم قام عن عبدالرحمن ، فانصرف .

قال جندب بن عبد الله : فاتّبعتُه ، وقلت له : يا عبد الله ، أنا مِنْ أعوانِك ، فقال : رحمك الله ! إنَّ هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة ؛ قال : فدخلت من فوري ذلك عَلَى عليّ عليه السلام ، فلما جلست إليه ، قلت : يا أبا الحسن ، والله ما أصاب قومُك بصرف هذا الأمر عنك ، فقال : صَبْرٌ جميل والله المستعان .

فقلت : والله إنك لصبور ! قال : فإنْ لم أصبرْ فماذا أصنع ؟ قلت : إنّي جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف ، فقالا كذا وكذا ، ثم قام المقداد فاتّبعته ، فقلت له كذا ، فقال لي كذا . فقال عليّ عليه السلام : لقد صدَق المقداد ، فما أصنع ؟ فقلت : تقومُ في الناس فتدعوهم إلى نفسك ، وتخبرهم أنّك أولى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك ، فإن أجابك عشرة من مائة شَدَدْتَ بهم على الباقين ، فإن دانوا لك فذاك ، وإلاّ قاتلتَهم وكنت أوْلَى بالعذر ؛ قُتِلتَ أو بقيت ، وكنت أعْلَى عند الله حجّة .

فقال : أترجو يا جندب أن يبايَعني من كلّ عشرة واحد ؟ قلت أرجو ذلك ، قالْ : لكني لا أرجو ذلك ، لا والله ولا من المائة واحد ، وسأخبرك ؛ إنَّ الناس إنما ينظرون إلى قريش فيقولون : هم قوم محمد وقبيلُه . وأما قريش بينها فتقول : إنَّ آل محمد يروْن لهم على

* يقول المقداد ان صرف الأمر عن امير المؤمنين يعدل حرب قريش للنبي (ص) يوم بدر وأحد ، وهذا قد يفاجىء البعض لأننا قد الفنا تمييع الكبائر بدعوى تأول فاخطأ وله أجر المجتهد المخطىء !!

** دقق في قوله (ولاة الأمر) لتتيقن بأن أئمة أهل البيت هم ولاة الأمر بنص النبي (ص) كما علم المقداد .

الناس بنبوّته فضلاً ، ويروْن أنهم أولياءُ هذا الأمر دون قريش ، ودون غيرهم من النـاس ،، وهُم إن وَلُوا لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً ؛ ومتى كان في غيرهم تداولتْه قريش بينها ؛ لا والله لا يدفَعُ الناسُ إلينا هذا الأمر طائعين أبداً !

فقلت : جعلت فداك يا بن عمّ رسـول الله ! لقد صـدعْتَ قلبي بهذا القـول ، أفلا أرْجع إلى المصر ، فأوذِنُ الناس بمقالتك ، وأدعو النَّاس إليك؟ فقال : يا جنـدب ليس هذا زمان ذاك .

قال : فانصرفتُ إلى العراق ، فكنت أذكر فضل عليّ على الناس فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره ، وأحسن ما أسمعه قول مَنْ يقول : دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك ؛ فأقول : إنّ هذا مما ينفعني وينفعك ، فيقوم عَنّي ويدَعني .

وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري : حتى رُفِع ذلك من قـولي إلى الوليـد بن عُقْبة ، أيام ولينا فبعث إليّ فحبسني حتى كُلِّمَ فيّ ، فخلّى سبيلي .

وروى الجوهريّ ، قال : نادى عمّار بن ياسر ذلك اليوم : يا معشرَ المسلمين ، إنا قد كُنّا ، ما كنّا نستطيع الكلام ، قلّة وذلة ، فأعزّنا الله بدينه ، وأكرمنا برسوله ، فالحمد لله رب العالمين . يا معشرَ قريش ، إلى مَتَى تصرفون هذا الأمْرَ عن أهل بيت نبيكم ! تحوّلونه ها هنا مرّة ، وها هنا مرّة* ما أنا آمن من أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم ، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله !

فقال له هاشم بن الوليـد بن المغيرة : يـابن سميّة ، لقـد عَدَوْتَ طـوْرك وما عـرفتَ قدرك ؛ ما أنت وما رأت قريش لأنفسها ! إنك لستَ في شيء من أمـرها وإمـاراتها ، فتنـحّ عنها** .

وتكلّمت قريش بأجمعها ، فصاحوا بعمار وانتهروه ؛ فقال : الحمد لله رب العالمين ما زال أعوانُ الحقّ أذلّاء ! ثم قام فانصرف .

الجزء ١٢ ص ٥١:

قال ابن عباس : كنت عنـد عمر ، فتنفّس نفسـاً ظننتُ أنّ أضلاعـه قد انفجـرت ،

---

* وهذا يريك رفض عمار أو على الأقل اعتراضه على امامة الشيخين .

** وهذا يوضح ان المفاهيم الجاهلية هي التي كانت تفعل فعلها ، ومن يرفض مجرد أن يتكلم عمّار ابن اول شهيدين في الاسلام فكيف يرضىٰ بإمامة من قتل الآباء والأبناء أعني عليّ

فقلت : ما أخرج هذا النَّفسَ منك يـا أميرَ المؤمنـين إلاَّ همٌّ شديـد ! قال : إي والله يـا بنَ عباس ! إني فكرت فلم أدْرِ فِيمَنْ أجعلُ هذا الأمرَ بعدي ! ثم قال : لعلّك ترى صاحبَك لها أهلاً ! قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمـه ! قال صـدقت ، ولكنه امرؤ فيه دُعابة ، قلت : فأين أنت عن طلحة ! قال : ذو البَأْو(١) وبإصبعه المقطوعة ! قلت : فعبد الرحمن ؟ قال : رجلٌ ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خـاتمه في يـد امرأتـه . قلت : فـالزّبـير ؟ قال : شكِسٌ لَقِس(٢) يُـلاطم في النقيع في صَـاع من بُرّ ! قلت : فسعـد بنَ أبي وقّاص ؟ قال : صاحب سلاح ومِقْنَب ، قلت : فعثمان ؟ قال : أوَّه ! ثلاثاً ، والله لئن وليّها ليحملَنَّ بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ثم لتنهض العرب إليه .

ثم قال : يابن عباس ، إنه لا يصلُح لهذا الأمر إلاَّ خَصِيف العقدة ، قليل الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ثم يكون شديداً من غير عنف ، ليّناً من غير ضعف ، سخيّاً من غير سرف ، ممسكاً في غير وكَف . قال ابن عباس : وكانت والله هي صفات عمر .

قال : ثمّ أقبل عليّ بعد أن سكت هُنَيهَةً ، وقال : أجرؤهـم والله إن وليَها أن يحملهم عـلى كتاب ربّهم وسنّـةِ نبيّهم لَصاحبُـك ! أما إن وليَ أمـرهم حملهم عـلى المحجّـة البيضـاء والصراط المستقيم* .

---

(١) البأو : العجب والتفاخر .

(٢) اللقس الشكس ، سيء الخلق ؛ كذا فسره صاحب اللسان ، وأورد الخبر .

* ليت شعري لِمَ لم تولّه يا ابا حفص إن كان سيحملهم على المحجّة البيضاء والصراط المسقيم ؟ إن هذا لشيءٌ عُجاب ، واعجب منه أن يقرنه مع خمسة نعتهم بأقبح النعوت ، أو قل اخرجهم من الصلاحية اللازمة للخلافة . وأعجب من كل ذلك انه يرىٰ ان الشورى ستنتج عثمان وعثمان سينتج الفتنة إذ ستنهض العرب اليه . . . الخ وهنا يقف القلم ويدع الفكر يسرح علّه يجد حلاّ لهذه المتناقضات .

الفصل الخامس
عائشة واتباعها ويوم الجمل

الجزء ١ ص ٣٠٧:

[تتمة خطبة الامام بالمدينة في أول إمارته والتي أوردنا أولها في الفصل الثالث ص ١] :

بايعني هَذان الرجلان في أوّل مَنْ بايع ، تعلمون ذلك ، وقد نكثا وغَدَرا ، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكُم ، ويُلقِيا بأسَكم بينكم . اللّهمّ فخذْهما بما عمِلا أخذةً رابية ، ولا تنعَش[1] لهما صَرْعة ، ولا تُقِل لهما عَثْرة ، ولا تمهِلْهما فُواقاً[2] ، فإنّهما يطلبان حقاً تركاه ، ودماً سفكاه . اللهم إنّي أقتضيك وعدَك ، فإنّك قلتَ وقولُك الحقّ : « ثُمَّ بُغِيَ عليه لينصرنّه الله » اللهمّ فأنْجِزْ لي موعدَك ، ولا تكِلْني إلى نفسي ، إنّك على كلّ شيء قدير .

وفي ص ٣٠٨:

[تتمة خطبة الامام عند مسيره للبصرة والتي أوردنا صدرها في الفصل الثالث ص ٢]:

فما بالُ طلحة والزبير ، وليسا من هذا الأمر بسبيل ! لم يصبِرا عليّ حولاً ولا شَهْراً حتى وَثَبا ومَرَقا ، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً ، بعد أن بايعا طائعين غيرَ مكرهين ،

---

(١) النعش : الرفع ؛ نعشت فلاناً ، إذا جبرته بعد فقر ، وأقلته بعد عثرة .

(٢) الفواق ، بفتح الفاء وضمها : ما بين الحلبتين من الوقت ؛ لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرتضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ؛ يقال : ما أقام عندنا إلا فواقاً ، أي قدر فواق .

يرتضِعَانِ أُمّاً قد فَطَمت ، ويُحيِيان بِـدْعةً قـد أميتت . أدمَ عثمان زعـما ! والله ما التَّبِعـةُ إلاّ عنـدهم وفيهم ، وإنّ أعظمَ حُجّتهم لعـلَى أنفسِهم ، وأنا راضٍ بحـجّـة الله عليهم وعمله فيهم ، فإنْ فاءا وأنابا فحظَّهما أحرزا ، وأنفسَهما غَنِما ، وأعظمْ بها غنيمة ! وإنْ أَبَيَا أعطيتُهما حدّ السيف ، وكفى به ناصراً لحقّ ، وشافياً لباطل .

الجزء ٦ ص ٩٦:

[تتمة خطبة الامام بعد مقتل محمد بن أبي بكر وقد ذكرنا صدرها في الفصل الثالث ص ١٠ ومن ثم الجزء الذي يليه في الفصل الرابع ص ١]:

حتى إذا نقِمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ؛ ثم جئتموني لتبايعوني ، فأبيتُ عليكم ، وأمسكت يدِي فنازعتموني ودافعتموني ، وبسـطتُم يدِي فكففتُهـا ، ومددتمـوها فقَبضتُهـا ، وازدحمتم عليّ حتى ظننت أنّ بعضَكم قاتل بعضِكم أو أنكم قاتِـليّ . فقلتم : بايِعْنـا لا نجدُ غيرَك ، ولا نرضى إلاّ بك ، بايِعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتُنا . فبايعتُكم ودعوتُ الناسَ إلى بيعتي ، فمن بايع طوعاً قبلتُه ؛ ومن أبَى لم أُكْرِهْهُ وتركته .

فبايَعني فيمَن بايعني طلحةُ والزبير ؛ ولو أبَيَا ما أكرهتُهما ، كما لم أُكرِهْ غيرهَما ؛ فما لبثا إلاّ يسيراً حتى بلغني أنهما خرجا مِنْ مَكّة متوجهيْن إلى البصرة ؛ في جيش ما منهم رجلٌ إلاّ قد أعطاني الطاعة ، وسمح لي بالبيعة ؛ فقدمَا على عاملي وخُزّان بيت مـالي وعلى أهـل مصري الـذين كلهم على بيعتي وفي طـاعتي ، فشتّتوا كلمتَهم ، وأفسـدوا جماعتَهم ، ثم وثبـوا على شِيعتي من المسلمين ، فقتلُوا طائفةً منهم غدراً ، وطائفةً صَبْراً . ومنهم طائفة غضِبوا لله وَلي ، فشَهَرُوا سيوفَهم وضربوا بها ؛ حتى لَقُوا الله عزَّ وجلَّ صادقين ؛ فوالله لو لم يصيبُوا منهم إلاّ رجلاً واحداً متعمِّدين لقتله لحلّ لي به قتلُ ذلك الجيش بأسـره*، فدَعْ مـا أنّهم قد قَتَلُوا من المسلمين أكثرَ من العدّة التي دخلُوا بها عليهم ؛ وقد أدَالَ الله منهم ، فبعداً للقوم الظالمين ! .

وفي ص ٣١٥:

قال كلّ من صنف في السير والأخبار : إن عائشة كانتْ من أشدّ الناس على عثمان ؛ حتى إنها أخرجتْ ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنصبتْه في منزلهـا ، وكانت تقول للداخلين إليها : هذا ثوب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم لم يَبْلَ ، وعثمـان قد أبـلَى سنّته .

* فليسمع أصحاب مقولة ان القوم كانوا مجتهدين فاخطأوا فلهم بذلك اجر واحد !!

قالوا : أولُ مَنْ سمى عثمان نعثلاً عائشة ؛ والنّعثل : الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً !

وروى المدائنيّ في كتاب « الجمل » ، قال : لما قتِل عثمان ، كانت عائشة بمكّة ، وبلغ قتلُه إليها وهي بشَراف، فل تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر ، وقالت : بُعْداً لنعثل وسحقاً ! إيهِ ذا الإِصبع ! إيه أبا شِبْل ! إيه يابن عمّ ؛ لكأني أنظرُ إلى إصبعه وهو يبايَع له : حثُّوا الإِبل ودعدعوها(١) .

قال : وقد كان طلحةُ حين قتل عثمان أخذ مفاتيحَ بيت المال ، وأخذ نجائبَ كانت لعثمان في داره ، ثم فسد أمرُه ، فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان

وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزديّ في كتابه : إنّ عائشة لما بَلغها قتلُ عثمان وهي بمكة ، أقبلتْ مسرعة ، وهي تقول : إيه ذا الإِصبع ! لله أبوك ! أما إنهم وجدوا طلحة لها كَفوا . فلما انتهت إلى شَراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثيّ ، فقالت له : ما عندك ؟ قال : قُتِلَ عثمان ، قالت : ثم ماذا ؟ قال : ثم حارتْ بهم الأمور إلى خير مَحَارٍ ؛ بايعوا علياً ، فقالت : لودِدْتُ أنَّ السماء انطبقتْ على الأرض إن تمّ هذا*، وَيْحك ! أنظر ما تقول ! قال : هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين ، فولولت ، فقال لها : ما شأنُك يا أمّ المؤمنين ! والله ما أعرف بين لابتيْها أحداً أوْلَى بها منه ولا أحقّ ؛ ولا أرَى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته ؟ قال : فما ردّت عليه جواباً .

قال : وما روِي من طرق مختلفة أنَّ عائشة لما بَلغها قتلُ عثمان وهي بمكة ، قالت : أبعده الله ! ذلك بما قدّمت يداه ، وما الله بظلَّام للعبيد .

قال : وقد روَى قيس بن أبي حازم أنَّه حج في العام الذي قُتِل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله ، فتحمّل إلى المدينة ، قال : فسمعها تقول في بعض الطريق : إيه ذا الإصبع ! وإذا ذكرت عثمان قالت : أبعده الله ! حتى أتاها خبرُ بيعة عليّ ، فقالت : لودِدْت أنَّ هذه وقعت على هذه ، ثم أمرت بردّ ركائبها إلى مكّة فردّت معها ، ورأيتها في سيرها إلى

---

(١) الدعدعة : الزجر .

* حقّاً إن الجلد ليقشعر من هذا القول !! اتكرهين يا ام المؤمنين ولاية امير المؤمنين الى هذا الحدّ ؟ ألبلائه في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين ام ماذا ؟

مكّة تخاطب نفسها ، كأنها تخاطبُ أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوماً ، فقلت لها : يا أمّ المؤمنين ، ألمْ أسمعْك آنفاً تقولين : أبعده الله ، وقد رأيتك قبلُ أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً ! فقالت : لقد كان ذلك ؛ ولكني نظرت في أمره ، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفِضّة البيضاء أتوْه صائماً محرِماً في شهر حرام فقتلوه .

قال : وروى من طرق أخرى أنّها قالت لما بلغها قتله أبعده الله ! قتله ذنبُه ، وأقاده الله بعمله ! يا معشرَ قريش لا يسومنّكم قتلَ عثمان ، كما سامَ أحمرُ ثمود قومَه ، إنَّ أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع ، فلما جاءت الأخبار ببيعة عليّ عليه السلام ، قالت : تعِسُوا تعسُوا ! لا يردُّون الأمر في تَيم أبداً .

كتب طلحة والزبير إلى عائشة وهي بمكة كتاباً : أن خَذِّلي النّاس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان ، وحمّلا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير ، فلما قرأت الكتاب كاشفتْ وأظهرت الطلب بدم عثمان ؛ وكانت أمّ سلمَة رضي الله عنها بمكة في ذلك العام ؛ فلما رأتْ صنع عائشة ، قابلتها بنقيض ذلك ، وأظهرت موالاةَ عليّ عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة في طباع الضّرتين* .

قال أبو مخنف : جاءت عائشةُ إلى أمّ سلمة تخادِعُها على الخروج للطّلب بدم عثمان ، فقالت لها : يا بنتَ أبي أمية ، أنتِ أوّلُ مهاجرة من أزْواج رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتِ كبيرة أمّهات المؤمنين ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يَقسم لنا من بيتِك ، وكان جبريل أكثرَ ما يكون في منزلك ، فقالت أم سلمَة : لأمرٍ ما قلت هذه المقالة ، فقالت عائشة : إنَّ عبد الله أخبرني أن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمتُ على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحةُ ، فاخرجي معنا ، لعلّ الله أن يصلِح هذا الا~ر على أيدينا وبنا ، فقالت أمّ سلمة : إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبثَ القول ، وما كان اسمُه عندك إلّا نَعْثَلاً ، وإنَّك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله صلى الله عليه وآله ،أفأذكّرك ؟ قالت : نعم ، قالت : أتذكرين يومَ أقبل عليه السلام ونحن معه ؛ حتى إذا هبط من قُدَيد ذات الشمال ، خلا بعليّ يناجيه فأطال ، فأردت أن تهجمي عليهما ، فنهيتُك فعصيتِني ، فهجمتِ عليهما ، فما لبثتِ أن رجعتِ باكية ، فقلت : ما شأنك ؟ فقالت : إني هجمتُ عليهما وهما يتناجيان فقلت لعليّ :

* وهكذا تصبح موالاة ام سلمة لامامها بلا ثواب في حين تصبح عداوة عائشة له باجر المجتهد المخطيء !!

ليس لي من رسول الله إلاَّ يومٌ من تسعة أيام ، أفما تدَعني يابن أبي طالب ويومي ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ، وهو غضبان محمّر الوجه ، فقال : ارجعي وراءك ، والله لا يبغضه أحدٌ من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلاَّ وهو خارج من الإيمان ، فرجعت نادمةً ساقطة ! قالت عائشة : نعم أذكر ذلك .

قالت : وأذكّرك أيضاً ، كنت أنا وأنتِ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تغسلين رأسَه ، وأنا أحِيسُ له حيْساً ، وكان الحَيْس[1] يعجبه ، فرفع رأسه ، وقال : « يا ليت شعرِي ، أيّتكنّ صاحبة الجمل الأذنب ، تنبحُها كلاب الحوءب ، فتكون ناكبة عن الصّراط ! » فرفعت يدي من الحيْس ، فقلت : أعوذُ بالله وبرسوله من ذلك ، ثم ضربَ على ظهرك ، وقال : « إياك أن تكونيها » ثم قال : يا بنت أبي أميّة ؛ إياك أن تكونيها يا حُمَيراء ، أما أنا فقد أنذرتك » ، قالت عائشة : نعم أذكر هذا .

قالت : وأذكرك أيضاً كنتُ أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفَر له ، وكان عليّ يتعاهد نَعْلَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخصِفها ، ويتعاهد أثوابه فيغسلها ، فَنَقِبت له نعلٌ ، فأخذها يومئذٍ يخصِفها ، وقعد في ظلِّ سَمُرة ، وجاء أبوك ومعه عمر ، فاستأذنا عليه ، فقمنا إلى الحجاب ، ودخلا يحادثانه فيما أراد ، ثم قالا : يا رسول الله إنَّا لا ندرِي قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا مَنْ يستخلف علينا ، ليكون لنا بعدك مفزعاً ؟ فقال لهما : أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرّقتم عنه ، كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتا ثم خرجا ، فلما خرجْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت له ، وكنتِ أجرأ عليه مِنّا : مَنْ كنتَ يا رسول الله ، مستخلفاً عليهم ؟ فقال : خاصف النعل ، فنظرنا فلم نر أحداً إلاَّ علياً ، فقلت : يا رسول الله ، ما أرى إلاَّ عليّاً ، فقال : هو ذاك ، فقالت عائشة : نعم أذكر ذلك ، فقالت : فأيّ خروج تخرجين بعد هذا ؟ فقالت : إنما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله ، فقالت : أنت ورأيك ، فانصرفت عائشة عنها ، وكتبتْ أمّ سلمة بما قالت وقيل لها إلى عليّ عليه السلام* .

---

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه .

* انت ترى بطلان ما ادعاه أبو مخنف في كتابه من ان موقف ام سلمة رضي الله عنها كان بمقتضى العداوة المركوزة بين الضرتين ، إن موقفها كان لما عرفت من الحق ليس إلاَّ .

وفي ص ٣١٩:

وروى هشام بن محمد الكلبي في كتـاب « الجمل » أن أمّ سلمـة كتبت إلى عليّ عليـه السلام من مكة : أما بعد ، فإن طلحة والزبير وأشياعَهم أشياع الضلالة ، يريدون أن يُخرجُوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كُريز ؛ ويـذكرون أنَّ عثمـان قُتل مـظلوماً ، وأنهم يطلبون بدمه ؛ والله كافيهم بحوْله وقوته ؛ ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج ، وأمرَنا به من لزوم البيت لم أدعْ الخروجَ إليك ، والنُّصرة لك ؛ ولكنّي باعثة نحوك ابني،عَدْل[1] نفسي عمر بن أبي سلمة ، فاستوصِ به يا أمير المؤمنين خيراً* .

قال : فلما قدم عمر على عليّ عليه السلام أكرمه ، ولم يزل مقيماً معه حتى شهد مشاهده كلّها ، ووجّهه أميراً على البحرين . وقال لابن عمٍّ له : بلغني أن عمر يقول الشعر ، فابعث إليّ من شعره ، فبعث إليه بأبيات له أولها :

جزتْك أمـيرَ المؤمنين قـرابةٌ رفعتَ بها ذكري جزاء موفَّرا

فعجب عليّ عليه السلام من شعره واستحسنه .

ومن الكلام المشهور الذي قيل : إن أمّ سلَمة رحمها الله ، كتبتْ به إلى عائشةً : إنكِ جُنّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمّته ، وإن الحجابَ دونك لمضروب على حُرمته ، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تَنْدَحِيه ، وسكّن عُقَيْـراك فلا تُصْحـريها ، لـو أذكرتُـكِ قولـةً مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفِينَهـا لنهشت بها نَهْش الـرّقشاء المـطرِقة . مـا كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله لو لقيك ناصّـة قَلُوص قُعودك من مَنْهَـل إلى منهلٍ قـد تركت عهَيداه ، وهتكت ستره ، إنَّ عمود الدين لا يقومُ بالنساء ، وصَدْعه لا يُرأب بهنّ ، حُماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض ، اجعلي قاعدة البيت قبْرك حتى تلقينه ، وأنت على ذلك .

فقالت عائشة : ما أعرفَني بنصحك ، وأقبلني لوعْظك ! وليس الأمر حيث تذهبين ؛ ما أنـا بعميّة عن رأيـك ، فإن أَقِمْ ففي غـير حرج ، وإن أخـرج ففي إصلاح بـين فئتـين من المسلمين .

---

(١) عدل نفسي : مثلها .

* وهل ان إرسـال أم سلمة لابنها عمر للقتال الذي من الممكن أن يكون الموت ، هل هذا بسبب تنافسها مع ضرتها عائشة ؟!

وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المصنف في « غريب الحديث » في باب أم سلمة ، على ما أورده عليك ، قال :

لما أرادت عائشة الخروجَ إلى البصرة ، أتتْها أمّ سلمة ، فقالت لها : إنّك سُدّة بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمّته ، وحجابك مضروب على حُرْمته ، قد جَمَع القرآن ذَيلك فلا تَنْدَحيه ، وسكّن عُقَيْراك فلا تُصْحريها ، الله من وراء هذه الأمة ، لو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أن يعهد إليك عَهْداً عُلْت عُلْت ؛ بل قد نهاك عن الفَرْطةِ في البلاد ؛ إنّ عمود الإسلام لا يُثَأَبُ بالنساء إن مال، ولا يُرأَبُ بهنّ إن صُدع ، حُماديات النساء غَضّ الأطراف وخَفَر الأعراض وقِصَر الوهازة ؛ ما كنتِ قائلة لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عارضَك بعْد الفلوات ، ناصَّة قَلُوصاً من منهل إلى آخر ، إنَّ بعين الله مَهْواك ، وعلى رسوله تَردين ؛ وقد وَجَّهتِ سَدَافته ـ ويروى سَجافته ـ وتركت عُهَيْدَاه . لو سرتُ مسيرك هذا ثم قيل لي : ادخلي الفردوس لاستحييت أنْ ألقى محمداً صلى الله عليه وسلَّم هاتكةً حجاباً ، وقد ضرَبه عليَّ ، اجعلي حِصْنَك بيتك ، ووقاعةَ الستر قبرك ؛ حتّى تلقيْنه ، وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله بالرقبة ، وأنْصَر ما تكونين للدين ما جلت عنه . لو ذكّرتك قولاً تعرفينه لنهشت به نَهْشَ الرَّقشاء المطرِقة .

فقالت عائشة : ما أقبلَني لو عظك ! وليس الأمر كما تظنّين ، ولنعمَ المسيرُ مسير فزعتْ فيه إليّ فئتان متناجزتان ـ أو قالت متناحرتان ـ إن أقعد ففي غير حرج ، وإن أخرج فإلى مالا بدَّ لي من الازدياد منه*.

تفسير غريب هذا الخبر

[وسنذكر ذلك باختصار] .

السُّدّة: الباب أي لا تكوني سبباً في فتح الباب (الذي هو أنت) إلى حرم رسول الله (ص) وحوزته إذا ما استُبِحتِ .

وقولها : « قد جمع القرآن ذيلك فلا تَنْدَحيه » ، أي لا تفتحيه ولا توسِّعيه بالحركة والخروج ، تريد قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾(1).

---

* انظر الى رجاحة عقل ام سلمة وتقواها وتورعها ، وظني ورب ظنٍ يقين ان لو كانت هذه مكان تلك ، لقالوا بأن النبي (ص) أمرنا بأن ناخذ ثلثي ديننا عن ام سلمة !!

(1) سورة الأحزاب ٣٣ .

وسكن عُقَيْراك ، من عُقْر الدار وهو أصلها .

قولها : (فلا تُصْحريها) ، أي لا تبرزيها للصحراء .

قولها : (عُلْت عُلْت) ، أي جرْت في هذا الخروج ، أو (عِلْت عِلْت) أي ابعدت في السير .

قولها : (عن الفَرْطة في البلاد) ، أي عن السفر والشخوص .

قولها : (لا يُثْأَب بالنساء) ، أي لا يردّ بهن إن مال ، من قولك : ثاب فلان إلى كذا ، أي عاد إليه .

قولها : (حماديات النساء) يقال : حُمَاداك أن تفعل كذا مثل (قصاراك) أي جهدك وغايتك .

وغض الأطراف ، جمْعها ، وخَفَر الأعراض ، أي حياء الأجساد .

قولها : (قِصَرِ الوِهازة) ، الخطوة الثقيلة .

قولها : (ناصّة قلوصا) أي رافعة لها في السير .

قولها : (إن بعين الله مَهْواك) ، أي أن الله يرى سيرك وحركتك .

قولها : (وقد وجَّهْت سِدَافته) ، السدافة : الحجاب والستر، ووجّهت أي نظمت المحمل بالخرز .

قولها : (عُهيْداه) ، تصغير عهده .

قولها : (ووِقاعة السّتر) ، أي موقعه على الأرض إذا أرسلته .

لما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيّداً يحمل هَوْدَجها ، فجاءهم يعلَى بن أمية ببعيره المسمى عَسْكراً ، وكان عظيم الخلق شديداً ، فلما رأتْه أعجبها ، وأنشأ الجمَّال يحدّثها بقوته وشدته ، ويقول في أثناء كلامه : « عسكر » ، فلما سمعت هذه اللفظة : استرجعتْ وقالت : ردّوه لا حاجة لي فيه ، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله صلى الله عليهو وآله ذكر لها هذا الأسم ، ونهاها عن ركوبه ، وأمرَتْ أن يطلَب لها غيرُه فلم يوجد لها ما يشبهه ، فغيِّر لها بِجلال غير جِلاله ، وقيل لها : قد أصبْنا لك أعظم منه خَلْقاً ، وأشدّ قوة ، وأتِيَتْ به فرضيت .

قال أبو مخنف : وأرسلت إلى حَفْصة تسألها الخروجَ والمسير معها ، فبلغ ذلك عبدَ الله بن عمر ، فأتى أختَه فعزم عليها ، فأقامت وحطَّتِ الرّحال بعدما همّت .

كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة ، أما بعد : فإنّكِ ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أمرك أن تَقَرِّي في بيتك ، فإنْ فعلتِ فهو خيرٌ لك ، فإن أبيتِ إلاَّ أن تأخذي مِنْسأتَك ، وتُلقي جلبابك ، وتبدي للناس شعيراتك ، قاتلتُك حتى أردّك إلى بيتك ، والموضع الذي يرضاه لك ربّك .

فكتبت إليه في الجواب : أما بعد ، فإنّك أولُ العرب شَبَّ الفتنة ، ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة ، وسعى في قتل الخليفة ، وقد علمتَ أنك لن تُعجزَ الله حتّى يصيبك منه بنِقْمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم ، وقد جاءني كتابُك ، وفهمت ما فيه ؛ وسيكفينيك الله ؛ وكلّ من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيّك ، إن شاء الله .

وقال أبو مِخْنف : لما انتهت عائشةُ في مسيرها إلى الحوأب ، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة ، نبحتها الكلاب ؛ حتى نفرت صِعَاب إبلها ، فقال قائل من أصحابها : ألا ترون ، ما أكثر كلاب الحوأب ، وما أشد نُباحها ! فأمسكت زمام بعيرها ، وقالت : وإنها لكلاب الحوأب ! ردّوني ردّوني ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول . . . وذكرت الخبر، فقال لها قائل : مهلاً يرحمك الله ! فقد جُزْنا ماء الحوأب ؛ فقالت : فهل من شاهد ؟ فلفّقوا لها خمسين أعرابياً ، جعلوا لهم جُعلاً ، فحلفوا لها : إن هذا ليس بماء الحوأب ، فسارت لوجهها . وأرسل عثمان بن حَنيف ـ وهو يومئذٍ عامل عليّ عليه السلام على البَصْرة ـ إلى القوم أبا الأسود الدؤليّ يعلَم له علمهم ، فجاء حتى دخلَ على عائشة ، فسألها عن مسيرها ، فقالت : أطلب بدم عثمان ، قال : إنه ليسَ بالبَصْرة مِنْ قَتلة عثمان أحدٌ ، قالت : صدقت ؛ ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة ، وجئت أستنهضُ أهلَ البصرة لقتاله . أنغضب لكم من سَوْط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم ! فقال لها : ما أنتِ مَن السَّوْط والسيف ! إنّما أنت حَبِيس رسول الله صلى الله عليه وآله ، أمرَك أن تَقَرِّي في بيتك ، وتتلي كتاب ربك ، وليس على النساء قتال ، ولا لهنّ الطلب بالدماء ؛ وإن عليّاً لأَوْلى بعثمان منك ، وأمسُّ رحماً ؛ فإنهما ابنَا عبد مناف ، فقالت : لست بمنصرفةٍ حتى أمضِيَ لما قدمتُ لَهُ ، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدمُ على قتالي ! قال : أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد .

ثم قام فأتى الزبير ، فقال : يا أبا عبد الله ، عهد الناس بك ، وأنت يوم بويع أبو بكر آخذٌ بقائم سيفك ، تقول : لا أحدَ أوْلى بهذا الأمر من ابن أبي طالب ؛ وأين هذا المقام من ذاك ! فذكر له دَم عثمان ، قال : أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا ! قال : فانطلقْ إلى طلحة

فاسمع ما يقول ، فذهب إلى طلحة ، فوجده سادِراً في غَيِّه ، مصِرّاً على الحرب والفتنة ، فرجع إلى عثمان بن حُنيف ، فقال : إنها الحرب ، فتأهَّبْ لها !

لما نزل عليّ عليه السلام بالبَصْرة ، كتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان العبديّ :

من عائشة بنت أبي بكر الصديق زَوج النبي صلى الله عليه وسلَّم إلى ابنها الخالص زيد بن صُوحان ؛ أما بعدُ فأقمْ في بيتك ، وخذِّل الناسَ عن عليّ ، وليبلغْني عنك ما أحبّ ؛ فإنَّك أوثق أهْلي عندي ، والسلام .

فكتب إليها : من زيد بن صُوحان إلى عائشة بنت أبي بكر ؛ أمّا بعدُ فإن الله أَمَرَكِ بأمر وأمَرَنا بأمْرٍ ؛ أمرَكِ أن تَقَرِّي في بيتك ، وأمرَنا أن نجاهدَ ، وقد أتاني كتابُك ، فأمرتِني أنْ أصنَع خِلافَ ما أمرَني الله ، فأكون قد صنعتُ ما أمرَكِ الله به ، وصنعتِ ما أمرِني الله به ، فأمرُكِ عندي غير مطاع ، وكتابك غير مجاب ، والسلام .

روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر ، عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصريّ .

وفي ص ٢٢٩:

بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة ، قال : فأتيتُها ، فدخلت عليها ، فلم يوضع لي شيء أجلِس عليهْ ، فتناولت وسادة كانت في رَحْلها ، فقعدت عليها ، فقالت : يابن عباس ، أخطأت السنّة ، قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا ! فقلت : ليسَ هذا بيتُكِ الذي أمَركِ الله أن تَقَرِّي فيه ، ولو كان بيتَك ما قعدتُ على وِسادتك إلَّا بإذنك ، ثم قلت : إن أمير المؤمنين أرسلَني إليك يأمُرك بالرحيل إلى المدينة ، فقالت : وأين أمير المؤمنين ! ذاك عمر ، فقلت: عمر وعليّ ، قالت : أبيت ! قلت : أما والله ما كان أبوك إلَّا قصيرَ المدة ، عظيم المشقة ، قليل المنفعة ، ظاهر الشؤم بيِّن النّكد ، وما عسى أن يكون أبوك ! والله ما كان أمرُك إلَّا كحَلب شاة حتى صرت لا تأمرين ولا تنهين ، ولا تأخذين ولا تعطين ، وما كنت إلَّا كما قال أخو بني أسد :

ما زال إهداء الصغائر بيننا نثَّ الحديث وكثرَة الألقابِ[1]
حتى نزلت كأن صوتَك بينهم في كلّ نائبة طنينُ ذبابِ

(١) البيتان في ثمار القلوب ٥٠٣ ، ونسبهما الى حضرمي بن عامر ، وهما أيضاً في الحيوان ٣ : ٣١٥ .

قال : فبكت حتىٰ سُمِعَ نحيبُها من وراء الحجاب ، ثم قالت : إني معجّلة الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى ، الله ما من بلدٍ أبغضَ إليّ من بلد أنتم فيه ، قلت : ولِمَ ذاك ! فوالله لقد جعلناكِ للمؤمنين أمّاً ، وجعلنا أباك صِدّيقاً ، قالت : يابن عباس ، أتمنّ عليّ برسول الله ؟ قلت : مالي لا أمنّ عليك بِمَنْ لو كان منك لمننتِ به عليّ !

ثم أتيت علياً عليه السلام فأخبرته بقولها وقولي ، فسرّ بذلك ، وقال لي : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾[1] ؛ وفي رواية : أنا كنت أعلم بك حيث بعثتُك .

---

(١) سورة آل عمران ٣٤.

الفصل السادس
معاوية وعمرو وصفّين

الجزء ٤ ص ٣٠:

وخرج* في اليوم الثالث عَمّار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشدّ قتال كان ، وجعل عمّار يقول : يا أهل الشام ، أتريدون أنْ تنظروا إلى مَنْ عادى الله ورسوله وجاهدهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهر المشركين . فلما أراد الله أنْ يُظهر دِينَه ، وينصر رسوله أتى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم ، وهو والله فيما يرى راهبٌ غير راغب. ثم قبض الله رسولَهُ ، وإنا واللّهِ لنعرفه بعداوة المسلم ؛ ومودّة المجرم ! ألا وإنه معاوية ، فقاتلوه والعنوه ؛ فإنه ممّن يطفىء نور الله ، ويظاهر أعداء الله .

قال : وكان مع عَمَّار زيادُ بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل فصبروا له ، وشَدّ عمار في الرَّجّالة ، فأزال عمرو بن العاص عن مَوْقِفه ؛ وبارز يومئذٍ زياد بن النضر أخاً له من بني عامر يعرف بمعاوية بن عمرو العُقيليّ ؛ وأمهما هند الزبيديّة ؛ فانصرف كلٌّ واحد منهما عن صاحبه بعد المبارزة سالماً ، ورجع الناس يومهم ذلك .

قال نصر : وحدثني أبو عبد الرحمن المسعوديّ قال : حدثني يونس بن الأرقم ؛ عَمّن حدثه من شيوخ بَكْر بن وائل ؛ قال : كنا مع عليّ عليه السلام بصِفّين ؛ فرفع ابن العاص شُقّة خميصةٍ سوداء في رأس رُمْح ؛ فقال ناس : هذا لواء عَقَده له رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فلم يزالُوا يتحدّثون حتى وصل ذلك إلى عليّ عليه السلام ؛ فقال : أتدرُون ما أمرُ هذا اللواء ! إنَّ عدوَّ الله عَمْراً أخرج له رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الشُّقّة ، فقال : مَنْ

---

* من كتاب صفين لنصر بن مزاحم .

يأخذها بما فيها ؟ فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله ؟ قال : فيها ألاّ تقاتل بها مسلماً ، ولا تقرّبها من كافر ؛ فأخذها ؛ فقد والله قرّبها من المشركين ، وقاتل بها اليوم المسلمين ؛ والَّذِي فَلَق الحبّة ، وبرأ النَّسَمة ؛ ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسرّوا الكفر ؛ فلما وجدوا عليه أعواناً أظهروه .

وروى نصر ، عن أبي عبد الرحمن المسعوديّ ، عن يونس بن الأرقم ، عن عوف بن عبد الله ، عن عمرو بن هند البَجلّي ، عن أبيه ، قال : لما نظر عليّ عليه السلام إلى رايات معاوية وأهل الشام، قال : والَّذي فَلَق الحبّة ، وبرأ النسمة ؛ ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسرُّوا الكفر ؛ فلما وجدوا عليه أعواناً ، رجعوا إلى عَدَاوتهم لنا ؛ إلاّ أنّهم لم يتركوا الصلاة .

وروى نصر ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : لما كان قتال صِفّين ، قال رجل لعمّار : يا أبا اليقظان ؛ ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « قاتلوا الناس حتى يُسلموا ؛ فإذا أسلموا عَصَموا منّي دماءهم وأموالهم » ؟ قال : بلى ، ولكن والله ما أسلموا ؛ ولكن استسلموا ، وأسرّوا الكفر حتى وَجَدُوا عليه أعواناً .

وروى نصر ، عن عبد العزيز عن حبيب بن أبي ثابت ، عن منذر الثوريّ ، قال : قال محمد بن الحنفيّة : لما(١) أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ أعلى الوادي ومن أسفله ، وملأ الأودية كتائب ـ يعني يوم فتح مكة ـ استسلموا حتى وجدوا أعواناً* .

وروى نصر ، عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل ، عن الحسن ، قال : وحدثنا الحكم أيضاً عن عاصم بن أبي النَّجُود ، عن زرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يَخطُب على مِنْبَري فاضربوا عنقه » ، فقال الحسن : فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا(٢) .

الجزء ٥ ص ١٨١:

قال نصر : وخطب علي عليه السلام أصحابه فيما حدثنا به عمر بن سعد ، عن أبي يحيى ، عن محمد بن طلحة ، عن أبي سنان ، عن أبيه قال : كأنّي أنظرُ إليه متوكئاً على قوسِه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ، فهم يلُونه ، كأنه أحبَّ أن

(١) صفين ٢٤١ ، ٢٤٢ .

* هكذا كان حال القوم من الكفر المستتر ، فالعجب ممن يتولاهم ، وأعجب منه من يتولاهم وعليّا في ذات الوقت .

(٢) صفين ٢٤٣ .

يعلم الناس أنَّ الصحابة متوافرون معه ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال :

أمّا بعدُ ، فإن الخيلاء من التجبُّر ، وإن النَّخْوة من التكبر، وإنَّ الشيطان عدوٌّ حاضر ، يعدُكم الباطل ؛ ألا إنَّ المسلم أخو المسلم ، فلا تنابذوا ولا تخادلوا . ألا إنَّ شرائع الدين واحدة ، وسبله قاصدة ، مَنْ أخذ بها لَحِق ، ومن فارقها مُحِق ، ومَنْ تركها مَرَق . ليس المسلم بالخائن إذا ائتمِن ، ولا بالمخلِف إذا وعد ، ولا بالكذاب إذا نطق . نحن أهل بيت الرحمة ، وقولنا الصدق ، وفعلنا القَصْد ، ومِنّا خاتم النبيين ، وفينا قادة الإسلام وفينا حملة الكتاب . ألا إنَّا ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوِّه والشدة في أمره ، وابتغاء مرضاته ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت ، وصِيَام شهر رمضان ، وتوفير الفيء على أهله . ألا وإنَّ مِنْ أعجب العجائب أنَّ معاوية بن أبي سفيان الأمويّ وعمرو بن العاص السهميّ ، أصبحا يحرّضان الناس على طلب االدِّين بزعمهما ، ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قطّ ، ولم أعصه في أمر ، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال ، وتُرْعَد فيها الفَرائص ، بنجدةٍ أكرمني الله سبحانه بها ، وله الحمدُ . ولقد قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنَّ رأسه لفي حِجْري ، ولقد وَليتُ غسله بيدي وحدي ، تقلِّبه الملائكة المقربون معي . وايمُ الله ما اختلفت أمةٌ قطّ بعد نبيّها إلاّ ظهر أهلُ باطلها على أهلِ حقها ، إلاّ ما شاء الله .

قال أبو سنان الأسلميّ : فأشهد لقد سمعت عَمّار بن ياسر ، يقول للناس : أمّا أمير المؤمنين فقد أعلَمكم أنَّ الأمة لم تستقم عليه أولاً ، وأنها لن تستقيم عليه آخراً .

وفي ص ٢٥٢:

قال نصر : وحدّثنا عمرو ؛ قال : حَدّثنا عبد الرحمن بن جُندب ، عن جندب بن عبد الله ، قال : قام عَمّار يوم صفين ، فقال : انهضُوا مَعِي عبادَ الله ، إلى قومٍ يزعمون أنَّهم يطلبُون بدم ظالمٍ ؛ إنما قتله الصالحون المنكِرون للعُدْوان ، الآمرون بالإحسان ، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو دَرَس هذا الدين : لِمَ قتلتموه ؟ فقلنا : لإحداثه*، فقالوا إنه لم يحدث شيئاً ؛ وذلك لأنه مكَّنهم من الدنيا ، فهم يأكلونَها ويَرْعَونها ، ولا يبالون لو انهدمت الجبال . والله ما أظنّهم يطلبُون بدم ، ولكن القوم ذاقُوا الدنيا

* وهذا تصريح من عمّار بن ياسر بشأن عثمان بن عفان إذ رماه بالظلم ومدح قاتليه ، إلاّ أن الامام كان قد وصف قتله بقوله (وجزعتم فأسأتم الجزع) .

فاستحلّوها ، واستمرءوها ، وعلِموا أنَّ صاحبَ الحق لو ولِيَهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعوْن منها .

إنَّ القوم لم يكُنْ لهم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية ، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قُتِل إمامُنا مظلوماً : ليكونوا بذلك جبابرةً وملوكاً ؛ تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولولاها ما بايعهم من النّاس رجل ؛ اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم .

ثم مضى ، ومضى معه أصحابه ، فدنا من عمرو بن العاص ، فقال : يا عمرو ، بعت دينك بمصر ، فتبّاً لك ! وطالما بَغَيْت للإسلام عِوَجاً(١) .

ثم قال : اللهم إنَّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أنْ أقذِف بنفسي في هذا البحر لفعلت . اللهم إنك تعلم أنّي لو أعلمُ أنّ رضاك أن أضع ظُبَة سيفي في بطْني ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظَهْري لفعلت ؛ اللهم إني أعلم مما علّمتني أني لا أعمل عملا صالحاً هذا اليوم ، هو أرضى من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته(٢) .

وفي ص ٢٥٦:

وروى نصر بن مزاحم ، قال : حدثني يحيى بن يعلى ، قال : حدثني صباح المُزنيّ ، عن الحارث بن حصن ، عن زيد بن أبي رجاء ، عن أسماء بن حكيم الفزاريّ ، قال : كنا بِصِفّين مع عليّ ، تحت راية عمّار بن ياسر ، ارتفاع الضحى ، وقد استظلَلْنا برداء أحمر ؛ إذْ أقبلَ رجل يستقرِي الصفّ حتى انتهى إلينا ، فقال : أيّكم عمار بن ياسر ؟ فقال : عمار : أنا عمّار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال: إنَّ لي إليك حاجةً أفأنطقُ بها سراً أو علانيةً؟ قال : اخترْ لنفسك ، أيَّهما شئت ، قال : لا بل علانية ، قال : فانطق ، قال : إني خرجت

---

(١) في صفين بعدها : ثم حمل عمار وهو يقول :

صَدّق الله وهْو لِلصِّدْقِ أهلٌ ... وتعالى رَبّي وكان جليلا

رَبِّ عَجِّل شهادَةَ لي بقتلٍ ... في الذي قد أحبّ قتلاً جميلاً

مقبلاً غير مدبرٍ إنّ لِلْقتْـ ... ـلِ عَلى كلّ ميتةٍ تَفْضيلاً

إنهم عند ربهم في جنانٍ ... يَشْربون الرَّحيق والسَّلْسَبيلا

مِنْ شرابِ الأبرار خالطة المسـ ... ـك وكأساً مزاجُها زنجبيلاً

(٢) صفين ٣٦١ - ٣٦٣ .

من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه ؛ لا أشكُّ في ضلالة هؤلاءالقوم ، وأنّهم على الباطل ، فلم أزلْ على ذلك مستبصراً ، حتى ليلتي هذه ، فإنّي رأيتُ في منامي منادياً تقدّم ، فأذّن وشهد أن لا إلّه إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونادى بالصَّلاة ، ونادى مناديِهم مثل ذلك ، ثم أقِيمت الصلاة ؛ فصلَّينا صلاة واحدةً ، وتلونا كتاباً واحداً ، ودعونا دعوةً واحدة ، فأدركني الشكّ في ليلتي هذه ، فبتّ بليلة لا يعلمُها إلّا الله تعالى ، حتى أصبحتُ ، فأتيتُ أميرَ المؤمنين ، فذكرت ذلك له قال : هل لقِيت عمار بن ياسر ؟ قلت : لا ، فالقه ، فانظر ماذا يقول لك عمار فاتبعه ،فجئتك لذلك ؛ فقال عمار : تعرف صاحبَ الراية السوداء المقابلة لي ! فإنّها راية عمْرو بن العاص ، قاتلتُها مع رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ثلاث مرات ، وهذه الرابعة فما هِيَ بخيرهنّ ،ولا أبرِّهن ؛ بل هي شرُّهن وأفجرهُنّ . أشهِدْت بدراً وأحداً ويوم حُنين ، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها ؟ قال : لا ، قال : فإن مراكِزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين ، وإنّ مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب ، فهل ترى هذا العسكر وَمْن فيه ! والله لوددت أن جميعَ مَنْ فيه ممن أقبل مع معاوية يريد قتالنا ، مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خَلْقاً واحداً ، فقطّعته وذبحته . والله لدماؤهم جميعاً أحلُّ مِنْ دم عصفور ، أفترى دم عصفور حراماً ؟ قال: لا بل حلال ؛ قال : فإنهم حلال كذلك* ، أتراني بيّنت لك ؟ قال : قد بيّنت لي ، قال : فاختر أيّ ذلك أحببت .

فانصرف الرجُل ، فدعاه عمّار ثم قال : أما إنهم سيضربونكم بأسيافهم حتى يرتابَ المبطلون منكم ، فيقولوا : لو لم يكونوا على حقّ ما أظهروا علينا ؛ والله ما هم من الحقِّ على ما يقذى عين ذباب ؛ والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سَعَفات هَجر[١] لعلمنا أنّا على حقّ ، وأنّهم على باطل[٢] .

قال نصر : وحدّثنا يحيى بن يعلَى ، عن الأصبغ بن نباتة ، قال : جاء رجلٌ إلى عليّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاءالقوم الذين نقاتلهم ؛ الدعوة واحدة ، والرسول واحد ،

---

* انظر الى الميزان الحق ، واعجب من ادعياء السلام مع الظالمين في هذا العصر وكل عصر .

(١) إنما خص هجر ؛ للمباعدة في المسافة ، ولأنها موصوفة بكثرة النخيل . انظر اللسان ١١ : ٥٢ .

(٢) صفين ٣٦٣ : ٣٦٤ وبقية حديث عمار هناك : « وايم الله لا يكون سلماً سالماً أبداً ؛ حتى يبوء أحدالفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين ؛ وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق ؛ وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم ولا يتصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة ، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار ؛ وكان أحياؤهم على الباطل » .

والصلاة واحدة ، والحجّ واحد فماذا نسميهم ؟ قال : سمّهم بما سماهم الله في كتابه ، قال : ما كلّ ما في الكتاب أعلمه ، قال : أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ما اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَنْ كَفَرَ** ﴾(١) ! فلما وقع الاختلاف ، كنّا نحن أوْلى بالله وبالكتاب وبالنبيّ وبالحقّ ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا ، وشاء الله قتالهم ؛ فقاتِلهم بمشيئته وإرادته .

الجزء ٦ ص ٩٩:

[تتمة خطبته عليه السلام بعد مقتل محمد بن أبي بكر وقد ذكرنا اجزاءها الأول فيما مضى]:

ولو أنّكم عَزَمْتُم وأجمعتم لم تراموا ؛ إلاّ أنّ القوم تَرَاجَعُوا وتناشبوا وتناصحوا ، وأنتم قد وَنَيْتُم وتغاشَشْتُم وافْتَرَقْتم ، ما إن أنتم إن ألممتُم عندي على هذا بسُعَداء ؛ فانتهوا بأجمعكم ، وأجمِعوا على حَقّكم ، وتجرّدُوا لحرب عَدُوّكم ؛ وقد أبدتِ الرَّغْوَة عن الصَّرِيح ، وبَيَّن الصُّبْحُ لذِي عينين ؛ إنما تقاتلون الطُّلَقاء ، وأبناءالطُّلَقاء وأولى الجفاء ، ومَنْ أسلَم كرهاً ؛ وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله أنْفَ(٢) الإسلام كلّه حرباً ؛ أعداء الله والسنّة والقرآن ، وأهل البدَع والأحداث ؛ ومن كان بوائقه تُتَّقَى ، وكان عن الإسلام منحرفاً ، أكَلَة الرِّشَا ، وعَبَدة الدنيا ؛ لقد أنهِيَ إليّ أنَّ ابنَ النابغة لم يبايعْ معاويةَ حتى أعطاه ، وشرط له أن يؤتيَه ما هي أعظم مما في يده من سلطانه . ألا صَفِرَتْ يدُ هذا البائع دينَه بالدنيا ، وخزِيَتْ أمانة هذا المشترى نَصْرَة فَاسِق غادر بأمْوالِ المسلمين ؛ وإنَّ فيهم مَنْ قد شرِبَ فيكم الخمْرَ وجُلِد الحدّ ؛ يُعْرَف بالفساد في الدين ، والفعل السيّء ؛ وإنَّ فيهم مَنْ لم يُسلم حتى رُضِخ له رَضِيخة(٣) .

فهؤلاء قادة القوم ، ومَنْ تركتُ ذكر مساوئه مِنْ قادتهم مِثْلُ من ذكرت منهم ؛ بل هو

---

(١) سورة البقرة ٢٥٣ .

(٢) أنف كل شيء : أوله .

(٣) الرضيخة : العطية القليلة .

شرّ ، ويودُّ هؤلاء الذين ذكرت لو وُلّوا عليكم فأظهرُوا فيكم الكُفْر والفساد والفجور والتسلُّط بجبريّة ؛ واتبعوا الهَوى وحَكمُوا بغير الحقّ . ولأَنْتُمْ ـ عَلَى ما كَانَ فيكم مِنْ تواكُلٍ وتَخَاذُلٍ ـ خيرٌ منهم وأهدى سبيلاً ؛ فيكم العلماءُ والفقهاء ، والنُّجَباء والحكماء ، وحَمَلَة الكتاب والمتهجِّدُون بالأسْحار ، وعُمّار المساجد بتلاوة القرآن ؛ أفلا تسخَطُون وتهتمّون أن ينازعَكم الولايةَ عليكم سفهاؤكم ، والأشرار الأراذل منكم !

الجزء ١٦ ص ١٣٦:

قلت : وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر ـ وإن كانت عجائبه وبدائعه جمّة ـ أن يُفضى أمر عليٍّ عليه السلام إلى أن يصير معاوية نِدّاً له ونظيراً مماثلاً ، يتعارضان الكتاب والجواب ، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه ، ولا يقول له عليّ عليه السلام كلمة إلاّ قال مثلها ، وأخشن مَسّاً منها ، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان شاهدَ ذلك ؛ ليرى عِياناً لا خَبَراً أنّ الدعوة التي قام بها ، وقاسى أعظم المشاقّ في تحمّلها ، وكابد الأهوال في الذبّ عنها ، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتِها ؛ وشيّد أركانها ، وملأ الآفاق بها ، خلَصت صفواً عفواً لأعدائه الّذين كذبوه ؛ لما دعا إليها ، وأخرجوه عن أوطانه لما حضّ عليها ، وأدمَوْا وجهه ، وقتلوا عمّه وأهله ، فكأنه كان يسعى لهم ، ويدأب لراحتهم ؛ كما قال أبو سفيان في أيام عثمان ، وقد مرّ بقبر حمزة ، وضربه برجله ، وقال ؛ يا أبا عُمارة ! إنَّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غِلماننا اليوم يتلعّبون به ! ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاويةُ عليّاً ، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء . . .

إذا عَيّر الطائيَّ بالبخلِ مادِرٌ ... وقَرّعَ قُسّاً بالفَهاهة باقلُ
وقال السُّها للشّمسِ : أنت خَفيّةٌ ... وقال الدُّجَى : يا صبح لونُك حائلُ
وفاخَرتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وكاثرتِ الشهبَ الحصا والجنادلُ
فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جدّي إنَّ دهرَك هازل[1]!

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام : ليت شعري ؛ لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية ! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك ، فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرّض للمفاخرة والمنافرة ! وإذا كان لا بدّ منهما فهلاّ اكتفى بهما من غير تعرّض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله ، وبأشدّ منه : ﴿ **وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ**

---

(١) لأبي العلاء، سقط الزند ٥٣٣

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[1] وهلاَّ دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سِباب هذا السفيه الأحمق ، هذا مع أنه القائل : مَنْ واجَهَ الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون ! أي افتروا عليه وقالوا فيه الباطل .

أيّها الشاتمي لِتحسَبَ مثلِي ... إنّما أنت في الضلال تهيمُ[2]
لا تَسُبَّنَّني فلستَ بِسِبّي ... إن سِبّى من الرجال الكريم[3]

وهكذا جرى في القنوت واللعن ، قَنت بالكوفة على معاوية ، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة ، وأضاف إليه عمرو بن العاص وأبا موسى وأبا الأعور السلميّ وحبيب بن مسلمة ، فبلغ ذلك معاوية بالشام ، فقنت عليه ، ولعنه بالصلاة ، وخطبة الجمعة ، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والأشتر النخعي ؛ ولعلّه عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذٍ ما يغيب عنّا الآن ، ولله أمر هو بالغه*!

---

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) لعبد الرحمن بن حسن بن ثابت يهجو مسكيناً الدارمي .

(٣) السب : بالكسر : الذي يسابك .

* لعل المصلحة كانت كشف هذا المارق لكيلا يتبقى لأحدٍ حجةً فيه ، ولكيلا يتبقىٰ لأحدٍ شك في طبيعة الصراع آنذاك وكيف ان حرب عليّ لا تعني إلاّ الخروج من الملّة حقاً ، إن عاجلاً أو آجلاً . هذا بالاضافة الى استمرار سنة رسول الله في لعن اعداء الدين ، فكما لعن النبي أبا سفيان وأبا جهل وامثالهما ، لعن عليّاً اشباه أولئك الكافرين . . ولا يهم بعد ذاك ان يرد معاوية عليه ، فإنه إنما يزيد في سيئاته يوم يعرض على الجبار يوم القيامة . .

الفصل السابع
المبغضون والمنحرفون

الجزء ٤ ص ٦٧:

ثم نعود إلى حكاية كلام شيخنا أبي جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى . قال أبو جعفر : وروى الأعمش ، قال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عامَ الجماعة ، جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة مَن استقبله من الناس جَثَا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعَته مراراً ، وقال : يا أهل العراق ، أتزعمون أنّي أكذب على الله وعلى رسوله ، وأحرق نفسي بالنار* : والله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إنَّ لكل نبيّ حَرَماً . وإنَّ حَرَمي بالمدينة ، ما بين عَيْر إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها : فلما بلغ معاوية قَوله أجاره وأكرمه وولّاه إمارة المدينة .

قلت : أمّا قوله : « ما بين عَيْر إلى ثور »(١) ، فالظاهر أنّه غلط من الراوي ، لأنَّ ثوراً بمكة وهو جبل يقال له : ثَوْر أطحل ، وفيه الغار الذي دخله النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وإنما قيل : «أطحل» لأن أطحل بن عبد مناف بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن عدنان كان يسكنه . وقيل : اسم الجبل أطْحَل ، فأضيف « ثور » إليه : وهو ثور بن عبد مناف . والصواب : « ما بين عَيْر إلى أُحُد »(٢) .

---

* علق السيد شرف الدين في كتابه أبو هريرة بما معناه ان كلام ابي هريرة هذا يدلّ على أن اتهامه بالكذب على النبي (ص) قد عمَّ الآفاق وسارت به الركبان .

(١) عير : جبل بالحجاز .

(٢) معجم البلدان ٦ : ٢٤٦ « وهما بالمدينة » .

فأما قول أبي هريرة : إنّ علياً عليه السلام أحدَث في المدينة » ، فحاش الله ! كان علي عليه السلام أتقى لله من ذلك : والله لقد نَصَر عثمان نصراً لو كان المحصـور جعفر بن أبي طالب لم يبذُلْ له إلاَّ مثله .

قال أبو جعفر : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الـرواية . ضـربه عُمـر بالدِّرة ، وقال : قد أكثرتَ من الرواية وأحْر بـك أن تكون كـاذباً عـلى رسول الله صـلى الله عليه !

وروى سفيان الثوريّ عن منصور ، عن إبراهيم التيميّ ، قال : كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلاَّ ما كانَ من ذِكْر جنة أو نار .

وروى أبـو أسامـة عن الأعمش ، قال : كـان إبراهيم صحيـحَ الحديث ، فكنتُ إذا سمعت الحديث أتيتُه فعرضتُه عليه ، فأتيتـه يومـاً بأحـاديث من حديث أبي صـالح عن أبي هريرة ، فقال : دعني من أبي هريرة ، إنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه .

وقـد روى عن عليّ عليـه السلام أنـه قال : ألاَّ إنَّ أكـذبَ الناس ـ أو قـال : أكذب الأحياء ـ على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدّوْسي .

وروى أبو يوسف ، قال : قلت لأبي حنيفة : الخبر يجيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يخالف قياسَنا ما تصنـع به ؟ قـال : إذا جاءت بـه الرواة الثقـاتُ عَمِلْنا بـه وتركنـا الـرأي ، فقلت : ما تقـول في رواية أبي بكـر وعمر ؟ فقـال : ناهيـك بهما ! فقلت : عـليّ وعثمان ، قال : كذلك ، فلما رآني أعُـدّ الصحابـة قال : والصحـابةُ كلّهم عـدول ما عـدا رجالاً ، ثم عدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك .

وروى سُفيان الثوريّ ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عمر بن عبد الغفار ، أنَّ أبا هريرة لما قدِم الكوفة مع معاوية ، كان يجلس بالعشِيّات بباب كِنْدة ، ويجلس النـاس إليه ، فجـاء شابٌّ من الكـوفة ، فجلس إليـه ، فقال : يـا أبـا هـريـرة ، أنشُـدُك الله ، أسمعت رسول الله صلى الله عليـه وآله يقـول لعليّ بن أبي طـالـب : « اللهمَّ والِ مَنْ والاه وعاد من عاده » ، فقال : اللهم نعم ، قال : فأشهد بالله ، لقد واليتَ عدوّه ، وعاديت وليّه ! ثم قام عنه* .

---

* انبه القارىء أن هذه الحادثة من قبيل القاء الله تعالى بالحجة على الناس إذ أراد هنا أن ينبه أبا هريرة الى انحرافه عن امام الهدى المأمور باتباعه ، وذلك لأن الله لا يعذب احداً بلا حجة مسبّقة فقد قال (لله الحجة البالغة) .

وروت الرواة أنَّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ، ويلعب معهم ، وكان يخطُب وهو أمير المدينة ، فيقول : الحمد لله الذي جعل الدّين قياماً ، وأبا هريرة إماماً ؛ يُضحك الناس بذلك . وكان يمشي وهو أمير المدينة في السُّوق ، فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ، ضرب برجليه الأرض ، ويقول : الطريق الطريق ! قد جاء الأمير ! يعني نفسه .

قلت قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب « المعارف »[1] في ترجمة أبي هريرة ، وقوله فيه حجّة لأنه غيرُ متَّهم عليه .

قال أبو جعفر : وكان المغيرة بن شعبة يلعَنُ علياً عليه السلام لعناً صريحاً على مِنْبر الكوفة ، وكان بلغه عن عليّ عليه السلام في أيام عمر أنه قال : لئن رأيتُ المغيرة لأرجُمنّه بأحجاره ـ يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بَكْرة، ونَكَلَ زياد عن الشهادة ـ فكان يُبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه .

قال : وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الزَّمَعْ[2] عند ذكر عليّ عليه السلام فيسبه ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ويقول : وما يغني أنه لم يخالف إلى ما نُهي عنه ، وقد أراق مِنْ دماء المسلمين ما أراق !

قال : وقد كان في المحدّثين مَنْ يُبغضه عليه السلام ، ويروى فيه الأحاديثَ المنكرة : منهم حَريز بن عثمان ، كان يُبغضه وينتقصه ، ويروى فيه أخباراً مكذوبة . وقد روى المحدِّثون أنَّ حَرِيزاً رئِيَ في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : كاد يغفر لي لولا بغض عليّ .

قلت : قد روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب « السقيفة » قال : حدثني أبو جعفر بن الجَنيد ، قال : حدثني إبراهيم بن الجنيد ، قال : حدثني محفوظ بن المفضل بن عمر ، قال : حدثني أبو البُهلول يوسف بن يعقوب ، قال : حدثنا حمزة بن حسان ـ وكان مولى لبني أمية ، وكان مؤذّناً عشرين سنة ، وحجّ غير حجة ، وأثنى أبو البهلول عليه خيراً ـ قال : حضرت حَريز بن عثمان ، وذكَر عليّ بن أبي طالب ، فقال : ذاك الذي أحلّ حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يقع .

(١) المعارف ص ١٢١ .

(٢) الزمع : الرعدة .

قال محفوظ : قلت ليحيى بن صالح الوُحاظيّ : قد رويت عن مشايخ مِنْ نظراء حَرِيز ، فما بالك لم تحمِلْ عن حَرِيز ! قال : إني أتيته فناولَني كتاباً ، فإذا فيه : حدثني فلان عن فلان أنَّ النبي صلى الله عليه وسلّم لما حضرتْه الوفاة أوصى أن تُقطَعَ يدُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فرددت الكتاب ، ولم أستحل أن أكتب عنه شيئاً .

قال أبو بكر : وحدّثني أبو جعفر ، قال : حدّثني إبراهيم ، قال : حدّثني محمد بن عاصم ، صاحب الخانات ، قال : قال لنا حريز بن عثمان : أنتم يا أهل العراق تحبُّون عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نُبغضه ، قالوا : لم ؟ قال : لأنه قتل أجدادي .
قال محمد بن عاصم : وكان حَرِيز بن عثمان نازلاً علينا .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وكان المغِيرة بن شعبة صاحبَ دنيا ، يبيع دينه بالقليل النَّزر منها ويُرضِي معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال يوماً في مجلس معاوية : إن علياً لم يُنْكِحْه رسولُ الله ابنته حبّاً ؛ ولكنه أراد أن يكافىء بذلك إحسان أبي طالب إليه .

قال : وقد صح عندنا أن المغيرة لعنَه على منبر العراق مراتٍ لا تحصى ، ويروى أنه لما مات ودفنُوه ، أقبل رجل راكب ظَلِيماً ، فوقف قريباً منه ثم قال :

أمن رَسْمِ دارٍ من مغيرة تعرفُ ... عليها زواني الإنس والجن تَعْزِفُ
فإنْ كنتَ قد لاقيتَ فِرْعَوْنَ بَعْدَنا ... وهامان فاعلم أن ذا العرش منصِفُ

قال : فطلبوه فغاب عنهم ولم يَرَوْا أحداً ، فعلموا أنه من الجن .

قال : فأما مروان بن الحكم فأحقر وأقلّ من أن يذكر في الصحابة الذين قد غمصْناهم وأوضحنا سوء رأينا فيهم ؛ لأنه كان مجاهراً بالإلحاد وهو وأبوه الحكم بن أبي العاص ؛ وهما الطَّريدان اللعينان ، كان أبوه عدوّ رسول الله صلى الله عليه وآله يحكِيهِ في مَشْيه ، ويغمز عليه عينَه ، ويُدْلِع[1] له لسانه ويتهكم به ، ويتهانَف[2] عليه : هذا وهو في قبضتِه وتحت يده ، وفي دار دَعْوته بالمدينة ؛ وهو يعلم أنه قادر على قتله أيّ وقت شاء من ليل أو نهار ، فهل يكون هذا إلاّ من شأني ، شديد البِغْضة ومستحكم العداوة ؛ حتى أفضى أمرُه إلى أن طرده رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة ، وسيّره إلى الطائف !

وأما مَرْوان ابنُه فأخبَثُ عقيدةً ، وأعظم إلحاداً وكفراً ؛ وهو الذي خطب يوم وصل إليه

---

(١) يدلع لسانه : يخرجه .
(٢) التهانف : الضحك مع الاستهزاء

رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة ؛ وهو يومئذٍ أميرها وقد حمل الرأس على يديه فقال :

يا حَبَذا بردك في اليَدَيْنِ وَحُمْرَةٌ تَجْرِي علَى الخَدَّينِ
كأنَّمَا بِتّ بمسجدين

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبيّ ، وقال : يا محمد ، يوم بيوم بدر . وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثّل به يزيد بن معاوية وهو شعر ابن الزِّبَعْرَىٰ يوم وصل الرأس إليه . والخبر مشهور[1] .

قلت : هكذا قال شيخنا أبو جعفر ؛ والصحيح أنَّ مروان لم يكن أميرَ المدينة يومئذٍ بل كان أميرَها عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يحمَل إليه الرأس ؛ وإنما كتب إليه عُبيد الله بن زياد يبشّره بقتل الحسين عليه السلام ، فقرأ كتابه على المنبر ، وأنشد الرجز المذكور ، وأومأ إلى القبر قائلاً : يوم بيوم بَدْر ، فأنكر عليه قوله قومٌ من الأنصار . ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب « المثالب » .

قال وروى الواقديّ أن معاوية لما عادَ من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عليه السلام واجتماع الناس إليه خطب فقال : أيها الناس ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لي : « إنك ستلي الخلافة من بعدي ، فاختر الأرض المقدسة ، فإن فيها الأبدال* وقد اخترتكم ، فالعنوا أبا تراب . فلعنوه ، فلما كان من الغد كتب كتاباً ، ثم جمعهم فقرأ عليهم ، وفيه : هذا كتابٌ كتبه أمير المؤمنين معاوية ، صاحب وحي الله الذي بعثَ محمداً نبياً ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فاصطفى له مِنْ أهله وزيراً كاتباً أميناً ، فكان الوحي ينزلُ على محمد وأنا أكتبه ، وهو لا يعلم ما أكتب ، فلم يكن بيني وبين الله أحد من خَلْقِه . فقال له الحاضرون كلهم : صدقت يا أمير المؤمنين .

---

(١) ذكر أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ١١٩ : وقيل : إنه تمثل أيضاً والرأس بين يديه بقول عبد الله بن الزبعرىٰ :

لَيْتَ أشْيَاخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخَزرَجِ من وقْعِ الأَسَلْ
قَدْ قَتَلْنَا القَرْمَ مِنْ أشياخِهِمْ وعَدَلْناه بِبَدْرٍ فاعتَدَلْ

والبيتان من قصيدة أنشدها يوم أحد ؛ في الحيوان ٥ : ٥٦٤ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ١٤٤ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ١٩٩ ، ٢٠٠ .

** وهذه من ضمن الموضوعات لتفضيل الشام على غيرها ، انظر ص ١٣٠ من الكتاب الرائع (أضواء على السنة المحمدية) لمحمود أبو ريه ، تجد بحثاً عن هذه النكتة .

قال أبو جعفر : وقد روى أن معاوية بذَل لِسَمُرة بن جُنْدب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ ، لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[1] ، وأنَّ الآية الثانية نزلت في ابن مُلجم ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾[2] فلم يقبل ، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل ، وروى ذلك .

قال : وقد صحَّ أن بني أميّة مَنَعُوا من إظهار فضائل عليّ عليه السلام ، وعاقبوا على ذلك الراوي له ؛ حتى إنّ الرجلَ إذا رَوَى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدِّين لا يتجاسر على ذكر اسمه ؛ فيقول : عن أبي زينب .

وروى عطاء ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : ودِدْت أن أترَك فأحدِّث بفضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل ؛ وأنَّ عُنُقي هذه ضربت بالسيف .

قال : فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة ، لا نقطع نقلُها للخوف والتقيّة من بني مروان مع طول المدّة ، وشدة العداوة ولولا أنَّ لله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه مَنْ يعلمه لم يُرْوَ في فضله حديث ، ولا عُرِفَت له منقبَة : ألا ترى أنَّ رئيس قرية لو سخِط على واحد من أهلها ، ومنع النَّاسَ أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكرُه ، ونسي اسمه ، وصار وهو موجود معدوماً ، وهو حيٌّ ميتاً*! هذا خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر رحمه الله تعالى في هذا المعنى في كتاب التفضيل .

فصل في ذكر المنحرفين عن علي

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أنَّ عدة من الصحابة والتابعين والمحدّثين كانوا منحرفين عن عليّ عليه السلام ، قائلين فيه السوء ، ومنهم من كَتم مناقبه وأعان أعداءه ميلاً مع الدنيا ، وإيثاراً للعاجلة ؛ فمنهم أنس بن مالك ، ناشد عليّ عليه السلام الناسَ في رَحَبة

---

(١) سورة البقرة ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٠٧ .

* ورد عن الامام الشافعي ، محمد بن ادريس قوله (عجبت لرجلٍ ـ يعني عليّاً ـ اخفى اعداؤه فضائله حسداً وكتم أحباؤه فضله خوفاً ثم ظهر ما بين هذين ما طبق الخافقين) .

القصر ـ أو قال رحبة الجامع بالكوفة ـ : أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ كنت مولاه فعليّ مولاه » ؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها ، وأنس بن مالك في القوم لم يقم ، فقال له : يـا أنس ، ما يمنعـك أن تقوم فتشهـد ، ولقد حضـرتَها ! فقـال : يا أمـير المؤمنين ، كبرتُ ونسيت ، فقال : اللّهم إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمـامة . قال طلحة بن عمير : فوالله لقد رأيتُ الوَضَح به بعد ذلك أبيض بين عينيه .

وروى عثمان بن مُطرِّف أنَّ رجلاً سأل أنس بن مالك في آخـر عمره عن عـليّ بن أبي طالب ، فقال : إني آليتُ ألاّ أكتم حديثاً سئلت عنـه في عليّ بعـد يوم الـرّحبة ؛ ذاك رأسُ المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم .

وروى أبـو إسرائيـل عن الحكَم عن أبي سليمان المؤذن ، أنَّ عليـاً عليه السـلام نَشَد النـاس مَنْ سمع رسول الله صلى الله عليـه وسلَّم ، يقول : « مَن كنت مـولاه فعليّ مـولاه » فشهد له قوم وأمسك زَيْد بن أرقم ، فلم يَشْهَد ـ وكان يعلمها ـ فدعا عليّ عليه السلام عليه بذهاب البصر فعمِيَ ، فكان يحدّث الناس بالحديث بعدما كُفّ بصره .

قالوا : وكان الأشعث بن قيس الكنديّ وجرير بن عبد الله البَجَليّ يُبغضـانه ؛ وهـدم عليّ عليه السلام دار جرير بن عبد الله .

قال إسمعيل بن جرير : هدم عليّ دارَنا مرتين .

وروى الحارث بن حصين ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبد الله نَعْلَيْن من نعاله ، وقال : احتفظ بها ، فإن ذهابَها ذهاب دينك ؛ فلما كان يوم الجمـل ذهبت إحداهما ، فلما أرسله عليّ عليه السلام إلى معاويـة ذهبت الأخرى ؛ ثم فـارق علياً واعتـزل الحرب .

وروى أهل السيرة أنَّ الأشعث خطب إلى عليٍّ عليه السلام ابنته ، فَزَبَره . وقال : يابن الحائك ، أغرك ابنُ أبي قحافة*!

وروى أبو بكر الهذليّ عن الزّهـري ، عن عبيد الله بن عـديّ بن الخيار بن نوفل بن عبـد مناف ، قـال : قام الأشعث إلى عـلي عليه السـلام ، فقال : إنَّ النـاس يـزعمـون أنَّ

* وهذا يريك ان القوم ما كانوا ليتجاسروا على مقام امير المؤمنين لولا تلك البيعة في السقيفة إذا انها جَرّأت الناس عليه وبالتالي على أهل البيت ، فأصبح ما كان ممتنعاً حراماً واقعاً معاشاً فاعتاده الناس ، وهذا قوله عليه السلام (حملا الناس على ظهورنا) يعني الشيخين .

رسول الله صلى الله عليه وآله عهِد إليك عَهْداً لم يعهده إلى غيرك ؛ فقال : إنه عهد إليّ ما في قراب سيفي ؛ لم يعهد إليّ غير ذلك . فقال الأشعث : هذه إن قلتها فهي عليك لا لك ؛ دَعْها ترحلِ عنك ، فقال له : وما علمك بما عليّ مما لي ! منافق ابن كافر ، حائك ابن حائك ! إنِّي لأجد منك بَنّة[١] الغزْل . ثم التفت إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار ، فقال : يا عبيد الله ، إنك لتسمع خلافاً وترى عجباً ، ثم أنشد[٢] :

أصبحتُ هُزْءاً لراعي الضأن أتبعُه ماذا يَريبك مني راعيَ الضّان !

وقد ذكرنا في بعض الروايات المتقدمات أنَّ سبب قوله : « هذه عليك لا لك » ، أمر آخر ، والروايات تختلف .

وروى يحيى بن عيسى الرمليّ ، عن الأعمش : أن جريراً والأشعث خرجا إلى جبّان[٣] الكوفة ، فمرّ بهما ضبّ يعدو ، وهما في ذمّ عليّ عليه السلام ، فنادياه : يا أبا حِسْل ، هات يدَك نبايعك بالخلافة ، فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما ، فقال : أما إنهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضبّ .

وكان أبو مسعود الأنصاري منحرفاً عنه عليه السلام ، روى شريك ، عن عثمان ابن أبي زُرْعة ، عن زيد بن وهب ، قال : تذاكرنا القيام إذا مرّت الجنازة عند عليّ عليه السلام ، فقال أبو مسعود الأنصاريّ : قد كنا نقوم ، فقال عليّ عليه السلام : ذاك وأنتم يومئذٍ يهود .

وروى شعبة ، عن عبيد بن الحسن ، عن عبد الرحمن بن معقل ، قال : حضرتُ علياً عليه السلام ، وقد سأله رجل عن امرأة تُوفِّيَ عنها زوجها وهي حامل ، فقال : تتربَّصُ أبْعَدَ الأجَلَيْنْ ، فقال رجل : فإن أبا مسعود يقول : وضعُها انقضاء عدّتها ، فقال عليّ عليه السلام : إن فروج لا يعلم*؛ فبلغ قوله أبا مسعود ، فقال : بلى ، والله إني لأعلم أنَّ الآخر شرّ .

---

(١) البنة : الرائحة ؛ وأهل اليمن معروفون بالغزل والحياكة .

(٢) البيت لكلاب بن أمية بن الأسكر ؛ من أبيات له في ذيل الأمالي ١٨٠ .

(٣) الجبان في الأصل : الصحراء ، وأهل الكوفة يسمون المقبرة جبانة . انظر مراصد الاطلاع .

* انظر كيف أن لا كرامة لامثال هؤلاء ، ولا حرج في شتمهم ، لأنهم اعداء الهدى فالواجب كشفهم ، إنما أصبح الناس يتحرجون بسبب ما اشاعه وعاظ السلاطين من فكرة عدم جواز ذلك لأنا لا نعلم الباطن وان الحساب على الله إلى آخره. من هذه التلبيسات ليثبتوا الكراسي تحت اولياء نعمتهم .

[ثم ذكر حديثاً آخر حول ابي مسعود]

وروى جماعة من أهل السِّيَر أن علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار : إنه لكذّاب ؛ وكان كعب منحرفاً عن عليّ عليه السلام . وكان النعمان بن بشير الأنصاريّ منحرفاً عنه ، وعدوّاً له ، وخاض الدماء مع معاوية خوضاً ، وكان من أمراء يزيد ابنه حتى قتل وهو على حاله .

وقد روى أنّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه عليه السلام ، وأنَّ علياً سيّره إلى المدائن ؛ وذلك أنه كان يقول : إن مات عليّ فلا أدري ما موته ، وإن قتل فعسى أنّي إن قتل رجوت له .

ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة .

وفي ص ٧٩:

ومن المنحرفين عنه ، المبغضين له عبد الله بن الزبير ؛ وقد ذكرناه آنفاً ، كان عليٌّ عليه السلام يقول : ما زال الزبير مِنّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنُه عبد الله ، فأفسده .

وعبد الله هو الذي حَمَل الزبيرَ على الحرب ؛ وهو الذي زيّن لعائشة مسيرَها إلى البصرة ؛ وكان سبّاباً فاحشاً ، يُبغض بني هاشم ، ويلعن ويسبّ علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان عليٌّ عليه السلام يقنُت في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب ، ويلعن معاوية ، وعَمْراً ، والمغيرة ، والوليد بن عقبة ، وأبا الأعور ، والضحاك بن قيس ؛ وبُسْر بن أرطاة ، وحبيب بن مسلمة ، وأبا موسى الأشعري ، ومَرْوان بن الحكم ؛ وكان هؤلاء يقنُتُون(١) عليه ويلعنونه .

وروى شيخُنا أبو عبد الله البصريّ المتكلم رحمه الله تعالى ، عن نصر بن عاصم اللّيْثي ، عن أبيه ، قال : أتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والناس يقولون : نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ! فقلت : ما هذا ؟ قالوا : معاوية قام الساعة ، فأخذ بيد أبي سفيان ، فخرجا من المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لعن الله التابع والمتبوع ؛ رب يوم لأمّتي من معاوية ذي الأستاه » ، قالوا : يعني الكبير العَجُز .

وقال : روى العلاء بن حريز القشيريّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية :

---

(١) يقنتون عليه ، يدعون عليه .

« لتتخذنّ يا معاوية البدْعة سنة ، والقبح حسناً ، أكلُك كثير ، وظلمك عظيم » .

قال : وروى الحارث بن حَصِيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، قال : قال عليٌّ عليه السلام : نحن وآل أبي سفيان قوم تعادَوْا في الأمر ، والأمر يعود كما بدا .

وروى صاحب كتاب الغارات عن أبي صادق ، عن جُندب بن عبد الله ، قال: ذُكِر المغيرة بن شُعبة عندَ عليّ عليه السلام وجدّه مع معاوية ، قال : وما المغيرة ! إنما كان إسلامه لفجْرةٍ وغَدْرة غدرها بنفر من قومه فتك بهم ؛ وركبها منهم ، فهرب منهم ؛ فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام ؛ والله ما رأى أحدٌ عليه منذ ادّعى الإسلام خُضوعاً ولا خشوعاً ، ألا وإنه يكون من ثَقِيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق ، ويسعِّرون نيران الحرب ويوازرون الظالمين ؛ ألا إنَّ ثقيفاً قوم غُدُر ، لا يوفون بعهد ، يبغضون العرب كأنهم ليسوا منهم ؛ ولربّ صالح قد كان منهم . فمنهم عروة بن مسعود وأبو عُبيد بن مسعود المستشهد يوم قُسّ النّاطف . وإن الصالح في ثقيف لَغرِيب .

قال شيخنا أبو القاسم البلخي : من المعلوم الذي لا ريبَ فيه لاشتهار الخبر به ؛ وإطباق الناس عليه ، أنّ الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط كان يُبغِض علياً ويشتِمه ، وأنه هو الذي لاَحَاهُ في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه ، وقال له : أنا أثبتُ منك جَناناً ، وأحدّ سنَاناً ، فقال له عليّ عليه السلام : اسكت يا فاسق ، فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ** . . . ﴾(1) الآيات المتلوة ؛ وسمّي الوليد بحسب ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق ؛ فكان لا يُعْرَفُ إلاّ بالوليد الفاسق .

وفي ص ٨١:

قال : وللوليد شعر يقصد فيه الردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : « إن تولوها عليّاً ، تجدوه هادياً مهدياً » . قال : وذلك أن علياً عليه السلام لما قتِل قصد بنوه أن يُخْفُوا قَبره خوفاً من بني أمية أن يحدِثوا في قبره حَدَثاً ، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - إيهاماتٍ مختلفة ، فشدُّوا على جمل تابوتاً موثَقاً بالحبال ، يفوح منه روائح الكافور ، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم ؛ يُوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام ؛ وأخرجوا بَغْلاً وعليه جِنازة(2) مغطاة ؛ يوهمون أنهم

(1) سورة السجدة ١٨ .

(2) الجنازة ؛ بالكسر وبفتح : الميت .

يدفنونه بالحيرة ، وحفروا حفائر عِدّة ، منها بالمسجد ، ومنها برحبة القصر ؛ قصر الإمارة ، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزوميّ ؛ ومنها في أصل دار عبد الله بن يـزيد القَسْري بحذاء باب الورّاقين مما يلي قبلة المسجد ، ومنها في الكُنَاسة ، ومنها في الثّويّة ، فعمى عَلَى الناس مـوضع قبـره ؛ ولم يَعْلَم دَفنه عـلى الحقيقـة إلاّ بنـوه والخـواصّ المخلِصـون من أصحابه ؛ فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السَّحـر في الليلة الحاديـة والعشرين من شهـر رمضان ، فدفنوه على النَّجف ، بالموضع المعروف بالغرِيّ ، بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلـك ، وعهدٍ كان عهد به إليهم ، وعميَ موضـع قبره عـلى الناس ؛ واختلف الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً ، وافترقت الأقـوال في موضـع قبره الشـريف وتشعّبت ، وادَّعى قوم أنَّ جماعة من طيِّء وقعوا على جملٍ في تلك الليلة ، وقد أضلّه أصحابه ببلادهم ، وعليه صندوق ، فظنُّوا فيه مالاً ، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يُطْلَبوا به ، فدفنوا الصندوق بمـا فيـه ، ونحروا البعـير وأكلوه ، وشاع ذلـك في بني أمية وشيعتهم ؛ واعتقـدوه حقـاً ؛ فقـال الوليد بن عُقْبة من أبيات يذكره عليه السلام فيها :

فإن يك قَدْ ضَلّ البعير بحمْله   فَمَا كان مَهْدِيّاً ولا كان هاديا

وروى الشيـخ أبو القـاسم البلخِيّ أيضاً ، عن جـرير بن عبـد الحميـد ، عن مغيـرة للضبيّ ، قال : مرَّ ناس بالحسن بن عليّ عليه السلام ، وهم يريدون عيادَة الوليد بن عقبة ، وهو في عِلّة له شديدة ، فأتاه الحسن عليه السلام معهم عائداً ، فقال للحسن : أتوب إلى الله تعالى مما كان بيني وبين جميع الناس ؛ إلاّ ما كان بيني وبين أبيك ، فإني لا أتوب منه .

قال شيخنا أبو القاسم البلخيّ : وأكَّدَ بُغْضَه لـه ضربـه إياه الحـدّ في ولاية عثمـان ، وعزْله عن الكوفة .

وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند المحدّثين ؛ على أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لا يبغضك إلاّ منافق ، ولا يحبّك إلاّ مؤمن » .

قال : وروى حَبّة العُـرَنيّ ، عن عليّ عليه السلام أنه قال : إن الله عزَّ وجلَّ أخذ ميثاق كلِّ مؤمن على حُبّي وميثاق كل منـافق علـى بغضي ، فلو ضـربتُ وجه المؤمن بـالسيف ما أبغضني ، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبّني .

وروى عبد الكريم بن هـلال ، عن أسلم المكّي ، عن أبي الطفيـل ، قال : سمعت علياً عليه السلام ، وهو يقول : لو ضربتُ خياشيمَ المؤمن بالسيف ما أبغضني ولو نثرت على

المنافق ذهباً وفضة ما أحبّني ؛ إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبّي ، وميثاق المنافقين ببغضي ، فلا يُبغضني مؤمن ، ولا يحبّني منافق أبداً .

قال الشيخ أبو القاسم البلخيّ : وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة ، قالوا : ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب .

[ثم ذكر في المنحرفين كلاًّ من يزيد بن حُجَيّة التيميّ من بني تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل ، وعفاق بن شُهَر جيْل بن أبي رهم التّيميّ وعبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن أوس بن إدريس بن مُعَتِّب الثقفيّ وكان مع معاوية ثم صار إلى عليّ عليه السلام ثم عاد إلى معاوية ، ومنهم القعقاع بن شُور وكان عامله على كَسْكَر ثم هرب إلى معاوية . ومنهم النجاشيّ الشاعر من بني الحارث بن كعب وكان شاعر أهل العراق بصفين . فشرب الخمر بالكوفة فحدّه الإمام فلحق بمعاوية] .

وقال ص ٩٢:

ومن المفارقين لعليّ عليه السلام أخوه عَقِيل بن أبي طالب ؛ قَدِم على أمير المؤمنين بالكوفة يسترفِدُه(١) ، فعرّض عليه عطاءه ، فقال : إنّما أريدُ من بيت المال ، فقال : تقيم إلى يوم الجمعة ، فلمّا صلّى عليه السلام الجمعة ، قال له : ما تقولُ فيمن خان هؤلاء أجمعين ؟ قال بئس الرجل ! قال : فإنك أمرتَني أن أخونهم وأعطيَك ، فلما خرج من عنده شخصَ إلى معاوية ، فأمر له يوم قدومه بمائة ألف درهم ، وقال له : يا أبا يزيد ، أنا خير لك أم عليّ ؟ قال : وجدت عليّاً أنْظرَ لنفسه منهُ لي ، ووجدتك أنظر لي منك لنفسك .

وقال معاوية لعَقِيل : إنّ فيكم يا بني هاشم ليناً ، قال : أجل إنَّ فينا ليناً من غير ضَعْف ، وعِزّاً من غير عُنْف ، وإن لينَكم يا معاوية غَدْر ، وسلمكم كفر . فقال معاوية : ولا كلّ هذا يا أبا يزيد !

وقال الوليد بن عُقْبة لعقِيل في مجلس معاوية : غَلبك أخوك يا أبا يزيد على الثَّرْوة ! قال : نعم ، وسبقني وإياك إلى الجنة ، قال : أما والله إن شِدْقَيه لمضمومان من دم عثمان ، فقال : وما أنتَ وقريش ! والله ما أنتَ فينا إلاّ كنطيح التّيْس . فغضب الوليد وقال : والله لو

---

(١) يسترفده : يطلب عطاءه.

أنّ أهل الأرض اشتركوا في قتله لأُرْهِقوا صَعُوداً[1] ، وإن أخاك لأشدّ هذه الأمة عذاباً ، فقال : صه ! والله إنّا لنرغب بعبدٍ من عبيده عن صُحْبة أبيك عُقْبة ابن أبي مُعَيْط .

وقال معاوية يوماً ـ وعنده عَمْرو بن العاص ، وقد أقبل عَقِيل : لأضحكنّك من عَقِيل ، فلما سلّم قال معاوية : مرحباً برجل عمّه أبو لهب ، فقال عَقِيل : وأهلاً برجل عَمّته : ﴿ حَمَّالَةَ الحَطَبِ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾[2] ؛ لأنَّ امرأة أبي لهب أمّ جميل بنت حرب بن أمية .

قال معاوية : يا أبا يزيد ما ظنّك بعمك أبي لهب ! قال : إذا دخلت النار فَخُذ على يسارك تجده مفترشاً عَمتّك حمالةَ الحطب ؛ أفناكحٌ في النار خيرٌ أم منكوح ! قال : كلاهما شرّ ، والله* .

[ثم ذكر أن حنظلة الكاتب ووائل بن حجر الحضرمي كانا ممن فارقه عليه السلام . كما ذكر ما روى صاحب الغارات من أن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير والعلاء بن زياد وعبد الله بن شقيق كانوا يتواصلون على بُغض عليّ عليه السلام] .

قال : وأكثر مبغضيه عليه السلام أهل البصرة كانوا عثمانيّة ، وكانت في أنفسهم أحقاديوم الجمل ، وكان هو عليه السلام قليل التألّف للناس ، شديداً في دين الله ، لا يبالي مع علمه بالدين ؛ واتباعه الحقّ مَنْ سخط ومَنْ رضِيَ .

قال : وقد روى يونس بن أرقم ، عن يزيد بن أرقم ، عن أبي ناجية ، مولى أم هانىء ، قال : كنت عندَ عليّ عليه السلام ، فأتاه رجل عليه زِيُّ السَّفر . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنِّي أتيتك من بلدةٍ ما رأيت لك بها محبّاً ، قال : منْ أين أتيتَ ؟ قال : من البصرة ، قال : أما إنهم لو يستطيعون أن يحبُّوني لأحبوني ؛ إني وشيعتي في ميثاق الله لا يزاد فينا رجلٌ ولا ينقص إلى يوم القيامة .

وروى أبو غَسّان البصريّ ، قال : بَنَى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ بن أبي طالب والوقيعة فيه : مسجد بني عديّ ، ومسجد بني مجاشع ، ومسجد

---

(١) الصعود : العقبة الشاقة .

(٢) المسد : حبل من ليف .

* وتقول الشيعة بأن عقيلاً لحق بمعاوية بعد مقتل أمير المؤمنين لا في حياته .

كان في العلاّفين على فُرْضَة البصرة ، ومسجد في الأزد .

ومما قيل عنه إنه يبغض علياً عليه السلام ويذمّه ، الحسن بن أبي الحسن البصريّ أبو سعيد ؛ وروى عنه حماد بن سلمة أنه قال : لو كان عليّ يأكل الحَشَف[1] بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه . ورواه عنه أنه كان من المخذّلين عن نصرته .

وروى عنه أنّ علياً عليه السلام رآه وهو يتوضّأ للصلاة ـ وكان ذا وسوسة ـ فصبّ على أعضائه ماء كثيراً ، فقال له : أرَقْتَ ماء كثيراً يا حسن ؛ فقال : ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر ! قال : أو ساءك ذلك ؟ قال : نعم . قال : فلا زلت مسوّأً .

قالوا : فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات .

فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه وينكرونه ويقولون : إنه كان من محبّي عليٍّ ابن أبي طالب عليه السلام والمعظّمين له !

وروى أبو عمر بن عبد البر المحدّث في كتابه المعروف بـ« الاستيعاب في معرفة الصحاب » أنّ إنساناً سأل الحسن عن عليّ عليه السلام ، فقال : كان والله سهماً صائباً من مرامِي الله على عَدُوِّه ، وربانيّ هذه الأمة وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لم يكن بالنُّؤَمة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسَّرُوقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففازَ منه برياض مُونقة ، ذلك عليّ بن أبي طالب يالُكع !

وروى الواقديّ ، قال : سئِل الحسنُ عن عليّ عليه السلام ـ وكان يظنّ به الانحراف عنه ، ولم يكن كما يظنّ ـ فقال : ما أقول فيمنْ جَمَع الخصال الأربع : ائتمانه على براءة ، وما قال لَهُ الرسول في غزاة تَبُوك ، فلو كان غير النبوّة شيء يفوته لاستثناه ، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله : « الثِّقلان كتاب الله وعِتْرتي » ، وإنه لم يؤمَر عليه أمير قطّ وقد أُمِّرت الأمراء على غيرِه .

وروى أبَان بنُ عياش ، قال : سألتُ الحسن البصريّ عن عليّ عليه السلام ، فقال : ما أقولُ فيه ! كانت له السابقة ، والفضْل والعلْم والحكمة والفقه والرأْي والصُّحبة والنَّجْدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة ، إنَّ عليّاً كان في أمرِه عليّاً ، رحم الله عليّاً ، وصلى عليه ! فقلت : يا أبا سعيد ، أتقول : « صلَّى عليه » لغير النبيّ ! فقال : ترحَّمْ على المسلمين إذا ذكروا ، وصلِّ على النبيّ وآله وعلى خير آله . فقلت : أهو خيرٌ مِنْ حمزة وجعفر ؟ قال :

(١) الحشف : اردأ التمر .

نعم . قلت : وخيرٌ من فاطمة وابنيها ؟ قال : نعم ، والله إنه خيرُ آل محمد كلِّهم ، ومَنْ يشُكّ أنه خير منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وأبوهما خير منهما » ! ولم يجرِ عليه اسمُ شرْك ، ولا شرب خمر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : « زوّجتُك خيرَ أمتي » ، فلو كان في أمته خيرٌ منه لاستثناه ، ولقد آخى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، فآخى بين عليّ ونفسه ، فرسول الله صلى الله عليه وآله خيرُ الناس نفساً ، وخيرُهم أخاً . فقلت : يا أبا سعيد ، فما هذا الذي يقال عنك إنَّك قلته في عليّ ؟ فقال : يابن أخي ، أحقِنُ دمي من هؤلاء الجبابرة ، ولولا ذلك لشالَتْ بي الخُشُبُ .

[ثم ذكر في ص ٩٦ أنه كان في الكوفة من يبغضه عليه السلام على الرغم من غلبة التشيع عليها ، وعد منهم مرَّة الهمداني والأسود بن يزيد ومَسْروق بن الأجدع إلاَّ أنه ذكر أن مسروقاً ما مات حتى كان لا يصلي صلاةً إلاَّ وصلَّى بعدها على عليّ لحديث سمعه من عائشة في فضله . وعدّ منهم الشعبيّ وشُريح وأبا وائل شقيق بن سلمة وقيل إنه عاد إلى عليّ مُنيباً بعدما كلم الإمامُ الخوارج إذ كان أبو وائل منهم وعد منهم أبا بُرْدَة بن أبي موسىٰ الأشعري وقال ـ ورث البِغْضة له لا عن كلالة ـ أي عن أبيه أبي موسىٰ الأشعري ، وقد روى عنه حديثاً ينسب الكفر فيه إلى عليّ عليه السلام . . وعدّ أبا عبد الرحمن السُّلَمِيّ القارىء من المنحرفين عنه ، وذلك بسبب يوم قسم الأمير المال في الكوفة فلم يصله شيء منه وعدَّ عبد الله بن عُكَيم وسهم بن طريف وقيس بن أبي حازم الذي كلم عليّاً في حاجة ليكلم له عثمان فأبى فأبغضه . وعدّ من المنحرفين سعيد بن المسيب] .

وقال ص ١٠٢

وكان الزهريّ من المنحرفين عنه عليه السلام .

وروى جرير بن عبد الحميد ، عن محمد بن شيبة ، قال : شهدتُ مسجد المدينة ، فإذا الزهريُّ وعُروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السلام ، فنالا منه ، فبلغ ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام ؛ فجاء حتى وقف عليهما ، فقال : أمّا أنتَ يا عُروة ، فإن أبي حاكم أباك إلى الله ، فحكَم لأبي علي أبيك ؛ وأما أنت يا زهريّ ، فلو كنتَ بمكة لأريتُك كِيرَ أبيك .

وقد روى من طرق كثيرة ، أنَّ عروة بن الزبير كان يقول : لم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه يزهو إلاَّ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد .

وروى عاصم بن أبي عامر البَجَليّ ، عن يحيى بن عروة ، قال : كان أبي إذا ذكرَ علياً نال منه .

وقال لي مرّة : يا بني ، والله ما أحجم الناسُ عنه إلاَّ طلباً للدنيا ، لقد بَعَثَ إليه أسامة بن زيد أن ابعثْ إليّ بعطائي ، فوالله إنَّك لتعلم أنك لو كنتَ في فم أسد لدخلتُ معك فكتب إليه : إنّ هذا المال لمن جَاهد عليه ؛ ولكنّ لي مالاً بالمدينة فأصِبْ منه ما شئت .

قال يحيى : فكنت أعجبُ من وصفه إياه بما وصفه به ، ومن عيبه له وانحرافه عنه .

وكان زيد بن ثابت عُثمانياً شديداً في ذلك ، وكان عمرو بن ثابت عثمانياً ، من أعداء عليّ عليه السلام ومُبغضيه ، وعمرو بن ثابت هو الذي روى عن أبي أيوب الأنصاريّ حديثَ : « ستة أيام من شوّال » .

روى عن عمرو أنه كان يركب ويدور القرّى بالشام ويجمع أهلها ، ويقول : أيّها الناس ، إنَّ علياً كان رجلاً منافقاً ، أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة ، فالعنوه ، فيلعنه أهلُ تلك القرية ؛ ثم يسير إلى القرية الأخرى ، فيأمرهم بمثل ذلك . وكان في أيام معاوية .

وكان مكحولٌ من المبغضين له عليه السلام ، روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحرّ قال : لقيت مكحولاً ؛ فإذا هو مطبوع ـ يعني مملوءاً ـ بغضاً لعليّ عليه السلام ـ فلم أزل به حتّى لان وسكن .

وروى المحدّثون عن حماد بن زيد ، أنه قال : أرى أن أصحاب عليّ أشدُّ حبّاً له من أصحاب العِجْل لعجلهم . وهذا كلام شنيع .

وروى عن شبابة بن سوّار أنه ذكر عنده ولد عليّ عليه السلام ، وطلبهم الخلافة فقال : والله لا يصِلُون إليها أبداً ، والله ما استقامت لعليّ ، ولا فرح بها يوماً ، فكيف تصير إلى ولده ! هيهات هيهات ! لا والله لا يذوقُ طعمَ الخلافة مَنْ رضِيَ بقتل عثمان .

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ : كان أهلُ البصرة كلّهم يُبغضونه، وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة ؛ وأما أهلُ مكة فكلّهم كانوا يُبغضونه قاطبةً ، وكانت قريش كلها على خلافه ، وكان جُمهور الخلق مع بني أميّة عليه .

وفي ص ١٠٤:

وروى أبو عمر النّهديّ ، قال : سمعت عليّ بن الحسين يقول : ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبُّنا .

وروى سفيان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختريّ ، قال : أثنى رجلٌ على

عليّ بن أبي طالب في وجهه ـ وكان يُبغضه ـ فقال عليّ : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك .

وروى أبو غسان النهديّ ، قال : دخل قوم من الشيعة على عليّ عليه السلام في الرّحبَة ، وهو على حَصير خَلَق ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : حبُّك يا أمير المؤمنين ، قال : أما إنه منْ أحبّني،رآني حيث يحبّ أن يراني ، ومن أبغضني رآني حيث يكره أن يراني ، ثم قال : ما عبد اللّهَ أحدٌ قبلي إلاَّ نبيه عليه السلام ؛ ولقد هَجَم أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان ، فقال : أو فعلتموها ! ثم قال لي وأنا غلام : وَيْحَك ، انصر ابنَ عمك ! وَيْحك لا تخذلْه ، وجعل يحثّني على مؤازرته ومكانَفته ، فقال لـه رسول الله صل الله عليه وآله : « أفلا تصلّي أنت معنا يا عمّ ! » فقال : لا أفعل يابن أخي ، لا تعلوني استي*. ثم انصرف .

وروى جعفر بن الأحمر ، عن مسلم الأعور ، عن حبّة العُرَنيّ ، قال : قال عليٌّ عليه السلام : مَنْ أحبّني كان معي ؛ أما إنكَ لو صُمْت الدهر كلَّه ، وقمت الليل كله ، ثم قُتِلت بين الصفا والمروة ـ أو قال بين الرُّكن والمقام ـ لما بعثك الله إلاَّ مع هواك بالغاً ما بلغ ؛ إنْ في جنة ففي جنة ، وإن في نار ففي نار .

وروى جابر الجعفيّ ، عن عليّ عليه السلام أنه قال : مَنْ أحبَّنا أهلَ البيت فليستعدّ عدة للبلاء**.

وروى أبو الأحوص ، عن أبي حيّان عن عليّ عليه السلام : يهلِك فيّ رجلان ، محبّ غالٍ ، ومبغض قالٍ .

وروى حماد بن صالح ، عن أيوب ، عن كهمس ؛ أنَّ علياً عليه السلام قال : يهلِك فيّ ثلاثة : اللاعن والمستمع المقرّ ، وحامل الوِزْر ، وهو الملك المترَف ، الذي يُتَقرّب إليه بلعنتي ، ويُبرأ عنده من ديني ، ويُنتقص عنده حسبي ؛ وإنما حَسَبي حسب رسول الله صلى

---

* لا أدري هنا والله أأضحك من هذا الناقض أم ابكي على حظ أبي طالب !! فبينا هو يحثّ عليّاً على نصرة النبي (ص) ومؤازرته ، إذا به يرفض أن يصلّي لكي لا تعلوه استه وهذا لم يقله أي كافر من كفار قريش العتاة فانظر الى حظ هذا الرجل المؤمن ، بل السابق الى الايمان ، على أن ذلك ليس إلاّ ذخراً له في الآخرة ، فكأن الله تعالى اراد أن يجعل أجر أبي طالب خالصاً في الآخرة دون الدنيا فأمسك عنه حتى الذكر الحسن والحمد لله رب العالمين

** ذلك لأن الموالي لأهل البيت لا يعتقد بأمامة أي حاكم لانه عرف موضع الحكم في آل البيت ، لذا فإنه يعتبر معارضاً منذ اللحظة الأولى لولاية أي حاكم ، والتاريخ شاهد على ذلك .

الله عليه وآله ، وديني دينه . وينجو فيّ ثلاثة : مَنْ أحبني ، ومَنْ أحبَّ محبّي ، ومَنْ عادى عدوي ؛ فمن أُشرِب قلبُه بغِضي أوَ ألّب على بغضي ؛ أو انتقصني ؛ فليعلم أنّ الله عدوه وخصمه والله عدو للكافرين .

وروى محمد بن الصَّلْت ، عن محمد بن الحنفيّة ، قال : مَنْ أحبَّنا نفعه الله بحبّنا ، ولو كان أسيراً بالدَّيْلم .

وروى أبو صادق، عن ربيعة بن ناجد ، عن عليّ عليه السلام ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنّ فيك لَشَبَهاً من عيسى بن مريم ،أحبّته النصارىٰ حتى أنزلته بالمنزلة التي ليست له ، وأبغضته اليهود حتى بهَتَتْ أمّه » .

وفي ص ١٠٦:

ورَوَى صاحب كتاب « الغارات » حديثَ البراءة على غَيْرِ الوجه المذكور في كتاب « نَهْج البلاغة » ، قال : أخبرنا يوسف بن كليب المسعوديّ ،عن يحيى بن سليمان العبديّ ، عن أبي مريم الأنصاريّ ، عن محمد بن عليّ الباقر عليه السلام ، قال : خطب عليّ عليه السلام على مِنْبر الكوفة ، فقال : سيُعرَض عليكم سَبّي ، وستذبحون عليه ؛ فإن عُرِض عليكم سَبّي فسُبّونِي ، وإن عرض عليكم البراءة مني ، فإني على دين محمد صلى الله عليه وسلّم ؟ ولم يقل : « فلا تَبْرَءُوا مني » .

وقال أيضاً : حدّثني أحمد بن مفضل ، قال : حدثني الحسن بن صالح ، عن جعفر بن محمد عليه السلام . قال : قال عليّ عليه السلام : والله لتُذبحنَّ على سَبّي ـ وأشار بيده إلى حَلْقه ـ ثم قال : فإن أمَرُوكم بسبّي فسبُّوني ؛ وإن أمرُوكم أن تبرءوا مني فإنّي على دين محمد صلى الله عليه وآله ولم ينههم عن إظهار البراءة .

وفي ص ١١١:

فصل في معنى قول علي : « فسبّوني فإنه لي زكاة »

في معنى قوله عليه السلام : « فسبّوني ، فإنه لي زكاة ، ولكم نجاة » ، فنقول : إنّه أباح لهم سبَّه عند الإكراه ، لأنّ الله تعالى قد أباح عند الإكراه التلفّظ بكلمة الكفر؛ فقال: ﴿ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ ﴾ ، والتلفّظ بكلمة الكفر أعظم من التلفظ بسبِّ الإمام .

فأما قوله : « فإنه لي زكاة ولكم نجاة » ؛ فمعنـاه أنكم تنجون من القتـل إذا أظهرتم ذلك ، ومعنى الزكاة يحتمل أمرين : أحدهما ما ورد في الأخبار النبويّة أن سبّ المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته .

والثاني : أن يريد به أن سبَّهم لي لا ينقص في الدنيا مِنْ قدري ، بل أزيد به شرفاً وعُلُوَّ قدر ، وشياع ذكر ؛ وهكذا كان ، فإن الله تعالى جعل الأسباب التي حاول أعداؤه بها الغضّ منه عللاً لانتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها .

وقد لمح هذا المعنى أبو نصر بن نُباتة ، فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العَلويّ :

وأبوكَ الوصيّ أوَّلُ من شـا دَ منار الهدى وَصامَ وصَلَّى
نشـرت حبله قـريش فـأعـطتْـهُ إلى صُبْحَـة القيـامـة فَتْـلَا

الجزء ٥ ص ٢٣٣:

قال نصر : وكانت التعبية في هذا اليوم كالتعبية في الذي قَبْله، وحملَ عبيدُ الله بن عمر في قرّاء أهلِ الشام ، ومعه ذو الكَلاع في حِمْير على ربيعة ، وهي في ميسرة عليّ عليه السلام ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فأتى زياد بن خَصَفة إلى عَبْد القيس ، فـقـال لهم : لا بَكْر بن وائلٍ بعد اليوم ! إن ذا الكَلاع وعُبيد الله أبادَا رَبيعة ، فانهضوا لهم وإلاَّ هلكوا . فركبت عبدُ القيس ، وجاءت كأنها غمامة سوداء فشدَّتْ أزْرَ الميسرة ، فعظم القتال ، فقتل ذو الكَلاع الحميريّ ، قتله رجل من بكْر بن وائل ، اسمه خِنْدف ، وتضعضعت أركان حمير ، وثبتت بعد قتل ذي الكَلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر ؛ وأرسل عبيد الله إلى الحسن بن علّي عليه السلام : إنَّ لي إليك حاجاً فالقَني ، فلقيه الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : إنَّ أباك قد وَتَرَ قريشاً أولاً وآخراً ، وقد شنِئه الناسُ ، فهل لك في خَلْعه ، وأنَّ تتولى أنت هذا الأمر ! فقال : كلَّا والله ؛ لا يكون ذلك . ثم قال : يابن الخطاب ، والله لكأني أنظرُ إليك مقتولاً في يومك أو غدك . أما إن الشيطان قد زَيّن لك وخَدَعك ؛ حتى أخرجـك مخلقاً بـالخَلُوق ، تَرى نسـاءُ أهلِ الشام موقفك ، وسيصرَعُك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلاً !

قال نصر : فوالله مـا كـان إلاَّ بياضُ ذلـك اليوم حتّى قُتـل عبيد الله ؛ وهـو في كتيبة رَقْطاء ، وكانت تـدعى الخضريّـة ؛ كانـوا أربعة آلاف ؛ عليهم ثيـاب خُضْر ، فمرّ الحسن عليه السلام ؛ فإذا رجلٌ متوسّد برجل قتيل ؛ قد ركز رمحَه في عينه ، وربط فرسَـه برجله ؛ فقال الحسن عليه السلام لمن معه : انـظُروا مَنْ هذا ؟ فـإذا رجلٌ من هَمْـدان ، وإذا القتيل

عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، قد قتله الهمدانيّ في أوّل الليل ؛ وبات عليه حتى أصبح .

الجزء ١٣ ص ٢١٩:

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ(١) : لولا ما غلبَ على النّاس من الجهل وحبّ التقليد ، لم نحتجّ إلى نقض ما احتجّت به العثمانية ، فقد علم النّاس كافّةً ؛ أنّ الدولة والسلطان لأرباب مقاماتهم ، وعرف كلّ أحدٍ علوّ أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم وارتفاع التقيّة عنهم والكرامة ، والجائزة لمنْ روَى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك ، وما ولّده المحدّثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم ، فكانوا لا يألونَ جَهداً في طول ما ملكوا أن يُخْمِلُوا ذكرَ عليّ عليه السلام وولده ، ويطفئوا نورهم ، ويكتموا فضائلهم ومناقبَهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ؛ فلم يزل السيف يقطُر من دمائهم ، مع قلّة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتيلٍ وأسير ، وشريد وهارب ، ومستخفٍ ذليل ، وخائفٍ مترقّب ، حتى إنّ الفقيه والمحدّث والقاضي والمتكلم ، لَيتقدّم إليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة ، ألا يذكروا شيئاً من فضائلهم ، ولا يرخّصوا لأحدٍ أن يُطيف بهم ، وحتى بلغ من تقيّة المحدّث أنه إذا ذكر حديثاً عن عليّ عليه السلام كَنَى عن ذكره ، فقال : قال رجل من قريش ، وفعل رجل من قريش ، ولا يذكر علياً عليه السلام ، ولا يتفوّه باسمه .

ثم رأينا جميعَ المختلفين قد حاولوا نقضَ فضائله ، ووجّهوا الحِيَل والتأويلات نحوها ، عن خارجيّ مارق ، وناصب حَنِق ، وثابت مستبهم ، وناشيء معاند ، ومنافق مكذّب ، وشانِئٍ حسود ، يعترض فيها ويطعن ، ومعتزلي قد نقض في الكلام ، وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشّبه ومواضع الطّعن وضروب التأويل ، قد التمس الحِيَل في إبطال مناقبه وتأوّل مشهور فضائله ، فمرّة يتأوّلها بما لا يحتمل ، ومرّة يقصد أن يضع مِنْ قدرها بقياسٍ منتقضٍ ، ولا يزداد مع ذلك إلاّ قوّة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة ؛ وقد علمت أنّ معاوية ويزيد ومَنْ كان بعدهما من بني مرْوان أيام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يَدَعوا جهداً في حَمْل الناس على شتمه ولعْنه وإخفاء فضائله ، وستْر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطيّ ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن هلال بن يساف

---

(١) هو محمد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالإسكافي ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٥ : ٤١٦ . وقال عنه : «أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين ، وله تصانيف معروفة . . وبلغني أنه مات في سنة أربعين ومائتين » .

عن عبد الله بن ظالم ، قال : لما بُويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباءَ يلعنون علياً عليه السلام ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل : ألا تروْن إلى هذا الرجل الظّالم يأمر بلعْن رجلٍ من أهل الجنّة !

روى سليمان بن داود ، عن شُعبة ، عن الحرّ بن الصبّاح ، قال : سمعتُ عبد الرحمن بن الأخنس ، يقول : شهدتُ المغيرة بن شُعبة خطب فذكر عليّاً عليه السلام ، فنال منه .

روى أبو كُريب ، قال : حدّثنا أبو أسَامة ، قال : حدّثنا صدقة بن المثنّى النّخعيّ عن رياح بن الحارث ، قال : بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر ، وعنده ناس إذ جاء رجلٌ يقال له : قيس بن علقمة ، فاستقبل المغيرة ، فسبّ علياً عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الأصفهانيّ ، عن شريك ، عن محمّد بن إسحاق ، عن عمرو بن علي بن الحسين ، عن أبيه عليٍّ بن الحسين عليه السلام ، قال : قال لي مَرْوان : ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا مِن صاحبكم . قلت : فما بالكم تسبّونه على المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسّان النّهديّ ، عن ابن أبي سيف ، قال : خطب مَرْوان والحسن عليه السلام جالسٌ فنال من عليٍّ عليه السلام ، فقال الحسن : ويلك يا مروان أهذا الذي تشتم شرّ الناس ! قال : لا ، ولكنّه خيرُ الناس .

وروى أبو غَسّان أيضاً ، قال : قال عمرُ بن عبد العزيز : كان أبي يخطُب فلا يزال مستمرّاً في خطبته ؛ حتى إذا صار إلى ذكر عليّ وسبّه تقطّع لسانه ، واصفرّ وجهَه ، وتغيّرت عليه ، فقلت له في ذلك ، فقال : أو قد فطنتَ لذلك ؟ إنَّ هؤلاء لو يعلمون من عليّ ما يعلمه أبوك ما تبِعنا منهم رجل .

وروى أبو عثمان ، قال : حدّثنا أبو اليقظان ، قال : قام رجلٌ من ولد عثمان إلى هشام بن عبد الملك يوم عَرَفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعنَ أبي تراب .

وروى عمرو بن الفَنّاد ، عن محمد بن فُضَيل ، عن أشعث بن سَوّار ، قال : سبّ عدي بن أرطأة عليّاً عليه السلام على المنبر ، فبكى الحسن البصريّ وقال : لقد سبّ هذا اليوم رجلٌ إنه لأخو رسولِ الله صلّى الله عليه وآله في الدّنيا والآخرة .

وروى عديّ بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسَيْنْ في الجمعة مما يلي أبواب كندْة فخرج المغيرة فخطب ، فحمِد الله ، ثم ذكر ما شاء ان يذكُر ، ثم وقع في عليّ عليه السلام ، فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتي ، ثم قال : أقبلْ عليّ ؛ فحدّثني فإنا لسنا في جمعة ، ألا تسمعما يقول هذا !

وروى عبد الله بن عثمان الثّقفيّ ، قال : حدّثنا ابنُ أبي سيف ، قال: قال ابن لعامر ابن عبد الله بن الزبير لولده: لا تذكر يا بُنَيَّ علياً إلاّ بخير ؛ فإن بني أميّة لعنوه على منابرهم ثمانين سنة ، فلم يزدْه الله بذلك إلاّ رفعة، إن الدنيا لم تبْنِ شيئاً قطّ إلاّ رجعت على ما بَنَتْ فهدمته ، وإن الدّين لم يبْنِ شيئاً قطّ وَهَدَمه .

وروى عثمان بن سعيد ، قال : حدّثنا مطلّب بن زياد ، عن أبي بكر بن عبد الله الأصبهانيّ ، قال : كان دعيّ لبني أمية يقال له خالد بن عبد الله ؛ لا يزال يشتُم علياً عليه السلام ، فلمّا كان يوم جمعة ، وهو يخطب الناس ، قال : والله إن كان رسول الله ليستعمله ، وإنه لَيعلم ما هو ! ولكنّه كان خَتنه ، وقد نعس سعيد بن المسيّب ففتح عينيه ، ثم قال : ويحكم ! ما قال هذا الخبيث ! رأيت القبر انصدَع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدوّ الله !

وروى القَنَّاد(١) ، قال : حدّثنا أسباط بن نصر الهمدانيّ ، عن السّديّ ، قال : بينا أنا بالمدينة عند أحجار الزّيت ، إذ أقبل راكب على بعير ، فوقف فسبّ علياً عليه السلام ، فخفّ به الناس ينظُرون إليه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقّاص ، فقال : اللهمّ إن كان سبَّ عبداً لك صالحاً ، فأرِ المسلمين خزيه ، فما لبث أن نَفَرَ به بعيرُه فسقط فاندقّت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن موسى ، عن فُطْر بن خليفة ، عن أبي عبد الله الجَدليّ ، قال : دخلتُ على أمّ سلمة رحمها الله فقالت لي : أيسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ! قلت : وأنّى يكون هذا ؟ قالت : أليس يسبّ علي عليه السلام ومَنْ يحبّه !

وروى العبّاس بن بَكّار الضّبيّ ، قال : حدّثني أبو بكر الهُذَلي ، عن الزُّهريّ ، قال : قال ابنُ عبّاس لمعاوية ، ألا تكفّ عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى يربوَ عليه

---

(١) القنّاد ، بنون مشددة ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٣٣٠ .

الصغير ويهرَم فيه الكبير . فلمّا وُلِّيَ عمر بن عبد العزيز كفَّ عن شتمه فقال الناس : ترك السنّة .

قال : وقد روى عن ابن مسعود إمّا موقوفاً عليه أو مرفوعاً ؛ كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها النّاس فيتخذونها سنّة ، فإذا غيّر منها شيء قيل : غيّرت السنّة !

قال أبو جعفر : وقد تعلمون أنَّ بعض الملوك ربّما أحدثوا قولاً ، أو ديناً لهوى فيحملون الناس على ذلك ؛ حتى لا يعرفوه غيره ، كنحو ما أخذ النّاس الحجّاجُ بن يوسف بقراءة عثمان ، وترك قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب ، وتوعّد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أميّة وطغاة مَرْوان بولد عليّ عليه السلام وشيعته ، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة ، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهلُ العراق على قراءة عثمان ، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها ، لإمساك الآباء عنها ، وكفّ المعلمين عن تعليمها ؛ حتى لو قرأت عليهم قراءة عبد الله وأبيّ ما عرفوها ، ولظنّوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لإلف العادة وطول الجهالة ؛ لأنه إذا استولَت على الرعيّة الغلَبة ، وطالت عليهم أيام التسلّط ، وشاعت فيهم المخافة ، وشملتهم التقيّة ؛ اتّفقوا على التخاذل والتساكُت ، فلا تزال الأيّام تأخذ من بصائرهم ؛ وتنقص من ضمائرهم ، وتنقض من مرائرهم ، حتى تصير البِدْعة التي أحدثوها غامرة للسنّة التي كانوا يعرفونها ؛ ولقد كان الحجّاج ومَنْ ولاّه ، كعبد الملك والوليد ومَنْ كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أميّة على إخفاء محاسن عليّ عليه السلام وفضائله وفضائل ولده وشيعته ، وإسقاط أقدارهم ، أحرصَ منهم على إسقاط قراءة عبد الله وأُبَيّ ؛ لأنَّ تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم ، وفساد أمرهم ، وانكشاف حالهم ؛ وفي اشتهار فضل عليّ عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارُهم ، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم ؛ فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وحملوا النّاس على كتْمانها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمرُه وأمْر ولده إلاَّ استنارة وإشراقاً ، وحبُّهم إلاَّ شغَفاً وشدة ، وذكرُهم إلاَّ انتشاراً وكثرة ، وحجّتهم إلاَّ وضوحاً وقوّة ، وفضلهم إلاَّ ظهوراً ، وشأنُهم إلاَّ عُلوّاً ، وأقدارهم إلاَّ إعظاماً ، حتى أصبحوا بإهانتهم إيَّاهم أعزّاء ؛ وبإماتتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشرِّ تحول خيراً ، فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه مالم يتقدّمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون ، ولولا أنَّها كانت كالقِبْلة المنصوبة في الشّهرة ،

وكالسُّنن المحفوظة في الكثرة ، لم يصلْ إلينا منها في دهرنا حرف واحـد* ، إذ كان الأمـر كما وصفناه .

الجزء ٢٠ ص ١٠:

إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرّد عليه

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلويّ البَصْري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد ، وعنده جماعة ، وأحدُهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج ، فمرّ ذكر المغيـرة بن شعبة وخاض القـوم ، فذمّـه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسـك عنه آخـرون ؛ فقال بعض فقهاء الشِّيعة ممن كان يشتغل بطرفٍ مِن علم الكلام عـلى رأي الأشعري : الـواجب الكفّ والإمسـاك عن الصّحابـة ، وعمّا شَجـر بينهم ، فقـد قـال أبـو المعـالي الجـويني ، إنَّ رسول الله صلى الله عليـه وآله نَهى عن ذلـك ، وقال: «إياكم وما شَجَر بـين صحابتي » ، وقـال : « دَعُوا لي أصحـابي ، فلو أنفق أحدكم مِثـل أحُـدٍ ذهبـاً لما بَلَغ مُـدَّ أحـدهم ولا نَصِيفَه » ، وقال : « أصحابي كالنّجوم ، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيرُكم القَـرْن الذي أنا فيه ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه » ، وقد ورد في القرآن الثَّناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآلِهِ : وما يُدْريك لعلّ الله اطَّلع على أهل بَدْر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ! وقد رُوي عن الحسن البَصْري أنه ذكر عنده الجمل وصِفِّين فقال : تلك دماءٌ طَهّر اللَّهُ منها أسيافَنا ، فلا نلطّخ بها ألسنتَنا .

ثم إنَّ تلك الأحوال قد غابت عنّا وبعُـدتْ أخبارُهـا على حقـائقها ؛ فـلا يليق بنا أن نخوضَ فيها ؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لَوَجب [أن يُحفَظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن المـروءة] أن يُحفَـظ رسول الله صلى الله عليه وآلـه في عائشـة زوجته ، وفي الزبير ابن عمّته ، وفي طلحة الّذي وَقاه بيَده . ثمَّ ما الذي ألزَمَنا وأوْجَبَ علينا أن نَلعَن أحداً من المسلمين أو نَبرأ منه!وأيّ ثواب في اللّعنة والبراءة!إنَّ الله تعالى لا يقول يومَ القيامة للمكلَّفِ: لِمَ لَم تَلعَن ؟ بل قد يقول له : لِم لعَنْتَ؟ولو أنَّ إنساناً عاش عمرَه كلّه لم يَلعَن إبليسَ لم يكن

---

* بل لو لم يعمل الطغاة على كتم فضائله والتشديد على من يرويها من محبّيه لوصلنا اضعاف اضعاف ما وصلنا ، ولألفنا كثيراً من الأحاديث التي صارت تُعَدُّ غلوّاً لكونها احاديث آحاد أو مرفوعة ، ذلك لأنها كانت ستتواتر وتصبح من الأحاديث المستفيضة . كذلك كان سيزداد ما نعرفه من فرق في الفضل بينه وبين غيره من معاصريـه لأنه كـان سيزداد علوّاً وكانوا سيفقدون الكثير من الفضل المزعوم الموضوع في الأحاديث التي كانت تباع لبني أمية والعباس .

عاصياً ولا آثماً ، وإذا جَعَل الإنسانُ عِوَض اللعنة أستغفر الله كان خيراً لـه . ثم كيف يجوز للعامّة أن تُدخِل أنفسَها في أمور الخاصَّة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمَّة وقادتها ، ونحن اليوم في طبقة سافلةٍ جداً عنهم ،فكيف يَحسُن بنا التعرّض لِذكرهم ! أليس يَقبُح من الرعيّة أن تخوضَ في دقائق أمورِ الملكِ وأحوالـه وشئونـه التي تجري بينـه وبين أهله وبَني عمِّـه ونسائـه وسَراريِّه ! وقد كان رسول الله صلى الله عليـه وآله صِهْـراً لمعاويـة وأختـه أمّ حبيبـة تحتَه ، فالأدب أن تُحفَظ أمُّ حبيبَة وهي أمّ المؤمنين في أخيها .

وكيف يجوز أن يُلعَن مَن جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مَوَدّة ! أليس المفسِّرون كلّهم قالوا : هذه الآية أُنزلت في أبي سُفْيان وآله ، وهي قولُه تعالى : ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُم وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّة** ﴾(١) ! فكان ذلك مُصاهَرة رسول الله صلى الله عليه وآلـه أبا سُفْيان وتزويجه ابنته . على أنَّ جميع ما تَنقُله الشِّيعة من الاختلاف بينهم والمشاجَرة لم يَثْبُت ، وما كان القومُ إلَّا كبَني أمٍّ واحدة ولم يتكدّر باطنُ أحدٍ منهم على صاحبه قطّ ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنتُ منذ أيَّام عَلَّقتُ بخطّي كلاماً وجدتُه لبعض الزَّيْدية في هذا المعنى نَقْضاً ورَدّاً على أبي المعالي الجُوينيّ فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي ، وأنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمّله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه ، فإنِّي أجدُ ألماً يمنَعني من الإطالة في الحديث ؛ لا سيما إذا خرج مَخرج الجَدَل ومُقاومة الخصوم . ثمَّ أخـرَج من بين كتبـه كُرّاسـاً قرأناه في ذلك المجلس واستحسَنه الحاضرون ، وأنا أذكر ها هنا خلاصَته .

قال : لولا أن الله تعالى أوجَب معاداةَ أعدائه ، كما أوجَب مُوالاةَ أوليائه ، وضَيّق على المسلمين ترْكَها إذا دَلّ العقل عليها ، أو صحّ الخبرُ عنها بقـوله سبحـانه : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَـوْ كَانُـوا أباءهم أَوْ أَبْنَـاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾(٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنونَ باللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ما اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء** ﴾(٣) ، وبقوله سبحانـه : ﴿ **لَا تَتَوَلَّـوْا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم** ﴾(٤) ؛

(١) سورة الممتحنة ٧ .

(٢) سورة المجادلة ٢٢ .

(٣) سورة المائدة ٨١ .

(٤) سورة الممتحنة ١٣ .

ولإجماع المسلمين على أنَّ الله تعالى فَرَضَ عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه ، وعلى أنّ : البغض في الله واجب ، والحبَّ في الله واجب ـ لما تعرّضْنا لمعاداة أحدٍ من الناس في الدّين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتُنا للقوم تكلفاً . ولو ظَنَنّا أنَّ الله عزَّ وجلّ يَعذِرنا إذا قلنا : يا رَبِّ غاب أمرُهم عنّا ، فلم يكن لَخوْضنا في أمرٍ قد غاب عنّا معنىً ، لاعتمدنا على هذا العُذْر ، ووالَيْناهم ، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرُهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يَغِب عن قلوبكم وأسماعِكم ؛ قد أتتْكم بـه الأخبارُ الصحيحـة الَّتي بمثِلها ألـزَمْتم أنفسَكم الإقرار بالنبيّ صلَّى الله عليه وآله ومُوالاة مَن صَدّقه ، ومعاداةَ مَن عَصاه وجَحـدَه ، وأُمِرْتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسولُ ، فهلاّ حذِرتم من أن تكـونوا من أهـل هذه الآيـة غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنا سَادَتَنا وَكُبَرَاءنا فَأَضَلُّونا السَّبيلا ﴾[1] !

فأمَّا لفظة اللَّعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجَبَها ، ألا تَرَى إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُم اللاَّعِنُون ﴾[2] ، فهو إخبارٌ معناهُ الأمر ، كقوله : ﴿ وَالمُطَلَّقَاتُ يتربّصن بأنفسهنَ ثلاثَةَ قروء ﴾[3] ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لعن الَّذينَ كفَرُوا مِنْ بَني إسْرائيل على لسـان داود ﴾[4] ، وقولـه : ﴿ إنَّ الَّذينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسولَـه لَعَنهُمُ اللَّهُ في الـدُّنيـا والآخـرة وأَعَدّ لهم عـذَابـاً مُهِينـاً ﴾[5]، وقـولـه : ﴿ مَلْعُـونين أينما ثُقِفـوا أخِـذوا وقُتِّلوا تقتيلاً ﴾[6]، وقال الله تعـالى لإبليس ﴿ وإنَّ عَلَيْكَ لَعْنتي إلى يـوم الدِّين ﴾[7] ، وقـال : ﴿ إنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكفرين وأعدَّ لهم سعيراً ﴾[8] .

فـأما قـولُ من يقول : أيُّ ثـواب في اللّعن ! وإن الله تعالى لا يقـول للمكلّف : لِمَ لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لَعَنْت ؟ وأنه لو جعل مكان لَعَن الله فلاناً ، اللَّهم اغفر لي لكان

(١) سورة الأحزاب ٦٧ .
(٢) سورة البقرة ١٥٩ .
(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .
(٤) سورة المائدة ٧٨.
(٥) سورة الأحزاب ٥٧ .
(٦) سورة الأحزاب ٦١ .
(٧) سورة ص ٧٨.
(٨) سورة الأحزاب ٦٤ .

خيراً له ، ولو أنَّ إنساناً عاش عمره كلَّه لم يَلعَن إبليس لم يُؤاخذ بذلك » ؛ فكلامُ جاهلٍ لا يدري ما يقول ؛ اللَّعن طاعة ، ويُستحقّ عليها الثوابُ إذا فُعلتْ على وجهها ، وهو أن يُلْعَن مستحقُّ اللَّعن لله وفي الله ، لا في العصبيّة والهوى ، ألا تَرَى أنَّ الشرع قد وَرَد بها في نَفْي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج في الخامسة : ﴿ **أنَّ لعنة الله عليهِ إن كان من الكاذبين** ﴾(١) فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عبادهُ بهذه اللفظة وأنه قد تعبّدهم بها ، لما جعلها من معالم الشّرع ، ولما كَرّرها في كثير من كتابه العزيز ، ولما قال في حقّ القاتل : ﴿ **وَغَضِبَ اللَّهُ عليه ولعنه** ﴾(٢) ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلَّا الأمر لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأنَّ الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا مالا يَسُوغ في العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح اللَّهُ إنساناً إلَّا ولنا أن نمدَحه ، ولا يذمّه إلَّا ولنا أن نذمَّه ؛ وقال تعالى : ﴿ **هَلْ أنبِّئكم بشرٍّ من ذلك مَثوبةً عند الله مَن لعنه الله** ﴾(٣) ، وقال : ﴿ **رَبَّنا آتِهم ضِعْفَين من العذاب والعَنْهم لَعناً كبيراً** ﴾(٤) ، وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ **وقالت اليهُود يَدُ اللَّه مَغْلولة غُلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾(٥) ، وكيف يقول القائل : إنَّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القائل أنَّ الله تعالى أمره بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يَسأل عن التولِّي يَسأل عن التَبرِّي ! ألا تَرَى أنَّ اليهوديّ إذا أسلَم يُطالب بأن يقال له : تلفَّظْ بكلمة الشهادتين ، ثم قلْ : برئت من كلِّ دِين يُخالِف دين الإسلام ، فلا بدَّ من البراءة ، لأنَّ بها يتمّ العمل ! ألم يسمع هذا القائلُ قول الشاعر :

تَـوَدُّ عَدُوِّي ثم تـزعُمُ أنني صديقك ، إنَّ الرَّأي عنكَ لعازِبُ

فمودّة العدوّ خروجٌ عن ولاية الوليّ ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلَّا البراءة ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصاتِه بألَّا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نَفْي هذه الواسطة .

---

(١) سورة النور ٧.
(٢) سورة النساء ٩٣.
(٣) سورة المائدة ٦٠.
(٤) سورة الأحزاب ٦٨ .
(٥) سورة المائدة ٦٤.

وأما قولُه : « لو جَعَل عِوضَ اللّعنة أستغفِر الله لكان خيراً له » ، فإنه لو استغفـر من غير أن يَلعَن أو يَعتقِد وجوب اللَّعن لما نَفَعه استغفارُه ولا قُبِـل منه ، لأنـه يكون عـاصياً لله تعالى ، مخالفاً أمره في إمسـاكه عمَّن أوجَب الله تعـالى عليه البـراءة منه ، وإظهـار البراءة ، والمصرّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر ، وأمَّا من يعيش عمره ولا يَلعن إبليسَ ، فإن كان لا يعتقد وجوبَ لَعْنِه فهو كافر ، وإن كان يعتقد وجوبَ لَعْنِه فهو مخطىء ؛ على أنَّ الفرق بينه وبين تَرْك لَعنِه رءوس الضلال في هـذه الأمة كمعـاوية والمغيـرة وأمثـالهما ؛ أن أحـداً من المسلمين لا يُـورِث عنـده الإمسـاك عن لعن إبليس شبهـة في أمـر إبليس ، والإمساك عن لَعْن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عنـد كثير من المسلمـين في أمرهـم ، وتجنُّب مـا يُورِث الشبهـة في الدين واجب ، فلهـذا لم يكن الإمساك عن لَعْن إبليس نـظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء .

قال : ثمَّ يقال للمخالفين : أرأيتم لو قال قائلٌ : قد غاب عنَّـا أمر يـزيد بن معـاوية والحجّـاج بن يوسف ، فليس ينبغي أن نخـوض في قصّتهما ، ولا أن نلعنهـما ونعادِيهـما ونبرأ منهما ؛ هل كان هذا إلاّ كقولكم : قد غاب عنا أمرُ معاويـة والمغيرة بن شُعبـة وأضْرابُهـما ، فليس لخوْضنا في قصّتهم معنىً !

وبعـد ، فكيف أدخلتُم أيها العـامّة ،والحشويّة وأهـل الحديث أنفسكم في أمـر عثمان وخُضْتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم مِن قَتلتِه ، ولعنتموهم ! وكيف لم تَحفَـظوا أبا بكـر الصِّديق في محمد ابنِه فإنَّكم لعنتموه وفسّقتموه ، ولا حفِظتم عائشة أمَّ المؤمنين في أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخِل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلِّب على حقِّه وحقوقهما ! وكيف صار لعنُ ظالم عثمان من السّنـة عندكم ، ولعن ظالم عليٍّ والحسن والحسين تكلّفا ! وكيف أدخلت العامّة أنفسها في أمر عائشة وبَرِئتْ ممَّن نظر إليها، ومِن القائل لها : يا حُمَيْراء ، أو إنما هي حُمَيراء ، ولعَنْته بكشفِه سترَها ، ومنعتْنا نحن عن الحديث في أمر فاطمةَ وما جرى لها بعد وَفاةِ أبيها .

فإن قلتم : إنَّ بيت فاطمة إنما دُخِل ، وسترها إنَّما كُشِف ، حِفْـظاً لنظام الإسـلام ، وكَيْلا ينتشر الأمرُ ويُخرِج قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة[1] الطاعة ولزوم الجماعة .

---

(١) ربقـة الطاعة : عروتها .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنَّما كُشِف ، وهَوْدجها إنَّما هُتِك ، لأنها نشرت[1] حبل الطاعة ، وشَقّت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البَصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحَكيم بن جَبَلة ومَنْ كان معهما من المسلمين الصالحين من القَتل وسَفْك الدماء ما تَنطق به كُتبُ التواريخ والسِّير ؛ فإذا جاز دُخولُ بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كَشْف سِتر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هَتْك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التَّخليد في النار ، والبراءة من فاعله ، ومِن أَوْكَدِ عُرى الإيمان ، وصار كَشْف بيت فاطمة والدّخول عليها منزلها وجَمْع حَطَب ببابها ، وتهدّدها بالتحريق من أَوْكد عُرَى الدّين ، وأثبت دَعائم الإسلام ؛ ومما أعَزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتْنة ؛ والحُرْمتان واحدة ، والسّتران واحد . وما نحبّ أن نقول لكم : إنَّ حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصيانتَها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى ، فإنها بَضعةٌ منه ، وجزءٌ من لحمه ودمِه ، وليست كالزَّوجة الأجنبيَّة التي لا نَسَب بينها وبين الزَّوج ، وإنَّما هي وُصْلة مستعارةٌ ، وعَقْد يجري مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رقَّ الأمَة بالبَيْع والشراء ، ولهذا قال الفَرَضيّون : أسباب التوارُث ثلاثة : سبب ، ونسب ، ووَلاء ؛ فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : وَلاء العِتق ؛ فجعلوا النِّكاح خارجاً عن النّسب ؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرُها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلُّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنها سيِّدة نساء العالمين !

قال : وكيف يَلزمنا اليوم حفظ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في زوجتِه ، وحفظ أمِّ حبيبة في أخيها ، ولم تُلزِم الصحابةُ أنفسها حِفظَ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهلِ بيته ، ولا أُلزمت الصحابةُ أنفسها حفظَ رسول الله صلى الله عليه وآله في صِهْره وابن عمّه ابن عفان ، وقد قتلوهم ولعنوهم ؛ ولقد كان كثيرٌ من الصحابة يَلعَن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نَعْثَلاً ، لعن الله نَعْثَلاً ؛ ومنهم عبد الله بنُ مسعود ؛ وقد لَعَن معاوية عليّ بن أبي طالب وابنَيه حَسَناً وحُسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويَقنتُ عليهم في الصّلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمرُ سعدَ بن عُبادة وهو حيّ ، وبرئا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمرُ خالدَ بنَ الوليد لما قَتل مالك بنَ

---

(١) نشرت حبل الطاعة : أي قطعته .

نُـوَيرة ، ومـا زال اللَّعن فاشيـاً في المسلمين إذا عَـرَفـوا من الإنسـان معصيـةً تقتضي اللَّعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحْفَظ زيدٌ لأجل عمرو فـلا يُلْعَن ، لوجب أن تُحفَظ الصحابةُ في أولادهم ، فـلا يُلعنوا لأجـل آبائهم ، فكـانَ يجب أن يُحفَظ سعدُ بن أبي وقّاص فلا يُلعن ابنهُ عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وَقْعة الحَرّة وقـاتل الحسـين ، ومخيف المسجد الحـرام بمكّة ، وأن يُحفَظ عمـر بن الخطّاب في عبيد الله ابنه قاتل الهُرْمُزان ، والمحارب عليّاً عليه السلام في صِفِّين .

قال : عَلَى أنَّه لو كان الإمساك عن عداوةِ من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسـول الله صلى الله عليـه وآله في أصحـابه ورعـاية عهـدِه وعقدِه لم نُعادِهم ولو ضُرِبتْ رِقابُنا بالسيوف ، ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبّـة الجهّال الـذين يصنع أحـدُهم محبّته لصـاحبه مـوضـع العصبيّـة ، وإنّمـا أوجَـب رسولُ الله صلى الله عليه وآله محبّة أصحابه لطاعتِهم لله ، فإذا عصَوا الله وتَـركوا مـا أوجب محبّتَهم ؛ فليس عنـد رسول الله صـلى الله عليه وآلـه محاباة في تَرك لـزوم ما كـان عليـه من محبّتَهم ، ولا تغطرسٌ في العُدول عن التمسك بموالاتهم ، فلقد كان صلَّى الله عليه وآله يحبّ أن يُعادِيَ أعداءَ الله ولو كانوا عِترتَه ، كما يحبّ أن يواليَ أولياء الله ولو كانوا أبعدَ الخَلْقِ نَسَباً منـه ، والشاهـد على ذلـك إجماع الأمَّـة على أنَّ الله تعـالى قد أوجب عـداوة من ارتـدَّ بعـدَ الإسـلام ، وعداوة من نـافق وإن كان من أصحـاب رسول الله صـلى الله عليه وآلـه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمَرَ بذلك ودعا إليه وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قـطع السارق وضـرب القاذف ، وجَلْد البِكْـر إذا زَنَى ، وإن كان من المهـاجرين أو الأنصار ؛ ألا تَرَى أنه قال : لو سَرَقَتْ فاطمةُ لقطعتُها ؛ فهذه ابنته ، الجاريةُ مجْرَى نفسه ، لم يُحابِها في دين الله ، ولا رَاقَبها في حُدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفْك ، ومنهم مِسطح بن أثاثة ، وكان من أهلِ بَدْر .

قال : وبعد ، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلَّ من لا يعادَى إذا عَصى الله سبحانه ولا يُذكر بالقبيح ، بل يجب أن يُراقَب لأجـل اسم الصُّحبة ، ويغضَى عن عُيوبه وذُنوبه ، لكان كذلك صاحبُ موسى المسطور ثناؤه في القرآن لَمّا اتَّبع هواه ، فانسلخ مّمَّا أُوتي من الآيات وغَوَى ، قال سبحانه : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتيناهُ آياتِنا فـانسَلَخَ منها**

﴿فـأتْبَعهُ الشَّيـطانُ فكانَ مِنَ الغَـاوِينَ﴾[1] ؛ ولكان ينبغي أن يكـون محلّ عَبَـدة العِجْل من أصحـاب موسى هـذا المحـلّ ، لأنَّ هؤلاء كلّهم قـد صحبـوا رسـولاً جليـلاً من رُسُـل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصّحابة عند أنفسِها بهذه المنزلة ؛ لعلمتْ ذلك من حالِ أنفسِها ، لأنَّهم أعرَف بمحلّهم من عوامّ أهل دهرنا ، وإذا قدّرتَ أفعالَ بعضِهم ببعض دلّتْكَ على أنَّ القِصّة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوبِ النّاس اليوم ؛ هذا عليّ وعمّار ، وأبو الهَيْثم بن التَّيِّهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميعُ من كان مع عليّ عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يَرَوْا أن يتغافَلوا عن طَلْحة والزّبير حتّى فعلوا بهما وبمن مَعَهما ما يُفعَل بالشُّـراة في عصرنـا ، وهذا طلحة والزُّبير وعائشة ومُن كان معهم وفي جانبهم لم يَـرَوا أن يُمسكوا عن علـيّ ؛ حتّى قَصَدوا له كما يُقصَد للمتغلّبين في زماننا ، وهذا معاوية وعَمْرو لم يَرَيا عليّاً بالعين الَّتي يَرَى بها العامّي صديقَه أو جارَه ، ولم يُقصِّرا دونَ ضَرْب وجهه بالسّيف ولعنِـه ولعنِ أولاده وكلَّ من كان حيّاً من أهله ، وقتلِ أصحابه ، وقد لعنَهما هو أيضاً في الصَّلوات المفروضـات ، ولعَن معهما أبا الأعور السُّلَميّ ، وأبا موسى الأشعريّ ، وكلاهما من الصَّحابة ، وهذا سعدُ بن أبي وَقَّـاص ، ومحمّد بن مَسلَمـة ، وأسـامـة بن زيـد ، وسعيـد بن زيـد بن عمـرو بن نُفَيـل ، وعبد الله بن عَمر ، وحسّان بن ثابت ، وأَنَس بن مالك ، لم يَـرَوا أن يقلِّدوا عليّاً في حـرب طلحَـة ، ولا طلحةَ في حَـرْب عليّ ، وطلحـة والزّبـير بـإجمـاع المسلمـين أفضـل من هؤلاء المعدُودِين ، لأنَّهم زعموا أنَّهم قد خافوا أن يكون عِليٌّ قد غَلَط وزَلّ في حَرْبهما ، وخافوا أن يكونا قد غَلَطا وزَلّا في حرب عليّ ؛ وهذا عثمانُ قد نَفَى أبا ذَرّ إلى الرَّبَذة كما يُفعل بأهلِ الخَنا والرِّيَب ، وهذا عمَّار وابنُ مسعود تلقّيَا عثمانَ بما تَلقّياه به لمَّا ظهـر لهما ـ بِزَعْمـهـما ـ منـه ما وَعَظاه لأجله ، ثمَّ فعل بهما عثمان ما تَناهَى إليكم ، ثم فَعَل القومُ بعثمانَ ما قد علمتم وعَلِم الناس كلُّهم ، وهذا عمر يقول في قصّة الزُّبير بن العوّام لما استأذَنَه في الغَزْو : ها إنِّي ممسِكٌ بباب هذا الشِّعب أن يتفرَّق أصحابُ محمّد في الناس فيضلّوهم ، وزعم أنه وأبو بكـر كانـا يقولان : إنَّ عليّاً والعبّاس في قصَّة الميراث زَعَماهما كاذِبَيْن ظالِمَيْن فاجـرَيْن ؛ وما رأينـا عليّاً والعبّاس اعتَذَرا ولا تَنَصّلا ، ولا نَقَل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك ، ولا رأيْنـا أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وآلِه أنكرُوا عليهما ما حكاه عمرُ عنهما ، ونسبَه إليهما ، ولا أنكـروا أيضاً على عمرَ قوله في أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وآله : إنَّهم يريدون إضلالَ النَّاس

---

(١) سورة الأعراف ١٧٥ .

ويَهمون به ، ولا أُنكَروا على عثمانَ دَوْسَ بطن عمَّار ، ولا كَسْرَ ضِلَع ابنِ مسعود ، ولا عليّ عمّار وابن مسعود ما تلقّيا به عثمان ، كإنكار العامّة اليومَ الخوض في حديث الصحابة ، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسهـا ما يعتقده العامّة فيها ؛ اللهمَّ إلاَّ أن يَزْعمـوا أنَّهم أعرَف بحقّ القوم منهم . وهذا عليٌّ وفاطمة والعبّاس ما زالوا على كلمةٍ واحدة يكذِّبون الرواية : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث » ، ويقولون ؛ إنَّها مختَلَقة .

قالوا : وكيف كان النّبي صلَّى الله عليه وآله يُعرِّف هذا الحكَم غيرَنا ويكتُمه عنَّا ونحن الوَرَثة ؛ ونحن أولَى الناس بأن يُؤَدِّيَ هذا الحكم إليه ، وهذا عمرُ بن الخطّاب يَشهَد لأهل الشّورى أنَّهم النَّفَر الـذين تُوفِّي رسولُ الله صـلَّى الله عليه وآلـه وهو عنهم راضٍ ، ثمَّ يـأمر بضَرْب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامـة ، هذا بعـد أن ثَلَبهم ، وقال في حقّهم مـا لو سَمِعْته العامَّة اليومَ من قائل لوضعتْ ثوبَـه في عنقِه سَحْبـاً إلى السلطان ، ثمَّ شهِدْت عليـه بالرَّفْض واستحلّت دَمه ، فإن كان الطّعن على بعض الصَّحابة رفضاً فعُمر بن الخطَّاب أرفَض الناس وإمام الرّوافض كلّهم . ثمَّ ما شاع واشتَهر من قول عمَر : كانت بَيعةُ أبي بكر فَلْتة ، وَقى الله شَـرّها ؛ فمن عـاد إلى مثلهـا فـاقتلوه ؛ وهـذا طعنٌ في العَقْـد ، وقَـدْح في البَيْعـة الأصليّة .

ثم ما نقل عنه مِن ذكر أبي بكر في صَلاته ، وقوله عن عبد الرحمن ابنه : دُوَيّبة سوء ولهوَ خـيرٌ من أبيه . ثم عمـر القائـل في سعد بن عُبـادة ، وهو رئيس الأنصـار وسيّدُهـا : اقتلوا سعداً ، قَتَل الله سَعْداً ، اقتُلوه فإنَّه منافق . وقد شَتَم أبا هـريرة وطَعَن في روايتـه ، وشَتَم خالدَ بنَ الـوليد وطَعَن في دِينـه ، وحَكَم بفِسْقه وبـوُجوب قتله ، وخَـوّن عمرو بن العـاص ومعاويةَ بنَ أبي سُفْيان ونسبهما إلى سرقةِ مال الفَيْء واقتطاعه ، وكان سريعاً إلى المساءة ، كثيرَ الجَبْه والشَّتْم والسّبِّ لكلّ أحد ، وقلَّ أن يكون في الصّحابةِ من سَلِم من معرَّة لسانه أو يدِه ، ولذلك أبغَضوه وملُّوا أيّامه مع كثرة الفُتوح فيها ، فهلاَّ احتـرم عمرُ الصَّحـابة كـما تحترمهم العامّة ! إمَّا أن يكون عمر مخطئاً ، وإمَّا أن تكون العامّة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ما شَتَم ولا ضَرَب ، ولا أساء إلاَّ إلى عاصٍ مستحقّ لذلك ، قيـل لهم : فكأنَّا نحن نقول : إنَّا نريد أن نبرأ ونعاديَ من لا يستحقّ البراءة والمعاداة ! كلاَّ ما قلنا هذا ، ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

وإنَّما غرضنا الَّذي إليه نجري بكلامنا هذا أنَّ نوضّح أنَّ الصّحابة قومٌ من النَّاس لهم ما

للناس ، وعليهم ما عليهم ، مَن أساء منهم ذَمَمْناه ، ومن أحسَنَ منهم حَمِدناه ، وليس لهم على غيرِهم من المسلمين كبيرُ فَضْلٍ إلاَّ بمشاهدة الرسول ومعاصرتِه لا غير ، بل ربَّما كانت ذنوبُهم أفحَش من ذنـوب غيرهم ، لأنهم شـاهَدوا الأعـلامَ والمعجـزات ، فقـرُبت اعتقـاداتُهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهدْ ذلك ، فكانت عقائدُنا محْض النَّـظر والفكر ، وبعـرضيَّة الشُّبَـه والشّكوك ، فمعاصِينا أخفّ لأنَّا أعذَرُ .

ثم نعود إلى ما كنَّا فيه فنقول : وهذه عائشة أمُّ المؤمنين ؛ خرجت بقميص رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قَميص رسول الله لم يَبْلَ ، وعثمانُ قد أبلَى سنّته ؛ ثم تقول : اقتلوا نَعْثلاً ، قَتَل الله نَعْثَلاً ، ثم لم ترض بذلك حتىَّ قالت : أشهد أنَّ عثمانَ جيفةٌ على الصّراط غداً . فمن الناس من يقول : رَوَتْ في ذلك خبراً ، ومن النَّاس من يقول : هو موقوفٌ عليها ؛ وبدون هذا لو قاله إنسـان اليوم يكـون عند العـامَّا زِنْـدِيقاً . ثمَّ قـد حصر عثمان ؛ حصرتْه أعيانُ الصحابة ، فما كان أحدٌ يُنْكِر ذلك ، ولا يُعظِمه ولا يَسعَى في إزالته ، وإنَّما أَنكَروا على من أنكر عـلى المحاصِـرين له ، وهـو رجلٌ كـما علمتم من وجوهِ أصحـاب رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ثمَّ من أشرافهم ، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمامُ المسلمين ، والمختارُ منهم للخلافة ، وللإمام حقّ على رعيّته عظيم ، فإن كـان القومُ قد أصابوا فإذَنْ ليست الصحابةَ في الموضع الَّذي وضعتْهـا به العـامّة ، وإن كـانوا مـا أصابوا فهذا هو الَّذي نقول ؛ من أنَّ الخطأ جائزٌ على آحاد الصَّحابة ؛ كما يجوز على آحـادِنا اليَوم . ولَسْنا نَقدَح في الإجماع ، ولا ندعى إجماعاً حقيقياً على قَتْل عثمان ، وإنما نقول : إنَّ كثيـراً من المسلمين فَعَلوا ذلـك والخَصْم يسلِّم أنَّ ذلك كـان خطأ ومعصيـةً ، فقـد سَلَّم أنَّ الصحابيّ يجوز أن يُخطىءَ ويَعصي ، وهو المطلوب .

وهذا المُغيرة بن شُعْبة وهو من الصحابة ، ادُّعِي عليه الزنا ، وشهد عليه قومٌ بذلك ، فلم يُنكر ذلك عمر ، ولا قال : هذا محال وباطل لأنَّ هذا صحابيٌّ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه الزنا . وهلاَّ أنكر عمرُ على الشهود وقال لهم : ويحَكم هلاَّ تغافلتم عنـه لمَّا رأيتمـوه يَفعَل ذلـك ، فإنَّ الله تعـالى قـد أَوجَب الإمسـاكَ عنْ مسـاوىء أصحـاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله ، وأوْجَب السترَ عليهم ! وهلاَّ تركتموه لـرسول الله صـلى الله عليه وآله في قوله : « دَعُوا لي أصحابي » ! ما رأيْنا عمـر إلاَّ قد انتَصَب لسمـاع الدّعـوى ، وإقامة الشَّهادة ، وأَقبَل يقول للمغيرة : يا مغيرة ، ذهب رُبْعك ، يا مغيرة ، ذَهَب نصفُك ، يا مغيرة ، ذَهَب ثلاثة أرباعك ، حتى اضطرب الرَّابـِع ، فجُلِدَ الثلاثـة . وهلاَّ قـال المغيرة

لعَمر : كيف تسمع فيّ قول هؤلاء ، ولَيْسوا من الصَّحابة ، وأنا من الصحابة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد قال : « أصحابي كالنَّجوم ، بأيِّهم اقتدَيتم اهتـديتم » ! ما رأينـاه قال ذلك ، بل استسلَم لحُكم الله تعالى . وها هنا مَن هو أمثَل من المغيرة وأفضَـل ، قدامـة بن مَظْعون ، لما شَرب الخمر في أيّام عُمَر ، فأقام عليه الحدّ ، وهو رجلٌ من عِلْية الصحابة ومِن أهل بَدْر ، والمشهود لهم بالجنّة ، فلم يردَّ عمُر الشهادة ، ولا دَرَأ عنه الحدَّ لعلّةِ أنه بَدْرِي ، ولا قال : قَد نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن ذِكر مَساوِىء الصَّحابة . وقد ضرب عمُر أيضاً ابْنَه حدّاً فمات ، وكان ممّن عاصَر رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله ولم تَمنَعه معاصَرَته له من إقامة الحدّ عليه .

وهذا عليٌّ عليه السلام يقول : ما حدَّثني أحدٌ بحديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلاَّ استحلَفْتُه عليه ، أليس هذا اتِّهاماً لهم بالكَذب ! وما استثنَى أحداً من المسلمين إلاَّ أبا بكر على ما وَرَد في الخبر ، وقد صرَّح غيرَ مرّة بتكذيب أبي هريرة ، وقال : لا أحد أكذَب من هذا الدَّوْسي على رسول الله صلَّى الله عليه وآله . وقال أبو بكر في مرضِه الَّـذي مات فيـه : وَدِدْتُ أنِّي لم أَكْشِفْ بيتَ فاطمة ولو كان أغلِق عـلى حرب ، فنـدم والنّدم لا يكـون إلاَّ عن ذَنْب .

ثم ينبغي للعاقل أن يفكّر في تأخّر عليّ عليه السلام عن بَيْعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمةُ ، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن البَيْعة وحضور المسجد ، ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة : فلمّا استخلفتُ عليكم خيرَكم في نفسي ـ يعني عُمَر ـ فكلُّكم وَرِمَ لذلك أنفُه يريد أن يكون الأمر له ، لَّما رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتَتخذُنّ ستائرَ الدِّيباج ونَضائد الحرير[1] . أليس هذا طَعْناً في الصحابة ، وتصريحاً بأنه قد نسبَهم إلى الحسد لعمَر ، لما نصَّ عليه بالعهد ! ولقد قال له طلحة لَّما ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده ، وقد ولَّيتَ عليهم فظّاً غليظاً ! فقال أبو بكر : أجلسوني أجلسوني ، بالله تخوِّفني ! إذا سألني قلتُ : ولّيت عليهم خيرَ أهلك ، ثم شتمه بكلام كثير منقول ، فهل قول طلحة إلاَّ طعنٌ في عمرَ ، وهل قول أبي بكر إلاَّ طعنٌ في طلحة !

ثم الذي كان بين أُبيّ بن كعب وعبدِ الله بن مسعود من السِّباب حتى نفى كـلَّ واحد

---

(١)) الكامل للمبرد ١ : ٧.

منها الآخر عن أبيه وكلمةُ أبيّ بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هـذه الأمّة مكبُـوبةً عـلى وجهها منذ فقدوا نبيَّهم ، وقوله : ألا هلك أهلُ العقيدة ، والله ما آسَى عَليهم إنّما آسَى على من يضلّون من الناس .

ثم قـولُ عبد الـرحمن بن عوف : مـا كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمـان : يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما ولَّيت عثمان شِسْع نعلي[1] ؛ وقوله : اللهم إن عثمان قد أبَى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعليّ عليه السلام في كلامٍ دارَ بينهما : أبو بكـر وعمرُ خـيرٌ منك ؛ فقـال عليّ : كذبت ، أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبَدْته بعدَهما .

وروى سُفيـانُ بن عُيَينة عن عمـرو بن دينار ، قـال : كنت عند عـروةَ بن الـزبـير ، فتذاكَرْنا كم أقام النبيُّ بمكّة بعد الوَحْي ؟ فقال عروة : أقام عشراً ، فقلت : كان ابنُ عبّاس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عباس . وقال ابنُ عباس : المُتْعة[2] حَلالٌ ؛ فقال له جُبَير بنُ مُطعِم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عُدَيّ نفسه ، مِنْ ها هنا ضللتم ، أُحدِّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحدّثني عن عمر !

وجاء في الخبر عن عليّ عليه السلام ، لولا ما فَعَل عمرُ بنُ الخطّاب في المُتْعة ما زَنَى إلاّ شقيّ ؛ وقيل : ما زَنَى إلاّ شفا ، أي قليلاً .

فـأمّا سبّ بعضهم بعضـاً وقَدْح بعضهم في بعض في المسـائل الفقهيّـة فـأكـثر من أن يُحصَى ، مِثلُ قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه القوْل في الفرائض : إن شاء ـ أو قال : من شاء ـ باهَلْته[3] إن الذي أحصى رَمْل عالـج[4] عدَداً أعـدَل من أن يجعل في مـال نِصْفاً ونصفاً وثلثاً ، هذان النِّصفان قد ذَهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

ومِثل قول أبيّ بن كعب في القرآن : لقد قـرأتُ القرآن وزَيْـدٌ هـذا غـلام ذو ذُؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب .

وقال عليٌّ عليه السّلام في أمّهات الأولاد وهو على المِنبر كان رأيي ورأي عمر ألاّ يُبَعنَ ،

---

(١) الشسع : قبال النعل .

(٢) نكاح المتعة ؛ هو أن يتزوج الرجل المرأة يستمتع بها أياماً ، ثم يتركها .

(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا : تلاعنوا .

(٤) عالج : موضع به رمل ، معروف .

وأنا أرى الآن بَيعهنّ ، فقام إليه عبيدة السَّلماني ، فقال : رأيُك في الجماعـة أحبُّ إلينا من رأيك في الفُرْقة .

وكان أبو بكر يرى التّسوية في قَسْم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .

وأنكرتْ عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في علّة المتوفّى عنها زوجُها وهي حامل ؛ وقالت : فَرّوُج يصقع[1] مع الدِّيَكة .

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصّرف ، وسفّهوا رأيه حتى قيل : إنه تابَ من ذلك عند موته .

واختلفوا في حدِّ شارب الخمر حتى خطّأ بعضهم بعضاً .

وروَى بعض الصَّحابة عن النّبي صلَّى الله عليه وآله أنه قال: الشؤم في ثلاثـة : المرأة والدّار ، والفَرَس ، فأنكرتْ عائشة ذلك ، وكذّبت الراوي وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكايةً عن غيره .

وروَى بعض الصَّحابة عنه عليه السلام أنه قـال : التاجـرُ فاجـرٌ ، فأنكـرتْ عائشـةُ ذلك ، وكذّبت الراوي وقالت : إنما قاله عليه السلام في تاجر دلّس .

وأنكر قومٌ من الأنصار روايةَ أبي بَكر : « الأئمة من قريش » ، ونَسَبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

وكان أبو بكر يقضِي بالقضاء فَينقضه عليه أصاغِرُ الصَّحابة كبِلال وصُهَيب ونحوهما . قد رُوِيَ ذلك في عِدّة قضايا .

وقيل لابن عـبّاس : إنَّ عبدَ الله بن الزبير يَزعم أنَّ موسى صاحبَ الخَضِر ليس مُوسَى بني إسرائيل ؛ فقال : كذَب عدوُّ الله ! أخبَرَني أبيّ بنُ كعب ، قال : خَطَبَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وذَكَرَ كذا ؛ بكلامٍ يدلُّ على أنَّ موسى صاحبَ الخَضِر هو موسى بني إسرائيل .

وبـاع معاويـةُ أوانيَ ذَهَب وفِضّة بـأكثرَ من وزنها ، فقـال لـه أبـو الـدّرداء : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله يَنهَى عن ذلك ، فقال معاوية : أمّا أنا فلا أَرَى به بأساً ؛ فقال أبو الدّرداء : مَن عَذِيري من معاوية ! أُخبِره عن الرّسول صلى الله عليه وسلَّم ، وهو يُخبِرني عن رأيه ! والله لا أساكنُك بأرضٍ أبداً .

---

(١) صقع الديك صقعاً : صاح .

وطعَنَ ابنُ عبَّاس في أبي هريرة ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله : « إذا استيقظ أحدُكم من نَوْمه فلا يُدخِلنَّ يدَه في الإناء حتّى يتوضْأ » ، وقال : فما نَصْنَع بالمِهْراس[1] !

وقال عليّ عليه السلام لعُمَر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمَعوا عليها : إن كانوا راقَبوك فقد غَشّوك ، وإن كان هذا جهدُ رأيهم فقد أخطَئوا .

وقال ابن عبّاس : ألا يتّقي الله زيدُ بن ثابت ، يجعل ابن الابن ابناً ، ولا يجعل أب الأب أباً !

وقالت عائشة : أخبروا زيدَ بنَ أرقمَ أنه قد أُحبَط جهادَه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأنكرَت الصحابة على أبي موسى قوله : إنَّ النوم لا يَنقض الوضوء ، ونسبته إلى الغَفْلة وقلَّة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : إن أكْلَ البَرَد لا يُفطِّر الصائم ، وهَزِئَتْ به ونَسبته إلى الجهل .

وسمع عمرُ عبدَ اللّهِ بنَ مسعود وأبيّ بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثّوب الواحد ، فصَعِد المنبر وقال : إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فعَن أيّ فُتْياكم يصدر المسلمون ! لا أَسمَع رجلين يختلفان بعد مُقامي هذا إلاّ فعلتُ وصَنعتُ .

وقال جرير بنُ كُلَيب : رأيتُ عمَر يَنهى عن المُتعة ، وعليّ عليه السلام يَأمرُ بها ، فقلت : إنَّ بينكما لشرّاً ، فقال عليّ عليه السلام : ليس بيننا إلاّ الخير ، ولكن خيرُنا أتبَعُنا لهذا الدِّين .

قال هذا المتكلّم : وكيف يصحُّ أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « أصحابي كالنّجوم بأيِّهم اقتدَيتم اهتَديْتم » ؛ لا شبهةَ أنَّ هذا يُوجب أن يكون أهلُ الشام في صفِّين على هُدى ، وأن يكون أهلُ العراق أيضاً على هُدىً ؛ وأن يكون قاتل عمَّار بن ياسر مهتدياً ؛ وقد صَحَّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له : «تقتُلك الفئة الباغية» ، وقال في القرآن : ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ ؛ فدلَّ على أنَّها ما دامت موصوفة بالمقام على البَغْي ، مُفارِقة لأمر الله ، ومَن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً .

---

(١) المهراس : إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه

وكان يجب أن يكون بُسْر بن أبي أرطاة الّذي ذَبح ولَديْ عُبيد الله بن عبّاس الصغيرين مُهتدياً ، لأنَّ بُسْراً من الصحابة أيضاً ، وكان يجب أن يكون عَمرو بنُ العاص ومعاوية اللَّذان كانَا يلعَنان عليّاً أدبارَ الصلاة وولديه مهتديين ؛ وقد كان في الصحابة من يـزني ومن يشرب الخمرَ كأبي مِحْجن الثَّقفي ، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة بن خُوَيلد ، فيجبَ أن يكون كلّ مَن اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً .

قال : وإنّما هذا من موضوعـاتِ متعصِّبـةِ الأمويّـة ، فإن لهم مَن يَنصـرهـم بلسانـه ، وبوَضْعِهِ الأحاديث إذا عَجَز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القولُ في الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرْن الذي أنا فيـه » ، وممَّا يـدلّ على بطلانِه أنَّ القَرْن الذي جاء بعده بخمسين سنةً شرُّ قرون الدّنيا ، وهو أحد القُرُون الَّتي ذَكَرها في النّص ، وكان ذلك القَرْن هو القَرْن الَّذي قُتِل فيه الحُسين ، وأُوقع بالمدينة ، وحُوصرتْ مَكّـة ، ونُقِضت الكَعْبة ، وشَـرِبت خلفاؤه والقـائمُون مَقَـامه والمنتصِبـون في مَنصِب النّبـوّة الخمور ، وارتَكَبوا الفُجُور ، كما جرى ليزيدَ بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوَليد بن يـزيد ، وأُريقت الـدِّماء الحـرام ، وقُتِـل المسلمـون ، وسُبيَ الحـريم ، واستُعبِـد أبنـاء المهـاجـرين والأنصار ، ونُقِش على أيديهم كما يُنقَش على أيدي الرُّوم ، وذلك في خلافةِ عـبدِ الملك وإمرةِ الحجّاج . وإذا تأمّلتَ كتبَ التواريخ وجدت الخمسين الثانيةَ شرّاً كلَّها لا خيرَ فيها ، ولا في رؤسائها وأمرائها ، والناسُ برؤسائهم وأمرائهم ، والقرن خمْسون سنـةً ، فكيف يصحّ هـذا الخبر .

قال : فأمَّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) . وقوله : ﴿ محمّدٌ رسولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾(٢) .

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله : إنَّ الله اطَّلع على أهلِ بَدْر ؛ إن كان الخبرُ صحيحاً فكلّه مشروط بسلامةِ العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلّفاً غـير معصوم بـأنَّه لا عقـاب عليه ، فليفعل ما شاء .

قال هذا المتكلّم : ومَن أَنصف وتأمّل أحوالَ الصَّحابة وجَدَهم مِثلنا ، يجوز عليهم ما يجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلاَّ بالصّحبة لا غير، فإنَّ لها منزلةً وشرَفاً . ولكن لا إلى حدٍّ

---

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

يمتنع على كلّ من رأى الرسولَ أو صحبَه يوماً أو شهراً أو أكثرَ من ذلك أن يخطىء ويَزِلّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشةُ إلى نزول براءتها من السَّماء ، بل كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أوَّل يوم يعلم كذِب أهل الإفك ، لأنَّها زوجته ، وصُحبتُها له آكَدُ من صُحبة غيرها . وصَفْوان بن المعطّل أيضاً كان من الصَّحابة ، فكان ينبغي ألاَّ يَضيق صدرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ولا يَحمِل ذلك الهمّ والغمّ الشديدَين اللَّذَين حَملهما ويقول : صَفْوان من الصَّحابة ، وعائشة من الصَّحابة ، والمعصيةُ عليهما ممتنعة .

وأمثالُ هذا كثير ، وأكثر من الكثير ؛ لمن أراد أن يَستقرىءَ أحوالَ القوم ، وقد كان التابعونَ يَسلُكون بالصحابة هذا الْمسلَك ، ويقولون في العُصاة منهم مِثلَ هذا القول ، وإنما اتخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومَن الَّذي يجترىء على القول بأنّ أصحابَ محمّد لا تجوز البراءةُ من أحدٍ منهم وإن أساءَ وعَصى بعدَ قول الله تعالى للذي شرَّفوا برؤيته : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(١) وبعد قوله : ﴿ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصيتُ ربِّي عذابَ يوم عظيم ﴾(٢) وبعد قوله : ﴿ فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بالحقّ وَلا تتَّبع الهَوىٰ فَيُضِلَّك عَنْ سبيل الله إنَّ الَّذِين يَضِلُّونَ عنْ سَبِيلِ اللَّهِ لهمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(٣) ، إلاَّ من لا فهمَ له ولا نظرَ معه ، ولا تمييزَ عنده .

قال : ومَنْ أَحَبّ أن ينظر إلى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض وردِّ بعضهم على بعض ، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فلينظرْ في كتاب النَّظَّام ، قال الجاحظ : كان النَّظَّام أشدَّ الناس إنكاراً على الرافضة ، لطعنهم على الصحابة ، حتى إذا ذَكَر الفتيا وتنقُّل الصحابةِ فيها ، وقضاياهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأي في دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غَلطُ أبي حنيفة في الأحكام عظيم ، لأنه أضل خَلْقاً

(١) سورة الزمر ٦٥.
(٢) سورة يونس ١٥ .
(٣) سورة ص ٢٦ .

وغلطُ حمّاد[1] أعظمُ من غَلط أبي حنيفة ، لأنَّ حماداً أصلُ أبي حنيفة الذي منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظَم من غَلط حمّاد ، لأنه أصل حماد وغلطَ علقمة[2] والأسود[3] أعْظم من غلط إبـراهيم ؛ لأنهما أصله الذي عليـه اعتمد ، وغلط ابن مسعـود أعـظَمُ مِن غلط هؤلاء جميعاً ، لأنه أول من بَدَر إلى وَضْع الأدْيان برأيه ، وهو الذي قال : أقول فيها بـرأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني .

قال : واستأذن أصحابُ الحديث على ثمامة[4] بخُراسـان حيث كان مـع الرَّشيـدِ بن المهديّ ، فسألوه كتابه الذي صنفه على أبي حنيفة في اجتهادِ الرأي ، فقال : لستُ عـلى أبي حنيفة كتبتُ ذلك الكتاب ، وإنما كتبته على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال : صاحبُ الذؤابة يقول في دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنَّ أبا هريرة ليس بثقة في الـرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن عليٌّ عليه السلام يوثقه في الرّواية ، بـل يتهمه ، ويقدح فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

وكان الجاحظ يفسِّق عمرَ بن عبد العزيز ويستهزىء به ويكفِّره ، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثرُ العامة يَرَى له من الفَضْل ما يراه لواحدٍ من الصَّحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حُكْماً جَزْماً أنَّ كل واحد من الصحابة عَدْل ، ومن جملة الصحابة الحكم بنُ أبي العاص ! وكفاك به عدوّاً مُبغضاً لرسول الله صلَّى الله عليه وآله ! ومن الصحابة الوليدُ بن عُقْبة الفاسقُ بنصِّ الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلَمة الذي فَعَل ما فعل بالمسلمين في دَوْلة معاوية ، وبُسْر بن أبي أرطاة عدوّ الله وعدوّ رسوله ، وفي الصحابة كثيرٌ من المنافقين لا يَعرِفهم الناس . وقال كثيرٌ من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يُعرِّفه الله سبحانه كلَّ المنافقين بأعيانهم ، وإنما كان يعرف قوماً منهم ، ولم يُعلم بهم أحداً إلاَّ حذيفة فيما

---

(١) حماد هو حماد بن أبي سليمان .

(٢) علقمة بن قيس .

(٣) الأسود بن يزيد .

(٤) ثمامة بن أشرس .

زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حُكماً جَزْماً أن كلَّ واحد ممّن صَحِب رسول الله أو رآه أو عاصَرَه عَدْل مأمون ، لا يقع منه خطأ ولا معصية ، ومن الذي يمكنه أن يتحجّر واسعاً كهذا التحجّر ، أو يحكم هذا الحكم !

قال : والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويثبتون أنهم عصَوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قَدَريّ معتزلي ، وربما قالوا : مُلحِد مخالِف لنص الكتاب ، وقد رأيْنا منهم الواحد والمائة والألف يُجادِل في هذا الباب ، فتارة يقولون : إنَّ يوسف قعد من امرأة العزيز مَقْعد الرّجل من المرأة ، وتارةً يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارةً يقولون : إنَّ رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النّبوة ، وربما ذكروا زينب بنت جَحش وقصّة الفِداء يوم بدر.

فأما قَدحُهم في آدم عليه السلام ، وإثباتُهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبُهم ودَيْدَنُهُم ، فإذا تكلّم واحد في عمرو بنِ العاص أو في معاويةَ وأمثالهما ونَسَبهم إلى المعصية وفِعْل القبيح ، احمرّت وجوهُهم ، وطالت أعناقُهم ، وتخازَرتْ أعينُهم ، وقالوا : مبتدِع رافضيّ ، يسبّ الصَّحابة ، ويَشتمُ السَّلَف ، فإن قالوا : إنَّما اتّبعْنا في ذِكر معاصي الأنبياء نصوصَ الكتاب ؛ قيل لهم : فاتّبعوا في البراءة من جميع العُصاة نصوصَ الكتاب ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنونَ بِاللَّهِ وَاليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[1] ، وقال : ﴿ فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتِلوا الَّتي تَبغِي حتّى تَفِيءَ إلى أمرِ الله ﴾[2] ؛ وقال : ﴿ أطيعُوا الله وأطيعُوا الرسول وأُولِي الأمرِ منكم ﴾[3] .

ثمَّ يسألون عن بيعة عليّ عليه السلام : هل هيَ صحيحة لازمة لكلِّ الناس ؟ فلا بدَّ مِن « بَلَى » ، فيقال لهم : فإذا خَرَج على الإمام الحقّ خارجٌ أليسَ يَجب على المسلمين قتالُه حتّى يعودَ إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلاّ البراءة الّتي نذكرُها لأنه لا فرق بين الأمرين ، وإنّما برئْنا منهم لأنَّا لسنا في زَمانهم ، فيُمكننا أن نقاتلَ بأيدينا ، فقُصارَى أمرِنا الآن أن نبرأ منهم ونَلعنَهم ، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الّذي لا سبيلَ لنا إليه .

قال هذا المتكلِّم : على أنَّ النَّظّام وأصحابَه ذَهَبوا إلى أنّه لا حُجّة في الإجماع ، وأنّه

(١) سورة المجادلة ٥ .
(٢) سور الحجرات ٩.
(٣) سورة النساء٥٩ .

يجوز أن تجتمع الأمَّة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفِسْق بل على الرِّدّة ، وله كتابٌ موضوع في الإجماع يَطعَن فيه في أدلّة الفقهاء ، ويقول : إنَّها ألفاظ غيرُ صريحة في كون الإجماع حجّة ، نحو قوله : ﴿ جعلْناكم أمّة وَسَطاً ﴾[1] وقوله : ﴿ كنتمْ خيرَ أمّة ﴾[2] ، وقوله : ﴿ ويتّبعْ غيرَ سبيلَ المؤمنينَ ﴾[3] .

وأمّا الخبر الذي صورته : « لا تجتمع أمّتي على الخطأ » ، فخبرُ واحد ، وأمثَل دليل للفقهاء قولهم : إنَّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابُها كثيرة عظيمة ، فإنه يستحيل اجتماعُهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهودِ والنَّصارى وغيرِهم من فِرَق الضلال .

هذه خلاصةُ ما كان النَّقيب أبو جعفر عَلَقه بخطّه من الجزء الَّذي أقرأناه .

(١) سورة البقرة ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران ١١٠ .

(٣) سورة النساء ١١٥ .

الباب الرابع
مصادر المختار
عن كتاب
مصادر نهج البلاغة
لعبد الله نعمة

الفصل الأول

وهو يشتمل على مصادر بعض
الخطب والكلام للمختار منها

٢ ـ ومن خطبة له (ع) بعد انصرافه من صفين ، يذكر فيها حال الناس قبل البعثة ، وصفة آل النبي ، ثم صفة قوم آخرين :

« أحمده استتماماً لنعمته ، واستسلاماً لعزته . . . . » .

روى الطبري الامامي في كتابه المسترشد ص ٧٣ أكثر الفصل الأخير ، وهو قوله (ع) : (لا يقاس بآل محمد . . .) مع زيادات واختلاف يسير .

٣ ـ ومن خطبة له (ع) وهي المعروفة بالشقشقية : « أما والله ، لقد تقمصها ابن أبي قحافة . . . » .

قال ابن أبي الحديد الشارح :

« . . . فحدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستماية ، قال : قرأت على الشيخ أبي عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب[1] هذه الخطبة ، وكان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل ، قال : فقلت له : أتقول انها منحولة ؟ فقال: لا والله ، وإني لا علم أنها من كلامه كما أعلم أنك مصدق .

قال : فقلت له : إن كثيراً من الناس يقولون إنها من كلام الرضي رحمه الله تعالى .

فقال : أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الأسلوب ؟ قد وقفنا على رسائل الرضي ، وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور ، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر .

قال الشارح :

(١) هو من علماء اللغة والنحو والتفسير ، ومن الشعراء والأدباء ، توفي سنة ٥٦٧ هـ.

« وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي [١] امام البغداديين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة .

ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة[٢] أحد متكلمي الامامية ، وهو الكتاب المعروف بكتاب الأنصاف ، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً[٣] .

وقال كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني[٤] في شرحه على نهج البلاغة :

« لقد وجدت هذه الخطبة في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة ، أحدهما : أنها مضمنة كتاب (الانصاف) لأبي جعفر بن قبة ، تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة ، وكانت قبل مولد الرضي .

الثاني : وجدتها بنسخة ، عليها خط الوزير أبي الحسن علي ابن محمد بن الفرات ، وكان وزير المقتدر بالله ، وذلك قبل مولد الرضي بنيف وستين سنة .

وقال البحراني : والذي يغلب على ظني أن تلك النسخة كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة . . . »[٥] .

أقول : وما ذكره كمال الدين البحراني، ذكره الراوندي بعينه في شرحه على النهج [٦].

ورويت في كتاب (نثر الدرر) وكتاب (نزهة الأديب)[٧] ، وهما للوزير أبي سعيد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢٠ هـ) .

ورواها كل من السبط في (تذكرة الخواص) ص ١٢٤ ـ ١٢٥ بسنده المنتهي إلى ابن عباس ، والمفيد في الإرشاد ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ، وقال : روى جماعة من أهل النقل بطرق

---

(١) هو أبو القاسم عبد بن احمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي نسبة الى بني كعب ، أحد زعماء المعتزلة البغداديين البارزين ، توفي عام ٣١٧ هـ

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي من متكلمي الامامية وحذاقهم كما قاله ابن النديم في الفهرست ، عاش أوائل القرن الرابع وله عدة مؤلفات ، وقد كتبنا عنه في كتابنا (فلاسفة الشيعة) .

(٣) مرَّ هذا الكلام عند شرح الخطبة .

(٤) هو أحد فلاسفة الامامية وشيوخها توفي عام (٦٧٩ هـ) .

(٥) انظر شرح النهج للبحراني م ١ ص ٢٥٢ ـ٢٥٣ وقد قتل أبو الحسن علي ابن الفرات هذا في عام ٣١٢ هـ .

(٦) انظر الغدير للاميني ج ٧ ص ٨٢ ـ ٨٨ .

(٧) انظر مدارك النهج ص ٢٣٩ .

مختلفة عن ابن عباس ، ثم ذكر هذه الخطبة ، وروى المفيد[1] أيضاً قسماً من هذه الخطبة في كتاب (الجمل) ص ٤٦ و ٧٦ ، وبعض فقراتها في كتابه (الافصاح) ص ١٧ ، والطبرسي في الاحتجاج ص ٢٨١ ورواها الصدوق القمي في كتابه (علل الشرائع) في باب العلة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين مجاهدة أهل الخلاف .

رواها بطريقين :

الأول : قال : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي (صاحب المحاسن) عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال :

ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال :

« والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة الخ . . . » .

الثاني : قال الصدوق :

وحدثنا بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثني عيسى بن راشد عن علي بن خزيمة عن عكرمة عن ابن عباس ، مثله سواء .

قال الصدوق : سألت الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن تفسير هذا الخبر ، ففسره لي قال : تفسير الخبر قوله (ع): لقد تقمصها الخ . .

ورواه الصدوق أيضاً في كتابه (معاني الأخبار) في الباب ٤٠٤ بنفس الطريقين السابقين من غير فرق فيهما مع اختلاف في بعض الفاظها .

وكذا ذكر تفسير أبي أحمد العسكري لمفرداتها حين سأله ذلك .

ورواها أبو جعفر الطوسي في أماليه ج ٢ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٤ عن السيد أبي هلال بن محمد بن جعفر الحفار[2] والمترجم في مستدرك النوري ج ٣ ص ٥٠٩ عن أبي القاسم الدعبلي عن أبيه عن أخيه دعبل الخزاعي الشاعر عن محمد بن سلامة الشامي عن زرارة بن أعين عن

---

(١) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ) من عظماء الامامية في الكلام والمناظرة والفقه والآثار .

(٢) هو على ما يبدو أبو جعفر هلال بن محمد بن سعدان الحفار (ت ٤١٤ هـ) . عن ٩٢ سنة ، لا أبو هلال .

أبي جعفر محمد بن علي عن ابن عباس ، وعن محمد عن أبيه عن جده قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين (ع) فقال : والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة . . . على اختلاف يسير في بعض من ألفاظها .

وأورد الشريف المرتضى قسم منها في كتاب (الشافي) ص ٢٠٣ وقال انه مشهور ، وذكر صدر هذه الخطبة ص ٢٠٤ وقال أنه معروف[١] .

ورواها أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣ هـ) نقل ذلك عنه الشيخ ابراهيم القطيفي في كتابه (الفرقة الناجية) ، والمجلسي في (البحار) م ٨ ص ١٦١[٢] .

وقد صحح أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الوزير (ت ٣٧١/٣٩١ هـ) طريق هذه الخطبة إلى أمير المؤمنين (ع) . وشرحها وفسرها الشريف المرتضى أخو الرضي (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) ، كما فسرها وشرح الفاظها اللغوية أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٢٩٣ ـ ٣٨٢ هـ)[٣] ذكر ذلك الصدوق ابن بابويه القمي في كتابيه (العلل) و (معاني الأخبار) كما أشرنا إليه سابقاً .

ويبدو أن المتأخرين عن عصر الرضي الذين رووا هذه الخطبة ، لم يأخذوها عن نهج البلاغة ، وإنما اعتمدوا غيره في روايتها ، بدليل اختلاف روايتهم لها عن رواية النهج ، بالزيادة والنقصان وببعض الفقرات والكلمات .

٤ ـ ومن خطبة له (ع) بعد مقتل طلحة والزبير :

« بنا اهتديتم في الظلماء ، وتسنمتم العلياء ، وبنا انفجرتم عن السرار . . . »[٤] .

روى المفيد استاذ الرضي قسماً من هذه الخطبة في كتابه (الارشاد) ص ١١٩ ـ ١٢٠ من أولها إلى قوله : (لم يوجس موسىٰ الخ . . .) وقال انه (ع) قال هذه الخطبة بعد مقتل طلحة والزبير في البصرة .

وروى الطبري الامامي الآملي في كتابه (المسترشد) ص ٧٦ شطراً من أواخر هذه

---

(١) انظر الغدير ج ٧ ص ٨٢ .

(٢) انظر سفينة البحار م ١ ص ٧٠٨ وأعيان الشيعة ج ٤٢ ص ٢٧٥ .

(٣) هو المحدث الأديب صاحب كتاب (الزواجر والمواعظ) . وكتاب (المصون) وهو من شيوخ الصدوق القمي في الرواية ، واستاذ أبي هلال العسكري .

(٤) السرار : الليلة والليلتان تكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى .

الخطبة ، وهو قوله (ع): لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه . . . إلى قـوله : من وثق بماء لم يظمأ . مع اختلاف يسير .

وقال الشارح :
« هذه الكلمات والأمثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة اليه (ع) ، قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهـواؤهم ، لا يوافق ألفـاظها طـريقتـه (ع) في الخـطب ، ولا تنـاسب فصاحتها فصـاحته ، ولا حـاجة إلى ذكـرها فهي شهيـرة . ونحن نشرح هـذه الألفاظ لأنها كلامه (ع) لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخـطباء والفصحـاء في خطبهم ورسائلهم ، ولأن الرواية بها كثيرة ،ولأن الرضي رحمه الله تعالى قد التقطها ونسبها إليـه (ع) وصححها وحذف ما عداها . . . »[1].

٥ ـ ومن خطبة له (ع) حين خاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له عند قبض رسول الله (ص) :

« أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة . . » .

رواها الطبرسي في (الاحتجاج) ص ١٢٧ ـ ١٢٨ بـاختلاف في قسم من ألفـاظها ، ذكرها باسم رسالة موجهة منه (ع) إلى أبي بكر لما بلغه منعه فاطمة فدكاً .

ورواها السبط في (تذكرة الخواص) ص ١٢٨ باسناده عن مجاهد عن عكرمة عن ابن عباس مع بعض الاختلاف .

وذكر البحراني في شرحه السبب في قوله (ع) لهذه الخطبة[2].

وذكر الشارح ابن أبي الحديد سبب هذه الخطبة ومقدماتها مع زيادات في أولها من دون ذكر اسنادها[3] .

٦ ـ ومن كلام له (ع) حين أشير عليه بالا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال :

« والله لا أكون كالضبع ، تنام على طول اللدم ، حتى يصـل إليها طـالبها ، ويختلهـا راصدها . . . » .

---

(١) انظر شرح النهج م ١ ص ٧٠.
(٢) انظر شرح النهج للبحراني م ١ ص ٢٧٦ .
(٣) انظر شرح النهج م١ ص ٧٣ .

رواه الشارح عن طارق بن شهاب الأحمسي[1] .

وأورد أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري قسماً منه في صحاحه[2] .

وأورده الشارح أيضاً عن أبي عبيدة الهروي في كتابه (الغريبين) ، وذكر تفسير الأصمعي لبعض مفرداته[3] مختلفاً عن رواية النهج .

وذكر الطبري في تاريخه م ٣ ص ٤٧٦ شطراً من هذه الكلمات ، وفي ص ٤٧٥ كلمة تشبهها .

وروى أبو منصور الثعالبي في (ثمار القلوب) ح ص ٤٠٣ قوله (ع) : لا أكون مثل الضبع يخضعها القول فتخرج فتصاد .

وقال البحراني في شرحه م ١ ص ٢٨٠ : روى أبو عبيدة قال : أقبل أمير المؤمنين (ع) على الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فأشار عليه الحسن ابنه بألّا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال ، فقال (ع) في جوابه هذا الكلام .

وروى الفقرة الأخيرة منه الطبري الامامي في المسترشد ص ٧٤ وهو قوله (ع) : (فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي الخ . . .) من كلمة قالها لابنه الحسن (ع) .

وقد روى هذا الكلام كله الطوسي في الأمالي ج ١ ص ٥٢ على اختلاف في بعض الفاظه بسنده عن طارق بن شهاب ، وهو من كلام أجاب به (ع) ولده الحسن (ع) .

١٦ ـ ومن كلام له (ع) حينما بويع بالمدينة :

« ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم . ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات . . . .

رواه اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٨٧ ، والكليني الرازي في كتابه (روضة الكافي) ص ٦٧ ـ ٦٨ ، وروى قسماً منها في كتابه أصول الكافي ج ١ ص ٣٦٩ .

وأورد مسكويه في كتابه (الحكمة الخالدة) ص ١١١ شطراً منها ، وأبو طالب المكي في (قوت القلوب) ج ١ ص ٢٩٠ أول هذه الخطبة وبعض فقرات من أواخرها ، وضمنها أكثر الخطبة التالية رقم ١٧ .

---

(١) كان طارق هذا من صحابة علي ومحبيه .

(٢) انظر شرح النهج م١ ص ٧٦، وأبو نصر الجوهري هو من أئمة اللغة توفي عام ٣٩٣ هـ.

(٣) انظر شرح النهج م ٤ ص ٣٥٩.

وروى النعماني في كتابه (الغيبة) ص ١٠٧ شطراً منها من قوله (الا أن بليتكم) إلى قوله : (ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم) .

وتجد الكثير من هذه الخطبة في العقد الفريد لابن عبد ربه م ٢ ص ١٣٣ ، وفي اثبات الوصية للمسعودي ص ١٢٤ ، وفي عيون الأخبار ج ٥ ص ٢٣٦ وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٨ ـ ٣٩ مع فصل (الا ان أبرار عترتي . . .) رواه عن أبي عبيدة عن الامام الصادق عن جده الامام علي (ع) .

وروى الطبري الامامي في المسترشد ص ٧٥ ـ ٧٦ ـ شطراً منها مع فصل (ألا أن ابرار عترتي) الذي رواه الجاحظ .

وقال المفيد في كتاب الجمل ص ٤٦ : قد ذكر هذه الخطبة أبو عبيدة معمر بن المثنى وفسر غريب الكلام منها ، وأوردها المدائني في كتبه ، وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين .

وقال الشارح : وهذه الخطبة من جلائل خطبه (ع) ، ومن مشهوراتها ، قد رواه الناس كلهم ، وفيها زيادات حذفها الرضي ، أما اختصاراً أو خوفاً من ايحاش السامعين ، وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ على وجهها[1] .

ومن تتمة هذه الخطبة التي ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٩ قوله (ع) :

« وقد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين ، أما أني لو أشاء لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب همته بطنه ، ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ، انظروا فإنأنكرتم فانكروا وإن عرفتم فآزروا ، حق وباطل ولكل أهل ، ولئن كثر أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، وقلما أدبر شيء فأقبل ، ولئن رجعت عليكم أموركم انكم لسعداء ، واني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلاَّ الاجتهاد .

وقال أبو عبيدة : وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عن آبائه :

« ألا ان أبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً ، ألا وأنا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ، وان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ، معنا راية الحق من تبعنا لحق ،

---

(١) انظر شرح النهج م ١ ص ٩١ ـ ٩٢ .

ومن تأخر عنا غرق ، ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم ، وبنا فتح لابكم وبنا يختم لابكم » .

وتجد شطراً من هذه الزيادة في كتاب الجمل ص ٤٦ وص ٧٧ للمفيد ، من قوله : (قد كانت أمور كثيرة) إلى قوله : (وقطع رأسه لكان خيراً له) .

ورواها المفيد أيضاً في كتاب الارشاد ص ١٣ مع الزيادات كما رواها الجاحظ تماماً ، من قوله :(فلا يرعين مرع إلّا على نفسه) إلى قوله : (وبنا يختم لا بكم) .

وبين جميع هذه الروايات اختلاف في بعض ألفاظها وبالتقديم والتأخير .

٢٦ ـ ومن خطبة له (ع) يصف فيها العرب قبل البعثة ، وحاله قبل البيعة وبعدها :

« إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شر دين ، وفي شر دار . . . » .

رواها ابراهيم الثقفي في كتابه (الغارات) عن رجاله عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه ، قال : خطب علي (ع) بها بعد فتح مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر[1] .

وهي خطبة طويلة ، رواها كل من ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٣ ، والطبري الامامي الآملي في كتاب (المسترشد) ص ٧٧ ـ ٧٨ ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) م ٢ ص ١٣٥ ، كما أنه أعاد روايتها في م ٢ ص ٢٢٧ .

وقال ابن قتيبة : إن هذه الخطبة كانت كتاباً ، كتبها حين راجعه حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وسألوه عن أبي بكر وعمر ، ما تقول فيهما ؟ وبين لنا ذلك فيهما وفي عثمان . فقال علي كرم الله وجهه : أو قد تفرغتم لهذا ؟ وهذه مصر قد افتتحت ، وشيعتي فيها قد قتلت ، إني مخرج إليكم كتاباً ، أنبئكم فيه ما سألتموني عنه ، فاقرأوه على شيعتي .

فأخرج إليهم كتاباً ، فيه :

« أما بعد فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل . . . »[2] .

وقال الطبري الامامي في المسترشد ص ٧٧ :

وروى الشعبي عن ابن شريح بن هاني ، قال : خطب علي بن أبي طالب (ع) بعدما

---

١) انظر شرح النهج ٢٣ ص ٣٥ ـ ٣٨.

٢) انظر الامامة والسياسة ج ١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

افتتحت مصر ، ثم قال : واني مخرج إليكم كتاباً ، وكتب من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فإن الله بعث محمداً (ص) بشيراً ونذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل . . . » .

وبين هذه الروايات اختلاف يسير .

وقد أدرج الرضي قسماً من هذه الخطبة في باب المختار من رسائله وكتبه (ع) برقم (٦٢) .

٣٣ ـ ومن خطبة له (ع) عند خروجه لقتال أهل البصرة :

« إن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله ، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعي نبوة ، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم ، وبلغهم منجاتهم ، فاستقامت قناتهم ، وأضاءت صفاتهم . . . » .

رواه المفيد في كتاب (الارشاد) ص ١١٧ مع اختلاف في بعض الكلمات والفقرات ، وتقديم بعضها وتأخيرها .

وقد أعاد الرضي ذكر هذه الخطبة برقم (١٠١) لاختلاف الرواية .

٣٧ ـ قوله (ع) :

« فقمت بالأمر حين فشلوا . . . » .

روى الباقلاني في (اعجاز القرآن) ص ١٨٩ ـ ١٩٢ ، وابن عبد ربه في العقد الفريد م ١ ص ٢٠٧ خطبة طويلة قالها (ع) يؤبن بها أبا بكر ، وهي مشتملة على أكثر ما روي في النهج .

ومن جهة ثانية روى الصدوق في (الامالي) ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ، و (اكمال الدين) ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ كلمة طويلة قالها رجل في تأبين علي (ع) حين قبض ، أولها : رحمك يا أبا الحسن (كنت أول القوم اسلاماً الخ . . .) وهي مشتملة على كثير مما روي في النهج .

٧٣ ـ ومن كلام له (ع) لما عزموا على بيعة عثمان :

« لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري ، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين . . . » .

روى ذلك الشارح فيما صح عنده من هذه الخطبة التي فيها ما ذكر في النهج ، وقال :

قد ذكره أصحاب السيرة ، وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ، ثم إن الشارح ذكر تتمة هذا الكلام[١] .

وروى المفيد في (المجالس) ص ١٢٠ فقرات من أواخرها ، والطبرسي في مشكاة الأنوار ص ١٥٦ شطراً منها .

وروى الصدوق في (الفقيه) ج ١ ص ١٣٢ فقرات منها من الخطبة الآتية برقم (١٠٧)، وكذلك البرقي في (المحاسن) ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

٨٦ ـ ومن خطبة له (ع) :

« عباد الله ان من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه . . . » .

قال الشارح عند شرحه الفصل الأخير منها وهو قوله (ع) : (حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بني أمية . . .) .

قال : وهذه الخطبة طويلة ، وقد حذف الرضي منها الكثير ، ومن جملتها : أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يرون الذين ينتظرون حتى يهلك المتمنون ويضمحل المحلون . . . »[٢] .

٨٧ ـ ومن خطبة له (ع) :

« أما بعد ، فإن الله لم يقصم جباري دهر قط ، إلاّ بعد تمهيل ورخاء . . . » .

روى هذه الخطبة الكليني في كتاب (روضة الكافي) ص ٦٣ ـ ٦٦، وهي خطبة طويلة ، وكذا رواها الشيخ المفيد في كتاب (الارشاد) ص ١٣٧ ـ ١٣٨ مع اختلاف يسير في بعض الكلمات والفقرات .

٩٠ ـ من خطبة له (ع) تسمى بالأشباح ، حين سئل أن يصف الله تعالى كأنه يراه ، فقال :

« الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود ، ولا يكديه الاعطاء والجود . . . » .

رواها الرضي في النهج عن مسعدة بن صدقة ، ورواها الصدوق القمي في كتاب (التوحيد) ص ٣٤ ـ ٤١ بسنده عن اسماعيل بن اسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن الصادق (ع) قال : بينما أمير المؤمنين (ع) يخطب على المنبر بالكوفة ، إذ

---

(١) شرح النهج م ٢ ص ٦١ .

(٢) انظر شرح النهج م ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

قام اليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربك ، لنزداد له حباً ، وبه معرفة ، فغضب أمير المؤمنين ونادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غصَّ المسجد بأهله ، ثم قام متغير اللون ، فقال : « الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء . . . » .

وروى ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد م ٢ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ شطراً منها .

ورواية الرضي في النهج أطول من رواية الصدوق ، وبينهما اختلاف في بعض الكلمات والفقرات .

٩٢ ـ ومن خطبة له (ع) :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، أيها الناس فإني فقأت عين الفتنة . . . » .

رواها سليم بن قيس الهلالي في كتابه ص ٨٥ ـ ٩٠ .

وروى اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١١٩ شطراً منها .

وقال الشارح : وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة ، وهي متداولة منقولة مستفيضة ، خطب بها علي (ع) بعد انقضاء النهروان ، وإن فيها الفاظاً لم يوردها الرضي رحمه الله ، ثم ذكر الشارح فصلاً من هذه الخطبة مما لم يذكره الرضي(١) .

وروى شطراً منها أبو نعيم الأصفهاني في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٦٨ .

وروى أبو صالح السليلي ابن أحمد بن عيسى بن شيخ الحسائي في (الفتن) من نسخة رآها ابن طاووس ، كتبت سنة ٣٠٧، شطراً من أول الخطبة إلى قوله (وناعقها)(٢) .

وكذا نعيم بن حماد الخزاعي في كتابه الفتن ، من قوله : (سلوني فوالله لا تسألوني . .) ، نقله عنه ابن طاووس(٣) .

ونقل الحسن بن سليمان الحلي في المختصر ص ٨٨ شطراً من أولها عن كتاب خطب أمير المؤمنين (ع) للجلودي ، من قوله : (أنا فقأت عين الفتنة) إلى قول (وسائقها) .

وروى الخطبة المجلسي في (البحار) عن كتاب (الغارات) لابراهيم الثقفي(٤) .

٩٣ ـ ومن خطبه له (ع) :

« فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ، ولا يناله حدس الفطن . . . » .

---

(١) انظر شرح النهج م ٢ ص ١٧٩ .

(٢) (٣) انظر الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٨٦ وص ١٦ .

(٤) انظر مصادر النهج وأسانيده ج ٢ ص ٢٩٨ .

روى الكليني في (أصـول الكافي) م ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٦ ، الفصـل الأول منهـا ، من خطبة أولها : الحمد لله الواحد الأحد ، الصمد المتفرد الخ . . . وكذا روى الصدوق في كتاب (التوحيد) ص ٢٨ الفصـل الأول منها ، من خـطبة أولهـا : « الحمد لله الـواحد الأحـد ، الصمد المنفرد . . . » .

وفي ص ٥٣ روى الفصل الأخير منها من خطبة أخرى أولها : « الحمد لله الذي لا من شيء كـان ، ولا من شيء يكون ، كـوّن مـا قـد كـان ، مستشهـداً بحـدوث الأشيـاء عـلى أزليته . . . » .

وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد م ٢ ص ١٣٦ خطبة سماها الغراء مشتملة عـلى شيء مما روى في النهج ، وأولها :

« الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد . . . » على اختلاف بين الروايات .

٩٦ ـ ومن كلام له (ع) في أصحابه وأصحاب رسول الله (ص) :

« ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصـاد على مجاز طريقـه ، وبموضـع الشجى من ريقه . . . » .

رواه المفيد في (الارشاد) ص ١٣١ ـ ١٣٤ من خطب متعددة قـالها (ع) في مقـامات مختلفة ، والتقط الرضي منها ما اختاره في النهج ما عدا الفصل الأخير منها ، وهو قوله (ع) : (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم الخ . . .) فلم يذكره المفيد في الارشاد .

وتجد كذلـك فـصـلاً كبيـراً من هذه الخـطبة في كتـاب (المجالس) للمفيـد ص ٨٧ ، وشطراً منها في كتاب (الامامة والسياسة) لابن قتيبة ج ١ ص ١٢٦ .

وروى سليم بن قيس الهلالي في كتابه ص ٥٨ ـ ٥٩ شطراً منها ، وفي ص ٨٨ الفصل الأخير منها وهو قوله (ع) : « انظروا أهل بيت نبيكم الخ . . .) .

وروى الطبري الأمامي في (المسترشد) ص ٧٣ بعض فقرات من أول الفصل الأخير من هذه الخطبة .

وروى الشطر الكبير من الفصل الأخير منها ، وهو : (لقد كان أصحاب محمد (ص)) كل من ابن قتيبة في (عيون الأخبار) م ٢ ج ٦ ص ٣٠١ ، والمفيد في (المجالس) ص ١١٥ وفي (الارشاد) ص ١١٢ .

وروى بعض فقرات منها الطبرسي في مشكاة الأنوار ص ٥٧ رواه عن الامـام علي بن الحسين (ع) .

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ منها أكثر ما رواه الرضي في النهج ، رواه من خطبة طويلة .

٩٩ ـ ومن خطبة له (ع) :

« الحمد لله الناشر في الخلق فضله ، والباسط بالجود فيهم يـده . . . » .

قال الشارح : واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين (ع) في الجمعة الثالثة من خلافته[1] .

١٠٨ ـ ومن خطبة له (ع) :

« كل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به . . . » .

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد م٢ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ أكثر فصول هذه الخطبة ، من خطبة أسماها الزهراء ، على اختلاف يسير بين ما رواه وبين ما روي في النهج .

١١٩ ـ ومن كلام له (ع) يذكر فضله :

« تالله : لقد علمت تبليغ الرسالات ، وإتمام العدات ، وتمام الكلمات . . . » .

تجد بعض فقراتها في كتاب سليم بن قيس ص ٨٩ ـ ٩٠ من خطبة مـرت برقم (٩٠) وأولها (أنا فقأت عين الفتنة الخ . . .) .

١٣١ ـ ومن كلام له (ع) :

« أيتها النفوس المختلفة ، والقلوب المتشتتة الشاهدة أبدانهم . . . » .

رواه السبط في (التذكرة) ص ١٢٠ ـ ١٢١ بسند ينتهي إلى عبد الله بن صالح الـعجلي قال : خطب أمير المؤمنين (ع) يوماً على منبر الكوفة ، وذكـر السبط أن هذه الخـطبة تعـرف (بالمنبرية) ، وأولها : « الحمد لله أحمده وأؤمن به وأستعينه وأستهديه . . . » .

١٥٠ ـ ومن خطبة له (ع) يشير فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال :

« وأخذوا يميناً وشمالاً ، ظعناً في مسالك الغي ، وتركاً لمذاهب الرشد . . . » .

روى الطبري الامامي في كتاب (المسترشد) ص ٧٣ شيئاً من أواخر الفصل الثاني ، من قوله (ع) : (رجع قوم على الأعقاب) إلى قوله : (فبنوه في غير موضعه) ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

---

(١) انظر شرح النهج م ٢ ص ١٩٢ .

١٥٤ ـ ومن كلام له (ع) خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم :
« فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله عزَّ وجلَّ فليفعل . . . » .
روى المفيد في (المجالس) ص ١٦٢ أكثر الفصل الثالث وهو قوله (ع) : (سبيل أبلج المنهاج الخ . . .) رواه من الخطبة رقم (١٠٥) وأولها : (الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه) .

ورواه مثله كل من ابن شعبة في تحف العقول ص ١٠٩ ـ ١١٠ من طبعة النجف ، وسليم بن قيس الهلالي في كتابه ص ٣٨ .

وكذا رواه كل من روى الخطبة رقم (١٠٥) فراجع .

١٦٣ ـ ومن كلام له (ع) لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق ، فقال :
« يا أخا بني أسد ، إنك لقلق الوضين ، ترسل في غير سدد . . . . » .
رواه الصدوق في (أماليه) في المجلس التاسع والثمانين ، وفي كتابه (علل الشرائع) باب ١١٩ في العلة التي من أجلها ترك الناس علياً ، رواه في كلا الكتابين عن أبي أحمد العسكري بسنده .

ورواه المفيد في (الارشاد) ص ١٣٩ ، وفي كتابه (الفصول المختارة) ج ١ ص ٤٥ ، والطبري الامامي في (المسترشد) ص ٦٤ ، على اختلاف بين هذه الروايات .

١٧٣ ـ ومن خطبة له (ع) :
« الحمد لله الذي لا تواري عنه سماء سماء . . . » .
قال الشارح عند شرحه الفصل الثاني من هذه الخطبة ، وهو قوله (ع) : (وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر لحريص . . .) :
هذه من خطبة يذكر فيها ما جرى يوم الشورى . . . والذي قال له انك على هذا الأمر لحريص ، سعد بن أبي وقاص . . . وقد رواه الناس كافة ، وقالت الامامية : هذا الكلام قاله (ع) يوم السقيفة ، والذي قال له هذا القول هو أبو عبيدة بن الجراح ، والرواية الأولى أظهر وأشهر[1] .

وقد روى هذه الخطبة ابراهيم الثقفي في كتابه الغارات عن رجاله عن عبد الرحمن بن

---

(١) انظر شرح النهج م ٢ ص ٤٩٥ .

جندب عن أبيه من خطبة طويلة تقدمت برقم (٢٦) وأولها : « إن الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شر دين ، وفي شر دار . . . »[1].

ورواها الطبري الامامي في كتاب (المسترشد) ص ٨٠ ـ ٨٢، وروى ابن قتيبة أكثرها في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٣٠ من الخطبة المذكورة التي رواهـا في ص ١٢٩ ـ ١٣٣ على اختلاف بين هذه الروايات .

١٨٣ ـ ومن خطبه له (ع) :

« الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق ، وعواقب الأمر . . . » .

حكى الشريف الرضي في النهج رواية هذه الخطبـة عن نوف البكـالي ـ صاحب عـلي (ع) ـ قال :

خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة ، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ـ وهو ابن أخت الامام علي ـ وعليه مدرعة من صوف ، وحمائل سيفـه ليـف وفي رجليه نعـلان من ليف ، وكأن جبينـه ثفنة بعـير ، فقال عليـه السـلام : الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق .

ثم نادى بأعلى صوته :

« الجهاد الجهاد عباد الله ، ألا واني معسكر في يومي هذا ، فمن أراد الـرواح إلى الله فليخرج » .

قال نوف : وعقد للحسين (ع) في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد رحمـه الله في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد أخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تختطفها الذئاب من كل مكان .

ومن المفيد أن نذكر سؤالاً آخر حول قوله (ع) في هذه الخطبة وهو قوله :

« وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية ، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة » .

فيقال : متى حصل الابراد بـرؤوس أصـحابـه ؟ وعادة قطع الرؤوس وحملها من مكان إلى مكان ، عادة لم تكن في عصر علي .

والجواب : أن النصوص التاريخية تقول أن رأس عمار بن يـاسر قد احتـزه ابن جون السكسكي عندما طعن أبو العاديـة عماراً وسقط وجاءا برأسه إلى معاوية يختصمان فيه ، كل

(١) المصدر نفسه ص ٣٥ ـ ٣٨.

يقول : أنا قتلته ، فقال لهما عمرو بن العاص . والله إن يختصمان إلّا في النار[1] .

وروى الصدوق في الأمالي في المجلس الثالث والستين ص ٣٦٢ بسنده عن مسعود الملائي عن حبة العرني ، قال : أبصر عبد الله بن عمر رجلين يختصمان في رأس عمّار رضي الله عنه يقول هذا : أنا قتلته ، ويقول هذا : أنا قتلته ، فقال ابن عمر : يختصمان أيهما يدخل النار أولاً .

١٩٥ ـ ومن كلام له (ع) قاله عند دفن السيدة فاطمة الزهراء (ع):

« السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة بجوارك . . . » .

رواه الكليني في أصول الكافي م ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، والمفيد في (المجالس) ص ١٦٥ ، والطبري الأمامي في دلائل الامامة ص ٤٧ ـ ٤٨ ، والطوسي في (الامامة) ج ١ ص ١٠٨ ، والسبط في (التذكرة) ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ، كل ذلك بزيادات واختلاف يسير في بعض الكلمات .

٢١١ ـ ومن كلام له (ع):

« اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم . . . » .

رواه الطبري الإمامي في (المسترشد) ص ٨٠ من كلمة طويلة ، وروى المفيد بعض فقراته في كتاب (الجمل) ص ٧٦ .

ورواه الكليني في (الرسائل) من خطبة طويلة كتبها (ع) على ما نقله عنه ابن طاووس في كتابه (المحجة)[2] .

وهو مذكور ضمن الخطبة التي أولها : « إن الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل . . . » وقد مرت برقم (٢٦) وقد رواها كل من إبراهيم الثقفي في (الغارات) (١١٥)، وابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٣ ، والطبري الامامي في (المسترشد) ص ٧٧ ـ ٧٨ ، وابن عبد ربه في (العقد الفريد) م ٢ ص ١٣٥ وص ٢٢٧ .

٢٢٣ ـ ومن خطبة له (ع) تختص بذكر الملاحم :

« ألا بأبي وأمي هم من عدة . أسماؤهم في السماء معروفة ، وفي الأرض مجهولة . . . » .

---

(١) انظر تذكرة السبط ص ٩٤ نقله عن الواقدي وقارن ما في كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٤١ .

(٢) المستدرك للشيخ عبد الهادي كاشف الغطاء ص ١٤١ .

نقل الشارح كثيراً من هذه الخطبة في شرحه م ٢ ص ٤٩ ـ ٥٠ عن المدائني في كتاب صفين .

وقال أيضاً عند شرح هذه الخطبة :

وقد ذكرنا هذه الخطبة أو أكثرها فيما تقدم من الأجزاء الأول[1] .

٢٣٨ ـ ومن خطبة له (ع) تسمى بالقاصعة :

« الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء ، واختارهما لنفسه دون خلقه . . . » .

روى أبو الحسن الماوردي في (أعلام النبوة) ص ٩٧ ـ ٩٨ هذه الخطبة مختصرة ، وحكاها عن أهل النقل .

وقوله (ع) من هذه الخطبة المشتمل على قصة الشجرة وهو قوله : « ولقد كنت معه لما أتاه الملأ من قريش » رواه الماوردي في أعلام النبوة إلى قوله (يعنونني) .

وروى الكليني في الكافي ج ٤ ص ١٩٨ ـ ٢٠١ فصولاً من هذه الخطبة ، من قوله (ع): (ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان) ، إلى قوله : (وأسباباً ذللًا لعفوه) .

٢٤٣ ـ ومن خطبة له (ع) يذكر فيها آل محمد (ص):

« هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم . . . » .

رواه الكليني في روضة الكافي ص ٣٩١، من ضمن خطبة تقدمت برقم (١٤٥) وأولها .

« فبعث محمداً (ص) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان . . . » فراجع هناك .

---

(١) شرح النهج م ٣ ص ٢١٤ .

الفصل الثاني

وهو يشتمل على مصادر بعض المختار من الكتب والرسائل إلى الأعداء وامراء البلاد والعهود إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه عليه السلام

٩ ـ ومن كتاب له (ع) إلى معاوية :

« فأراد قومنا قتل نبينا ، واجتياح أصلنا . . . » .

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٨٨ ـ ٩١ كتاباً طويلاً متضمناً لكثير مما رواه الرضي في النهج من هذا الكتاب ، وأول هذا الكتاب الذي رواه نصر ، ونقله عنه شارح النهج(١) .

أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك ، تذكر فيه محمداً (ص) . .

وأورد هذا الكتاب ابن عبد ربه في (العقد الفريد) م ٢ ص ٢٢٤ ، وفيه شطر مما روي في النهج ، وكذا ذكره أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) ص ١٥٤ مختصراً ، وفيه فقرات كثيرة مما روي في النهج .

٢٨ ـ ومن كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً . قال الشريف الرضي : هو من محاسن الكتب :

« أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً (ص) . . . . » .

قال النقيب أبو جعفر يحيى بن أبي زيد . إن هذا الكتاب هو جواب لكتاب معاوية أرسله إليه مع أبي أمامة الباهلي ، وهو غير جوابه عن كتاب معاوية الذي أرسله إليه مع أبي مسلم الخولاني . وقال إن كلا الكتابين مروي ثابت(٢) .

---

(١) انظر شرح النهج م ٣ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

(٢) شرح النهج م ٣ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

وقد روى هذا الكتاب الطبرسي في (الاحتجاج) ص ٢٥٨ ـ ٢٦٣ .

وكثير مما في هذا الكتاب مروي في الكتاب الذي رواه نصر بن مزاحم في (كتاب صفين) ص ٨٨ ـ ٩١ من طبعة مصر من الرسالة الموجهة منه (ع) إلى معاوية ، التي أولها . « أما بعد فإن أخا خولان . . . » .

٣٦ ـ ومن كتاب له (ع) إلى أخيه عقيل جواباً له عن كتابه :

« فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين . . . » .

رواه ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ٤٩ ـ ٥٠ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

ورواه الشارح عن ابراهيم الثقفي[١] .

ورواه الأصبهاني في كتاب (الأغاني) ج ١٥ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ كما ذكر كتاب عقيل إليه (ع) .

٤٥ ـ ومن كتاب له (ع) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة ، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها :

« أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة . . » .

روى الصدوق في أماليه في المجلس التسعين فصلاً من هذا الكتاب ، وهو قوله : (ولو شئت الخ . . .) مع اختلاف كبير .

٦٢ ـ ومن كتاب له (ع) إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه امارتها :

« أما بعد ، فإن الله سبحانه بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين . . . » .

رواه ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) بكامله ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٤٤ .

ورواه أيضاً ابراهيم الثقفي بعنوان خطبة[٢] ومرت فيما سبق برقم (٢٦) . وما روياه كتاب طويل جداً يشرح فيه بدء أمره إلى نهاية أمر الحكمين .

ورواه الطبري الامامي في كتابه (المسترشد) ص ٧٧ ـ ٨٣ من كتاب طويل ، وذلك

---

(١) انظر شرح النهج م ١ ص ١٥٥ .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٣٥ ـ ٣٨

بعد ما افتتحت مصر . وبين هذه الروايات ورواية النهج اختلاف في التقديم والتأخير وفي بعض الألفاظ والفقرات .

كما روى الطبري المذكور في كتابه الآنف الذكر ص ٦٢ بعض فقراته وهو قوله (ع): وإني والله إلى لقاء ربي لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر راج ، وإني لعلى الصراط المستقيم في يقين من أمري وبينة من ربي .

الفصل الثالث

وهو يشتمل على مصادر بعض المختار
من أجوبة المسائل والكلام القصير الخارج
في سائر اغراضه

١٠٦ ـ قوله (ع):

« نحن النمرقة الوسطى ، بها يلحق التالي ، وإليها يرجع الغالي » .

هذا مروي في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٦، وفي كتاب (الفاخر) لأبي طالب المفضل بن مسلمة بن عاصم ص ٢١٦ ، لكن رواه هكذا : خير هذه الأمة النمط الأوسط الخ . . .).

ورواه ابن شعبة في (تحف العقول) ص ٢١٦ ، والمفيد في (المجالس) ص ٣، وابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج ٣ ص ٣٣٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

ورواه أبو طالب المكي في (قوت القلوب) ج ١ ص ٣٥٧ هكذا : عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه الغالي ، ويرتفع عنه القالي .

وقد ذكرت هذه الكلمة في آخر الخطبة رقم (٢) هكذا : (إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي).

١٩٠ ـ قوله (ع):

« واعجباه: أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة » .

وقال الرضي : وروي له شعر في هذا المعنى :

فإن كنت* بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب

(*) المخاطب هو أبو بكر .

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب

قال الكراجكي في كتاب التعجب ص ١٣ : وروى عنه (ع) أنه قال شعراً (فان كنت بالشورى الخ . . .) .

ثم قال : وقيل أنه قول قيس بن سعد ، وإنما تمثل به أمير المؤمنين (ع) .

ثم قال : وحفظ عنه (ع) أنه قال في احتجاجهم بصحبة رسول الله (ص) :

(واعجباً : أتكون الخلافة بالصحابة ؟ ولا تكون بالقرابة)* .

٣١٦ ـ قوله (ع) :

« أنا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الفجار » .

رواه المفيد في (كتاب الجمل) ص ١٣٨ وفي كتاب (الاختصاص) ص ١٥١ نقله من كتاب ابن دأب ، والصدوق في (معاني الأخبار) في باب (٣٤٨) باختلاف يسير .

(*) وهو عندي ضعيف . ذلك لأن الخلافة ليست بالصحبة ولا بالقربى وإنما اختيار من عند الله سبحانه ، وإنما قال الامام (ع) (فغيرك أولى بالنبي وأقرب) محاججةً منه الى من حاجج الأنصار بنفس حجته فتكون ادعى للدحض .

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥ م .
٣ ـ شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده .
دار المعرفة للطباعة والنشر .
٤ ـ مصادر نهج البلاغة لعبدالله نعمة .
دار الهدىٰ ـ ١٩٧٢ م .
٥ ـ السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر .
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٣ م .
٦ ـ فَدَك في التاريخ للسيد محمد باقر الصدر .
دار التعارف للمطبوعات ـ ١٩٨٠ م .
٧ ـ المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين .
العاملي ـ دار الأندلس ـ ١٩٧٩ م .

فهرست الخطب والكتب والمواعيظ والكلمات

الفهرست

الموضوع	الصفحة
حديث السقيفة	٩٩
خبر يوم ذي قار	١٢٨
الأخبار الواردة عن معرفة الامام علي بالأمور الغيبية	١٣٢
يوم السقيفة	١٤٢
أمر المهاجرين والأنصار بعد بيعة أبي بكر	١٥١
ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر	١٦٢
كلام لعلي قبل المبايعة لعثمان	١٦٩
فصل في ذكر أمور غيبية أخبر بها الامام ثم تحققت	١٨٠
ذكر الأحاديث والأخبار الواردة في فضائل علي	١٩٦
فصل في ذكر بعض أقوال الغلاة في علي	٢٢٤
جملة من إخبار علي بالأمور الغيبية	٢٢٥
ذكر ما كان من صلة علي برسول الله في صغره	٢٤٠
المختار من كتب أمير المؤمنيين علي بن أبي طالب	٢٤٩
كتاب لمعاوية إلى علي	٢٥٤
ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فدك	٢٦٠
تنحيه (ع) عن الخلافة وسكوته عنها لمصلحة الدين والأمة	٢٨٣
المختار من مواعظ وكلمات أمير المؤمنين	٢٨٩
الباب الثالث	
ملحق المختار ، ويقع في فصول	٢٩٩
الفصل الأول	
مناقب وصفات الامام	٣٠١
الفصل الثاني	
الوصيّة والنّص والتفضيل	٣١٥
الفصل الثالث	
دفع الأمير (ع) عن حقه في الخلافة بعد رسول الله (ص) بلا فصل	٣٢٥